

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية  
قسم العلوم الإنسانية  
شعبة التاريخ



## العلاقات العلمية بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي أنموذجا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

\* مكحلي محمد

إعداد الطالب:

\* يوسف الطيب

### أعضاء لجنة المناقشة

|                |                   |                      |                    |
|----------------|-------------------|----------------------|--------------------|
| رئيساً         | جامعة سيدي بلعباس | أستاذ محاضر - أ -    | د. زايدي عز الدين  |
| مشرفاً ومقرراً | جامعة سيدي بلعباس | أستاذ التعليم العالي | أ. د. مكحلي محمد   |
| عضواً مناقشاً  | جامعة سيدي بلعباس | أستاذ محاضر - أ -    | د. سحولي بشير      |
| عضواً مناقشاً  | جامعة معسكر       | أستاذ محاضر - أ -    | د. بونقاب مختار    |
| عضواً مناقشاً  | جامعة وهران       | أستاذ محاضر - أ -    | د. بن جبور محمد    |
| عضواً مناقشاً  | جامعة مستغانم     | أستاذ التعليم العالي | أ. د. منصور مرقومة |

السنة الجامعية : 1441/1440 هـ - 2020/2019 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الإهداء

إلى والدي الكريمين حفظهما الله

إلى رفيقة دربي زوجتي الفاضلة وإلى روح والديها الحاج أحمد والحاجة

أم النون رحمة الله عليهما

إلى أولادي : مروان، رياض، أنس، أماني

إلى كل إخوتي وأخواتي

إلى كل من قدم لي يد العون وكل من ساهم في هذا الإنجاز من

قريب أو بعيد

إلى كل المخلصين في هذا الوطن والأمة الإسلامية

أهدي هذا العسل المتواضع

# شكر وتقدير

أشكر الله عز وجل على أن منّ عليّ بفضلته بإتمام هذا العمل  
أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرف الأستاذ الدكتور: محمد مكحلي  
والشكر موصول لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل وعلى رأسهم القائمين على زاوية تماسين  
التجانية وأخص بالذكر شيخها والأستاذ علي غريسي الذي زودنا بما نحتاجه من مادة علمية  
تاريخية في شطرها المتعلق برسائل أئمة الطريقة إلى أعيان تونس والشكر أيضا لشيخ زاوية  
عين اقلال الرحمانية الذي أمدنا بوثائق أرشيفية هامة تخص النزوية وموسسها الشيخ المختار  
الحداوي

وكل الشكر للقائمين على دور مراكز البحث في الجزائر وتونس  
وإلى كل من ساعدني في هذا الإنجاز

## قائمة اختزال التوثيق

باللغة العربية:

| الكلمة      | اختزال |
|-------------|--------|
| الصفحة      | ص      |
| الطبعة      | ط      |
| الجزء       | ج      |
| تحقيق       | تح     |
| ترجمة       | تر     |
| دون تاريخ   | د. ت   |
| دون طبعة    | د. ط   |
| تقديم       | تق     |
| تعليق       | تع     |
| العدد       | ع      |
| قبل الميلاد | ق م    |
| هجري        | هـ     |
| ميلادي      | م      |
| توفي        | ت      |
| مراجعة      | مر     |

## قائمة اختزال التوثيق

باللغة الفرنسية:

| الكلمة   | اختزالها |
|--|----------|
| Revue Africaine                                | R A      |
| Office des Publications<br>Universitaires      | OPU      |
| Agence Nationale D' Edition et<br>De Publicité | ANEP     |
| Page   | P        |
| Numéro   | N°       |



## مقدمة:

شكل موضوع العلاقات الجزائرية التونسية في العصر الحديث اهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين<sup>1</sup>، خاصة ما تعلق بالجانب السياسي والعسكري، فقد عرفت الأوضاع تغيرات كبيرة بالقطرين منذ مطلع القرن 10هـ/16م، نتيجة عوامل داخلية وخارجية أثرت فيهما على جميع الأصعدة، فعلى المستوى الداخلي وصلت السلطة الحاكمة إلى الضعف و الانهيار بفعل الصراع الداخلي على الحكم و تطاحن دويلات المغرب الإسلامي فيما بينها، وعلى المستوى الخارجي وصل المد المسيحي الأوروبي إلى معظم سواحل شمال إفريقيا في شكل غزو استعماري لم تستطع السلطة القائمة مواجهته بل أسهمت في توطيد أركانه ومد جسور التعاون معه ولو على حساب سكان المغرب الإسلامي، كما حدث في تونس مع آخر سلاطين الدولة الحفصية عندما استعان بالإسبان وسمح لهم بالعبث بكل مكونات وامكانيات تونس وشعبها، والشيء ذاته فعله آخر ملوك الأسرة الزيانية مع المحتل نفسه.

وفي ظل هذه الظروف ظهر الأتراك العثمانيون في الحوض الغربي للمتوسط واستجابوا لنداء السكان في المنطقة الممتدة غرب طرابلس واستطاعوا دحر الغزو الإسباني والقضاء عليه نهائياً في أواخر القرن 10هـ/16م، وأسسوا لمرحلة جديدة بعد توطيد حكمهم بالجزائر وتونس و جعلهما إيالتين تابعتين للإمبراطورية العثمانية تحكمان باسم السلطان العثماني ومع هذا الوضع الجديد اتخذت العلاقات الجزائرية التونسية شكلاً جديداً ميزته سيطرة الجزائر على الإيالة التونسية والتدخل في شؤونها والذي ظل قائماً إلى نهاية القرن 12هـ/18م.

<sup>1</sup> - من أهم الذين كتبوا في هذا الشأن: عبد الجليل التميمي، محمد صالح الجابري، أبو القاسم سعد الله، عمار بن خروف، دلندة الأرقش و محمد الطمار.





حظيت هذه الحقبة بعديد الدراسات والكتابات التاريخية سواء أكان من قبل الجزائريين أم التونسيين المعاصرين لنفس الفترة (المصادر)، والباحثين والمؤرخين عبر مختلف المراحل<sup>1</sup>، إلا أن الملاحظ والمهتم بالدراسات التاريخية يسجل نقصا في الدراسات المتعلقة بالجانب الثقافي والعلمي في تاريخ الإيالتين خلال هذه المرحلة، بفعل طغيان الكتابات في الجانب السياسي و العسكري كما قلنا سابقا، ولذا اخترنا موضوع "العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي أنموذجا" وهو موضوع له علاقة بالتاريخ الثقافي بين البلدين إلا أننا سنخصص بحثنا هذا لنوعين من أنواع الثقافة وهما: الحركة العلمية والحركة الأدبية إبان الفترة الحديثة بالقطرين.

لم نقصد بالحركة العلمية مفهومها في العصر الحاضر من حيث اختراع الأشياء، كاختراع الذرة والصاروخ والحاسوب مثلا وتبادل هذه الاختراعات في جانبها النظري والتقني بين الدول، وإنما نقصد بالحركة العلمية شيئا آخر أبعد من ذلك و هو العلم المنقول أو الحركة الدينية- إن صح هذا التعبير- وذلك لأن مفهوم العلم في ذلك العصر قد كان اتقانا لفهم أي الذكر الحكيم وحفظا لمرويات الحديث الشريف، ومعرفة لأصول العقائد والفقهييات وتعمقا في فن الأصول، وأما فن المنطق على الرغم من اهتمام كثير من علماء ذلك العصر به وتآلق الكثير منهم فيه على غرار محمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمان الأخضرى وغيرهم، إلا أنه بقي محل خلاف بين العلماء خوفا على طلبة العلم الذين لم ينالوا قسطا وافرا من عقائد أهل السنة أن يتيهوا في دروب الكفر ومزالق الإلحاد.

<sup>1</sup> - من أمثلة الكتابات والدراسات ما كتبه ابن أبي الضياف في الإتحاف وحسين خوجة في ذيل البشائر، ورشاد الإمام في سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)، و احميدة عميروي في علاقات بابلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني، وعمار بن خروف في العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، وفيلاي السابح في العلاقات السياسية الجزائرية التونسية.

وكان كل متضلع في الدين من فقيه ومحدث أو مفسر أو أصولي أو عقائدي هو العالم بحق في نظر العامة ولذا يلقب عندهم سيدي فلان، أما إن جمع بين مختلف الفنون السابقة الذكر فإنه يوصف عندهم بالعالم النحرير و البحر الغزير، ولذا كانت الحركة العلمية آنذاك دينية بالدرجة الأولى تمت إلى العلم الظاهر وصوفية في آن واحد تمت إلى العلم الباطن، وبالرغم من ذلك فقد تميز هذا العصر ( العثماني ) بضعف العلم الظاهر بسبب الميل إلى التقليد الأعمى والاعتماد على الحفظ الجاف لنصوص الحديث واجترار الأراجيز الفقهية والأدكار الصوفية، وتغييب العقل والتسليم بالتقليد واعتبار كل ما جاء به الأسبقون أصوب من كل اجتهاد، أما العلم الباطن - التصوف - فقد تحول إلى دروشة وتبلور ذلك في التوسل بالأضرحة والقبور والركون إلى الخرافات.

أما النوع الثاني من الثقافة فهو الحركة الأدبية ولا نقصد بها الإمام بكل ألوان الأدب في ذلك العصر وإنما سنكتفي ببعض النصوص الأدبية (النثرية- والشعرية) لما يتطلبه بحثنا من خلال مقارنة دراسية لرسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي.

و يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى جملة من العوامل منها:

- ميلنا إلى هذا النوع من الدراسات المتعلقة بالجانب الحضاري و الثقافي.
- طغيان الجانب العسكري والسياسي على معظم الدراسات المتعلقة بالعلاقات الجزائرية التونسية خلال الفترة الحديثة.
- طابع التعميم والسطحية في كثير من الكتابات المتعلقة بالجانب الثقافي بين البلدين.
- تقديم الصورة المشرفة عن العلاقات بين الجزائر وتونس في جانبها الثقافي العلمي، بدل علاقات الصراع والحروب و المؤامرات والذسائس التي تكاد تغطي على معظم الدراسات.

- معرفة علاقة الدين بالسلطة من خلال دور رجال العلم ونشاطاتهم بالقطرين.
- تشجيع وتوجيه الأستاذ المشرف إلى هذا النوع من الدراسات الحساسة في تاريخ الدولتين.
- وفي ظل الإشكالية الرئيسية التي تضمنها بحثنا والتي يمكن تلخيصها في السؤال الإشكالي: ما مدى تأثير العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني في التواصل بين الشعبين؟ اقترحنا جملة من الفرضيات أهمها:
- ما جذور العلاقات العلمية بين البلدين قبيل التواجد العثماني بهما؟
- ما أهم الحواضر والمراكز العلمية في كل من الجزائر وتونس خلال العهد العثماني؟
- بماذا اتسمت الحالة العلمية بالقطرين خلال نفس الفترة؟
- ما أبرز مظاهر التواصل العلمي بين البلدين؟
- ما أبرز الطرق الصوفية ومدى مساهمتها في العلاقات العلمية بين البلدين؟
- ما أهمية رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي ودورها في التواصل بين الشعبين؟

و لطبيعة الموضوع اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الذي ركزنا فيه على انتقاء المادة من مراكز الأرشيف والمكتبات الوطنية المتخصصة والمصادر والمراجع والحرص على التوثيق مقممين النصوص التاريخية النثرية منها والشعرية وإثبات مختلف الظواهر التي درسناها مراعين متطلبات المنهج التاريخي من تحليل، و نقد، و استنباط والمقارنة أحيانا لإيضاح مختلف مظاهر العلاقات العلمية بين البلدين من خلال رصد تحركات ونشاطات رجال العلم والطلبة بالقطرين ودور الطرق الصوفية في هذه العملية خلال المرحلة التاريخية المحددة للموضوع.

وللاجابة عن هذه الإشكالية لجأنا إلى تقسيم الموضوع إلى مدخل تاريخي وبابين:

المدخل التاريخي بعنوان "جذور العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس" و تعرضنا فيه عبر مبحثين رئيسيين هما: جذور العلاقات العلمية من خلال رصد حركة العلماء بين البلدين قبيل القرن السادس عشر، والتواجد العثماني بالقطرين وسمة العلاقات السياسية بينهما خلال هذه الحقبة.

الباب الأول عنوانه " طبيعة العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس"، وقسمناه إلى فصلين يحمل الفصل الأول عنوان " الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني وتناولنا فيه ثلاثة مباحث وهي: الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر من خلال تسليط الضوء على أبرز حواضر الجزائر سواء في وسط البلاد وجنوبها أو غربها وشرقها وتحديد أهم المراكز العلمية من مساجد، مدارس، زوايا، كتاتيب ومعمرات. ثم تعرضنا للحواضر والمراكز العلمية في تونس بنفس الطريقة لنعالج في الأخير الحالة العلمية بالقطرين خلال هذه الفترة.

الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس وقسمناه إلى خمسة مباحث وهي: الرحلة العلمية وأثرها في العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس تعرضنا فيه إلى تعريف الرحلة العلمية وأهم أنواعها، ثم أخذنا ثلاثة نماذج عن الرحلات العلمية الجزائرية الكبرى إلى إيالة تونس وبيّنا أثرها في العلاقات العلمية بين البلدين وهي: رحلة أحمد المقرئ، رحلة الحسين الورثيلاني و رحلة أبوراس الناصري.

بعدها رصدنا الزيارات المتبادلة بين علماء الإيالتين ودورها في التواصل العلمي، ثم عرضنا الإجازات المتبادلة بين الطرفين، وكذا أبرز المراسلات و التقاريط<sup>1</sup> الصادرة عن الطرفين، دون نسيان بعض مظاهر التواصل العلمي الأخرى كالمناظرات العلمية، والتنافس في شرح بعض المؤلفات الشهيرة في مختلف ميادين العلم.

أما الباب الثاني بعنوان "التواصل الصوفي بين الجزائر وتونس ودور الطرق الصوفية" قسمناه إلى ثلاثة فصول، عنوانا الفصل الأول "مغرب المتصوفة" يحوي ثلاثة مباحث رئيسة هي: التصوف ونشأته ثم التصوف في بلاد المغرب من خلال تسليط الضوء على بداياته (جذوره) والعوامل التي مكّنت من انتشاره، ثم التصوف في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة مبرزين فيه أهم العوامل المتحكمة في سرعة انتشاره بالبلدين .

و الفصل الثاني خصصناه "للتواصل الطريقي بين الطرق الصوفية في الجزائر و تونس" عبر ثلاثة مباحث أساسية وهي الطرق الصوفية في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، عرجنا فيه على تعريف الطريقة لغة واصطلاحا ثم إلى الطرق الصوفية في كلا البلدين سواء أكانت أصلية أم وافدة، والمبحث الثاني تكلمنا فيه عن دور الطرق الصوفية في عملية التواصل العلمي بين القطرين من خلال التركيز على الطرق الرئيسية وحصرناها في أربع طرق وهي: الشاذلية، القادرية، الرحمانية و التجانية، مع توضيح دور و أهمية كل طريقة بوسائلها وآلياتها في عملية التواصل.

المبحث الثالث يخص دور شيوخ الزوايا في ربط الصلات العلمية بين البلدين ووقع اختيارنا على شخصية محلية بولايتنا (الجلفة) وهو الشيخ المختار بن خليفة الحدباوي

<sup>1</sup> - ينظر شرحها في الباب الأول الفصل المتعلق بالتواصل الثقافي بين الجزائر وتونس.

أنموذجا لدوره الكبير في عملية التواصل بين الجزائر وتونس وذلك من خلال التعريف به وبرحلته العلمية ومكانته العلمية والثقافية باعتباره شيخ لزاوية عين اقلال الرحمانية ومؤسسا لها.

أما وهي الفصل الثالث في هذا الباب فأعطيناه عنوان "رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي دراسة مسحية تحليلية لأهم الرسائل" وارتأينا تقسيمه إلى ثلاثة مباحث رئيسية: مبحث يتعلق بضبط المفاهيم الأساسية المرتبطة بالفصل وهي ثلاثة: الرسائل، الأئمة، الأعيان، ثم اخترنا التعريف بأهم أئمة التجانية وقسمناه إلى جزئين: الأئمة المؤسسون، ثم الأئمة الخلفاء. وفي المبحث الثالث اقتطفنا نماذج من رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي ودورها في العلاقات العلمية والتواصل بين البلدين واقترحنا تقسيمها إلى رسائل في عهد أحمد التجاني، ورسائل في عهد خليفته الحاج علي التماسيني، ثم رسائل خلفائهما سواء في تماسين أو عين ماضي وغيرها، دون أن نهمل نماذج من الرسائل الواردة من القطر التونسي إلى الجزائر.

أما الخاتمة فتضمنت نتائج واستنتاجات البحث اعتمادا على الخلاصة في نهاية كل فصل.

و لمعالجة هذه الفصول اعتمدنا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية وكثير من المصادر والمراجع التي حاولنا الاستفادة منها بشكل جيد ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في معالجة محاور بحثنا هي:

أ- الوثائق الأرشيفية<sup>1</sup>:

هي مصادر تحصلنا عليها من الأرشيف الوطني الجزائري، الأرشيف الوطني التونسي، أرشيف زاوية تماسين، أرشيف زاوية عين اقلال، أرشيف زاوية توزر، ووثائق من المكتبة الوطنية الجزائرية والمكتبة الوطنية التونسية.

ب- المصادر المخطوطة:

اعتمدنا على مجموعة من المخطوطات من أهمها: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباح لأبي العباسي محمد التنبكتي، والكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية، رسالة الوصف الذميمة في فصل اللئيم لمؤلف مجهول ونسبه البعض للشيخ المستغانمي، وكناش الطواحي لمحمد بن خليل الطواحي، وأيضا رحلة المقرئ لأحمد أبو العباس المقرئ، ومباهج الأزهار ودوحة الأفكار لإبراهيم السيادة، وغرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين لمحمود بن المطماطية القسنطيني، وزهر الرياض الباسم في مناقب أستاذنا وقدوتنا الشيخ سيدي علي بن بلقاسم للطاهر الرزقي وغيرها من المخطوطات في مختلف دور البحث سواء في الجزائر أو تونس، أفادتنا هذه المخطوطات في استخراج المادة العلمية المتعلقة بسير وتراجم كثير من الشخصيات الواردة في بحثنا، والحصول على نصوص نثرية و شعرية في شكل إجازات ورسائل متبادلة بين علماء القطرين اقتضتها دراستنا للموضوع.

<sup>1</sup> - وهي عبارة عن مراسلات ورسائل من جهات رسمية أو شخصية لها علاقة ببحثنا بشكل مباشر.

ج- المصادر المكتوبة:

كثيرة ومتنوعة منها العربية والمعربة والمؤلفات الأجنبية، ومن أكثر المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا هي: كتب الجغرافيين، الرحالة، كتب السير والتراجم ومن أبرزها ما كتبه البكري في المسالك والممالك والإدريسي من خلال نزهة المشتاق في اختراق الآفاق والحموي في معجم البلدان، والرحالة حسن الوزان في مؤلفه وصف إفريقيا، وكربخال مرمول في كتابه إفريقيا، كما ركزنا على مجموعة من الرحلات المغاربية من أهمها: النفحة المسكية في السفارة التركية (1589) للتمكروتي، رحلة العبدري، رحلة العياشي المعروفة بالرحلة العياشية (1661-1663)، رحلة أحمد المقري إلى المشرق والمغرب، رحلة الورثيلاني الموصوفة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، رحلة ابن حمادوش الجزائري، رحلة أبي راس الناصري، "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته (السيرة الذاتية لأبي راس)، رحلة الحاج بن الدين المعروفة برحلة الأغواطي ورحلة محمد بيرم الخامس التونسي "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" دون نسيان ما كتبه كثير من الرحالة الأوروبيين إلى كل من الجزائر وتونس سواء من الألمان أو الفرنسيين، ومن أهمها رحلة المبشر إيفالد إلى تونس خلال القرن 19م.

أما كتب السير والتراجم فهي كثيرة من أهمها: مؤلف محمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتبكتي، عنوان الدراية لأحمد الغبريني، دوحة الناشر وجذوة الاقتباس لأحمد بن القاضي، منشور الهداية في كشف حال من ادعى الولاية للفقون، الضوء اللامع للسخاوي، مسامرات الظريف بحسن التعريف لمحمد السنوسي، عنوان الأريب عمّا نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، عجائب الآثار في تراجم



الأخبار للجبرتي وغيرها، وكان من الضروري الرجوع إلى بعض القواميس والمعاجم اللغوية لتفكيك بعض المصطلحات الواردة في بحثنا أهمها: تاج العروس من جواهر القاموس ، لسان العرب لابن منظور، القاموس المحيط للفيروز أبادي وغيرها... .

كما اعتمدنا أيضا على كثير من المصادر التي كتبت عن الجزائر وتونس في مختلف القضايا لاسيما التي اهتمت بالجوانب الثقافية والفكرية، وكلما ارتبط أو له علاقة بجزئيات موضوعنا، ومن أمثلة هذه المصادر ما كتب عن الجزائر وهو كثير كتاريخ قسنطينة لأحمد بن المبارك، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، مختصر تاريخ الجزائر لماثيو كيري، تاريخ بايات قسنطينة في أواخر العهد التركي (1792-1873م) لفايست أوجين وغيرها.

أما عن تونس فقد رجعنا إلى كثير من المصادر منها: المؤنس في أخبار افريقية وتونس لمحمد القيرواني، الحلل السندسية في الأخبار التونسية لأبي عبد الله الوزير، كتاب الإتحاف لابن أبي الضياف ، ذيل البشائر لحسين خوجة وغيرها من المصادر.

من المصادر المهمة في دراستنا ما كتبه الأجانب عن الإياليين من خلال كتابات هايدو، لويس رين، أوكتاف دييو وكزافي كبولاني، وبعض المقالات التي حوتها الدوريات والمجلات، لاسيما ما تعلق بالجانب الديني والثقافي، أهمها المجلة الإفريقية عبر مختلف أعدادها.

مكنتنا هذه المصادر من معرفة أحوال الإياليين العلمية والفكرية وسياسة السلطة فيهما اتجاه العلم والعلماء والجهود المبذولة في النهوض بهذا الشأن، وكذا معرفة أحوال المدن (الحواضر) ووضعية المراكز العلمية من مساجد ، مدارس، زوايا وجهود العلماء في سبيل

تطوير الحركة العلمية والفكرية في كل من الجزائر وتونس عبر مختلف المراحل الزمنية في إطار مجال دراستنا.

د- المراجع:

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة كبيرة من المراجع العربية و المَعْرَبَة، منها المتخصصة في الحياة الثقافية والعلمية بالإيالتين من خلال رصد حركة العلماء و إنتاجهم الفكري، أحوال الحواضر العلمية، سياسة القطرين العلمية والفكرية، وأهم الجهود المبذولة من قبل الحكام في هذا المجال ، ومنها المهتمة بتطور حركة التصوف والطرق الصوفية ببلاد المغرب منذ مطلع القرن 10هـ/16م إلى نهاية القرن 13هـ/19م، وذلك بتتبع نشاط وعلاقات هذه الطرق في ما بينها ودورها في حياة الشعوب المغاربية عامة والشعبين الجزائر والتونسي خاصة.

تعد كتابات أبو القاسم سعد الله من أهم المراجع الأساسية في التاريخ الديني والثقافي لاسيما كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، ومؤلفات محمد الطمار "كالروابط الثقافية بين الجزائر والخارج"، عمار هلال "العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية"، ناصر الدين سعيدوني "من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي"، مولاي بلحميسي "الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني"، وبعض كتب التراجم، وقد استفدنا من العديد منها خاصة "معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض، "معجم مشاهير المغاربة" لأبي عمران الشيخ، و"تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي".

أما المؤلفات التونسية فهي كثيرة أهمها ما كتبه حسن حسني عبد الوهاب<sup>1</sup> في خلاصة تاريخ تونس، وكتاب العمر، المؤرخون التونسيون في القرن 18، 17، 19م لأحمد عبد السلام<sup>2</sup>، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره لداندة الأرقش<sup>3</sup>، وبعض البحوث في الطرق الصوفية خاصة ما كتبه التليلي العجيلي<sup>4</sup> ولطيفة الأخضر<sup>5</sup>.

لا يمكن غض النظر عن الكثير من الكتابات الجزائرية عن الطرق الصوفية مثل ما كتبه محمد نسيب، مؤيد العقبي، عبد العزيز الشهبي، علي غريسي، عبد المنعم الحسني وغيرهم. و العديد من الكتابات الأجنبية المهمة بالجزائر وتونس في الحياة الدينية والثقافية والفكرية.

وكما هو الحال بالنسبة لأي بحث علمي، فقد واجهتنا جملة من الصعاب ولعل أبرزها:  
- الإطار الزمني الواسع للدراسة بحيث أنها تتعدى ثلاثة قرون أي من التواجد العثماني إلى نهاية القرن 19م.  
- صعوبة المزاولة بين البحث العلمي وضغوطات العمل والانشغالات الكثيرة.

<sup>1</sup> - حسن حسني عبد الوهاب (1884-1969م) مفكر، كاتب، مؤرخ و موسوعي تونسي، يعد من طلبة المدرسة الصادقية، تقلد عدة مناصب ووظائف سامية فب بلاده أهمها وزيرا للقلم سنة 1943-1947، ورئيسا لخزنة المخطوطات له مؤلفات عديدة.

<sup>2</sup> - أحمد عبد السلام (1922-2007م) مؤرخ وجامعي تونسي معاصر من طلاب المدرسة الصادقية، تحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون سنة 1969م، تقلد الكثير من المناصب وترك عدة مؤلفات وبحاث هامة.

<sup>3</sup> - داندة الأرقش: مؤرخة وباحثة تونسية، مديرة لمركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة، لها كثير من البحوث والدراسات التاريخية والاجتماعية.

<sup>4</sup> - التليلي العجيلي: مؤرخ وأستاذ التعليم العالي بتونس، له مجموعة من البحوث والمؤلفات.

<sup>5</sup> - لطيفة الأخضر: أستاذة جامعية مختصة في التاريخ المعاصر، لها عدة مؤلفات باللغتين العربية والفرنسية، تقلدت عدة مناصب سامية في تونس أهمها وزيرة للثقافة سنة 2015.

# مقدمة

- قلة المادة العلمية أحيانا وصعوبة الحصول عليها في أحيان أخرى بسبب إخفاء بعض الجهات لمصادر في خزانات خاصة لم نتمكن من الاطلاع عليها، إلا الندر القليل.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر الله عز وجل توفيقه لنا في معالجة هذا الموضوع ، كما نقف وقفة شكر و عرفان للمشرف الأستاذ الدكتور محمد مكحلي لما بذله لنا من توجيهات ونصائح كانت مرافقة لنا دائما، ولا ندعي الكمال فالبحث مازال أفقه رحبا واسعا وحسبنا أننا بعجنا باطنه .. والله الموفق .

مداخل

تاریخی

## مدخل تاريخي: جذور العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس

### أولاً: العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس قبيل العهد العثماني

1- هجرة علماء الجزائر إلى تونس

2- هجرة علماء تونس إلى الجزائر

### ثانياً: التواجد العثماني في الجزائر وتونس

1- في الجزائر

2 - في تونس

3 - العلاقات السياسية بين الإيالتين

## أولاً: العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس قبيل العهد العثماني:

إنّ التواصل العلمي بين الجزائر وتونس لم تنقطع أو اصره عبر التاريخ لاسيما بعد ضم أطراف المغرب بعضها ببعض على أيدي المرابطين أولاً، ثم على أيدي الخليفة عبد المؤمن بن علي، وأخيراً على أيدي ملوك فاس من بني مرين، جعل هذا الجزء من العالم الإسلامي الواقع غربي طرابلس اقليماً يمتاز ببعض الخصائص نذكر منها اعتناقه لمذهب عقائدي واحد، ولمذهب فقهي غالب، وكذلك بامتياز به بعض أساليب التعليم و الخصوصيات العلمية والأدبية كازدهار علوم أكثر من غيرها، مع شدة اعتناء أهل المغرب بقراءات القرآن وميلهم الكبير للبديع، وتفوقهم في علم الحساب، وتداولهم بعض الكتب بدل أخرى، وظهور ضروب من الشعر تميز بها أهل الناحية كالموشحات<sup>1</sup>.

وساهم تنافس الحفصيين و الزيانيين في نشر العلم والثقافة و بروز حواضر علمية بهما، أنجبت شخصيات أدبية وعلمية كان لها صيت في الميدان الثقافي وشهرة حسنة في الأوساط الإسلامية<sup>2</sup>، ولمع في سماء القرن 9هـ/15م عدد كبير من العلماء من فقهاء وكلاميين ومحدثين وأصوليين ولغويين بقيت أسماء بعضهم ومؤلفاتهم مشهورة في بقاع شاسعة من العالم الإسلامي<sup>3</sup>، وكان لهم الدور البارز في التقارب العلمي بين الحاضرتين، رغم التجاذبات وحدة الصراعات في معظم الأحيان بينهما.

### 1- هجرة علماء الجزائر إلى تونس:

ترجم التواصل العلمي والثقافي في هجرة العلماء النشيطة بين المغرب الأوسط والمغرب الأدنى حيث سجلنا في الفترة الممتدة بين القرنين الرابع عشر و الخامس عشر

<sup>1</sup> - محمود بوعيايد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص:55.

<sup>2</sup> - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص:215.

<sup>3</sup> - محمود بوعيايد، المرجع السابق، ص:92.

الميلاديين (8 - 9هـ) حركة غير عادية لعلماء المغرب الأوسط نحو تونس، فهي من أزهى الفترات وأغناها تواملا بين القطرين الشقيقين وذلك بواسطة صفوتها المثقفة<sup>1</sup>، وما يفسر توافد علماء الجزائر على تونس خلال هذه الحقبة، أو بالأحرى خلال القرن التاسع الهجري (15م) وجود جملة من العوامل لعل ابرزها:

\* الاضطرابات السياسية سواء بسبب الصراع على السلطة داخليا، أو الصراع الحدودي بين دول المغرب العربي آنذاك، حيث لم تستقر خريطة القرن 9هـ، وكان المتضرر الأكبر المغرب الأوسط، حيث اضطر الكثير من علمائه إلى الهجرة إلى تونس.

\* تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب الأوسط، مما اضطر العلماء إلى الهجرة نحو المشرق والمغرب، وقد خسرت البلاد ثقافيا من جراء هذه الهجرة بسبب الأوضاع وفضلوا الهجرة إلى غيرها من البلدان على غرار هجرة أحمد بن يحيى الونشريسي إلى فاس لأسباب سياسية، وهجرة المفكر عبد الكريم المغيلي الذي اختار بلاد السودان القديم وهناك عدد آخر قصد المشرق مرورا بتونس منهم محمد المشدالي البجائي، وأحمد أبو عصيدة البجائي، وأحمد بن يونس القسنطيني وأبي القاسم المعروف بابن مصعد التلمساني.

\* استقرار الأوضاع في تونس الحفصية مقارنة بالمغرب الأوسط في ظل الحكم الزياني، وبساطة حكام الأسرة الحفصية وتشجيعهم للحركة العلمية والثقافية، وتقريبهم للعلماء والإغداق عليهم ومنحهم المناصب المرموقة مثل ما فعل السلطان أبي عمر عثمان (839-893هـ) مع محمد الغربي القسنطيني حيث ولاه القضاء، وكان لهذا السلطان مجلس علمي تدور فيه محاورات العلماء في فنون الشريعة والمواعظ والآداب والنكت<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية ط2، 2010، ص:53.

<sup>2</sup>- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005، ج1، ص:133.



\* بروز نخبة علمية مؤثرة في تونس الحفصية خلال القرن التاسع من أمثال عيسى الغبريني، أبي عبد الله الأبي، أبي القاسم البرزلي، أبي يوسف يعقوب الزعبي، ابن عرفة، القلشاني، عبد الواحد الغرياني وغيرهم، ولذا قصدهم علماء الجزائر للأخذ منهم ومجالستهم ومحاورتهم في كثير من القضايا العلمية.

وإذا تتبعنا حركة علماء الجزائر نحو تونس بين القرنين (8-9هـ/14-15م) فنلاحظ أن ما يربو عن عشرين عالما جزائريا خلال القرن 14م ربطتهم صلات ما بالقطر التونسي الشقيق وخلال القرن الذي يليه استقر العدد نفسه رغم الاضطرابات السياسية والحوادث العسكرية وانعدام الأمن، وكل العلماء الذين شدوا رحالهم إلى تونس إما لطلب العلم لمدة معينة او الاستقرار نهائيا هناك<sup>1</sup>.

ففي القرن (8هـ/14م) نجد أسماء جزائرية لامعة دخلت تونس من أبرزها المليكشي محمد بن عمر البجائي (نسبة إلى بني مليكش بضواحي بجاية) وهو فقيه متصوف وأديب شاعر مترسل مرتجل للشعر، نشأ وتلقى تعليمه بالجزائر ثم ارتحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج فأخذ العلم عن شيوخ الحجاز ومصر، ثم انتقل إلى الأندلس بعد مقتل أبي حمو موسى الأول ، ثم رحل الى تونس وتقلد بها خطة الكتابة واستقر بها إلى أن توفي سنة 740هـ/1339م<sup>2</sup>.

ومنهم عبد الرحمان بن محمد ابن عبد الله أبو زيد المعروف بابن الإمام المتوفى (741هـ/1340م) عالم كبير و فقيه معتبر من فقهاء المالكية، يشهد له كتاب التراجم والسير أنه من أشهر علماء عصره ولم يكن فيه أعظم رتبة ولا أعلم منه.

<sup>1</sup> - رأى الدكتور هلال عمار في كتابه العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، أن عدد علماء الجزائر في تونس خلال القرن 15م نزل الى النصف، وأحصى أحد عشر عالما فقط، لكننا وجدنا أن العدد يزيد عن العشرين، دون حساب الذين مروا بتونس إلى المشرق في كثير من الأوقات.

<sup>2</sup> - أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، مؤسسة صونيام، الجزائر، ط2، 2013 ، ص:515، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق خير الدين شترة، دار كردادة ، بوسعادة ، الجزائر ، ط1، 2012، ج1، ص:664.

ولد ابن الإمام وتعلم ونشأ في برشك<sup>1</sup> ثم رحل إلى تونس حيث وصل تعليمه وأخذ عن كبار علمائها، ومن تونس عاد إلى الجزائر العاصمة، حيث درس مدة من الزمن، ومنها انتقل إلى مليانة ثم إلى تلمسان، ثم رحل إلى المشرق العربي، حيث التقى بكبار العلماء من بينهم شيخ الاسلام ابن تيمية (1320م) ثم عاد مرة ثانية إلى تلمسان، وقد اشتهر بالبحث في العلم حتى صار يعرف بالإمامة والاجتهاد<sup>2</sup>.

وعلى درب عبد الرحمان سار ابن الامام عيسى بن محمد بن عبد الله أبو موسى شقيق الأول، وكان الشقيقان ملازمين لبعضهما في تعليمهما ونشأتها وطلبهما للعلم داخل البلاد وخارجها، وما قلناه عن عبد الرحمان ينطبق تماما على شقيقه عيسى، لكنه توفي بعد شقيقه بحوالي ثماني سنوات (749هـ/1348م)<sup>3</sup>.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن يحيى الشريف الحسني التلمساني (710-771هـ/1310-1369م)، نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها اشتهر بالفقه والمنطق، انتقل إلى تونس عام 740هـ/1339م، فأخذ عن بعض شيوخها وعلمائها الكبار، نال شهرة عظيمة لدى علماء الأندلس، وقد وصفه ابن خلدون معاصره بالإمام العالم الفذ، فارس

<sup>1</sup> - برشك: مدينة قديمة تقع على ساحل البحر المتوسط ، غرب مدينة الجزائر " وهي حاليا مدينة قوراية دائرة تابعة لولاية تيبازة"، ورد اسم هذه المدينة في المصادر التاريخية و الجغرافية باسم برشك فقد قال عنها صاحب نزهة المشتاق " ومن مدين تنس إلى برشك على مسافة ستة وستون ميلا وهي مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون وماؤها عذب وافتتحها الملك المعظم رجار في سنة خمس ومائة، وبها فواكه جل مزارع وحنطة كثيرة وشعير". الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ج1، 2002، ص:257، 258.

<sup>2</sup> - عمار هلال، المرجع السابق، ص، 53، محمد الطمار، المرجع السابق، ص:216، أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص:60.

<sup>3</sup> - عمار هلال، المرجع السابق، ص: 53.

المعقول والمنقول وصاحب الفروع والأصول<sup>1</sup>، عاد إلى تلمسان للتدريس بها إلى غاية وفاته<sup>2</sup>.

ويعد محمد بن أحمد بن مرزوق الجد (710-781هـ/1310-1380م) من العلماء المترددين على البلاد التونسية في أوقات مختلفة سواء في مهام رسمية من قبل بعض الحكام أو في زيارات شخصية خلال مروره إلى المشرق، وقد حظي بمكانة مرموقة في تونس وهو ما يؤكد الحافظ بن حجر في قوله: "ولما وصل إلى تونس أكرم إكراما عظيما وفوضت إليه الخطبة بجامع السلطان، والتدريس بأكثر المدارس"<sup>3</sup>.

وفي نفس الفترة برز معاصره المقري محمد التلمساني، باحث، أديب وقاض، من كبار علماء المذهب المالكي في عصره، ولد بتلمسان ونشأ وتعلم بها ثم انتقل إلى تونس لمواصلة تعليمه ومنها دخل المغرب، رحل إلى المشرق فأخذ عن علماء مصر والحجاز وبلاد الشام ثم عاد إلى بلده<sup>4</sup>، ومن فحول العلماء الذين دخلوا القطر التونسي محمد العربي المازوني المتوفى سنة 1309م له خبرة جيدة بالمختصر وشروحه، قرأ بمازونة حتى تصدر رقعة الفقه في بلده، انتقل إلى تونس اشتهر بالعلم والفضل وصار من شيوخ الطبقة الأولى بجامع الزيتونة وتصدى للتدريس، وختم المختصرات مرات وانتفع به الكثير<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحق حميش، محفوظ بوكراج، موسوعة تراجم علماء الجزائر "علماء تلمسان وتوات"، دار زمورة، الجزائر، 2011، ص: 88.

<sup>2</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 304، 305، محمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، منشورات السهل، 2009، ص: 244-275.

<sup>3</sup> - محمد بن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص: 208، 209.

<sup>4</sup> - عمار هلال، المرجع السابق، ص: 54، أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، تحقيق محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص: 315، 316.

<sup>5</sup> - محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص: 414.

وتولى كل من حسن بن أبي الفضل القسنطيني المتوفى بعد 756هـ/1355م الكتابة لدى الدولة الحفصية في أيام الأمير أحمد بن محمد<sup>1</sup>، وفي نفس المهمة أداها ابن الكماد وهو من أعيان قسنطينة وكتابها، فقد ولي الكتابة للسلطان أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي أحد كبار الملوك الحفصيين بتونس، قال ابن قنقد: "قدم معه إلى تونس من قسنطينة وكان من خواصه"، عاش وتوفي في القرن الثامن الهجري<sup>2</sup>، وتولى أيضا الشيخ حسن القسنطيني خطة القضاء بحاضرة تونس بعد وفاة ابن حيدرة، واستمر ثلاث سنوات في مهمته ثم طلب الإعفاء سنة 781هـ، وتقل إلى بلده قسنطينة، حيث زاول نفس المهمة إلى أن توفي<sup>3</sup>.

وخلال القرن التاسع (15م) استمر نسق توافد العلماء الجزائريين على تونس رغم تدهور الأوضاع السياسية لبلاد المغرب، إذ أحصينا ما يزيد عن العشرين عالما جزائريا لهم شهرة واسعة ارتبطوا بحاضرة تونس دون التركيز عن بعض العلماء الآخرين الذين رحلوا إلى المشرق وأكد أن معظمهم مر بتونس.

ومن أهم الأسماء التي زارت تونس مع مطلع القرن التاسع، نجد النقاوسي أبو عبد الرحمان البجائي، حيث أخذ عن علماء الحاضرة وأشهرهم عيسى الغبريني، عاش النقاوسي في القرن التاسع الهجري، وأقام في بجاية وقسنطينة وكان من كبار الفقهاء المالكية، جامعا بين المنقول والمعقول، متصوفا زاهدا أدبيا لغويا واسع الاطلاع على ثقافة عصره<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد اللطيف بونشادة، سير أعلام قسنطينة، دار الموعظة، قسنطينة، الجزائر، 2016، ص: 53.

<sup>2</sup> - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص: 368.

<sup>3</sup> - محمد السنوسي، مسارات الظريف بحسن التعريف، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ج3، ص: 54.

<sup>4</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 540.

ويعد أستاذ النقاوسي الغبريني عيسى المتوفى (813هـ/1410م) من أهل بجاية من كبار الفقهاء في عصره قاض، عالم بالحديث نشأ بتونس وأخذ عن كبار علماء عصره هناك، جمع بين إمامة الزيتونة وخطة القضاء والإفتاء تتلمذ عليه الكثير، منهم عبد الرحمان الثعالبي<sup>1</sup>، ودرس خليل بن هارون الصنهاجي (766-826هـ/1365-1423م) على أيقونة تونس وعالمها الشهير ابن عرفة<sup>2</sup>.

ولعل أغزر العلماء الجزائريين إنتاجا ونظما خلال هذا القرن ابن مرزوق الحفيد (766-842هـ/1364-1438م) فقيه، حجة في المذهب المالكي، نحوي، عالم بالأصول، حافظ للحديث، مفسر و ناظم ولد بتلمسان و نشأ و تعلم بها، رحل إلى تونس ثم دخل القاهرة، حج مرتين الأولى سنة 770هـ، والثانية سنة 819هـ مات بتلمسان<sup>3</sup>. وشكل وجود قاسم بن عيسى ابن ناجي (846هـ/1434م) بتونس مظهرا أساسيا في العلاقات العلمية بين البلدين فاخذ هذا الفقيه، القاضي و الزاهد، العلوم عن كبار العلماء هناك، كأبي محمد الشبيبي القيرواني، ابن عرفة، عيسى الغبريني، البرزلي، قاسم القسنطيني، أبي يعقوب الزغبى، عمر المسراتي وغيرهم، تولى الشيخ قاسم بعدها القضاء بباجة وجربة والقيروان<sup>4</sup>.

ومن أكابر علماء الجزائر في القرن التاسع (15م) نزيل تونس أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي (740-842هـ/1339-1440م) فقيه، محدث، نحوي، ولد وتعلم بالجزائر، ثم رحل إلى تونس واستقر بها وأخذ عن علمائها كأبي عبد الله ابن عرفة الذي لازمه لأكثر من ثلاثين سنة، وصف البرزلي بأنه

<sup>1</sup> - محمد السنوسي، المصدر السابق، ج3، ص:55.

<sup>2</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص:196.

<sup>3</sup> - عمار هلال، المرجع السابق، ص: 54. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات دار الكتاب، طرابلس، ط2، 2000، ص:499-510.

<sup>4</sup> - محمد بن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص:170، 171. التنبكتي، المصدر السابق، ص:364.

أحد أئمة المالكية ببلاد المغرب، وأنه شيخ الإسلام بها، وقد أخذ عنه مجموعة من العلماء كالشيخ الثعالبي وابن ناجي، والرصاص وغيرهم<sup>1</sup>.

وأقام الفقيه المفسر، النحوي، الشاعر و الطبيب الشيخ محمد بن ابراهيم الإمام التلمساني(ت845هـ/1441م) مدة شهر كامل بتونس سنة عشر وثمان مائة، ثم قدم القاهرة فخرج منها وعاد إليها، ثم سافر إلى بلاد الشام فتزاحم عليه الناس بدمشق حين علموا فضله وأجلوه<sup>2</sup>.

وهناك القسنطيني أبا القاسم بن أحمد الوشتاني (ت 847هـ/1443م) وهو قاض من كبار فقهاء المالكية، ولد بقسنطينة ونشأ بتونس وأخذ عن علمائها، ولي قضاء الجماعة وإمامة جامع الزيتونة وخطابته والفتوى به، مات مقتولا بتونس<sup>3</sup>، وشغل أبو القاسم القسنطيني (ت 846 هـ/1442م) خطة قضاء الحاضرة وكذلك إمامة الزيتونة والافتاء بها، ومهمة التدريس بمدرسة ابن تافراجين<sup>4</sup> إلى أن توفي ودفن بالزلاج<sup>5</sup>.

وشد الرحال إلى تونس قاسم بن عبد الله (بعد 849هـ/1444م) القسنطيني وأخذ عن علمائها منهم الغبريني عيسى، الإمام البرزلي و العبدوسي، بعد أن تلقى تعليمه الأول بقسنطينة التي نشأ بها منذ ولاته سنة 788هـ/1386م، وقد تتلمذ عليه علماء كبار<sup>6</sup> وأخذ

<sup>1</sup> - محمد بن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص: 172، 173. التمكني، المصدر السابق، ص: 368-370.

<sup>2</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 328.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 61. عمار هلال، المرجع السابق، ص: 55.

<sup>4</sup> - مدرسة ابن تافراجين: نسبة إلى بانيها الوزير أبو محمد بن تافراجين(ت766هـ)، بناها بقنطرة بن ساكن داخل باب السويقة. أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي الجوامع والمدارس و المكتبات، دط، تونس، 2000، ص: 45.

<sup>5</sup> - محمد السنوسي، المصدر السابق، ج3، ص: 56، 57.

<sup>6</sup> - عبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 61.

إبراهيم الزواوي (857هـ/1453م) الفقه، المنطق، التفسير والأصول عن مشائخ تونس كأبو عبد الله الأبي، يعقوب الزغبى، القاضي القلشاني، عبد الواحد الغرياني<sup>1</sup>.

ومن أشهر علماء الجزائر بتونس في نفس الفترة، نذكر كل من أحمد بن أحمد البجائي بوعصيدة (ت 865هـ/1460م) نشأ وتعلم ببجاية، ثم رحل إلى تونس ومنها إلى مصر ثم إلى الحجاز أين استقر هناك إلى أن وافته المنية<sup>2</sup>، وعبد الرحمان الثعالبي (786-875هـ/1384-1480م) صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها، تعلم في بجاية وتونس ومصر، وتفوق على علماء عصره في عدة علوم، خاصة علم الحديث، فعندما حل بتونس لم يجاربه أحد في هذا العلم: "ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث، اذا تكلمت أنصتوا، وقبلوا ما أرويه تواضعا منهم، وإنصافا واعترافا بالحق، وحضرت شيخنا الأبي وأجازني..."<sup>3</sup>، ومنهم أيضا الرصاع محمد بن قاسم بن عبد الله الأنصاري، المتوفى (894هـ/1489م) من كبار فقهاء المالكية في عصره قاض، نحوي، خطيب، عارف بالحديث ولد بتلمسان حيث تلقى تعليمه وأخذ عن شيوخها ولكنه نشأ بتونس التي استقر بها نهائيا حوالي (831هـ/1428م)، وولي قضاء الجماعة بها، ثم اقتصر في أواخر أيامه على إمامة الزيتونة والخطابة فيه، متصدرا للإنشاء وإقراء الفقه وأصول الدين والمنطق و العربية وغيرها من علوم عصره، وبقي هكذا إلى أن توفي بها<sup>4</sup>.

وفي نفس الزمن نجد الطولقي إبراهيم بن محمد الأخضرى (ت 829هـ/1494م) من كبار علماء المالكية في عصره عارف بالأصول واللغة العربية والمنطق وعلم الكلام و

<sup>1</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 432. الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 11.

<sup>2</sup> - عبد المنعم الحسني، المؤلفات الصوفية في الجزائر، دار الخليل للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص: 185.

<sup>3</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص: 561. أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 124.

<sup>4</sup> - عمار هلال، المرجع السابق، ص: 55، محمد بن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص: 298، 299.

الحديث وغيرها من علوم عصره، ولد بطولقة (بسكرة)، ثم استقر نهائيا في تونس حوالي (828هـ/1425م)، وتصدى للتدريس والافتاء وبقي هكذا إلى أن توفي بها<sup>1</sup>.

وكذلك كل من أحمد الغربي (بعد 893هـ/1488م)، ومحمد المشدالي البجائي (894هـ/1488م)، فأما الأول فهو قاض و فقيه من مشاهير علماء قسنطينة تولى بها قضاء الجماعة، ثم انتقل إلى تونس في عهد السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان وتولى القضاء كذلك بها<sup>2</sup>، وأما الثاني فهو محمد بن أبي القاسم بن محمد عبد الصمد المشدالي البجائي، فقيه، إمام، مفتي، محقق، متقدما على أهل عصره في الفقه وغيره، انتقل إلى تونس وكان ذو وجهة عند صاحبها<sup>3</sup>، وللمشدالي مؤلفات عديدة في مختلف التخصصات<sup>4</sup>.

## 2- هجرة علماء تونس إلى الجزائر:

أما عن هجرة علماء تونس إلى المغرب الأوسط خلال القرنين (8-9هـ/14-15م) فيبدو أنها قليلة إذا ما قورنت بحركة علماء هذا الأخير نحو تونس في نفس الفترة، ولعل ذلك يعود إلى جملة عوامل مختلفة أشرنا إلى بعضها في بداية هذا المبحث.

ورغم ذلك فقد توجه إلى بلاد المغرب الأوسط عدد لا بأس به من علماء تونس قاصدين الحواضر العلمية والمراكز الثقافية، خاصة تلمسان باعتبارها منارة مشعة ومركزا أصيلا للحياة الفكرية في الشمال الإفريقي، لذلك كانت الرحلات المتتابعة لأبناء المغرب الأدنى من شتى أرجائه تقد إلى تلمسان للتزود من علمائها في شتى أنواع العلوم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عمار هلال، المرجع السابق، ص:55.

<sup>2</sup> - بونشادة، المرجع السابق، ص:67.

<sup>3</sup> - نقصد به السلطان الحفصي أبو عمر عثمان.

<sup>4</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص: 599، 600.

<sup>5</sup> - عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص: 87.



وممن قصد تلمسان من أهل المغرب الأدنى عبد الله بن قاسم المحمودي التونسي<sup>1</sup>، ولد بتونس ونشأ وتعلم بها حتى تصّلع في الفقه والحديث، ثم رحل إلى تلمسان طلباً للعلم عن مشائخها الكبار، وقد أجاز العديد من طلاب العلم بها، ثم عاد إلى تونس فتولى مهمة القضاء بها إلى أن توفي في الربع الأخير من القرن 8هـ/14م<sup>2</sup>.

ومنهم أيضاً أبو القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني (740-842هـ/1339-1438) وهو أحد مشاهير فقهاء تونس ومفتيها أخذ عن العديد من شيوخ تلمسان منهم أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب وغيرهم<sup>3</sup>، دون أن ننسى عبد السلام التونسي الذي عاش في (9هـ/15م) نزل بتلمسان واستقر بها وزوال مهنة التدريس، كان عبد السلام التونسي عالماً زاهداً متصوفاً فقيهاً بارعاً، توفي بتلمسان ودفن بالقرب من ضريح أبي مدين شعيب بالعباد<sup>4</sup>.

ومن المؤكد أن إبراهيم بن عبد الحق الحسناوي التونسي قد درس عن العديد من شيوخ تلمسان قبل مروره إلى فاس وهو الفقيه والكاتب والشاعر الملم بعلم عصره، توفي بمدينة فاس و دفن بها سنة 775هـ/1374م<sup>5</sup>، وتولى الشيخ العواد<sup>6</sup> التونسي قضاء قسنطينة في العهد الحفصي، وكان ممن يشار إليه في العلم وممن يرجع إلى قوله<sup>7</sup>، وأخذ إبراهيم بن محمد الخذري وفي رواية الأخضري عن بعض علماء تلمسان عند مروره بها وهو ما أكدته التنبكتي في قوله: "أخذ بتونس عن أبي عبد الله القلشاني وعن ولده عمر

<sup>1</sup> - أبو العباس محمد أحمد بن أحمد التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر، رقم 1738، ورقة 42 ظهر.

<sup>2</sup> - عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص: 87.

<sup>3</sup> - محمد بن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص: 172.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 144.

<sup>5</sup> - أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ص، 157، التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص: 47، 48.

<sup>6</sup> - لا يعرف شيئاً عن هذا الشيخ.

<sup>7</sup> - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005، ص: 42.

وعن قاسم العقباني حين اجتيازه بهم.. " ، نشأ وتعلم إبراهيم الخذري بتونس حتى صار شيخها وكبير علمائها وفقهائها ومفتي الديار بها، عالم بالعربية والمنطق مات سنة 879 هـ/1484م<sup>1</sup>.

وعين أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي قضاء قسنطينة سنة (822هـ/1419هـ) وبقي عليه زمنا طويلا، قبل أن يتولى قضاء الجماعة بتونس بعد موت محمد بن عقاب، وقد ولد أحمد القلشاني بتونس ونشأ بها، وأخذ عن علمائها كعيسى الغبريني وابن عرفة، حتى تمكن من مختلف العلوم، فهو الفقيه، المحقق، القاضي، المحدث<sup>2</sup>، وتوفي عبد الله الباجي القلشادي والد الإمام محمد القلشادي ببجاية ضحى الخميس 10 شوال سنة (765 هـ/1360م)<sup>3</sup>، وأخذ عبد الله بن سليمان بن قاسم البجيري التونسي عن الشيخ مرزوق الكفيف وأثنى عليه، ويعد عبد الله التونسي من أشهر علماء تونس فهو رحالة، محدث و قاض<sup>4</sup>.

ومن أشهر علماء تونس إطلاقا في الجزائر خلال القرن 8 هـ/14م هو عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي، حيث قدم على بجاية وولي بها حجابة أميرها أبي عبد الله الحفصي، مع خطابة جامع القصبة بها<sup>5</sup>.

ولد عبد الرحمان بن خلدون سنة 732 هـ/1324م بتونس ونشأ بها، وأخذ عن علمائها الكبار علوم عصره، وقد حذق في مختلف الفنون، تنقل عبد الرحمان بين بلدان المغرب حيث نزل فاس عام 755 هـ/1354، وتولى بها مناصب سامية (قاضي القضاة)

<sup>1</sup> - التمكنني أحمد، المصدر السابق، ص: 65، 66.

<sup>2</sup> - نفسه، ص، ص: 116، 117.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 222.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 232.

<sup>5</sup> - محمد النيفر، عنوان الأريب، كما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، تحقيق على النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1996، ص: 335، 336.

ثم كلف بمهمة رسمية إلى ملك قشتالة، ومنها انتقل إلى تلمسان سنة 776هـ حيث عكف على التدريس بها، ثم خرج منها إلى أن وصل تونس سنة 780هـ/1378م وبعد أربع سنوات قرر التوجه إلى بيت الله الحرام، وفي طريقه نزل بالقاهرة أين وجد ظروف الإقامة مناسبة، حيث التقى كبار العلماء بها، وتفرغ لمهمة التعليم بالأزهر، وسرعان ما عينه السلطان قاضي قضاة المالكية سنة 786هـ.

مال ابن خلدون في أواخر حياته إلى الزهد وترك منصب القضاء، وعكف على تدريس العلم والقراءة إلى أن وافته المنية بالقاهرة في 25 رمضان عام 808هـ الموافق 17 مارس 1406م تاركا وراءه تراثا ضخما<sup>1</sup>.

ونزل أيضا بالجزائر في نفس الفترة التي وجد بها عبد الرحمان بن خلدون أخوه أبو زكريا يحيى بن خلدون الذي خرج مع الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد أبي زكريا صوب مدينة بجاية ولما تمكن منها الأمير سنة 765هـ، ولى يحيى منصب حجابة الولاية نيابة عن أخيه، ولما استقر عبد الرحمان في تلمسان بعث إلى يحيى للإشراف على شؤون الوزارة عند الأمير نيابة عنه، وكان يومها أبو حمو موسى أميرا على البلاد، فاضطجع يحيى بمهام الوزارة، إلى أن قتله أبو تاشفين ابن الأمير حمو غدرا سنة 786هـ، ودفن بتلمسان، ترك وراءه مؤلفات وأشعارا في مدح أبا حمو و التعريف بدولته، من أهمها كتابه: "تحفة الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد"<sup>2</sup>.

ومن المشاهير في الجزائر أبو محمد عبد الله محمد التجاني صاحب الرحلة، وهو من عائلة ذات أصول مغربية انتقلت إلى تونس التي ولد بها محمد التجاني بين سنتي 670-675هـ/1274م، نشأ و تعلم بها إلى أن وصل رئاسة ديوان الإنشاء في عهد السلطان أبي عصيدة (694-709هـ)، اشتهر برحلته التي قام بها صحبة الأمير زكريا

<sup>1</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص-ص: 192-197.

<sup>2</sup> - محمد النيفر، المصدر السابق، ج1، ص-ص: 344-348.

بن محمد اللحياني بين سنتي 706 و 708 هـ<sup>1</sup>. قصد تلمسان رفقه صاحبه، وقد أعجب بالمدينة حيث قال عنها<sup>2</sup>:

وَحَسْبِي تِلْمَسَانَ الَّتِي أَبْصَرْتُ بِهَا عَجَائِبَ صُنْعِ اللَّهِ عَيْنَ الْمُعَايِنِ  
وراسله والده مخاطبا من خلاله أبا يحيى زكريا اللحياني:

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمُبَارَكُ سَعِيَهُ تَتَبَّهَ لِمَا خَوَّلْتَهُ مِنْ مَحَاسِنِ  
كَفَيْتَ قَدِيمًا أَهْلَ قَابِسٍ فِتْنَةً غَرَّتْهُمْ بِسَعِي مِنْكَ لِلنُّجْحِ ضَامِنِ  
وَلَمَّا أَقَمْتَ الْآنَ فِي يَغْمَرَسِنُ إِقَامَةً مُجْتَازٍ بِهِ غَيْرَ قَاطِنِ.

## ثانيا: التواجد العثماني في الجزائر وتونس

### 1- في الجزائر:

تعرضت بلاد المغرب الأوسط إلى حملات صليبية قادها الإسبان أدت إلى سقوط معظم الموانئ الساحلية وأهم مدنها ما بين (1505-1514)، حيث وقعت موانئ كل من المرسى الكبير، وهران، مستغانم، بجاية، جيجل وشرشال في يد القوات الإسبانية الغازية ولم تستطع السلطة القائمة آنذاك - الدولة الزيانية<sup>3</sup> - من إنقاذ البلاد من هذا الغزو بسبب ضعفها من جهة وإرهاقها من قبل دول الجوار الممثلة في سلطة بنو حفص<sup>4</sup> بتونس ودولة

<sup>1</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 111.

<sup>2</sup> - محمد النيفر، المصدر السابق، ج1، ص: 282، 283.

<sup>3</sup> - الدولة الزيانية: بنو زيان أو بنو عبد الواد سلالة من قبيلة زناتة الأمازيغية حكمت بلاد المغرب الأوسط بين 633-962هـ/1235-1554م وعاصمتها تلمسان. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، ج2، 1995، ص- ص: 141، 148.

<sup>4</sup> - الدولة الحفصية: بنو حفص سلالة أمازيغية مسمودية حكمت تونس، شرق الجزائر، وطرابلس ما بين 627-784هـ 1229-1574م. حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، 1983، ص: 126-135.

بنو مرين<sup>1</sup> بالمغرب من جهة أخرى، إذ سعتا إلى بسط نفوذهما عبر حملاتهما المتكررة على البلاد.

وأمام هذه الأوضاع اتصل أهل الجزائر بالإخوة بربروس العثمانيين الذين ذاع صيتهم في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بقيادة بابا عروج وأخيه خير الدين اللذين كانا يعملان باسم السلطان العثماني<sup>2</sup>، وذلك من أجل إعانة سكان الجزائر في استرداد الموانئ المحتلة من قبل الإسبان<sup>3</sup>، فلبى الإخوة الدعوة ونقلوا قاعدتهم العسكرية من تونس إلى جيجل وحرروا بجاية كأول ميناء يسترده المسلمون من الإسبان، ثم توجه عروج سنة 1516 إلى ميناء الجزائر حيث نجح في صد هجوم إسباني عن المدينة وسرعان ما تخلص من حاكمها<sup>4</sup>، وبسط نفوذه في المغرب الأوسط على حساب الإمارات الوطنية الصغيرة التي أقام بها حاميات عثمانية، إلا أنه اصطدم بكبرى الإمارات في تلمسان، ولم يتمكن من إخضاعها إلا أخوه خير الدين من بعده حيث لقي عروج حتفه وهو يحاصر المدينة، وكان ذلك في حدود سنة 1518م<sup>5</sup>، ولم تستقر المدينة لحكم العثمانيين بشكل نهائي إلا سنة 962هـ/1554م بعد أن أعلن صالح رايس نهاية حكم دولة بني زيان وانضمامها إلى الدولة الجزائرية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - الدولة المرينية: سلالة أمازيغية حكمت المغرب الأقصى بين 668-796هـ/1269-1465م، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص: 8-14، عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص: 98.

<sup>2</sup> - الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، دت، ص: 18.

<sup>3</sup> - صلاح العقاد، المغرب العربي، مكتبة الأنجلو معرية، مصر، ط6، 1993، ص: 19.

<sup>4</sup> - نعني به سالم التومي.

<sup>5</sup> - محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 231.

<sup>6</sup> - نفسه، ص، 234.

ألحقت الجزائر بالخلافة العثمانية بعد استشهاد عروج وكان خير الدين قد أعلن تبعيته للسلطان العثماني سليم الأول سنة 1518 الذي أرسل إليه من القاهرة ألفي جندي وعددا من رجال المدفعية والمتطوعين، وقام بتوجيه رسائل إلى حكام تونس وتلمسان يحذرهم فيها من الاعتداء على إمارة الجزائر<sup>1</sup>، وبعد تعيين خير الدين حاكما للجزائر صار يقلب بالبيلباي وأصبحت الجزائر إحدى ولايات الدولة العثمانية، وغدت قوة لا يستهان بها على المستوى الدولي، ومهدت لبروز الدولة الجزائرية الحديثة<sup>2</sup> التي استمرت من (1518-1830م) ومر خلالها الحكم بأربعة فترات متباينة من حيث الخصائص والأحداث والتطورات وهي<sup>3</sup>:

\* عصر البيلربايات (1518-1587م).

\* عصر الباشوات (1587-1659م).

\* عصر الآغاوات (1659-1671م).

\* عصر الدايات (1671-1830م).

وقسمت إيالة الجزائر من الناحية الإدارية إلى أربعة أقاليم رئيسية هي:

\* دار السلطان: كانت تضم مدينة الجزائر وضواحيها.

\* بايلك الغرب: كانت عاصمته مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران بعد تحريرها من الإسبان سنة 1792م.

\* بايلك التيطري: ضم المناطق الوسطى ومناطق جنوب دار السلطان، وكانت عاصمته المدينة.

<sup>1</sup> -E. Carette ,origine et migrations des principales tribus de l'Algérie ,imprimerie , impériale , paris, mdcccl, p :422.

<sup>2</sup> - يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، ج2، 2009. ص:14.

<sup>3</sup> - لمزيد من التفاصيل حول خصائص كل فترة. ينظر: يحي بو عزيز، المرجع السابق، ج2، ص: 19 وما بعدها.

\* بايلك الشرق: يقع شرقي دار السلطان وبايلك التيطري كان أكبر الأقاليم وعاصمته قسنطينة.

كانت هذه الأقاليم مقسمة إلى قيادات وعلى رأس كل منها شيخ قبيلة وكان الجهاز الإداري جهازا مركزيا، حيث أن أية علاقة للحكومة برعاياها كانت علاقة غير مباشرة، تعتمد على استعمال الزعماء المحليين لجمع الضرائب وفرض الأمن<sup>1</sup>.

## 2- في تونس:

يعود العامل الأساسي للتواجد العثماني بتونس إلى وضعية الدولة الحفصية منذ 1488م، إذ عرفت الضعف بعد وفاة السلطان الحفصي أبو يحيى زكريا الثاني ودبّ فيها الخلاف حول السلطة مما سهل على الإسبان التدخل في شؤون البلاد والاستلاء على عدة موانئ تونسية مثل سفاقص وسوسة والمنستير في سنة 1540م<sup>2</sup>، دون أن يواجه الحكام الحفصيين هذه الأخطار، وهو ما زاد من حفيظة السكان حول حكامهم، ولم يكن لهم سوى بحار عثماني هو درغوث باشا ليملاً الفراغ والفوضى في تونس كما فعل خير الدين وعروج في الجزائر بعد أن التجأ إليه سكانها<sup>3</sup>.

استطاع درغوث باشا بمؤازرة السكان طرد الإسبان من مدن السواحل بفضل الحملات التي شنّها عليهم، وبقيت الحرب بين الإسبان والعثمانيين قائمة مدة طويلة بعد استرجاع مدينة تونس سنة 977هـ بقيادة علي باشا حاكم الجزائر، إلا أن الحكم الإسباني رجع إليها

<sup>1</sup> - وليم سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زيادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006. ص:83.

<sup>2</sup> - E.Carette, *opcit* ; p: 421.

<sup>3</sup> - صلاح العقاد، المرجع السابق، ص:23.

من جديد سنة 981هـ إلى أن استطاع سنان باشا انتزاعها من الإسبان نهائياً سنة 981 هـ /1574م<sup>1</sup>.

وهكذا دخلت تونس تحت السلطة العثمانية وتحولت إلى ولاية تابعة للسلطان العثماني و جزءاً من ممتلكاته في إفريقيا الشمالية الممتدة من الجزائر إلى القطر المصري، وعمل سنان باشا قبل مغادرته تونس إلى إرساء النظام الإداري المعمول به في سائر البلاد العثمانية حكم تونس في بداية عهدها الجديد عن طريق والي نيابة عن السلطان العثماني حمل لقب الباشا، يساعده في مهامه ديوان يتألف من نخبة عسكرية ممثلة في: الأغا، الداوي و الباوي وهو الجهاز الفعلي والمؤثر في الحكم والذي استطاع بعد تمرد سنة 999هـ/1590 أن يسحب شؤون الحكم من الباشا ويحولها شيئاً فشيئاً إلى الداوي إلى أن تفرد بالسلطة، وتحول خلالها لقب المسير للبلاد نيابة عن الدولة العثمانية إلى الداوي، وقد تولى عدة دايات هذا المنصب بداية من عهد عثمان داي (ت1019هـ/1610م) إلى بداية القرن 12هـ/18م أين تمكن البايات من بسط نفوذهم على البلاد<sup>2</sup>.

ويعتبر آغا الجيش حسين بن علي هو أول باي لتونس نال موافقة الأهالي ومساعدة الجيش في تولي شؤون البلاد سنة 1117هـ/1705م ودام عهده خمسا وثلاثين سنة تمكن خلالها من إعادة الأمن إلى البلاد وإصلاح شؤونها العمرانية، الاقتصادية، الثقافية والعلمية<sup>3</sup> وأسس نظاماً وراثياً باسم الأسرة الحسينية، ويعد علي باي (1148-1169 هـ/1735-1756م) وحمودة باشا (1196-1229هـ/1782-1814م) من أهم باياتها.

<sup>1</sup> - الحبيب تامر، المرجع السابق، ص:19.

<sup>2</sup> - مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، 1989، ص:250.

<sup>3</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1940، ج3، ص:108-111، حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص، 182-185.



## 3- العلاقات السياسية بين الإيالتين:

لم تعرف العلاقات الجزائرية التونسية في العصر الحديث الاستقرار بسبب التدخلات الجزائرية في الشأن التونسي من خلال تغذية الصراعات الداخلية في هذا البلد، والوقوف بجانب طرف على حساب الآخر، وألزم الكثير من حكامه على دفع ضريبة سنوية، بل وصل الأمر إلى تسلط حاكم الجزائر وباي قسنطينة و التحكم في التجارة التونسية الداخلية عن طريق تحديد أسعار المواشي في السوق التونسية، وإلزام السلطة على تعويض كل الخسائر الناتجة عن موت المواشي بحجة أنها سرقت من قبل أهل تونس<sup>1</sup>.

ولم تكتف الجزائر بهذا فقد آوت ونصرت عددا كبيرا من المعارضين التونسيين وأمدتهم بالحاميات العسكرية وكل وسائل الدعم المادية والمعنوية، كإمداد صاحب الجزائر لعلي باشا بجيش لمحاربة عمه الحسين باشا (1058-1153هـ) مقابل شروط اتفقا عليها، ولما صار الأمر له وتقلد الولاية مكان عمه صار تابعا لداي الجزائر يؤدي له الضريبة<sup>2</sup>، ولما لجأ أبناء الحسين باشا إلى الجزائر أمدهم دايها بجيش من أجل الثأر لأبيهم سنة 1159هـ/1746م ورغم فشلهم في البداية، إلا أنه سمح لهم بالإقامة في البلاد وزودهم من جديد بحامية عسكرية سنة 1169هـ/1756م وزحفا إلى القطر وسيطرا عليه بدعم الجزائريين<sup>3</sup>.

وشنت الجزائر حملات عسكرية على الإيالة التونسية عبر مختلف المراحل في العصر الحديث لأسباب مختلفة وظروف شتى، ولعبت القبائل المتاخمة على الحدود بين البلدين دورا بارزا في تحديد مسار العلاقات وتذكية الصراع، فقد شكلت هجرة بعض القبائل من الشرق الجزائري إلى تونس هربا من النظام الحاكم في الجزائر والعكس بالنسبة لبعض القبائل

<sup>1</sup> - ابن أبي ضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1989، ج3، ص:40.

<sup>2</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص:181.

<sup>3</sup> - نفسه، ص:183.

التونسية، وتحرش واعتداء بعضها على البعض الآخر مثل الزعامة، شارى، أولاد بوغانم أولاد خيار ورغة من الجانب التونسي، و النمامشة و الحنانشة من الجانب الجزائري<sup>1</sup>، عاملا أساسيا في توتر العلاقات بين البلدين وجرها إلى الحروب والمشاكل في معظم الاحيان.

وإذا تتبعنا الحملات العسكرية الجزائرية على تونس يمكن حصرها في الأحداث والمحطات التالية:

\* استحوذ علي باشا حاكم الجزائر بعد خير الدين على تونس سنة 977هـ/1589م، وهزيمة الأمير الحفصي بباجة وأخذ البيعة للسلطان سليم الثاني ابن سليمان القانوني، ورتب حراسة البلاد ثم عاد الى الجزائر<sup>2</sup>.

\* نشوب قتال بين قبائل البلدين بسبب الخلاف حول الحدود بين القطرين في عهد يوسف داي(1019-1050 هـ/1610-1640م) ، انتهى بتغلب الجزائريين في وقعة السطارة قرب الكاف سنة 1037هـ/1628م، وإمضاء صلح بين الطرفين في الجزائر بنفس السنة<sup>3</sup>.

\* حملة حاكم الجزائر إبراهيم خوجة 1059هـ/1684م ضد الباي أحمد الشبلي نصره وتحالفا مع الأخوان محمد وعلي باي، وانتهت بهزيمة الباي المذكور وتجديد البيعة للأخوين وفق الشروط المتفق عليها مع حاكم الجزائر<sup>4</sup>.

\* استلاء الداى شعبان(1688-1695م) على تونس وفرض غرامة على أهلها سنة 1105 هـ / 1694م وتتصيب أحمد بن الشقير بايا عليها لكنه سرعان ما خُلع من الرعية التونسية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - السايح فيلالى، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1792-1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث 1997-1998، جامعة قسنطينة، ص:84.

<sup>2</sup> - حسني حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص: 154.

<sup>3</sup> - نفسه، ص:164.

<sup>4</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007. ص: 20، 21.

\* حصار الداوي مصطفى لتونس سنة 1115هـ/1703م بعد امتناعها عن أداء الضريبة وفشله في دخولها<sup>2</sup>.

\* قدوم الجزائريين في بداية عهد الحسين بن علي (1705م) إلى حصار تونس بجيش قوامه أربعين ألف مقاتل، وخيموا بضواحي الحاضرة ودخلوا في حرب مع الجيش التونسي لكن سرعان ما انسحبوا دون أن تحصل لهم فائدة<sup>3</sup>.

وأما من الجانب التونسي فقد اكتفت السلطة القائمة بالدفاع عن البلاد من الاعتداءات الجزائرية وعقد اتفاقيات هدنة مع حكام الجزائر، ولم تبادر إلى إعلان الحرب إلا في مناسبات محددة ومعلومة يمكن حصرها في مايلي:

\* هجوم الباي مراد التونسي على قسنطينة سنة 1110 هـ/1698م وحصارها وذبحه لحراس الحصون، ولكن الداوي مصطفى زحف بالانكشارية صوب الشرق القسنطيني وألحق هزيمة نكراء بالباي وكبده خسائر بشرية بلغت ألفي تونسي<sup>4</sup>.

\* زحف مراد بوبالة (1699-1702م) حاكم تونس على قسنطينة في بداية 1112هـ/1700م وانتصاره على حاكمها، لكن وصول الامدادات من الجزائر عجل بهزيمته بالقرب من سطيف وفر منها إلى بلاده<sup>5</sup>.

\* خروج إبراهيم الشريف لقتال الجزائريين قرب الكاف، لكنه هزم وأسر مع أخيه سنة 1117هـ/1705م، ودخل الجزائريون المدينة وعاثوا في أرجائها وامتألت أيديهم من نهبها<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 25.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص: 28، 29.

<sup>3</sup> - حسني حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص: 180.

<sup>4</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 26.

<sup>5</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص: 175.

<sup>6</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق ، ص: 176.

\* قيام حمودة باشا بالهجوم على الجزائر وحصاره لقسنطينة سنة 1221هـ / 1806 م نحو الأربعة أشهر لكنها استعصت عليه، فعاود حملة في السنة الموالية 1222هـ / 1807 م وهزم الجيش الجزائري على الحدود في موقعة سراط، وهو ما اعتبره بعض المؤرخين نهاية لسلطة الجزائريين على التوانسة ونزع البلاد أطمار مهانة الجزائريين ولبس ثياب العز<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - محمد السنوسي، المصدر السابق، ص: 119، 120.

البياتج

الأول

الفصل

الأول

## الفصل الأول: الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني.

### مقدمة الفصل

#### أولاً: الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر

##### 1- الحواضر:

أ- حواضر الشرق الجزائري ب- حواضر الجنوب الشرقي ج- حواضر الوسط

د- حواضر الغرب الجزائري

##### 2 - المراكز:

أ- المساجد ب- المدارس ج- الزوايا د- الكتاتيب والمعمرات

#### ثانياً: الحواضر والمراكز العلمية في تونس.

##### 1- الحواضر:

أ- حواضر الشمال ب- حواضر الجنوب

##### 2- المراكز:

أ- المساجد ب- المدارس

#### ثالثاً: الحالة العلمية في القطرين خلال الفترة العثمانية.

1 - في الجزائر

2 - في تونس

### خاتمة الفصل

## مقدمة الفصل :

عرفت الجزائر وتونس ظهور مدن تحولت إلى حواضر ثقافية وعلمية أدت دورا بارزا في تاريخ البلدين عبر مختلف المراحل، ورغم تذبذب هذه الحواضر في فترات معينة نتيجة ظروف داخلية وخارجية إلا أنها واصلت تأدية دورها في الإنتاج الفكري والحضاري، بفضل المراكز التي حوتها هذه المدن من مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب.

ورغم تباين الحواضر في أهميتها ووظيفتها وفعاليتها في القطرين نتيجة نوعية المراكز العلمية في كل حاضرة، إلا أننا نسجل أن العهد العثماني في كل من الجزائر وتونس عرف تطورات مست ديناميكية وحيوية هذه الحواضر بالقطرين حيث تراجعت بعضها في أداء وظيفتها العلمية والثقافية، ولكن بالمقابل استمرت الكثير من هذه الحواضر والمراكز في تأدية دورها.

ونريد في هذا الفصل أن نلقي نظرة عامة عن الحواضر والمراكز العلمية في كل من الجزائر وتونس ومعرفة الحالة العلمية بهما خلال هذا العهد.



## أولاً: الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر :

## 1- الحواضر :

شكلت الجزائر نقطة اتصال بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد المشرق، إذ ظهرت بها مدن هامة تحولت إلى حواضر ثقافية وعلمية منذ عهد الرستميين إلى نهاية حقبة الزيانيين ورغم تراجع بعض هذه الحواضر في أدائها الثقافي والعلمي منذ دخول شمال إفريقيا في نطاق الخلافة العثمانية نتيجة عوامل مختلفة، إلا أن الكثير منها واصل تأدية دوره وسطع بريقه بل منها ما ازداد تألقاً في الزخم الحضاري .

وتعتبر مدن قسنطينة، الجزائر، تلمسان، وهران، مازونة، الأغواط، بسكرة وسوف من أهم الحواضر التي لعبت دوراً أساسياً في الحياة الثقافية والعلمية في الجزائر خلال العهد العثماني، بل تعدى إشعاعها إلى خارج القطر الجزائري وخصوصاً مع المغرب وتونس وليبيا وغيرها من المدن العربية والإسلامية ، وسنركز في هذا المبحث على إعطاء صورة حول هذه الحواضر وقيمتها الثقافية والعلمية منذ ارتباط الجزائر بالسلطة العثمانية إلى نهايته ونمس كذلك الفترة الأولى من الحقبة الاستعمارية للجزائر ، إذ طبيعة موضوعنا تتطلب ذلك حيث استمر الوجود العثماني في تونس إلى فرض الحماية الفرنسية سنة 1881 م وسنركز على الحواضر الشرقية لارتباطها المباشر بالإيالة التونسية سواء خلال العهد العثماني أو بعده .

## أ- حواضر الشرق الجزائري :

\* قسنطينة<sup>1</sup> :

وصفت قسنطينة في بداية العهد العثماني بالمدينة المتحضرة جدا والمليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالجوامع والمدارس والزوايا<sup>2</sup>، وهي مدينة ضاربة في التاريخ عرفت بسيرتا لدى القدماء وقسنطينة لدى العرب، وهي عاصمة الإقليم أو البايك الذي يحمل اسمها<sup>3</sup>. وهي واقعة على وادي الرمال خلف الأطلس التلي على مسافة 35 مرحلة جنوب غرب عنابة ومن المفروض أن سكانها يتراوح عددهم ما بين 25 و30 ألف نسمة من حضر ويهود وعرب<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نالت قسنطينة حظها من الكتابات التاريخية والجغرافية سواء في العصر الوسيط ، أو الحديث أو خلال الفترة الاستعمارية ينظر في ذلك : كتب الرحالة مثل ما دونه ابن حوقل والإدريسي والبكري وياقوت الحموي و العبدري وأبو الفدا والقلقشندي وغيرهم ، وبعض الكتابات الفرنسية وخصوصا ما حوته المجلة الإفريقية في مختلف أعدادها مثل :

Féraud (L) . **époque de l'établissements des turcs a Constantine** R.A n° 10, Adolphe Jourdan, libraire, editeur,Alger 1866 .p :179-196 .

Féraud (L). **Tournée dans la province de Constantine** . R A 1868 n° 12, Adolphe Jourdan, libraire, editeur P :47 -60.

S, **Notes chronologiques pour l'histoire de Constantine**, . R A n° 39, Adolphe Jourdan, libraire, editeur,Alger, 1895 P : 164-172.

<sup>2</sup> حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، ج 1، 1983، ص:56.  
<sup>3</sup> يعد هذا الإقليم من أكثر الأقاليم الجزائرية ثروة وخصوبة ، ومن أوسعها مساحة يحده شمالا البحر المتوسط وغربا وادي الصمار ( وادي الصومام ) ومن الجنوب الصحراء وألحقت به مدينتي ورقلة وتقرت بعد إخضاعهما من قبل صالح باي ، وشرقا إقليم تونس وإلى الجنوب من الوادي يحد الإقليم بلاد الجريد من جهة الشرق، ينظر: مذكرة حول إقليم قسنطينة وشرق إقليم تونس ، ترجمة وتعليق ناصر الدين سعيدوني، مجلة الأصالة، العدد 71/70 جوان 1979 ، ص: 10، 11.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري بايك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي ، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص :130.

تتخذ المدينة شكل إهليجي ذو سطح مستو يرتكز أساسه على الانحناء الالتوائي الكبير المتجه نحو الجنوب الغربي في خط يكاد يكون مستقيماً، وعلى مسافة يقدر طولها بخمسمائة من خط هذا الإنماء الكبير وضمن سور قديم يعلو ثلاثين متراً توجد ثلاثة أبواب: "الغربي- الأوسط (الوادي) - وباب الجابية" ويوجد بحافته جبل المنصور باب رابع يعرف بباب القنطرة وتشكل تلاقي أسوار الأبواب قسبة المدينة فوق الصخور المطلة على الجزء الأكبر منها. وتعتبر شوارع المدينة ضيقة ومتعرجة وملتوية من أهمها رحبة الصوف الذي يعلو باب القنطرة وشارع متاع السروج " شارع السراجين " هو أوسع الشوارع ويوازي شارع رحبة الصوف إضافة لشارع العصر وشارع سوق الكولاك<sup>1</sup>.

أما عن نشاط المدينة ومكانتها فوصفت "بالمدينة الغنية التي بها التجار والصناع ولكن موردها الأعظم وتجارها أكثر ربحاً في إرسال القوافل إلى نوميديا و ليبيا، محملة بالمنتجات الصوفية والكتانية والحريرية والزيت، وتعود منها بالتبغ والتمر والعبيد السود فهي أكثر بلاد البربر تجارة في هذه الأشياء"<sup>2</sup>، وقال عنها دانتي في أواسط القرن السابع عشر "بها حوالي 8000 عائلة وسكانها كلهم حرفيون وصناع"<sup>3</sup> ، وفي نهاية نفس القرن وصل عدد سكانها إلى حوالي 10000 نسمة وكلهم أغنياء<sup>4</sup>، وهذا ما جعل خراج المدينة نحو السلطة المركزية في الجزائر العاصمة وفيما ينتظره أهلها بشغف كبير في كل مناسبة<sup>5</sup>.

ويبدو أن قسنطينة دخلت مرحلة الازدهار الاقتصادي والفكري مع التواجد العثماني بها لكونها عاصمة لبابك الشرق وحكمها شبه مستقل عن السلطة المركزية إلى جانب كونها من

<sup>1</sup>- ناصر الدين سعيدوني ، الشرق الجزائري ، المرجع السابق ، ص - ص: 131 - 133 .

<sup>2</sup>- كريبخال مرمول ، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وآخرون ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ج 3 ، 1989 ، ص: 11.

<sup>3</sup>-Danty.(p).description général de l'Afrique. Paris. 1960. P : 210.

<sup>4</sup>-Dapper (o). description de l'Afrique . amsterdam. 1665.p:186.

<sup>5</sup>- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج 1 ، ص: 171.

أكبر المدن من حيث المساحة والسكان، وتركيبها السكانية لا تختلف عن تركيبة الجزائر العاصمة زد على ذلك كونها مدينة داخلية محصنة طبيعياً وقريبة من تونس<sup>1</sup>.

ابتداء من القرن 18 م عرفت المدينة صعوداً في مكانتها العلمية والفكرية نظير جهود البايات<sup>2</sup> في هذا المجال رغم تباين هذه الجهود، إلا أن الجو العام ساعد على خلق الدوافع الموضوعية للتنافس بين الأعلام وحب الظهور لتولي مناصب حساسة كالقضاء والفتوى والتدريس<sup>3</sup>، ومع هذا الوضع الجديد تحوّلت قسنطينة إلى عاصمة دينية يتمتع فيها العلماء بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، ووجد الطلبة فيها مآربهم في التحصيل لكثرة مدارسها وعلو شأن علمائها، وبذلك كانت حقاً مبعث نور الجزائر لتقديرها وتشريفها للعلماء وإعطائهم حق قدرهم حسب رأي بول قافارال Paul gaffarel<sup>4</sup>.

أصبحت المدينة مقصد الكثير من الطلبة والعلماء من الجزائر وأقطار المغرب الإسلامي وتخرج عدد كبير من العلماء على كبار مَدْرَسِيهَا<sup>5</sup>، هذا ما أهلها لتكون إحدى المراكز التعليمية الكبيرة بالجزائر والمغرب العربي الإسلامي<sup>6</sup>. وإحدى الحواضر العلمية التي أخذت الصدارة بفضل مؤسساتها العلمية الكثيرة من مدارس، مساجد، زوايا ومكتبات<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 171.

<sup>2</sup> - يسجل في هذا الشأن الإصلاحات العلمية والفكرية للباي صالح (1771 - 1792) الذي جمل المدينة وأنشأ بها مجموعة المساجد والمدارس وشجع بها الحركة الفكرية والعلمية والعمرانية والثقافية، ينظر: محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، المرجع السابق، ص: 252.

<sup>3</sup> - أحمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة (1790 - 1870)، تحقيق عبد الله حمادي، نوميديا للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2012، ص: 54.

<sup>3</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 52.

<sup>5</sup> - لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، دار سناجق الدين للكتاب، الجزائر، 2009، ص- ص: 102 - 109.

<sup>6</sup> - عبد القادر دحدوح، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، ط 1، 2005، ص: 421.

<sup>7</sup> - سنستعرض لاحقاً المراكز العلمية.

## \*عنابة ( بونة ) :

مدينة قديمة أسسها الفينيقيون وغزتها قرطاجنة ثم استولى عليها ملوك نوميديا، ثم ضمت إلى روما الإفريقية، وأصبحت مدينة مزدهرة ومن أهم المراكز الدينية (مقر الأسقفية) بعدما انتشرت فيها المسيحية<sup>1</sup>. فتحها المسلمون سنة 580 هـ على يد رجال الملك المعظم رجار<sup>2</sup>، وسموها بلد العناب لكثرة فاكهة العنب بها بعدما كانت تسمى بونة<sup>3</sup>، وتشتهر بالمرجان خصوصا الأحمر منه الذي يعد الأجدود<sup>4</sup>، وقدّر عدد سكانها في بداية القرن 16م/10 هـ ب3000 موقد<sup>5</sup> أي ما يعادل 21 ألف نسمة، يمارس معظمهم التجارة والزراعة .

ارتبطت عنابة خلال العهد العثماني إداريا بعاصمة الشرق الجزائري قسنطينة واعتبرت مركزا تجاريا هاما ، ونقطة اتصال مباشرة مع تونس لامتلاكها ميناء هاما يطل على البحر الأبيض المتوسط زيادة على قربها من جنوب أوربا وامتزاج ثقافات متنوعة بها ، وعلى الرغم من أن المدينة لم تصل إلى المستوى المطلوب من الناحية الفكرية والعلمية والثقافية خلال الفترة المذكورة إلا أنها اعتبرت من المدن المهمة فكريا بفضل نشاط علمائها ومراكزها العلمية وتواصلها مع حاضرة العلم تونس .

يعود الدور الكبير في بروز هذه المدينة على الساحة العلمية إلى أسرة البوني وخصوصا عالمها وشيخها أحمد بن قاسم ابن محمد البوني<sup>6</sup> ، الذي قصده طلاب العلم من داخل الجزائر وخارجها<sup>7</sup> كالشيخ أحمد برناز التونسي<sup>1</sup>، والرحالة المعروف عبد الرحمان

<sup>1</sup> إسماعيل العربي ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص: 196.

<sup>2</sup> نفسه ، ص: 197.

<sup>3</sup> Poiret ( A.) *voyage en Barbarie* , paris, 1789. P : 167.

<sup>4</sup> Laurgier de tassy , *Histoire du royaume d'Alger*, Amsterdam , paris , 1728 , p : 132 .

<sup>5</sup> حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص ، ص: 41- 42.

<sup>6</sup> أحمد البوني ، ينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، ط2، ج1، 1982، ص- ص: 236-239. عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 60، 61.

<sup>7</sup> لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 122.

الجامعي الذي يقول " لما دخلت بونة ( عنابة ) أمتت دار الشيخ الرياني العلم العرفاني الذي بنيت هذه الرحلة المباركة على قواعد بركته أبي العباس احمد بن قاسم فوجدته طلق المحيا وأنزلني بمنزل لإكرام اضيافه مهياً ، فأقمت عنده ينزهني في كل يوم في رياض تآليفه الحديثية وغيرها....وكنت أحضر تلك المدة مجلس روايته الصحيحين بين يديه مع مشايخ بلده وولديه .... بلغت تآليفه ما ينيف عن المائة ما بين مختصر ومسهب، ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب و العجب العجاب سألته الإجازة"<sup>2</sup>.

وبعد زوال الحكم العثماني ووقوع الجزائر تحت الغزو الفرنسي سقطت مدينة عنابة مبكرا نظرا لأهميتها الجغرافية والاقتصادية و الاستراتيجية كونها مركزا تجاريا وذات ثروات متنوعة على رأسها المرجان والحديد وأنواع الزهور التي تميزها عن كل افريقية وإنتاج أفخر أنواع الجبل البري ذو الخضرة الداكنة<sup>3</sup>، أما دورها العلمي والفكري فقد تراجع بشكل كبير .

#### \* بسكرة:

مدينة قديمة ومركز لمجموعة من المدن، عرفت بعاصمة الزاب تقع بين التل والصحراء وصفتها المصادر قبل العهد العثماني بعدة أوصاف فقال عنها البكري: "مدينة كثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار ومدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة ولها أبواب"<sup>4</sup>، وأضاف ياقوت الحموي صفة العلم عليها "وأهلها علماء

<sup>1</sup> أحمد برناز التونسي، ينظر: محمد السنوسي، المصدر السابق، ص:78، عمر كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993، ج3، ص: 605.

<sup>2</sup> محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق ، ص : 54.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله ، عنابة في رحلة الأمير الألماني موسكاو ، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 39 ، 1977 ، ص- ص 100- 103 .

<sup>4</sup> أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002. ص:230

على مذهب أهل المدينة"، واعتبرها ابن سعيد مركزا تجاريا للتمور تمّول حاضرتي تونس وبجاية<sup>1</sup>.

أما خلال العهد العثماني فيبدو أن وضعية المدينة تراجعت كثيرا سواء على المستوى الاقتصادي أو الثقافي، رغم احتفاظها ببعض خصائصها السابقة فقد خضعت المدينة لسلطة بايلك الشرق "قسطنطينة" الذي عين عليها القايد لتسيير شؤونها وجمع الضرائب من السكان عبر قراها المتمثلة في بوشقرون، الزعاطشة، ليشانة، فرفار، طولقة، البرج، أوماش (عوماش)، وكرة (قرة)، فتياش وشممة<sup>2</sup>، ونستشف من خلال رحلات المغاربة إلى الجزائر إقرار معظمهم بجمال المدينة وكثرة مواردها، فقد قال العياشي في رحلته: "ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحسن ولا أجمع لأسباب المعاش"<sup>3</sup>، وأضاف الزياتي: "من أحسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين التل والصحراء..."<sup>4</sup>.

لكن بالمقابل يجمع هؤلاء الرحالة بتراجع المستوى العلمي والثقافي للمدينة رغم تنوع مؤسساتها من مساجد وزوايا ومدارس ، ففي نهاية القرن 10هـ / 16 م حوت المدينة حسب العياشي مسجدا في غاية الإتقان والسعة إلا أنه قلّ عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى به مدرسا ولا قارئاً<sup>5</sup> ، ويضيف سنة 1060هـ / 1650 م عندما رجع من الحج قاصدا المدينة "فوجدنا أكثر حوماتها خالية ومساجدها دائرة، ولقيت بها سيدي محمد الصالح وهو من أهل الخير منفرد في مسجد له... وخرج إلينا من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني، وهو أيضا من أهل الخير غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ علي أول صحيح

<sup>1</sup> أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص: 184.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري ، المرجع السابق ، ص: 324.

<sup>3</sup> مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص: 101.

<sup>4</sup> نفسه ، ص: 172 .

<sup>5</sup> نفسه ، ص: 101 .

البخاري من رواية أبي ذر ..<sup>1</sup>. ثم يواصل مسيرته حيث وصل قاصدا زاوية سيدي الشيخ عبد الرحمان الأخضرى وصلى بمسجدها ، ومنها زار قبر النبي خالد وهو من المزارات الشهيرة في تلك البلاد تقصده الأركاب لزيارته من نواحي افريقية كلها واشتهر أمره عند الخاص والعام والبدو الحضر وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة والناس يأترون عن ذلك المشهد كرامات وقد أشكل أمره علي<sup>2</sup> ، كما ذكر أولاد جلال وقال عنها : " قرية جامعة من أكبر قرى الزاب فيها مدرسة للطلبة المهاجرين وهو يسمون الغرباء مهاجرين"<sup>3</sup>.

وخلال القرن 12 هـ / 18 م تحسنت أحوال المدينة الفكرية والعلمية بفضل كثرة مراكزها التعليمية من زوايا (خنقة سيدي ناجي) ومساجد ومدارس وهو ما جعلها موثلا لعلماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة و زاووة ، بل تونس وطرابلس<sup>4</sup>. فقد درس بها الشيخ إبراهيم الجمني التونسي<sup>5</sup> الذي أخذ بها عن الشيخ عبد الله بن أبي القاسم الجلاي<sup>6</sup>.

#### \* بجاية :

أسسها الفينيقيون وسموها صلدة ثم احتلها الرومان ودعوها صلاي ، وخرها بعد ذلك الوندال والبربر إلى أن جدها الناصر الحمادي عام 468 هـ / 1076 م ودعاها الناصرية ثم سميت بجاية باسم قبيلة بربرية تقطن حولها، وقد ورثت بجاية حضارة قلعة بني حماد واتسع عمرانها بعد أن أصبحت عاصمة سلطنتهم ، واستمرت أهميتها طوال الحكم الموحدين

<sup>1</sup> مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص : 102.

<sup>2</sup> نفسه ، ص : 103.

<sup>3</sup> نفسه ، ص : 106 .

<sup>4</sup> لزغم فوزية ، المرجع السابق ، ص- ص : 125-127.

<sup>5</sup> ابراهيم الجمني التونسي : ( 1037-1134 هـ / 1627-1721 م) نزل بخنقة سيدي ناجي ودخل بلاد زاووة وأخذ عن علمائها، أشاد به الحسين الورثيلاني في رحلته، حسن حسني عبد الوهاب، كاتب العمر، المرجع السابق، ج2، ص : 833.

<sup>6</sup> محمود مقديشو، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج2، 1988، ص : 437.



فالحفصيين إلى أن احتلها الإسبان وخربوها<sup>1</sup>، ورغم أهمية المدينة كونها دار علم وعمل و مستقر للعلماء والصالحين، ومنهم الولي أبو مدين شعيب دفين تلمسان، وكونها معروفة بدورها الجميلة وجوامعها الكافية ومدارسها التي يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم وزوايا المتصوفة والحمامات<sup>2</sup>، إلا أن المدينة فقدت بريقها بعد الاحتلال الإسباني لها.

وهذا ما لاحظته التمكروتي حينما مر بها في أواخر القرن 16 م ( 1589 م ) حيث قال: "بجاية الآن خراب هدمها النصارى - دمرهم الله - لم يبق منها إلا ديار قلائل على طرف البحر وقلعة صغيرة تسمى اللؤلؤة"<sup>3</sup>، وهذا ما جعل سكانها يهجرونها وعلماءها يغادرونها حتى لم يعد بها إلا القليل على غرار العالم المحدث أبو عبد الله محمد بن جعفر الذي وصفه التمكروتي في رحلته بفاضل الأفاضل وكابر الأكابر وأنه أخذ عنه تصانيف كثيرة و حصل على إجازته كما نعته بإمام هدى وعدالة ، ووحيد معارف وجلالة ، عالم الرواية ، كامل المعرفة والدراية رصين العقل ، إماما في التحديث والنقل متفاوت الكرم بعيد الهم وكبي الشيم ، حسن المنازع ، مليح المبادئ والمقاطع<sup>4</sup> .

ظلت المدينة تابعة لسلطة بايلك الشرق خلال العهد العثماني، ورغم تراجع دورها العلمي والفكري إلا أنها بقيت إحدى الحواضر المهمة في تدريس القرآن وعلم القراءات والنحو بفضل كثرة زواياها وعلمائها<sup>5</sup>، وقصدها الطلاب والعلماء من الداخل والخارج فقد رحل إليها من قسنطينة العالم الشهير محمد التواتي لطلب القراءات السبع في أوائل القرن

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، عالم المعرفة، الجزائر، 2010 ، ص - ص : 195 - 197.

<sup>2</sup> حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 50 .

<sup>3</sup> علي التمكروتي ، النفحة المسكية في السفارة التركية ( 1589 ) ، تحقيق محمد الصالحي ، دار السويدي للنشر

والتوزيع ، الإمارات ، ط 1 ، 2007 ، ص : 44.

<sup>4</sup> نفسه ، ص - ص : 45 - 48 .

<sup>5</sup> عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية ، المصدر السابق ، ص : 58.

الحادي عشر الهجري وتمكن منها بعد مرور سنة<sup>1</sup>، كما زارها مصطفى برناز من تونس ودرس على الشيخ محمد الفاسي وعلي أحمد بن صولة وقرأ القراءات السبعة والعشرة قبل 1726 م ، كما عاد بعلوم العربية وعلوم المنطق والتصوف والأجرومية<sup>2</sup>، هذا وقد توفي الفقيه ومدرس جامع الزيتونة عبد الرحمان الخليفوني بزواوة صبح يوم الثلاثاء 30 ربيع الأول سنة 1144هـ / 1754م بزواوة كوكو وهو في مهمة علمية<sup>3</sup>.

### ب- حواضر الجنوب الشرقي :

تعتبر حواضر مدن الجنوب الشرقي للجزائر امتدادا لحواضر الشرق باعتبارها خضعت في معظم الأوقات لسلطة بايلك الشرق ، كما أنها كانت على صلة مباشرة بإيالة تونس بحكم القرب الجغرافي والمصاهرات العائلية والارتباط الثقافي والفكري منذ حقبة طويلة، تقع حواضر الجنوب الشرقي في واحات تتوفر على مراكز للعمران كالمساجد والأسواق والمتاجر وتوفر الإنتاج الزراعي، وكونها ملتمى لتبادل المنتوجات والأخبار والأفكار بين الرجل والمقيمين ولذا شكلت نواة الحضارة الأولى في الصحراء<sup>4</sup>، وأهم حواضر هذه الجهة :

### \* ورقة :

ظلت المدينة العتيقة طيلة العهد العثماني مركزا رئيسيا لتجارة السودان ومحطة قارة لطريق الحج، ومنطلقا للتوغل في أعماق الصحراء وطريقا طبيعيا نحو المناطق التالية بالشمال<sup>5</sup> ولذا قصدتها عدد كبير من التجار الأجانب لاسيما من تونس و قسنطينة<sup>1</sup>، ومما

<sup>1</sup> أحمد ساحي ، أعلام من زواوة ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، ج1 ، 2013 ، ص :168.

<sup>2</sup> لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر : بوعبد الله غلام الله ، القراء ومدارس الإقراء في الجزائر ، مجلة رسالة المسجد ، العدد 5، السنة 2005، ص: 60 ، أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص: 21، المهدي البوعبدلي ، الحياة الثقافية في الجزائر ، عالم المعرفة ، الجزائر ، ط 1 ، 2013 ، ص : 62-79 .

<sup>3</sup> أحمد ساحي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص :214.

<sup>4</sup> اسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص: 199.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني ، ورقة ومنطقها في العهد العثماني ، مجلة الأصالة ، العدد 41 ، 1977 ، ص : 72 .

زاد في أهمية المدينة وضعها الطبوغرافي المتحكم في مصدر المياه، وتوزيع الكثبان وكثرة النخيل وسورها المحيط بالمدينة القصر التي لها سبعة أبواب، وتقطنها مجموعات سكانية منتمة في أصولها إلى قبيلة بني ورجلان الزناتية التي تأثرت بالدماء الزنجية عن طريق تجارة العبيد وهذه المجموعات هي بنوسيسين في الجهة الشمالية، وبنو واجين في الناحية الغربية وبنو إبراهيم في القسم الشرقي من المدينة<sup>2</sup>، كما ترددت عليها قبائل بدوية متنقلة تجوب مختلف المناطق الصحراوية بحثا عن الكأ والمراعي وهي المخادمة وسعيد عتبة والشعانية وبنو ثور والربايح و أولاد نايل<sup>3</sup>.

وخضعت مدينة ورقلة للسلطة العثمانية منذ فتوحات حسن أغا سنة 1541م نحو الصحراء انطلاقا من بسكرة، حيث وصلتها أولى الحملات العسكرية سنة 1552م وتواصلت الغارات العثمانية إلى غاية آخر حملة سنة 1818 م، والتزم حكام المدينة بدفع الضرائب والاعتراف بالسلطة المركزية إلا أنه سجل أحيانا حدوث تمردات استدعت إعداد حملة عسكرية لإخضاع المدينة ومحيطها من جديد ، أما المدينة من الناحية الفكرية والعلمية فهي لم تتبؤ المكانة المرموقة بها ، وهذا ما يتبين من خلال المصادر التاريخية التي أعطت صورة عن تدهور المدينة من الناحية الفكرية والعلمية ، ولا أدلّ على ذلك مما قدّمه العياشي في رحلته من معلومات عن وضعها العلمي والثقافي حيث وصفها بالتخلف في مختلف العلوم إذ يقول: " قدم إمام جامع المالكية خطبة في غاية الرداءة حيث أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتأخير مع إدغام أكثر حروفها حتى كأنها همهمة فكنت أتخوف

<sup>1</sup> حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص : 136 .

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني ، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص : 73 .

<sup>3</sup> نفسه ، ص : 75 ، 76 .

أن لا تصح لنا معه جمعة ... ودعا في خطبته للإمام المهدي ثم السلطان الأعظم الخاقان الأفخم محمد بن إبراهيم بن مراد ثم لسلطان بلاده مولاي علاهم ...<sup>1</sup> .

و رغم إقراره بوجود مؤسسات تعليمية هامة كمسجد الإباضية الذي عده مسجدا متقن الصنعة مجصص الأرض والحيطان على بابه أماكن وفي جوانبه معدة للوضوء وقضاء الحاجة ومكان معد لتسخين الماء فأعجبني غاية<sup>2</sup>، إضافة إلى وجود خزانة للكتب بدار الأمير تحوي مصنفات قدرها العياشي بنحو أربعين سفرا من جملتها "التوضيح" و"التتائي" و"بهرام" وحواشي على الصغرى، لكن بالمقابل يؤكد خلو المدينة من علماء حقيقيين في قوله "وما أظن أحدا يحسن بابا من أبواب أي علم"<sup>3</sup> .

#### \* تقرت :

أخذت تقرت<sup>4</sup> نفس الخصائص التي تميزت بها جارتها ورقلة من حيث الجانب الطبيعي والاقتصادي والعمراني، ولذا ظل تاريخها ومصيرها مرتبطا ببعضهما البعض رغم الاختلاف السياسي بين الأسرتين الحاكميتين والذي تسبب في كثير من الحروب بينهما ، وظلت المدينة طيلة العهد العثماني عبارة عن قصر صحراوي بالقرب من التقاء وادي مية و ايغار غار الجوفية يحيط به سور وحوله حفير إليه بابان أحدهما يعرف بباب الخضراء والآخر بباب السلام وتتخلله أزقة في الفترة المتأخرة بأسماء محلية<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص :86.

<sup>2</sup> نفسه ، ص :85.

<sup>3</sup> نفسه ، ص :87.

<sup>4</sup> تقرت : عاصمة واد ريغ بين ميزاب غربا ووادي سوف شرقا يختلط تاريخها بتاريخ قبيلة ريغة سنجة وبني افرن وبالحرور بين ابن غانية والموحدين وعرفت تقرت حكم بني مزني وحكم بني عبيد الله وبني جلاب وسيطرة الأتراك منذ حملة صالح راييس إلى أن دخلها الفرنسيون في 5 سبتمبر 1844.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيوني ، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص :74.

وتعد هذه البلدة عاصمة المنطقة ولها نفوذ على أربع وعشرين قرية ، وهي تحتوي على حوالي أربعمئة منزل حسبما ذهب إليه أحد الرحالة في أواخر العهد العثماني، وهي كثيرة المساجد ذات المنارات العالية جدا التي من خلالها يمكن مشاهدة عدد من القرى وغابات النخيل في المناطق المجاورة كالنزلة و تيبسبت و تماسين و المقارين و المغير وغيرها <sup>1</sup>.

ومن الناحية الفكرية والعلمية والثقافية للمدينة، يبدو أن وضعها كان مشابها لجارتها ورقلة إلا أن انطباع بعض الرحالة عنها لم يكن سوداويا مثلما حُكم على جارتها ورقلة فقد حوت العلماء من أمثال سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي ، وتعددت مؤسساتها التعليمية لاسيما المساجد، واهتم حكامها بالعلم وهذا ما لاحظته العياشي لما زارها وقال "أخو الأمير سيدي أحمد يحسن طرفا من الفقه ويجالس الفقهاء والعلماء وله أخلاق حسنة" <sup>2</sup>.

\* تماسين <sup>3</sup> :

وهي مدينة قديمة تداولتها المصادر التاريخية، يرجع تأسيسها إلى حوالي سنة 159هـ /782م <sup>4</sup>، وهي واحة يكثر بها النخيل والعمران وبها مسجد ذو صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها حوالي مائة درجة وعلى بابها اسم صانعها وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي وتاريخ بنائها سنة سبع عشر وثمانمئة وأميرها ابن عم أمراء تقرت وهو كالمستقل في بلده <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الحاج بن الدين، رحلة الأغواطي ، تحقيق وترجمة أبو القاسم سعد الله ، المعرفة الدولية ، الجزائر ، 2011، ص: 100.

<sup>2</sup> مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص: 92.

<sup>3</sup> تماسين: إحدى دوائر ولاية ورقلة تبعد عنها ب 150 كلم وعن دائرة تقرت ب 10 كلم ، وعن الجزائر العاصمة بحوالي 650 كلم ،تقع في الجنوب الشرقي من الوطن يحدها شمالا بلدية النزلة ومن الجنوب بلدية عمر ومن الشرق بلدية الطيبات ومن الغرب بلدية العلية .

<sup>4</sup> محمد الحافظ بريح وآخرون ، قصر تماسين القديم وأهم معالمه الأثرية ، دراسة تحليلية ومعمارية ، بلدية تماسين ، 1995 ، ص: 10.

<sup>5</sup> مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص: 89.

وتتكون تماسين بشريا من عدة مجموعات متجانسة من قبائل متعددة منها الأصلية ومنها الوافدة جمعهم روابط وعلاقات وظروف عيش واحدة وهم: الرواغة<sup>1</sup>، العرب<sup>2</sup>، الزنوج<sup>3</sup>، المولدون<sup>4</sup>. أما عن الحركة العلمية والثقافية بتماسين فقد عرفت صعودا واضحا منذ نهاية القرن 18م، بفضل الصلات الثقافية العميقة الجذور عبر التاريخ المشترك بين واحة تقرت ووادي سوف من ناحية وبين واحة تقرت والجريد التونسي من جهة أخرى .

فقد كان علماء وادي سوف ونفطة وتوزر يفدون أفرادا وجماعات إلى تقرت وضواحيها أمثال الشيخ مبارك المازقي التوزري الذي كان يقدم كل سنة الى بلدة تماسين إحدى واحات تقرت ينزل محل المرحوم الشيخ الفاضل أحمد بودكري، كما يوجد ببلدة تماسين أحمد الزكيزكي وهو عالم وأديب ومتصوف ورع، وقاضي عدل محب للعلم والعلماء، وقد خصص دارا لنزول العلماء تسمى الإمامة، وهناك أسرة علمية أخرى وهي أسرة بريح التي اشتغل الكثير من أفرادها بالقضاء والتدريس وكذلك أسرة الحاج علي التماسيني التي اهتمت بالعلم والعلماء<sup>5</sup>، ومن العلماء الذين لهم صلة أيضا بالناحية الشيخ عثمان بن المكي التوزري والشيخ العربي القيرواني المدرّسان بجامعة الزيتونة و لهما تأليف كثيرة<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> وهم أول من قطن المنطقة وأصولهم بربرية ( بطن زناتة ) ويسمى بهم إقليم وادي ريغ .

<sup>2</sup> الوافدون من جنوب تونس ومنطقة الزيبان عن طريق الهجرة وهم أقلية .

<sup>3</sup> وهم ما تبقى من تجارة العبيد والذين وفدوا إلى المنطقة عمالا وشغاليين من بلاد السودان ومنطقة قورارة.

<sup>4</sup> وهم نتاج زواج مختلط بين المجموعات الثلاث .

<sup>5</sup> إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، منشورات ثالة ، الأبيار ، الجزائر،

2007 ، ص: 32، 33.

<sup>6</sup> نفسه ، ص: 33.

\* واد سوف<sup>1</sup>:

كان وطن سوف ( أو ناحية سوف) الذي يشمل - قري قمار، تاغزوت، ولجة ، البثيمة و الواد- يتبع شيخ تقرت و كان في أغلب الأحيان في موقف عداء لابن جلاب ويرفض الاعتراف بسلطته، وشيخ تقرت يستفيد من ضرائب الناحية المتنوعة من رؤوس الحيوانات والحياك ( قماش من الصوف) والمجوهرات والأسلحة<sup>2</sup>، والتي يجبيها عادة عن طريق قوة السلاح، وتتميز أرض سوف كونها بساطا مفروشا من رمل وبها شطوط قليلة قرب الوادي، و مياهها جوفية يسودها جو الصحراء فهو شديد الحرارة صيفا وقاسي البرودة شتاء، وهواؤها من أحسن الأهواء لاعتداله وعدم انحراف مزاجه وطيب نسيمه وخفته وتنشيطه للأعضاء وهضم الغذاء إلا أن أمطاره نادرة السقوط إلا في بعض الجهات شتاء<sup>3</sup>.

أما فيما يخص تعمير ناحية سوف فقد عرفت أجناسا بشرية متنوعة عبر مختلف المراحل الزمنية فقد قصدها البربر الامازيغ من أصول زناتة والكنعانيون و الرومان و الوندال، ووفدت إليها القبائل العربية منذ الفتح الإسلامي من بنو هلال وسليم انطلاقا من افريقية وطرابلس وعدوان وطرود وبنو مرداس<sup>4</sup>، ورغم تنازع هذه القبائل والأجناس على المنطقة ودخولها في صراعات وحروب طويلة إلا أنها امتزجت وانصهرت مع بعضها البعض مشكلة مجتمعا واحدا هويته الإسلام والعروبة .

<sup>1</sup> - تعود أصل التسمية إلى عدة تأويلات فقيل بقي الأرض الظاهرة ، وهي أيضا أرض الصوفة وهم المنقطعون للعبادة ونسبوا إلى لباس أهل المنطقة الصوف، بينما ذهب رأي آخر أنها تنسب إلى رجل يسمى ذا السوف وهو صاحب العلم والحكمة ، وقيل أن أصلها من الكلمة البربرية المحرفة ازوف ومعناها الوادي ، بينما رأى آخرون أنها تعني المسوفة وهي فرقة المثلثين من البرابرة ، وربما نسبة أيضا الى الكتبان الرملية التي تسمى السيوف ، ينظر : إبراهيم العوامر، المرجع السابق ، ص:42، 43.

<sup>2</sup> - ناصر الدين سعيدوني ، الشرق الجزائري ، المرجع السابق ، ص: 324.

<sup>3</sup> - إبراهيم العوامر ، المرجع السابق ، ص- ص: 44 - 58.

<sup>4</sup> - نفسه ، ص: 128 وما بعدها .

واشتهرت سوف من الناحية العلمية والثقافية والفكرية بكونها إحدى الحواضر المهمة التي تخرج منها طلبة وعلماء أجلة من أمثال العلامة الشيخ الفقيه المجتهد صاحب المؤلفات الكثيرة خليفة بن حسن القماري<sup>1</sup>، الذي لفت إليه الأنظار بنظمه لخليل وفتاويه الجريئة في بعض القضايا كما قصدها العلماء والرحالة والطلبة من مختلف الأصقاع سواء من الجزائر أو بلاد المغرب الأخرى خصوصا تونس والمغرب وطرابلس، فمن الجزائر قصدها محمد بن المشري وعلي التماسيني ومن المغرب مرّ بها الرحالة العياشي وذكر الناصري الدرعي صاحب الرحلة الكبرى الشيخ خليفة القماري الذي لقيه بالزيبان وأثنى عليه، ونفسه حدث مع عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي، أما علماء تونس فقد كانوا في تواصل دائم مع سوف واتخذوها محطة رئيسية للمرور نحو تفرت وتماسين و ورقلة وأهمهم على الإطلاق العالم الكبير إبراهيم الرياحي<sup>2</sup>.

### ج - حواضر الوسط :

سنقتصر في معالجتنا لمدن الوسط على أهم حواضره وأكبرها وعاصمة كل الحواضر ومصدر السلطة الفعلية للبلاد ومقر جميع السلطات المركزية وهي مدينة الجزائر .

### \* الجزائر:

قدمت المصادر التاريخية وصفا دقيقا لمدينة الجزائر من حيث نشأتها وتطورها وبنيتها الاقتصادية والاجتماعية وأبرز التطورات السياسية والثقافية بها، سواء كانت هذه المصادر قبل الحقبة العثمانية أو خلالها أو بعد الغزو الاستعماري لها ابتداء من سنة 1830 م ولا يمكن الإحاطة وتتبع كل ما كتب عن هذه المدينة العريقة عن طريق المصادر المحلية والأجنبية منها، إلا أننا سنركز على البعض منها فيما يخدم غرض بحثنا.

1 - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج 2 ، ص:77، 78.

2 - يعرف في الفصل الثالث .



وصفت المصادر القديمة من خلال كتب الرحالة الجغرافيين العرب مدينة الجزائر بوقوعها على ساحل البحر وحيوتها الاقتصادية وقدم بنائها، وأولهم صاحب كتاب صورة الأرض ابن حوقل الذي قال عنها خلال القرن 4هـ / 10 م "الجزائر بني مزغنى مدينة جليلة قديمة البنيان عليها سور على سيف البحر، وفيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر..."<sup>1</sup> وهو ما أكده الإدريسي في القرن 6هـ / 12 م وأضاف عليه تفصيلا في الجانب الاقتصادي "جزائر بني مزغنا على ضفة البحر وهي عامرة أهلة، تجارتها مربحة أسواقها قائمة، وصناعتها نافقة، ولها بادية كبيرة ورجال فيها قبائل البربر"<sup>2</sup>.

ومع خضوع المدينة للسلطة العثمانية ابتداء من القرن 10هـ / 16 م عرفت تطورات هامة وحافظت على مكانتها كأبرز المدن الجزائرية، وهذا ما أكده كل من حسن الوزان والرحالة المغربي التمكروتي ، فالوزان يقول عنها سنة 921 هـ / 1515 م: "مدينة كبيرة جدا تضم 4000 كانون أسوارها رائعة وممتينة جدا، مبنية بالحجر الضخم فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب ويحيط بالجزائر عدد من البساتين والأراضي المغروسة ... وفي الضواحي سهول جميلة جدا"<sup>3</sup>، أما التمكروتي فيذهب إلى نفس المنحى مع بعض التفصيل والإضافة في قوله: "مدينة عامرة كثيرة الأسواق بعيدتها، كثيرة الجند حصينة لها ثلاثة أبواب وفيها المسجد الجامع واسع، إمامه مالكي المذهب، وفيها ثلاث خطب: أحدها للترك إمامهم حنفي المذهب ، ومرساها عامر بالسفن ورياسها موصوفون بالشجاعة ... فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقيا وأمر و أكثر تجارا وفضلا، وأنفذ أسواقا و أوجد سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها إسطنبول الصغرى"<sup>4</sup>، وتواصل نمو المدينة خلال القرن 17 م / 11 هـ عمرانيا واقتصاديا ودخلت مرحلة الازدهار الكبير والرخاء نتيجة الأموال القادمة من البحر، بالإضافة

<sup>1</sup> ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص: 77 ، 78 .

<sup>2</sup> الشريف الإدريسي، المصدر السابق ، ص: 258 .

<sup>3</sup> حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص: 37 .

<sup>4</sup> التمكروتي ، المصدر السابق ، ص: 159 .

إلى الذهب المجلوب من السودان<sup>1</sup>، وهو ما نشط حركة التجارة وزاد في تضاعف عدد المتاجر التي وصل عددها إلى ما يزيد عن الألفي حانوت<sup>2</sup>، مما تطلب توفير حراسة خاصة لها أوكلت إلى جماعة البساكرة<sup>3</sup>.

إن الوضعية التي عرفتتها المدينة أكسبتها ثقلا من حيث تنوع فنونها وتحسن الحياة اليومية للفرد الجزائري بها<sup>4</sup>، وركي مرافقها العامة وتنوع الصنائع وكثرة الحرفيين بها وكبر سوقها الذي تعرض فيه مختلف المواد من فواكه وحبوب ودواجن، كما خضعت شوارعها لنظام محكم خاص بها<sup>5</sup>، وهذا ما جعل ابن زكور ينبهر بالمدينة في رحلته سنة 1013هـ/1683م ويقول عنها: "مدينة الجزائر ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النواظر التي غص ببهجتها كل عدو كافر ... إذ هي كما قيل :

– بَلْدُ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهُ \* وَكَسَاهُ حُلَّةَ رَيْشِهِ الطَّاوُوسُ .

ما شئت من حدائق كالنمارق، وقصور، نوع المحاسن من عليها مقصور والذي أعارها ذلك المنظر الجميل، وأصارها فضية الصباح عسجدية الأصيل، وألحفها بهجة وإشراقا وألبسها نضرة وإبراقا وأبداها للعيون آنق من جيرون<sup>6</sup>.

وتعد مدينة الجزائر من الحواضر التي عرفت حركة علمية وفكرية نشيطة بفضل علمائها ومؤسساتها التعليمية والثقافية المتنوعة من مساجد وزوايا ومدارس ومعاهد وكتاتيب، وهذا ما جعل المدينة محطة أنظار ومقصد الكثير من الطلبة والعلماء من الداخل والخارج ومحل

<sup>1</sup> Emerit .(M) .undoncement inedit sur alger au 17 eme siecle .Alger . 1959.p :233 .

<sup>2</sup> monneran et berbrugger **Topographies et histoire générale d'Alger**..in R.A. n°15 adolphe jourdan,libraire, editeur, 1871.p : 56.

<sup>3</sup> Raymand . (A) .**Grandes ville a L'époque ottomane** ,paris , 1985.p :14.

<sup>4</sup> Raymand . **op . cit** . p : 135.

<sup>5</sup> Nicolas de micolay. **Les quarte premiers livres de navigation orientale** , lion ,1968.p.p : 17-18 .

<sup>6</sup> جيرون : قيل هو جيروت بن يعد بن عاد الذي بنى دمشق .

<sup>7</sup> مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص: 115،116.

إعجاب من مرّ أو أقام بها ولو لمدة قصيرة، فهذا جد الأمير عبد القادر محمد علي أبي طالب العسكري ينشد فيها قائلاً لما كان في طريقه إلى الحج :

عَلَيْكَ الْجَزَائِرَ عُجَّ نَحْوَهَا      وَدَاوِ بِطَيْبِ شَذَاهَا الْعِلْنَ  
 وَشَاهِدْ قُصُورًا شَيَّدَتْ بِهَا      وَأَمْكِنَةً نُزْهَةً لِلْمَقْلِ  
 فَكَمْ مِنْ غُلُومٍ مُنَوَّعَةٍ      يَضَعُ نَشْرُهَا بِالْدُرُوسِ فَسَلْ  
 وَكَمْ مُشْكِلَاتٍ أزالَ الْغِطَا      فَكُلُّهُمْ بِهَمْ سَارَ ضَرْبُ الْمَثَلِ  
 وَكَمْ فَاضِلٍ قَدْ حَوَّتهِ وَكَمْ      هُمَامٍ يَصُولُ وَفَرِدٍ وَصَلْ  
 إلى أن يقول :

تُخَاخِرُ مِصْرَ وَفَاسًا بِهَا      وَتَوَسُّسَ ذَاتِ الْبَهَا وَالْخُلْنَ<sup>1</sup>  
 وهو ما ذهب إليه أيضا الرحالة ابن زكور المغربي عندما أقام بمدينة الجزائر حين وصف علماءها ومكانتهم : "غر وأعلام ينجلي بهم الأظلام، وشموس أئمة تتفرج بهم كل قمة وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة..."<sup>2</sup>.

#### د - حواضر الغرب الجزائري:

عرفت منطقة الغرب الجزائري خلال العهد العثماني تطورات هامة مست الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وظلت عاصمته وهران تحت النفوذ الإسباني منذ بداية القرن 10هـ/16م إلى نهاية القرن 12هـ/18م (1792م) وهو تاريخ تحريرها باسترجاع المرسى الكبير وهذا ما أعطى للمنطقة انطلاقة جديدة باستعادة المدينة مكانتها وانتقال الريادة إليها واتخاذها عاصمة لبايلك الغرب المتاخم للحدود المغربية، ولكن هذا لم يمنع من تبوء مدن أخرى بالناحية مكانة اقتصادية وثقافية هامة سواء في تلمسان أو معسكر أو مستغانم أو

<sup>1</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار الليقطة العربية، بيروت، ط2، 1964، ج1، ص: 17.

<sup>2</sup> مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص: 116.

حتى إلى منطقة توات في الجنوب والأغواط باعتبارها جزء من هذا الإقليم وامتداد طبيعي له ولذا سنركز على المدن المذكورة بما يخدم بحثنا.

### \*تلمسان:

مدينة قديمة أزلية، أسست قبل الإسلام بكثير من الأعوام، أسسها بنو يفرن" إحدى قبائل زناتة" وسموها بلغتهم أجدير<sup>1</sup>، لعبت المدينة دورا محوريا وأساسيا عبر مختلف مراحلها الزمنية منذ أن وصلها الإسلام سنة 174 هـ، وبرز دورها الثقافي والعلمي خاصة في عهد الأدارسة والسليمانيين ثم المرابطين والموحدين، إلى أن جاء عهد بنو زيان وبنو مرين حيث شهدت نهضة حقيقية في مختلف المجالات، وتحولت إلى منارة علمية ومركز إشعاع ثقافي في العالم الإسلامي عموما وبلاد المغرب خصوصا<sup>2</sup>.

و خلال الفترة الحديثة عاشت تلمسان اضطرابات كبيرة لم تحسم إلا سنة 962هـ 1554-1555م بإعلان صالح ريس دخولها رسميا إلى الدولة الجزائرية ونهاية حكم الزيانيين<sup>3</sup>، ومنها دخلت المدينة مرحلة جديدة في تاريخها المرتبط بالحكم العثماني.

قدمت المصادر معلومات هامة عن مدينة تلمسان منذ بداية القرن 10هـ/16م في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فقد وصفت بالمدينة الكبيرة السهبية ذات المنظر الجميل المفصولة بسور إلى قسمين، وبجامعها المليح المشع، وأهلها ذوو الأخلاق الحسنة<sup>4</sup>، وأضاف آخر أنها تتكون من فئات اجتماعية مختلفة كالتجار والصناع، والنبلاء

<sup>1</sup> مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص:162.

<sup>2</sup> الأعرج عبد الرحمن، الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، دورية علمية محكمة، العدد 2، جانفي 2015، ص:126.

<sup>3</sup> محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص:234.

<sup>4</sup> أبو عبد الله محمد العبدري، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، د.ت، ص:09.

وهم كبار الصناع والمحاربين ويتمتع الكل بالتحضر<sup>1</sup>، كما يشكّل اليهود مكونا أساسيا في المدينة حيث وصل عددهم ثلاثة آلاف يهودي وهم يمارسون صناعة الحلي<sup>2</sup>، ويؤكد حسن الوزان الذي زار المدينة سنة (916هـ/1517م) نفس الانطباع عن المدينة في نشاطها ومكوناتها فهي مدينة التجار والصناع بامتياز حسب شهادته<sup>3</sup>.

ورغم إقرار الكثير من المصادر بفقدان المدينة لأهميتها ودورها الاقتصادي، نتيجة التحرش الإسباني، ودخول العثمانيون إليها وهجرة أعيانها إلى المغرب، وهذا ما وقف عليه الصحفي ماثيو كيري في نهاية القرن 11هـ / 18م عندما زار تلمسان وقال عنها: " كانت عاصمة لمدينة رائعة، فيها 150 مسجدا و 160 حماما عموميا، ومنذ توقفها كمركز لحكومة مستقلة، فإنها انكشفت لتصبح آثارا وخرابا، وتقلص عدد المساجد إلى ثمانية وحماماتها إلى أربعة، ومعظم سكانها فقراء<sup>4</sup>."

وبالمقابل يجب أن لا نتغاضى عن بعض الحقائق وهي أنه برغم تراجع دور المدينة نسبيا، إلا أنها لم تفقد مكانتها الحضارية ويعود ذلك إلى ثلاثة عوامل أساسية وهي:

- انتعاش الحركة العلمية والثقافية والاقتصادية نتيجة اتصال أهل تلمسان بالأندلسيين المهاجرين إلى مدينتهم، حيث حملوا معهم علومهم وآدابهم وفنونهم، ونظموا حلقات تعليم بالمدارس والمساجد خاصة بالمسجد الجامع الذي تحوّل إلى معهد للتدريس لا يقل أهمية عن جامع الزيتونة والقرويين، فبرز عدد وافر من العلماء في الأصول والتفسير والتوحيد والعلوم اللسانية والرياضية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كريخال مرمول، المصدر السابق، ج2، ص:300.

<sup>2</sup> - Danty (P) op. cit . p-p : 170- 171.

<sup>3</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص - ص: 19-21.

<sup>4</sup> ماثيو كيري، مختصر تاريخ الجزائر، ترجمة علي تابلت، منشورات ثالة، الجزائر، 2013، ص:16.

<sup>5</sup> محمد الظمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص: 221.

- دور ومكانة موقع تلمسان فهو على الطريق الرابط بين فاس وتونس من جهة وبين البحر وحواضر الصحراء من جهة أخرى، ما جعلها ملتقى لكل الثقافات المشرقية والمغربية، واحتفظت بكونها دارا لكبار بيوتات العلم في البلاد الجزائرية<sup>1</sup>.

- عدم إهمال إصلاحات الباي محمد الكبير الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتقريبه من العلماء، وتشجيعه ودعمه لبناء المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس والزوايا<sup>2</sup>.

وبفضل هذه العوامل عاد النور إلى تلمسان بإحياء الحياة العلمية والفكرية من خلال ظهور مجموعة من الأدباء والعلماء في مختلف التخصصات منهم الفقيه ابا عبد الله بن محمد بن العباس، وشقرون التلمساني، محمد أحمد التلمساني وابن مريم و المنداسي وغيرهم، الا أن هذه الحركة الثقافية والفكرية لم توت ثمارها الا مع القرن 11هـ/17م بظهور شخصية لامعة، وهي أحمد المقري<sup>3</sup>، الذي خلف ثروة أدبية وعلمية ممتعة نثرا وشعرا وأهمها مؤلفه الشهير نفح الطيب<sup>4</sup>

\* معسكر:

قرية قديمة عظيمة يعود أصلها لبني زيان ملوك تلمسان اتخذوها قاعدة عسكرية تجمع ما حولها من العساكر لرقابة بلادهم من هجمات أعدائهم أجلاب بني توجين و مغراوة<sup>5</sup>، اتخذها العثمانيون عاصمة لإقليم الغرب الجزائري وأطلقوا عليها اسمها القديم أم العساكر أي

<sup>1</sup> الأعرج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص:126.

<sup>2</sup> بن عتو بلبروات، الإصلاح الثقافي للباي محمد الكبير بمدينة معسكر، حولية المؤرخ، العدد413، 2005، ص:197.

<sup>3</sup> أحمد المقري (986هـ-1051هـ/1577-1632): فقيه، أديب ورحالة ولد بتلمسان وتعلم بها، ثم رحل إلى المغرب وتولى الإفتاء بفاس، رحل إلى الحجاز وتونس واستقر بالقاهرة كما أقام بدمشق وذاع صيته بها، ترك مؤلفات شهيرة منها: روض الآس العاطرة الأنفاس، أنهار الرياض في أخبار القاضي عياض، نفح الطيب وغيرها، ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر، الجزائر، ج2، 2009، ص: 166، 179.

<sup>4</sup> محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص: 241.

<sup>5</sup> محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص:22.

معسكر الجيوش على خلاف اسمها الحالي معسكر<sup>1</sup>، وعرفت المدينة تطورا عمرانيا هائلا في عهد الباي محمد الكبير، حيث أقام بها المدارس والمساجد و الزوايا ومختلف المرافق العامة (الحمامات- توصيل المياه- الأسوار) التي كان لها انعكاس كبير على الحياة العلمية والفكرية، حيث قصدتها العلماء والتجار منهم سيدي أحمد المختار، وحفيده سيدي مصطفى، و من علمائها نذكر السيد محمد بن عبد الله الجاللي، والسيد طاهر بن حوا الكبير وولده السيد محمد والعلامة الشيخ المشرفي وغيرهم<sup>2</sup>.

وهكذا ارتبطت شهرة معسكر بالعهد العثماني وعدت حاضرة العلماء والصلحاء والفقهاء وعليه قيل أن كل دومة<sup>3</sup> في غريس بولي صالح، ولذا يعد سهل غريس وحواضر هذه المدينة<sup>4</sup> من أكثر المناطق في الجزائر خلال الفترة العثمانية إشعاعا علميا وثقافيا.

#### \* وهران:

مدينة على ساحل البحر اختطها ملوك مغراوة قبل الإسلام وامتد بها العمران وخربتها البربر أيام عبد المهدي، وأعيد بناؤها سنة 197 هـ فانتسعت خطتها، وامتد عمرانها، وصارت

<sup>1</sup> عبد الرحمان التجيني، إيضاح الغميس وأنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس، دراسة وتعليق، العربي بوعمامة و حمدادو بن عمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط1، 2013، ص:24.

<sup>2</sup> محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص:221 .

<sup>3</sup> -الدومة: هو شجر المقل، أي نبات كثيف تصنع منه القفف، الكراسي والمكانس، وهو نبات معروف عند أهالي المنطقة.

<sup>4</sup> -مازونة: من أبرز حواضر الغرب الجزائري وأشهرها خلال العهد العثماني، وقد اتخذت كعاصمة لبابك الغرب قبل معسكر، تأسست المدينة سنة 565هـ/1170م من طرف بني منديل ابن عبد الرحمان المغراوي، وسميت باسم إحدى فصائل مغراوة الزناتية "مازونة"، عبد الرحمان الجليلي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ج2، ص:17.

دار علم وتجارة وقصدها الناس من كل الجهات<sup>1</sup>، وفي القرن 4هـ بنى جامعها الكبير بلكين بن زييري<sup>2</sup>.

حظيت مدينة وهران قبل الاحتلال الاسباني لها بزيارة كثير من الرحالة الذين قدموا وصفا مس عديد الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، منها وصف أحدهم "مدينة حصينة ذات مياه سائحة، وأرجاء وبساتين ولها مسجد جامع"<sup>3</sup>، وأضاف آخر: "...وعمران على مقربة من البحر وعليها سور تراب متقن وبها أسواق مقدره وصنائع كثيرة وتجارة نافقة وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الأندلس... ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسى المراكب الكبار والسفن السفرية.... وفي أهلها دهقنة وعزة نفس ونخوة"<sup>4</sup>، ويذهب ياقوت الحموي الى نفس الوصف إذ يقول: "مدينة صغيرة على ضفة البحر وأكثر أهلها تجار..."<sup>5</sup> ولم تزل المدنية على ذلك إلى أن استولى عليها الاسبانيول سنة خمس عشرة وتسعة (1509م)، وقبعت تحت الهيمنة الاسبانية زهاء ثلاثة قرون، رغم محاولة السلطة المركزية بالجزائر تحريرها عبر عدة مراحل، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا في عهد محمد الكبير سنة 1207هـ/1792م<sup>6</sup>، والذي أعاد للمدينة مكانتها وحيوتها من جديد بفضل اصلاحاته العمرانية والاقتصادية والاجتماعية ونقل إليها مقر قيادة بايلك الغرب.

<sup>1</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 18، 19.

<sup>2</sup> - بلكين بن زييري: تولى إمارة افريقيا الشمالية بعهد من الخليفة المعز الفاطمي 361هـ/972م واشتهر بالشجاعة والذكاء وقوة الشخصية واستطاع توحيد المغرب الأوسط وتحقيق الاستقرار به توفي 373هـ/984م، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ج1، ص: 246، 247.

<sup>3</sup> - البكري، المصدر السابق، ص: 252.

<sup>4</sup> - الإدريسي، المصدر السابق، ص: 105.

<sup>5</sup> - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صارت، بيروت، ج5، 1957، ص: 385.

<sup>6</sup> - يحيى بو عزيز، مساجد وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص: 63، 64.



## 2- المراكز:

واكبت الحياة العلمية والفكرية في الجزائر خلال الفترة الحديثة مراكز مختلفة كالمدراس والزوايا والمساجد والكتاتيب ودور المكتبات العامة والخاصة، وكلها ساهمت في دفع عجلة الحركة العلمية والثقافية طيلة العهد العثماني وضمنت الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية بعد سقوط البلاد في براثن الاستعمار.

وسنحاول في هذا البحث التركيز على هذه المراكز في مختلف نواحي الوطن، من حيث انتشارها ودورها وفعاليتها وسيرتها التاريخية وأهم هذه المراكز ودورها في الإشعاع العلمي والثقافي داخل البلاد وخارجها لاسيما مع القطر التونسي والجهود المبذولة في تطوير هذه المؤسسات سواء من قبل السلطات المركزية أو المحلية خاصة دور مؤسسة الأوقاف.

## أ- المساجد:

يمثل المسجد النواة الأولى كمؤسسة تعليمية ودينية وثقافية في حياة الأمة الإسلامية، وهو مركز للإشعاع الحضاري والفكري، ومكان للعبادة والراحة النفسية وهو يؤدي أدوارا مختلفة فهو المدرسة والجامعة والمحكمة والبرلمان (التشاور).

ونظرا لأهمية المساجد فقد أعطت السلطة السياسية اهتماما كبيرا لها من خلال بنائها وتزيينها والإشراف عليها عبر مختلف العصور، وقد شهدت الجزائر خلال الفترة العثمانية نموا كبيرا في عدد المساجد بفضل إعطاء حكامها أهمية لهذه المؤسسات كونها جزء من واجبهم الديني خدمة للمجتمع الإسلامي، ومساعدته في تأدية الشعائر الدينية، وكسب عطف

الرعية، وربما للشهرة أيضا<sup>1</sup>، وقدمت كل التسهيلات للأفراد والجامعات للمساهمة في تشييدها من طرف السلطة الحاكمة<sup>2</sup>.

ولذا يمكن القول أن المرحلة العثمانية بالجزائر كانت متميزة من خلال الاعتراف بالمساجد وصيانتها والاهتمام بالقائمين عليها، وتخصيص جزء هام من الأوقاف للإنفاق على خدمة بيوت الله سواء الأئمة أو القراء و الطلبة أو القائمين بشؤونها كما هو الشأن للمساجد العظمى في مختلف المدن كالعاصمة وقسنطينة وتلمسان ومعسكر ووهران.

وصل عدد المساجد بالجزائر العاصمة قبل الاحتلال الفرنسي إلى 109 مسجدا للصلوات الخمس، و13 مسجدا جامعا<sup>3</sup> و32 مصلى<sup>4</sup> ويعتبر المسجد الكبير<sup>5</sup> وجامع كتشاوة<sup>6</sup> وجامع القشاش<sup>7</sup> ومسجد الحواتين<sup>8</sup> (المسجد الجديد) ومسجد السيدة<sup>9</sup> أهم المساجد خلال الفترة العثمانية بالجزائر.

<sup>1</sup> - وزارة الإعلام والثقافة، مجلة الثقافة، العدد 63، الجزائر، 1981، ص:12.

<sup>2</sup> - الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم 14، العلية رقم 05، حكم رقم 609 بتاريخ 978هـ، ص:430.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، دار الأئمة، الجزائر، ط1، 2007، ص:30،31.

<sup>4</sup> - Devoulx (A), notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d' Alger, R.A , , n° 05 Adolphe Jourdan, libraire, éditeur , 1861, p :389.

<sup>5</sup> - المسجد الكبير: أسسه يوسف بن تاشفين و أعطاه العثمانيون اهتماما كبيرا، حيث كان مقرا للمفتي المالكي وبه مجلسا شرعيا ينعقد أسبوعيا بحضور المفتين المالكي والحنفي والقاضيين المالكي والحنفي وكبار العلماء للفصل في القضايا الشائكة. نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، دت، ص:155، 163.

<sup>6</sup> - مسجد كتشاوة: بني في العهد العثماني سنة 1792 بالقرب من القصبة بمدينة الجزائر العاصمة. نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص:164.

<sup>7</sup> - جامع القشاش: يسمى أيضا بالجامع القديم، وتعود تسميته لأحد الاولياء الصالحين، وتتبعه زاوية تحمل نفس الاسم ويعد من أحسن جوامع مدينة الجزائر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص:253.

<sup>8</sup> - مسجد الحواتين: يشغل مساحة بين نهج -أ- فرانس وساحة الشهداء وحي أول نوفمبر -ج-.

<sup>9</sup> - مسجد السيدة: بني سنة 1564م وهو مسجد حنفي. مريضة لنوار، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، العدد 34، آب، 2017، ص: 121.

وفي قسنطينة برزت مجموعة من الجوامع بناها مختلف البايات الذين تداولوا على حكم المدينة ووصل عددها 05 مساجد كبيرة وبين 70 إلى 80 مسجدا صغيرا للصلوات الخمس<sup>1</sup>، وتميزت هذه المساجد بجمالها الفائق حيث زينت بالرخام الرفيع (المرمر) خصوصا جامع سوق الغزل<sup>2</sup>، جامع سيدي لخضر<sup>3</sup>، جامع سيدي الكتاني<sup>4</sup>، جامع القصبية<sup>5</sup>، وجامع رحبة الصوف<sup>6</sup>.

أما في الغرب الجزائري فقد برزت مساجد كثيرة جاءت في مقدمها مساجد مدينة تلمسان التي وصل عددها حوالي 50 مسجدا، كانت في معظمها صغيرة وأشهرها التي أسست في العهود الإسلامية الأولى وهي مسجد أغادير، المسجد الكبير، مسجد أبي الحسن التنسي مسجد أولاد الامام، مسجد إبراهيم المصمودي، مسجد أبي مدين العباد، مسجد سيدي الحلوي، وبلغ عدد مساجد مستغانم 11 مسجدا، أهمها المسجد الكبير الذي يوجد وسط المدينة الذي شيد ما بين 1340-1341هـ<sup>7</sup>.

أما مساجد مدينة معسكر فأهمها المساجد الثلاثة الرئيسية: مسجد السوق، المسجد العتيق و المسجد الكبير، وقد استفادت هذه المساجد من اصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية والثقافية، كما شيد المسجد الكبير في عهده وهو المعروف باسمه، ويعتبر هذا المسجد من أهم و أروع مساجد الإيالة. وحظيت مازونة بكثرة مساجدها المرتبطة بالمسجد

<sup>1</sup> - عبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 94.

<sup>2</sup> - جامع سوق الغزل: بناه الباي حسن سنة 1730، ويسمى الجامع الأعظم. عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 214

<sup>3</sup> - جامع سيدي لخضر: بناه الباي حسن بن حسين الملقب ابو حنك عام 1157 هـ/1743م. نفسه، ص: 217.

<sup>4</sup> - جامع سيدي الكتاني: بناه الباي صالح بن مصطفى عام 1190هـ/1776م. رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص-ص: 183-187.

<sup>5</sup> - جامع القصبية: بني قبل العهد العثماني، عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص: 352.

<sup>6</sup> - جامع رحبة الصوف: بناه رجب باي(1077-1084هـ/1666-1674م)، نفسه، ص: 416.

<sup>7</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 250.

المركزي وسط المدينة، ونفس الشيء يقال عن مدينة وهران التي زخرت بمساجدها لا سيما ما بني في العصر الحديث كمسجد الباشا، مسجد الباي محمد الكبير "المستشفى"، مسجد الباي محمد الكبير المعروف "مدرسة خنق النطاح" ومسجد سيدي الهواري<sup>1</sup>.

وعرف الجنوب الجزائري وجود مساجد كثيرة أدت نفس الأدوار المنوطة بها في مجالات مختلفة أهمها الجانب العلمي، وتأتي منطقة وادي ريغ في المقدمة من حيث عدد مساجدها<sup>2</sup> وأهمها مسجد السادة الإباضية القديم الذي تحوّل إلى مسجد للسادة المالكية وأصبح يعرف بالجامع الكبير<sup>3</sup>، والمسجد الكبير بتقرت<sup>4</sup>، ومسجد سيدي عبد الله المغراوي بتماسين الذي بني عام 1792 ومسجد القبة الخضراء 1804 الذي بناه الحاج علي التماسيني، والجامع الكبير بتماسين الذي يحتوي صحنه على 45 قبة (18م)، ومسجد الحاج علي ومسجد سيدي فتية (17م)، ومسجد سيدي خليل.

ولعب الجامع الكبير المعروف بجامع سيدي مبارك ببسكرة دورا كبيرا في انتعاش الحياة الفكرية والعلمية بالمدينة خلال القرن 12هـ / 18م<sup>5</sup>، وكان جامع سيدي عبد القادر الجيلالي بورقلة ملتقى للنشاط الاجتماعي والثقافي وكذا المسجد الخاص بأتباع المذهب الإباضي الذي أعجب به العياشي أثناء مروره بالمنطقة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - مبروك مهييريس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص-ص: 37-51.

<sup>2</sup> - عبد الحميد قادري، التعريف بوادي ريغ، الآمال للطباعة، الوادي، ط1، 1999، ص-ص: 48-50.

<sup>3</sup> - المسجد الجامع (الجامع الكبير): تحفة فنية فريدة بمنطقة وادي ريغ أسسه الشيخ ابراهيم بن جلاب سنة 1220هـ، وكان هذا المسجد كعبة الزوار ومحطة رحال العلماء. ينظر: ، الجمعية التاريخية الوفاء الشهيد تقرت، أعمال الملتقى الثالث فترة حكم بني جلاب لمنطقة وادي ريغ ، الآمال للطباعة ، الوادي، ط1 ، 1999، ص: 63.

<sup>4</sup> - تحفة فنية بناه أحد مشايخ الجلالة بعد استعانته بمختلف النحاتين والبنائين من نفطة وتونس والوادي، فكان غاية في الجمال خاصة قيته المنمنمة ومحرابه المزخرف ومنبره المنقوش، عبد الحميد القادري، المرجع السابق، ص: 48.

<sup>5</sup> - لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 126.

<sup>6</sup> - ناصر الدين سعيدوني، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 74.

ومع بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد تراجع وتقلص عدد المساجد بشكل ملفت للانتباه بسبب الإهمال الذي مسها وسياسة محاربتها في إطار استراتيجية التنصير والقضاء على المعالم الإسلامية، وذلك بتحويل جزء كبير منها إلى ثكنات ومستودعات وإسطبلات وإزالة البعض الآخر بحجة إقامة مشاريع بناء متاجر وساحات عمومية ومخازن<sup>1</sup>.

وإزداد الوضع تدهورا بسيطرة الحكومة الفرنسية على مؤسسة الأوقاف باعتبارها المحرك الأساسي لمختلف المؤسسات الدينية، وعلى رأسها المساجد، وهو ما أدى إلى نقص عددها وتراجع كبير في دورها، وقد أحصى الرحالة فاغنز بين (1836-1838) وجود 39 مسجدا في مدينة الجزائر وهي مكتظة دائما بالمصلين<sup>2</sup> علما أن عددها كان حوالي 120 مسجد بين كبير وصغير سنة 1830م<sup>3</sup>.

#### ب- المدارس:

المدارس العلمية هي مؤسسات ثقافية تبنى لدارسة العلم أي لتعليمه وتعلمه، ولم تكن هذه المدارس معروفة في أول الإسلام، وإنما كانت دراسة القرآن وسائر العلوم بالمسجد فقط، أو بمواضع لا يطلقون عليها اسم المدرسة، وأول ظهور للمدارس يعود إلى منتصف القرن الخامس الهجري<sup>4</sup> (457هـ) بعد تأسيس المدرسة النظامية<sup>5</sup> ببغداد.

<sup>1</sup> - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص: 20، 33، 66.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 66.

<sup>3</sup> - رشيد دوکالي، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، ترجمة لطيفة بوراية و شفيقة عيساني، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص: 45.

<sup>4</sup> - المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الاصاله، العدد 11، نوفمبر/ديسمبر 1972، ص: 85.

<sup>5</sup> - المدرسة النظامية: أنشئت ببغداد سنة 457هـ لتدريس الفقه الشافعي، ويعتبر أبو حامد الغزالي أشهر مدرسيها بين (484-488هـ). نفسه، ص: 85.

أما عن المدارس بالجزائر فقد سبق تأسيسها العهد العثماني، حيث أولى سلاطين الدولة الزيانية عناية فائقة بالتعليم ومؤسساته خصوصا بناء المدارس والانفاق عليها، ولذا تعتبر مدرسة ابني الإمام<sup>1</sup>، والمدرسة التاشفينية<sup>2</sup>، ومدرسة العباد<sup>3</sup>، والشيخ الحلوي<sup>4</sup>، والمدرسة اليعقوبية<sup>5</sup>، أهم ما خلفه العهد الزياني والتي ظلت مساهمة بعضها قائمة في الحياة الثقافية والعلمية إلى غاية الحقبة الاستعمارية أين هدمت وأغلق الكثير منها.

ومع مطلع القرن 10هـ/16م كثرت المدارس في الجزائر حتى كاد لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف، بل أنها كانت منتشرة حتى عند أهل البادية والجبال النائية، وهو ما جعل الكثير ممن زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينتبهون لكثرة المدارس بها وانتشار التعليم، وندرة الأمية بين السكان، وقد عد بعضهم العشرات من هذه المدارس في البايك الواحد<sup>6</sup>.

وتنقسم المدارس حسب تقرير ديشي في العهد العثماني إلى قسمين، وذلك حسب درجة التعليم المراد الوصول إليها، وهي المساجد والمدارس، ففي المسجد يتعلم الطفل القراءة

<sup>1</sup> - مدرسة ابنا الإمام: أسسها الملك الزياني أبو حمو الأول سنة 718هـ لابني الإمام محمد بن عبد الله وهما أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى قصدها الطلاب من الداخل والخارج وكان أشهرهم عبد الرحمان بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب التلمساني، المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، المرجع السابق، ص: 86.

<sup>2</sup> - المدرسة التاشفينية: تنسب إلى مؤسسها الملك أبو تاشفين الأول - ابن الملك أبو حمو الاول - الذي انتدب لها العالم الشهير أبو موسى عمرات المشدالي البجائي وتخرج على يديه الكثير من العلماء أشهرهم المقري الجد، واستمرت المدرسة في تأدية مهامها إلى سنة 1873، حين هُدمت من طرف الاستعمار الفرنسي، نفسه، ص: 87.

<sup>3</sup> - مدرسة العباد: أسسها الملك أبو الحسن المريني قرب ضريح الشيخ أبي مدين ودرس فيها علماء كثر، من أمثال ابن مرزوق الخطيب المعروف بالجد صاحب كتاب المسند الحسن، وعبد الرحمان بن خلدون، نفسه، ص: 88.

<sup>4</sup> - مدرسة الشيخ الحلوي: بناها الملك أبو عنان فارس المريني الذي خلف والده أبا الحسن، وعرفت المدرسة أزهى فتراتهما أثناء تواجد العلامة أحمد المقري التلمساني بها، نفسه، ص: 89.

<sup>5</sup> - المدرسة اليعقوبية: بناها أبو حمو موسى الثاني - سادس ملوك بني زيان سنة 765هـ - وسماها اليعقوبية تخليدا لاسم والده أبا يعقوب، درس بها علماء فحول من أمثال العلامة الشيخ أبو عبد الله الشريف، نفسه، ص: 90.

<sup>6</sup> - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 274.

والكتابة والقران، ثم ينتقل الى المدرسة ويحمل لقب طالب<sup>1</sup>، وهذه الاخيرة - أي المدارس - موجودة بكثرة بالجزائر والمدن الداخلية، ومجهزة بشكل جيد، وزاخرة بالمخطوطات، ففي الجزائر هناك مدرسة بكل مسجد، يجري التعليم فيها مجانا، ويتقاضى أساتذتها أجورهم من إيرادات المسجد، وكان من بين مدرسيها أساتذة لامعون تتجذب الى دروسهم عرب القبائل<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن المدارس تتبع دائما مسجدا معينا أو زاوية معينة كانت نفقات صيانتها أو الاعتناء بأدواتها تؤخذ من عائدات أحباس ذلك المسجد أو تلك الزاوية وانحصرت برامج جل المدارس في اتقان مواد الشريعة كالعقيدة والحديث والسيرة والتفسير... الخ، ولم تعرف المدارس الجزائرية باقي العلوم الأخرى، كالطب والهندسة والفلك .. إلّا ماجاء نادرا، وان وجدت بعضها كالحساب فلمعرفة الفرائض وأمور الدين<sup>3</sup>، ولم تكن سياسة الحكومة العثمانية في الجزائر مكترثة بالتعليم وشؤونه فقد اعتبر قضية أهلية قلما تدخلت الحكومة فيها، إلّا بقدر دفع التعليم برصد الأوقاف، وصيانة المساجد وتشبيد المدارس وإرضاء رجال الدين<sup>4</sup>.

وعلى العموم فالعهد العثماني شهد تحولات هامة في مسيرة الجزائر التعليمية، وذلك بانتقال المراكز الثقافية من المدن الى الجبال والقرى، واشتهرت عدة معاهد آنذاك في كامل القطر، كمعاهد بني يعلي العجيسي، وعبد الرحمان اليلولي... ثم معاهد الراشدية ومازونة، وانشريس، واليعقوبي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص:213.

<sup>2</sup> - نفسه، ص:214.

<sup>3</sup> - عبد المجيد مزيان، المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة التاريخ، العدد2، الجزائر، 1986، ص:14.

<sup>4</sup> - أبو قاسم سعد الله، بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، مجلة البصائر، العدد 81، (28جانفي- 4 فيفري) الجزائر، 2002، ص:13.

<sup>5</sup> - المهدي البوعبدلي، الثقافة والتوجيه بالجزائر، أشغال مؤتمر الفكر الإسلامي، الجزائر، 1970، ص:07.

والمنتبغ لتوزيع المدارس على مختلف الحواضر الجزائرية خلال الفترة العثمانية يجدها مست كل أرجاء الوطن لاسيما المدن الكبرى منها، فكان بتلمسان زهاء خمس مدارس عليا إضافة إلى مدارس أخرى أقل شأنًا في بداية العهد العثماني، ورغم قول بعضهم بأن تلك المدارس قد اندثرت من تلمسان فإن الفرنسيين قد وجدوا فيها بعد احتلالها خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة ابني الامام والمعروف أن الباي محمد الكبير هو الذي أعاد لمدرستي تلمسان أوقافهما وجددهما، ومن هذه المدارس مدرسة ابني الامام، المدرسة التاشفينية، مدرسة أبي مدين شعيب الغوث بالعباد و المدرسة اليعقوبية<sup>1</sup>.

ففي الغرب الجزائري عرفت الحركة العلمية نهضة حقيقية، فمنذ فتح مدينة وهران اهتم الباي محمد الكبير بتشديد دور العلم من مساجد ومدارس وزوايا، حيث بنى المدرسة المحمدية بمعسكر والتي زخرت بمستواها العالي في التدريس وأشرف عليها أربعة مدرسين، ولأهمية هذه المدرسة أثنى عليها الكثير منهم المؤرخ أبوراس في كتابه عجائب الأسفار<sup>2</sup>.

ولعبت مدرسة الشيخ مصطفى بن المختار<sup>3</sup> الراشدي بالقيطنة دورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية منذ تأسيسها أواخر القرن 12هـ/17م ويكفيها شرفا أن أحد طلبتها هو الأمير عبد القادر وغيره من الخريجين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الأعرج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 128.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص: 13.

<sup>3</sup> - الحاج مصطفى بن المختار لغريسي: مؤسس زاوية القيطنة الواقعة على وادي الحمام قرب مدينة معسكر سنة 1200هـ، ويعتبر الحاج مصطفى من علماء عصره وصلحاته، تردد على الحرمين عدة مرات، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 514.

<sup>4</sup> - ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984، ص: 228.



وتعد مدرسة مازونة رائدة في مجال العلم والفكر حتى أصبحت قبلة لطلاب العلم طيلة العهد العثماني، ومعظم الفترة الاستعمارية ويعود تأسيسها الى أواخر القرن 10هـ/16م حسب معظم الروايات التاريخية<sup>1</sup>، وقد كانت مدرسة مازونة على درجة كبيرة من الأهمية فمن حيث الحجم، كانت قاعة مدرستها تسع ما بين 60 الى 80 طالبا ويعتبر هذا العدد مقياس المراحل الزاهرة، كما عرفت المدرسة قدوم طلبة من مدن عديدة لاسيما ندرومة ومستغانم وتونس وتلمسان، بل حتى من المغرب الاقصى وخاصة منطقة الريف، تخرج منها الكثير من الأعلام من أبرزهم الكاتب والمؤلف أبو راس الناصري، وبهذا تعدت شهرة مدرسة مازونة الحدود الإقليمية<sup>2</sup>.

وعرفت عاصمة بايلك الشرق - قسنطينة- المدارس بنوعها الابتدائية والثانوية وكانت مدارسها أعلى من مدارس الجزائر ووهران ولم تتفوق عليها في مضمار السمعة سوى تونس والقاهرة بالمشرق<sup>3</sup>، وقد تم احصاء 7 مدارس ثانوية<sup>4</sup> وتسعون مدرسة ابتدائية قبل 1830، يتمدرس فيها ما بين ستمائة إلى تسعمائة طالب بالثانوي، وحوالي 1350 تلميذ بالمدارس الابتدائية<sup>5</sup>.

أما في العاصمة، فلم يحص عدد ثابت للمدارس، ومع ذلك اشتهرت بعضها كالمدرسة القشاشية التي أشاد بها أبوراس الناصري أثناء زيارته للجزائر سنة 1214هـ/1800م،

<sup>1</sup>- ينظر: ناصر الدين سعيدري، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص: 196، وأبو القاسم سعد الله، بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص: 13.

<sup>2</sup>- الواليش فتحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994/1993، ص: 161.

<sup>3</sup>- عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 217.

<sup>4</sup>- منها مدرسة ابن فكون ومدرسة ابن أفانوس، والمدرسة الكتانية التي كانت تعتبر من أهم المدارس الجزائرية في تلك الفترة، والتي تأسست في عهد صالح باي (1771-1792)، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص: 537.

<sup>5</sup>- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص، ص: 418-421 وعبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 34.

ومدرسة الجامع الكبير التي استقطبت الطلاب والعلماء من الداخل والخارج<sup>1</sup>، والمدرسة الحسينية، ومدرسة سيدي رمضان، ومدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد وقد وصفتا بمستواهما العالي<sup>2</sup>. وقد عدد المدارس بمدينة الجزائر عند دخول الفرنسيين إليها حوالي مئة مدرسة ابتدائية وغير ابتدائية<sup>3</sup>.

واشتهر الجنوب الجزائري بمدارسه التعليمية التي ارتبطت بالمساجد والزوايا وتعد مدرسة الخنقة التي تنسب إلى مؤسسها أحمد بن ناصر الدرعي 1085هـ أكثرها صيتا وتعرف بالمدرسة الناصرية، وتخرج منها عدد من العلماء منهم أحمد التليلي وخليفة بن حسن القماري<sup>4</sup>، ونفس الدور أدته مدرسة تماسين مقصد العلماء من شنقيط و السودان و المغرب وتونس ومصر ومدن جزائرية واستمدوا منها ما يرجونه من مختلف العلوم<sup>5</sup>.

ونظرا لتنوع العلوم والمعارف فقد صنفت المدارس العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني حسب ما تقدمه من معارف ومناهج، فقد عرفت مدارس الخنقة ومامزونة ومدرسة المسجد الكبير والقشاشية والقيطنة.. الخ باهتمامها بالعلوم الدينية كتحفيظ القرآن وتفسيره وشرح الحديث، وتعليم الفقه، والتوحيد وعلوم المنطق والأصول<sup>6</sup>.

و اشتهرت مدارس سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة وأبي مروان بعنابة، وسيدي بومدين بتلمسان ومدارس ندرومة ومامزونة، ومليانة، وسيدي لخضر والكتانية بقسنطينة، بالعلوم الطبيعية والتجريبية كعلم الفلك والحساب والطب و الصيدلة والاعشاب

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص:164.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 281.

<sup>3</sup> - أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص: 16.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 17.

<sup>5</sup> - حقي محمد التماسيني، النور والسعادة، تحقيق عبد الغاني مسعودي، دار الجائزة، القبة، الجزائر، 2018، ص:67.

<sup>6</sup> - مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص:17.

وغيرها<sup>1</sup>. كما اهتمت مدارس أخرى بعلوم اللغة والأدب والنحو و الصرف والبلاغة والعروض والقوافي، وقواعد الانشاء وعلم القراءات وتصنف مدارس زاوية في مقدمة هذه المدارس.

واعتمدت المدارس مناهج تقوم على مقررات يتحصل فيها الطلاب على إجازات تخرج في مختلف التخصصات، ففي الفقه وأصوله: متن وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومتن وشروح وحواشي مختصر خليل ومتن ابن عاشر وابن الحاجب ورسالة السنوسي بشرح البيجوري، وفي التفسير والقراءات: تفسير ابن عطية وابن الجوزي والثعالبي والشاطبية في القراءات، وفي الحديث ومصطلحاته: موطأ الإمام مالك وصححي البخاري ومسلم ومتن البيهقي وتذكرة القرطبي، وفي التصوف والتوحيد: مصنفات ابن عطاء السكندري والقشيري ومتن الجزرية والإحياء للغزالي، وفي علم الكلام: المقاصد وشرحها للسعد والعقائد النفيسة والابراهيمية للسنوسي، وفي علوم اللغة وقواعدها: متن الكافي في العروض والجواهر المكنون والأجرومية والمغنى وقطر الندى لابن هشام وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل والماكودي والأشمونى، وفي الحساب والفلك والمنطق: كالدرة ومتن السنوسي ومتن ايساغوجي ومتن السلم المرونق<sup>2</sup> ... .

بغض النظر عن نوعية التعليم المقدم من مختلف المدارس العلمية خلال العهد العثماني بالجزائر والذي تباينت الآراء حول مردوديته، فقد وصف الزياتي مدارس تلمسان في نهاية القرن الثامن عشر بضعف التحصيل العلمي والمعرفي لطلابها بقوله: " و هؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقاً ولا لغة ولا عربية لإصلاح اللسان، ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية ..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 17.

<sup>2</sup> - ناصر الدين سعيدوني، ولايات الغرب العثمانية، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، البصائر، الجزائر، 2013، ص: 142.

<sup>3</sup> - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص: 162.

وبالمقابل وصفت كثير من المؤلفات الأوروبية ورحالاتها إلى الجزائر وضعية التعليم في بداية الاحتلال بالمشجعة رغم افتقار الجزائر إلى جامعات ومعاهد على غرار ما كان موجودا في دول الجوار كتونس والمغرب ومصر.. وفي هذا الشأن لاحظ الرحالة الالمانى فيلهام شيمبر الذي زار الجزائر عشية الاحتلال، وفرة المدارس بكثرة خصوصا في المرحلة الابتدائية، وهجرة الكثير من الطلبة لمزاولة دراستهم العليا في تونس والاسكندرية والقاهرة، مع إنعدام الأمية بين الجزائريين حيث قال: "لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا"<sup>1</sup>.

### ج- الزوايا:

تعتبر الزوايا أهم المؤسسات الثقافية والعلمية والاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني لما أدته من أدوار في خدمة العلم والدين والشعب الجزائري ومقاوماته والحفاظ عليها، ولذا نقف في هذا المبحث على مفهوم الزوايا وأهم زوايا الجزائر العلمية.

### 1- مفهوم الزاوية:

\* لغة: تتفق المعاجم اللغوية في أنّ الزاوية هي ركن البيت و جمعها زوايا وتعنى المكان البعيد عن النظر فهم يقولون كم في الزوايا من خبايا و"تزوى" الرجل و"زوى" تزوية و"انزوى" اذا صار فيها<sup>2</sup>، ونفس المعنى يقره صاحب القاموس المحيط في قوله: زواه زيا وزويا نحاه وسيره عنه طواه، والشيء جمعه وقيضه، والزاوية من البيت الركن والجمع زوايا، وتزوى وزوى، وانزوى صار فيها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص:13.

<sup>2</sup> - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، د. ت، د. ط، ج10، ص:125.

<sup>3</sup> - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص:1292.

\* اصطلاحاً: تعددت تعاريف الزاوية من الناحية الاصطلاحية واتفقت في كونها مؤسسة ذات أدوار متنوعة ارتبطت في ظهورها بالحركة وبيروز الطرق، ويمكن أن تقتصر على بعض التعاريف التي تؤدي الغرض في توضيح معنى الزاوية.

فهي عند البعض عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات طابع المعماري الإسلامي، وقد بنيت لأداء وظيفة دينية بحتة، وكثيراً ما شيدت قبابها على أرضحة الأولياء الصالحين أو بنيت تخليداً لذكراهم، ويعود أصل التسمية لانزوائها عن المدينة باعتبار أن معظم الزوايا بنيت في مناطق قروية، أي أنها دائماً في زاوية بعيدة عن المدينة<sup>1</sup>. واعتبرت البناء الديني الذي يشبه المدرسة أو الدير وهي تحتوي على عدة غرف تقوم كل واحدة منها بوظيفة معينة<sup>2</sup>، وأضاف الدكتور سعد الله إلى أن الزاوية تجمع في الغالب بين هندسة المسجد وهندسة المنزل<sup>3</sup>.

يعود ظهور الزوايا في الجزائر إلى فترة مبكرة ارتبطت ببيروز الربط على سواحل البحر الأبيض المتوسط، لكنها توسعت وانتشرت بشكل كبير خلال العهد العثماني الذي كثرت فيه الطرق الصوفية والزوايا التي عمت معظم الأرياف والمدن الجزائرية، في ظل تشجيع السلطة العثمانية للمتصوفة ومنحهم امتيازات خاصة. ولذا وصل عدد الزوايا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى أكثر من 349 زاوية موزعة على مختلف مناطق البلاد، وعادة ما كانت الزوايا تقترن بالمراكز والمؤسسات التعليمية، فكثيراً ما كانت المدرسة تتبعها زاوية<sup>4</sup>.

لقد لعبت الزوايا الطرقية دوراً أساسياً في نشر الثقافة في الأرياف، وأوجدت من التوازن بين الريف والمدينة، وحالت دون تطور الثقافة في المدن خاصة دون الريف، لكن ذلك لا يمنع

<sup>1</sup> - محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، ج1، 1971، ص:42.

<sup>2</sup> - محمد نسيب، المرجع السابق، ص:27.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص:270.

<sup>4</sup> مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص:164.

أن يكون التعليم في الأرياف أقل نسبة منه في المدن<sup>1</sup>. وبفضل هذه الزوايا انتشر العلم بين الطبقات الراقية وقلت الأمية بين الطبقات الوسطى والعامية<sup>2</sup>، وحمي القرآن الكريم من النسيان والاندثار، وحفظت اللغة العربية والثقافة الإسلامية بفضل ما انفقت بسخاء على تعليمها وتدريسها ونشرها بين كل أوساط المجتمع. وكان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة في أوسع مجالاتهما، وخرّجت أجيالا من العلماء الكبار والفقهاء المبرزين والقضاة. كما أن زوايا الطرق الصوفية كانت بمثابة مخازن أو دواوين للكتب والمخطوطات العلمية في مختلف أنواع العلوم والفنون والمعارف، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وطلابها بالعلم والتعليم، والنقل والنسخ للكتب و التآليف والجمع والشراء<sup>3</sup>.

وقد أقر أحد القادة الفرنسيين الدور الرائد للطرق الصوفية وزواياها عام 1250هـ/1834م حين قال " إن العرب كانوا يتقنون كلهم القراءة والكتابة وفي كل قرية توجد مدرستين". إن الطرق الصوفية وزواياها لعبت دورا كبيرا في تكوين النخب الجزائرية في جميع أنحاء القطر الجزائري، فقد أنجب على سبيل المثال الغرب الوهراني ومدينة معسكر وسهل غريس علماء أجلاء ومحدثين ومقرئين ومؤرخين وكتاب السير والشعراء والرحالة، وبرزت عائلات بحالها توارثت العلم والوظائف العلمية، كالقضاء والإفتاء والإمامة والخطابة والتدريس، ومن ضمنها عائلة الخروبي، وعائلة المشارف وعائلة بن بروكش، وعائلة أبو راس الناصري، وعائلة بن التهامي، وعائلة الشيخ مصطفى وابنه محي الدين المختاري، وعائلة الشرفاء اليشيريين بالوادي المبطوح قرب سيق، واهتمت هذه العائلات بتأسيس الزوايا، ومعاهد العلم والمدارس للتعليم والتدريس والإقراء والإفتاء، وكان لأعيان غريس اعتناء كبير بالدين وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الأخرى اللغوية والفقهية والأدبية، والعقلية الصوفية وكذلك

<sup>1</sup> امبارك الملي، المرجع السابق، ص: 317.

<sup>2</sup> أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص: 129.

<sup>3</sup> يحي بوعزيز، الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 2، أبريل 1996، ص: 204،

الرياضيات والفلك، ولهذا كان كل واحد منهم يؤسس لنفسه زاوية لطلبة العلم ويوظف بها أجلة العلماء والمدرسين ليقصدها الطلبة من كل الأفاق<sup>1</sup>.

وكان التعليم في الزوايا الكبرى زاهرا، فكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر الجزائري. على غرار المدارس الأخرى التي ناهز عددها الألف، كما توجد معاهد في الجزائر العاصمة، قسنطينة، مازونة، تلمسان ووهران<sup>2</sup>.

## 2- أهم الزوايا الطرقية التعليمية:

اشتهرت زوايا عديدة في هذا المجال- التعليم- منها زاوية تيزي راشد (زاوية ابن عرب) يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة، وأخرجت زاوية محمد التواتي أجيالا من المتعلمين وظلت على عهدها إلى غاية سنة 1228هـ حين أمر حسين باشا بغلقها. وكانت تضم أكثر من مائتي طالب وزاوية الأزهرى بايت إسماعيل الرحمانية<sup>3</sup>.

وحظيت الزاوية التجانية بعين ماضي بمكانتها العلمية منذ تأسيسها حتى قيل عنها أن أهلها كلهم طلبة علم<sup>4</sup>. وكثر طلاب زاوية سيدي الشيخ ومريديها لحفظ القرآن منذ القرن 10هـ /16م، وحوث زاوية محمد بن عاشور عدد هائل من الطلبة والعلماء منذ تأسيسها سنة 1812م على يد الشيخ المختار بن عبد الرحمن<sup>5 6</sup>.

<sup>1</sup>- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص: 228، 229.

<sup>2</sup>- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2009، ص 266.

<sup>3</sup>- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص: 317.

<sup>4</sup>- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 359.

<sup>5</sup>- المختار بن خليفة بن عبد الرحمن الجلابي (1202هـ-1788م/1277هـ-1860م) مؤسس الزاوية المختارية، له

مجهود جبارة في نشر التعليم و التصوف بمنطقة الزاب، الحفناوي، المصدر السابق، ص: 558.

<sup>6</sup>- عباس كحول، زوايا الزيبان العزوية، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، الجزائر، 2013 ص: 76، محمد نسيب، المرجع السابق، ص: 58، 59.

وأشتهر إقليم توات في الجنوب الجزائري بكثرة زواياه الطرقية التي ساهمت في نشر التعليم والحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية كالزاوية البكرية بتمنطيط التي تأسست منذ بداية القرن الثاني عشر الهجري (18م) . وذاع منها علماء كعبد الكريم محمد والد الشيخ البكري مؤسس الطريقة، إضافة إلى علماء في قورارة، تيممون، قصر أولاد سعيد مثل الشيخ الفقيه محمد بن عبد العزيز بن محمد المدرس الكبير بالمنطقة والذي اشتهر أيضا بكثرة نسخ الكتب<sup>1</sup> .

وانقسمت الزوايا التعليمية حسب وظيفتها إلى قسمين : القسم الأول وهو الزوايا التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، أما القسم الثاني فهو الزوايا التي تدرّس فنون الوقت (الفقهيات، العقائد قواعد النحو والصرف، فنون البلاغة، المنطق و علم الفلك) ولا تستقبل إلا المستظهرين لكتاب الله<sup>2</sup> .

أما اهتمامات التعليم لدى الطرق الصوفية فقد تكاد تكون منحصرة في التعليم الديني كتحفيظ القرآن الذي هو أساس بداية المتعلم، ثم يتدرج تعلم العلوم الأخرى كالفقه والحديث والتوحيد والقراءات والتصوف وعلوم اللغة (النحو، الصرف، فقه، اللغة، البلاغة، العروض والحساب) ولم تكن العلوم التجريبية والتاريخية أولويات هذه الطرق<sup>3</sup> .

#### د - الكتاتيب والمعمرات:

##### 1- الكتاتيب:

وهي جمع كتاب وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة<sup>4</sup>، ووظيفتها الأساسية تحفيظ القرآن الكريم للأطفال، ويعود تأسيسها إلى ضرورة فصل التعليم القرآني عن المسجد بغرض

<sup>1</sup> - أحمد مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص: 188 ، 189.

<sup>2</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 58-59.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص- ص: 350-353.

<sup>4</sup> - حسن عزوزي، التأليف في القراءات في المغرب والأندلس، مجلة الحضارة الإسلامية، 1993، ص: 241.



المحافظة على نظافته و وقاره، وتوفير متطلبات أداء الصلوات الخمس في جو من الخشوع والطمأنينة<sup>1</sup>.

استعملت أماكن مختلفة في التعليم القرآني أطلق عليها الكتاب، كالدكاكين أو غرفة بجانب مسجد، أو غرفة مفتوحة من منزل في حي معين، وعادة ما يسمى الكتاب بالحي أو الشارع أو المنزل الذي يقع فيه، وقد رادف مصطلح المسيد في الجزائر العاصمة خلال العهد العثماني تسمية الكتاب وهي محرفة من تصغير كلمة مسجد<sup>2</sup>.

وتتم طريقة الدراسة داخل الكتاتيب بجلوس الأطفال في شكل دائري على الحصير، ويقوم المعلم بإملاء عليهم الآيات القرآنية كل حسب تدرجه في الحفظ، وتدون على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال ومكتوبة بأقلام مصنوعة من القصب وصمغ (حبر) مصنوع من صوف الأغنام المحروق، وبعد الكتابة والتصحيح في فترة الصباح يتمرن الأطفال على القراءة الأولية ثم يتلونه في المساء، ويقرؤونه بأصوات جهورة إلى أن يتم حفظ الجزء المكتوب، ثم يحونه في صباح اليوم الموالي، وهكذا تتم عملية الحفظ بصورة دورية ودائمة إلى أن يتم ختم القرآن الكريم كله<sup>3</sup>.

وقد انتشرت الكتاتيب في القرى والمدن وفي جميع الأحياء، ولعبت دورا هاما في تحفيظ القرآن الكريم الذي هو أساس الثقافة الإسلامية، وتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة، والمساهمة في بناء رصيدهم المعرفي، ورفع الأمية عن المجتمع بشكل أساسي، فالكتاتيب كانت تعد شعبا متعلما محصنا ومحافظا على خصوصية العربية الإسلامية ومقاوما لسياسة التغريب والتمسيح المسلطة عليه لاسيما إبان الحقبة الاستعمارية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - مجلة الثقافة، المرجع السابق، العدد:63، ص:13.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 276، 277.

<sup>3</sup> - مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص:18.

<sup>4</sup> - نفسه، ص:19.

## 2- المعمرات:

وهي مؤسسات ثقافية تشبه الكتاتيب القرآنية ظهرت خلال العهد العثماني ببلاد القبائل<sup>1</sup> وهي نوع من المعاهد فلاهي زاوية ولا رباط، أطلق عليها اسم المعمرة، تقوم بمهمة تحفيظ القرآن وتعليمه، ودراسة العلوم، ولها أحباس معتبرة وقوانين داخلية صارمة تسيير عليها<sup>2</sup>. يقوم التلاميذ الدارسين في المعمرات بأعمال النظافة والصيانة وتحضير الطعام وجلب المياه وتنظيف المئذن الغذائية، والقيام برعي الحيوانات المحبوسة للمعمرة وجني الزيتون، وكانت كل هذه الأعمال تتم دوريا، وبصفة منتظمة في إطار أدوار متداولة ومتعارف عليها بين التلاميذ الدارسين بهذه المعمرات<sup>3</sup>.

وينقسم طلبة وتلاميذ المعمرات الى عدة فئات حسب السن والقدم والمستوى الدراسي وهي مصنفة كما يلي:

- 1- فئة القدادشة: وتتكون هذه الفئة من التلاميذ الصغار الراغبين في حفظ القرآن.
- 2- فئة الطلبة: وهم أكبر سنا من القدادشة، وأقدمهم داخل المعمرات ويتركز اهتمام فئة الطلبة في حفظ القرآن الكريم، وتعلم بعض العلوم الدينية واللغوية، ويتولون إلى جانب ذلك الإشراف على فئة القدادشة في تحفيظ القرآن، والقيام بمختلف الأشغال التي تتطلبها المعمرة.
- 3- فئة المقدمين والوكلاء والشيخو الكبار: وهي الفئة الأكبر سنا في المعمرة وأعلى مستوى تقوم بمهمة التوجيه المادي والفكري وتتمتع بكل الصلاحيات في حل المشاكل المطروحة بالمعمرة وهي معفية من كل الأعمال اليومية التي تقوم بها الفئة الأولى والثانية.

<sup>1</sup> مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص: 149.

<sup>2</sup> محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت، ص: 31.

<sup>3</sup> مجلة الثقافة، المرجع سابق، العدد 63، ص: 21، 22.

عملت المعمرات رغم ظروفها الصعبة على تعليم العلوم الدينية واللغوية الى جانب احتضانها للتلاميذ الفقراء، وإيواء المساكين وتقديم المساعدات المادية والثقافية مجاناً للطبقات الاجتماعية المحرومة الأمر الذي أدى الى تكوين أجيال من المثقفين عملوا على نشر المعرفة العلمية والحد من الجهل والامية بين فئات الشعب في المدن والأرياف<sup>1</sup>.

وأبرز هذه المعمرات معمرة سيدي عمر الحاج على ساحل دلس، معمرة سيدي أحمد بن دريس بمنطقة العزازقة، معمرة الشرفة قرب العزازقة، معمرة سيدي فريخة ببني ورتيلان و معمرة سيدي عبد الرحمان بوقبرين...الخ.

## ثانياً: الحواضر والمراكز العلمية في تونس.

### 1- الحواضر:

تزخر البلاد التونسية بمدن عريقة وقديمة لها مقومات حضارية وتاريخية، ساهمت في الحياة العلمية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية على مر العصور التي عاشتها تونس ولاسيما في الفترة الحديثة وبرز تأثير هذه المدن التي تحولت إلى حواضر ثقافية وعلمية داخليا وتعدتها الى التأثير على دول الجوار باستقطابها للعلماء والطلبة من مختلف الدول المغاربية كالجزائر وليبيا والمغرب، وباعتبار الجزائر بوابة لتونس من الجهة الغربية تشكلت روابط ثقافية وعلمية بين القطرين سنحاول في هذا المبحث إبرازها والتعرف على أهم الحواضر والمراكز العلمية بالقطر التونسي.

<sup>1</sup> - مريوش وآخرون، المرجع سابق، ص: 20، 21.

## أ- حواضر الشمال

## \* القيروان:

بنيت من طرف والي إفريقيا الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري سنة 55هـ/674م كمقر وقاعدة للجيش الإسلامي الفاتح لبلاد المغرب<sup>1</sup>، وكان للدولة الأغلبية الدور الكبير في رسم ملامح المدينة وبناء معالمها الكبرى التي اشتهرت بها حتى أيامنا هذه.

تقع المدينة بمحاذاة الساحل الشرقي وتمتد في سهل رملي قاحل لا تنبت فيه أشجار ولا حبوب<sup>2</sup>، ورغم ذلك فإنها قادت الحركة العلمية في البلاد إلى أواخر المائة السادسة<sup>3</sup> وازدهرت العلوم بها حتى أن معظم فقهاء إفريقيا من المتخرجين منها<sup>3</sup>.

ورغم تراجع الحركة العلمية والفكرية بالقيروان وفقدانها الزعامة الثقافية لصالح مدينة تونس، وهذا ما لاحظته الكثير من الرحالة عبر مختلف المراحل، حيث فقد أهلها سمة العلم والتحضر "وخفت نفس العلم بينهم فلم يبق به رمق وكسدت سوق المعارف بينهم... وقد كانت مأوى للعلماء والصلحاء ولكنها الأيام إذا أعطت أخذت<sup>4</sup>، إلا أن المدينة الداخلية ظلت أقدس المدن التونسية عند التونسيين وأعظمها آثارا، كمقبرة المدينة لما فيها من صحابة وتابعين وصلحاء وعلماء أجلاء كالحسن بن رشيق<sup>5</sup> الوافد إليها من المسيلة سنة 406هـ.

<sup>1</sup> - أبو عبد الله الوزير، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، المطبعة التونسية، 1987، ط1م، تونس، ص، 78.

<sup>2</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص، 90.

<sup>3</sup> - محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، تحقيق علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، سوريا، 1971، ص: 8.

<sup>4</sup> - أبو عبد الله العبدري، رحلة العبدري، المصدر السابق، ص- ص: 157- 159.

<sup>5</sup> - الحسن بن رشيق: من بلغاء وأفاضل وأبرز شعراء القيروان أصله من الجزائر (المسيلة).

وخلال الفترة الحديثة نمت المدينة وتوسعت مساحتها وكثر ساكنتها حيث وصل عددهم في بداية القرن 19م الى حوالي 600 منزل<sup>1</sup> وهو ما يقارب الثلاثون الف ساكن، وتحولت إلى مركز لرجال التصوف ومدعي الصلاح والزهد<sup>2</sup>.

\* تونس:

أكبر المدن التونسية وأقدمها، عُرفت في القديم بترشيش ولما فتحها المسلمون وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا: هذه تونس وسمي المسجد بجامع الزيتونة، ولتونس عدة أسماء وهي تانس الخضراء، الدرجة العليا، وقد بنى بنو الأغلب جامعها الأعظم وسورها وقصبتها<sup>3</sup>. وهي واقعة على بحيرة ضحلة تخترقها قناة عميقة توصلها بمينائها الخارجي لاجوليت ( la goulette ) طولها نحو عشرة كيلومترات، وبذلك فهي واقعة على البحر عند المنفذ الطبيعي لسهل التل الخصيب الممتد في شمالي تونس والجزائر والى حيث الطريق إلى وسط تونس وجنوبها<sup>4</sup>، وتتميز تونس بشوارعها الضيقة الملتوية، و تتألف جل ديارها من طابق أرضي فقط<sup>5</sup>.

وتكمن أهمية تونس في كونها حاضرة البلاد ومركزها الحيوي ثقافيا وعلميا واقتصاديا وسياسيا، إذ تبوّأت مكانة مهمة في تاريخ الإيالة وبلاد المغرب منذ نهاية القرن السادس الهجري (6هـ/11م)، وهو ما جعلها محط أنظار كثير من رجال العلم والرحالة والتجار، ولذا

<sup>1</sup> - إيفالد، رحلة المبشر ايفالد من تونس الى طرابلس في سنة 1835، ترجمة منير الفندري، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991، ص:49.

<sup>2</sup> - أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، سوسة، تونس، د.ت، ص:199.

<sup>3</sup> - محمد القيرواني، كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية 1986، ص:6-10.

<sup>4</sup> - حسن محمد جوهر، تونس، دار المعارف، مصر، 1961، ص:102، ورحلة العالم الالمانى:ج، أو، هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي،

بيروت، دت، ص: 113، 114.

<sup>5</sup> - هاينريش بارت، سبع رسائل مخطوطة لهاينريش بارت عن رحلته الى تونس 1845-1846، تحقيق منير الفندري، بيت الحكمة، تونس، 1987، ص:17.

وصفها العبدري في رحلته بأنها محط الرحال من الغرب الى الشرق، ملتقى الركاب والفلك، لا تتشد بها ضالة من علم إلا وجدتها، ولا تلتبس بها بغية معوزة الا استنفذتها، وأهلها ما بين عالم كالعلم، رافع بين أهله للعلم ومعطل حدا الطباب حدا القلم، فاقت بحسن مغانيها واتقان مبانيها...وما من فن من فنون العلوم إلا وجدت بتونس به قائما ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله واردا وقائما ، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر، يجلو الفخار بهم عن محيا سافر وينير علمهم...<sup>1</sup>.

وفي نهاية القرن السادس عشر وصفت بأنها مدينة عظيمة أهلة، دار علم وعمل وتجارة فيها مساجد عامرة وأسواق مفيدة وهي في غاية الضعف لتوالي الفتن عليها واستولى عليها الاتراك عام اثنين وثمانين وتسع مائة، وهي تزخر بوجود قبور الصالحين والعلماء<sup>2</sup>، وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر قال عنها أحد الرحالة بأنها مدينة شهيرة كونها مركزا تجاريا تلتقي فيه السفن والقوافل القادمة من جميع الجهات<sup>3</sup>، وتتحول إلى سوق كبيرة تزود مختلف الأقاليم بما تحتاجه من مواد، وبلغ عدد سكانها ما بين مائة وعشرون الف (120الف) الى مائتي ألف (200الف)<sup>4</sup>.

\* باجة:

مدينة عتيقة بناها الرومان على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا من البحر الأبيض المتوسط، وثمانين ميلا او أكثر بقليل من تونس، وتقع في منطقة سهلية واسعة وتعرف

<sup>1</sup> - العبدري، رحلة العبدري، المصدر السابق، ص: 108-114.

<sup>2</sup> - التمكنوتي، المصدر السابق، ص: 56، 57.

<sup>3</sup> - جان باتيست طول، رحلة جديدة إلى أرض المشرق (1731-1732م)، ترجمة عبد الهادي الإدريسي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2013، ص: 36، 37.

<sup>4</sup> - إيفالد، المرجع السابق، ص: 131، 132.

بباجة القمح وهي محصنة بسور له أبواب، ولها جامع متقن البناء قبلته سور المدينة<sup>1</sup>.  
تخرج من مدرسة باجة الكثير من الطلبة والعلماء الأجلاء في مختلف الفنون وحملوا اسم مدينتهم التي تحولت إلى محطة لطالبي العلم من تونس وخارجها، ومن الذين ينسبون لهذه المدينة أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي الأندلسي المعروف بابن الباجي (291هـ/378هـ)، ومن المحدثين محمد أبوراس الجربي صاحب تأليف "مؤنس الأحبة في أخبار جربة" والمؤرخ محمد بن يوسف الباجي صاحب كتاب "المشروع الملكي في سلطنة اولاد علي تركي" وغيرهم من الأفاضل والأولياء الصالحين الذين أنجبتهم هذه المدينة.

\* سوسة:

مدينة كبيرة عتيقة أسست في القرن السابع على ساحل البحر المتوسط ويحيط بها سور عال جميل<sup>2</sup>، وفيها جامع في غاية الحسن تشتهر بزراعة الزيتون والتين<sup>3</sup>، عانت المدينة خلال القرون الحديثة من ظلم الحكام، ولذا قل عدد سكانها، لكنها ظلت مقصد العلماء ورغبتهم في سكانها وبها عدة فقهاء من أعيان مذهب الإمام مالك ومنهم يحي بن عمر الذي يقال أنه مدفون خارج بابها البحري، وبما أيضا الفقيه عبد الحميد بن محمد بن الصايغ المدفون خارجها في شرقها، وبها مقام الولي الصالح الشيخ أبي جعفر<sup>4</sup>.

ولأهمية المدينة العلمية قصدها الطلاب وكانت إقامتهم بقصر الرباط العتيق حيث كانوا يحضرون دروسا مختلفة، كما كانت أخرى تلقى بالجامع الكبير، ومن أشهر علماء سوسة يحي بن أحمد بن بدر الدين المولود سنة 1056هـ/1646-1647م، وأحمد الريغي المولود

<sup>1</sup>-اسماعيل العربي، المدن المغربية، المرجع السابق، ص: 204.

<sup>2</sup>- نفسه ، ص: 40.

<sup>3</sup>- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 83.

<sup>4</sup>- التمكروتي، المصدر السابق، ص: 85.

سنة (1048هـ/1638-1639م) تلميذ العالم الشهير يحيى الشاوي، وعلي بن موسى الأزهري الأندلسي المولود بسوسة عام (1058هـ/1648-1649م) الذي اشتهر بالتدريس<sup>1</sup>.

وتشتهر سوسة بكثرة آثارها القديمة كأسوار الرباطات وقبور الأولياء الصالحين التي أقيم على الكثير منها قباب وتحولت إلى مزارات يقصدها الناس في كثير من المناسبات، وهذا ما لاحظته بعض الذين زاروا المدينة في النصف الأول من القرن التاسع عشر (19م) ودونوا ذلك<sup>2</sup>.

#### \* صفاقس:

تقع صفاقس على الساحل الشمالي لخليج قابس، وهي مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط أيام كانوا يحاربون الرومان، يمارس أهلها صناعة النسيج والصيد وزراعة الزيتون<sup>3</sup>.

وتعد هذه المدينة مركزا تجاريا وعلميا نظرا لموقعها الاستراتيجي وانفتاحها على ليبيا ومصر وبلاد الشام، وظهور نخبة من العلماء بها منذ أواخر القرن 11هـ/17م، ويبدو أن مركز هذه الحركة الفكرية هو زاوية سيدي الكراي وقادها أبو الحسن الكراي خلال هذه الفترة والمتوفى سنة (1105هـ/1693-1694م) والذي استطاع أن يخرج نخبة من العلماء والفقهاء، ويعتبر الشيخ عبد العزيز الفراتي المتوفى (1100هـ/1688-1689)، والشيخ علي النوري المتوفى (1117هـ/1705-1706) من أكبر أقطاب العلم في صفاقس<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون في القرون 18، 17، 19، ترجمة أحمد عبد السلام، عبد الرزاق الحليوي، بيت الحكمة، قرطاج، 1993، ص: 47.

<sup>2</sup> - هاينريش بارت، المصدر السابق، ص: 29.

<sup>3</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 87.

<sup>4</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 48.



وقد سافر علماء صفاقس إلى أنحاء العالم الاسلامي وبذلك ساهمت هذه المدينة في الإشعاع العلمي والفكري داخل وخارج تونس خلال القرن 18م<sup>1</sup>، ورغم تراجع دورها العلمي منذ بداية القرن 19م، إلا أنها اعتبرت من الحواضر التونسية التي يتمتع أهلها "بالعلم والمعرفة"<sup>2</sup>.

## \* المنستير:

مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط تحيط بها أسوار عالية متينة ودورها مبنية في الداخل بعناية وأهلها نساجون وصيادون وتزرع في ضواحيها مختلف الأشجار المثمرة<sup>3</sup>، وهي تقع على بعد اثني عشر ميلا عن سوسة ويوجد بها 1400 منزل (12000 ساكن)<sup>4</sup>.

لعبت المدينة دورا محوريا في الحياة الثقافية بتونس كونها منتدى لرجال الفكر والثقافة والأدب والعلم والدين ومركزا تعليميا يقبل عليه الطلاب من كل النواحي ومركزا للإشعاع الروحي والتصوف<sup>5</sup>، وكانت مدينة عامرة بالعلماء والطلبة ولها رباط منعزل لأهل العلم يرغب علماء إفريقية في سكناها ولا يرون بيع دورها وبها قبر الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري والفقير الإمام أبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي المتوفى سنة 451هـ<sup>6</sup>، ومن أشهر علمائها عبد الرحمان بن الدباغ صاحب كتاب معالم

<sup>1</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 74.

<sup>2</sup> - إيفالد، المصدر السابق، ص: 66.

<sup>3</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص: 84.

<sup>4</sup> - إيفالد، المصدر السابق، ص: 47.

<sup>5</sup> - أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص: 73.

<sup>6</sup> - التكمروتي، المصدر السابق، ص، ص: 86، 87.

الإيمان، والأديب بن عربية والصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الله السبائي الجديدي صاحب زاويتين بالقيروان والمهدية وسالم القديدي وغيرهم<sup>1</sup>.

### ب- حواضر الجنوب

#### \* جربة:

جزيرة تونسية منقطعة في البحر واسعة جدا، وهي منبسطة رملية يكثر فيها النخيل والكروم والزيتون والأشجار المثمرة وتربتها الخصبة، وتوجد بها قسبة مشيدة على ساحل البحر، ويعيش سكانها من تجارة قماش الصوف الذي يصنع فيها<sup>2</sup>، وقد صنفها أحد الرحالة في نهاية القرن 16م على أنها أحسن بلاد افريقيا كلها في هذا الزمان<sup>3</sup>.

تكمن أهمية المدينة باعتبارها مركزا للتعليم ونشر مذهب الإمام مالك بن أنس بفضل المجهود الذي قام به إبراهيم الجمني، والدور الكبير للزاوية البكرية منذ عهد أبا الغيث القشاش في الحياة الاجتماعية والثقافية وتولي ورثته إمامة جامع الزيتونة وتدريس الحديث، ويعتبر سيدي علي عزوز<sup>4</sup> الذي عاش إلى بداية القرن 18م محل ثقة الحكام ومقصد العامة من كل النواحي سواء من تونس أو الجزائر.

ونفس الكلام يقال عن علماء وأولياء عاصروه وإن كانوا أقل شهرة منه مثل منصور النشار ومحمد بن عاشور ومصطفى البايلي<sup>5</sup>. ولهذه الجزيرة تواصل كبير مع القطر

<sup>1</sup> - أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص: 74، 75.

<sup>2</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص: 94.

<sup>3</sup> - التمكروتي، المصدر السابق، ص: 96.

<sup>4</sup> - علي بن عزوز: ولد بمدينة فاس وتوفي بتونس سنة 1120هـ/1710م، أسس زاوية أصبحت تعرف باسمه بالعاصمة تونس، ينظر تعريفه في: محمد بن خليل الطواحي، كناش الطواحي، مخطوط بدار الكتب التونسية، رقم 16647، ص: 67 ظهر و 68 وجه وظهر.

<sup>5</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 53.

الجزائري بحكم أن جزء كبير من سكانها على مذهب الإباضية الذي يسود واد ميزاب في جنوب الجزائر، ولذا قصدتها كثير من طلاب وعلماء هذه المنطقة وغيرها من الجزائر.

## \* نغطة:

مدينة تقع في بلاد الجريد<sup>1</sup>، وهي كثيرة السكان الذين لا يملكون طابع التحضر ومعظمهم أغنياء لوقوع مدينتهم في طريق التجارة المؤدية إلى ليبيا والسودان<sup>2</sup>، وهو ما جعلها مركزا ثقافيا للتواصل بين تونس والجزائر بفضل علمائها من أمثال سيدي أبي الفضل علي النفطي وهو من أكابر الصالحين من أصحاب أبي الفضل البكري<sup>3</sup>، ومراكزها العلمية خصوصا الزوايا ومنها الزاوية الرحمانية و الزاوية التجانية اللتان لعبتا دورا كبيرا في التواصل الروحي والعلمي بين الإيالتين.

## \* توزر:

مدينة عتيقة بناها الرومان وهي قاعدة بلاد الجريد وتشتهر بكثرة عيونها وعظم نخيلها ويعود الفضل لعالمها ابن الشباط التوزري في القرن السادس الهجري الذي وضع طريقة هندسية دقيقة لتوزيع مياهها بين بساتينها لايزال معمولا بها إلى يومنا<sup>4</sup>.

تقع المدينة في ملتقى طرق تجارية، هذا ما أهلها أن تتحول إلى سوق واسعة قصدتها الناس من مختلف القبائل النوميديّة والبربرية<sup>5</sup>، وهي تزخر بمعالم أثرية هامة، وبها قبور

<sup>1</sup> - بلاد الجريد: إقليم يمتد من تخوم بسكرة بالجزائر إلى تخوم جزيرة جربة بتونس وهو شديد الحرارة وكثير الجفاف ويمتاز بنوعية تموره الجيدة وبه عدة مدن.

<sup>2</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 139.

<sup>3</sup> - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (1660-1663)، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، السويدي للنشر، أبو ضبي، الإمارات، ط1، المجلد2، 2006، ص: 536.

<sup>4</sup> - حسن جوهر، المرجع السابق، ص: 104.

<sup>5</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 142، 143.

لكبار العلماء والصلحاء والأولياء منها قبر الإمام الشقرطيسي، وشكلت توزر قاعدة تواصل كبيرة بين الجزائر وتونس خصوصا جهة الجنوب الشرقي (واد سوف، ورقلة، بسكرة...).

## 2- المراكز:

### أ- المساجد:

تعد تونس من أعرق حواضر العالم الاسلامي في مؤسساتها الدينية، وتعتبر المساجد نواة جميع المؤسسات وأهمها كمقر رئيسي لإعلان العبودية الخالصة للخالق عز وجل، وخلية أساسية لنشر العلم الذي لا تصح العبادة الصحيحة إلا به، ولذا انتصبت المساجد لتأدية هذا الدور الاساسي.

ولذا قام الفاتحون الأوائل لبلاد إفريقية بنشر الإسلام وتوطيد دعائمه عن طريق تشييد المساجد والاعتناء بها، وفي هذا الشأن قام والي إفريقية الصحابي الجليل عقبة بن نافع ببناء مسجد القيروان<sup>1</sup> الذي تحوّل من مقر لأداء العبادة إلى منارة لنشر العلوم ومقصدا علميا.

وتزخر البلاد التونسية بعدد هائل من المساجد المنتشرة عبر الحاضرة من شمالها إلى جنوبها و من شرقها إلى غربها، وتختلف في هندستها وتاريخ تأسيسها و دورها العلمي والفكري، حيث وصل بعضها إلى جامعات ومنازل علمية وفكرية رائدة في الداخل والخارج والأمثلة كثيرة ولكن سنركز في هذا المبحث على جامع الزيتونة وجامع القيروان باعتبارهما من أهم وأكبر مساجد البلاد وأقدمها في نشر العلم والتعلم.

### \* جامع الزيتونة:

يصنف جامع الزيتونة من أقدم الجوامع التي بنيت في الشمال الإفريقي والمغرب العربي، ويعتقد أن عبد الله بن الحباب<sup>1</sup> هو الذي اختص هذا السرح في فترة ولايته<sup>2</sup>، ثم

<sup>1</sup> - سنتعرض لهذا المسجد بعد إعطاء نظرة عن جامع الزيتونة.

جدده الأمير الأغلب أبو ابراهيم أحمد بن محمد، وأتمّ بناءه أخوه زيادة الله الثاني في سنة 250هـ/864 م، ولم تكن له مؤذنة في بداية القرون الأولى، وأما مؤذنته الحالية فشيدت سنة 1312هـ/1894م<sup>3</sup>.

وقد عُرف الجامع باسم الزيتونة وفي ذلك روايات عديدة منها أن المسلمين اختاروا هذا الاسم تيمنا بالآية الكريمة " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية"<sup>4</sup> ليجعلوا من زيتونتهم زيتا يضيء الشمال الإفريقي بنور الإيمان، وهناك من يرى أن المسجد سمي بهذا الاسم لأنه بني بالقرب من شجرة الزيتون، ويبدو أن هذا الرأي هو الأصوب<sup>5</sup>.

يقع جامع الزيتونة في قلب مدينة تونس القديمة وهو جامع عظيم مرفوع على أساطين وأعمدة من رخام ملون عديم النظير بديع الصنعة مبني كله بحجر منحوت، له صحن فسح بديع الحسن بهيج المنظر<sup>6</sup>، ويعتقد أن به زوايا وأماكن يستجاب فيها الدعاء، وقيل أنه يلحق بالمساجد الثلاثة<sup>7</sup>.

عرف جامع الزيتونة بتقديم دروس في التعليم منذ نشأته، حيث نشر الصحابة والتابعين علوم الفقه والحديث والتفسير من أمثال التابعي الكبير خالد بن ابي عمران المتوفى سنة

<sup>1</sup>- عبد الله بن الحجاب: والي أموي على افريقية بين (116-123هـ/736-742م).

<sup>2</sup>- عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد 5، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص:404.

<sup>3</sup>- حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، المرجع السابق، ص- ص:64-67.

<sup>4</sup>- سورة النور، الآية:5.

<sup>5</sup> - Mohamed abd el moula, *l'université zaitounienne et la société tunisienne*, thèse de doctorat 3eme cycle en sociologie, Tunis, 1991. P :3 المرجع، مراكز الثقافة والتعليم، السابق، ص:16.

<sup>6</sup>- التمكروتي، المصدر السابق، ص، 58.

<sup>7</sup>- أبو عبد الله محمد الوزير، المصدر السابق، ص:315-321.

125هـ/743م وتلميذه عبد الملك بن أبي كريمة المتوفى سنة 210هـ/825م والمحدث الكبير أبو مسعود عبد الرحمان بن أشرس الأنصاري وغيرهم، وانتظم التعليم في الزيتونة بصورة نهائية منذ ظهور الدولة الحفصية أوائل القرن 7هـ/12م<sup>1</sup>.

ولقد ظلت الزيتونة على مر العصور مؤسسة دينية ثقافية لها هيبته ترتبط بتاريخ تونس ومن هذا الجامع تخرج جموع من العلماء كآل النيفر وآل بيرم وآل عاشور، كما تخرج متخصصون في الافتاء والفقهاء والتفسير والسير والأصول والآداب<sup>2</sup>، وتحول الى مناخ للعلوم ونتجت فيه فحول عظام قديما وحديثا<sup>3</sup>، وصنف من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها انتاجا حسب رأي تحرير المجلة الزيتونية المدرس بهذا الجامع الكبير<sup>4</sup>.

فالزيتونة هي القلعة العلمية لا في تونس فقط بل وفي غيرها من كل مكان امتد اليه اشعاعها فهي القلعة العلمية المناغية لكواكب الجوزاء الناطحة لأسمى مراتب العلو والسمو، قد ارتقت فيها الأفكار، وأضاءت معارفها إضاءة النوار، وبدت فريدة بين أخواتها من الجامعات العريقة فهي مأوى العلوم، ومنبع الدراسات العالية<sup>5</sup>، وبذلك تجاوز إشعاع جامعة الزيتونة حدود تونس ليصل الى سائر الأقطار الإسلامية عامة ودول المغرب العربي خاصة، إذ قصد هذا الجامع الطلبة والعلماء من الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، وسنركز على علاقة الجزائريين بهذه المؤسسة خلال الفترة الحديثة.

<sup>1</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، المرجع السابق، ص: 71، 72.

<sup>2</sup> - محمد الخضر حسين، المرجع السابق، ص: 26.

<sup>3</sup> - محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، دار صارت، بيروت، ط1، ج1،

1302هـ، ص: 122.

<sup>4</sup> - ينظر محمد المختار بن محمود، جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها انتاجا، المجلة الزيتونية،

المجلد2، الجزء3، تونس، 1358هـ/1937م، ص: 31-37.

<sup>5</sup> - محمد السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص: 12، 13.

## \* جامع القيروان:

أشهر جوامع الحاضرة التونسية أسسه الفاتحون الأوائل لإفريقية حيث اختطه الصحابي الجليل عقبة بن نافع سنة 50هـ، وتطور وتوسع عبر مختلف المراحل نظرا لاهتمام خلفاء البلاد به، ويعتبر مسجد القيروان أجمل وأكبر جوامع بلاد البربر، تزينه خمس مائة من الأعمدة الصوانية<sup>1</sup>، ووسطه فضاء متسع وبه مكتبة عظيمة فيها كتب قيمة<sup>2</sup>.

انتصب للتدريس بهذا الجامع كبار التابعين للصحابة من أمثال علي بن زياد وأسد بن الفرات الذي تلقى العلم عن الإمام مالك بالمدينة، والإمام عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون صاحب كتاب المدونة والذي نشر مذهب الامام مالك بتونس وبلاد المغرب<sup>3</sup>.

ونتيجة لهذا تحوّل مسجد القيروان إلى معهد للعلوم الإسلامية ومصدرا للفتاوى والأحكام وتخريج الفقهاء الذي بلغوا درجة الاستنباط والترجيح بين الآراء، وألفوا فاحكموا صناعة التأليف<sup>4</sup>، وقصده الطلبة من سائر أنحاء إفريقية والمغرب والأندلس وحتى من السودان الغربي، على نمط الجامع الأزهر والزيتونة والقرويين بفاس، وتجدر الإشارة أن وظائفه تعددت فهو المركز الكبير للحياة الاجتماعية في البلاد، إذ تعقد فيه الاجتماعات المهمة في حياة الأمة سواء في السلم أو الحرب<sup>5</sup>.

## ب- المدارس:

عرفت البلاد التونسية انتشارا واسعا للمدارس منذ العهد الحفصي ولاسيما في العاصمة تونس، ورغم تراجع وتدني نشاط الكثير منها خلال الفترة الحديثة بسبب الغزو الإسباني

<sup>1</sup>-ايفالد، المصدر السابق، ص: 49.

<sup>2</sup>- العبدري، المصدر السابق، ص: 160.

<sup>3</sup>- محمد الخضر حسين، المرجع السابق، ص: 8.

<sup>4</sup>- نفسه، ص: 7.

<sup>5</sup>- حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، المرجع السابق، ص- ص: 58-60.

وتدهور أوضاع البلاد الأمنية، إلا أنه مع سيطرة العثمانيين على مقاليد الحكم بالإيالة<sup>1</sup> عادت الكثير من المدارس القديمة إلى نشاطها لاهتمام الحكام بالحياة العلمية واقتناعهم بأن نشر المذهب الحنفي لا يتم إلا عن طريق مراكز علمية تكون نقاط جذب وتأثير وإغراء يعين فيها اساتذة للتدريس يؤجرون على عملهم ويحدد لهم الاتجاه التعليمي، الأمر الذي لا يمكن أن يتوفر في المساجد<sup>2</sup>.

ومن المدارس التي استأنفت نشاطها المدرسة الشماعية بعد تجديدها من قبل الداوي أحمد خوجة<sup>3</sup>، والتي صارت فيما بعد من أعظم المدارس، وضمت مجموعة ضخمة من العلماء<sup>4</sup>، وكذا مدارس أخرى كالعتيقية و المنتصرية.

وتجدر الإشارة الى أن الأتراك رغم رغبتهم في تأسيس مدارس جديدة، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا مع مطلع القرن 11هـ/17م، بعد استقرار الأوضاع وعودة السلم<sup>5</sup>، حيث انتشرت العديد من المدارس التي تميزت بمستواها العلمي وبرامجها الراقية لمحافظة على التقاليد الحفصية والأندلسية واتصالها الوثيق بالمشرق<sup>6</sup>.

ويعود تأسيس أغلب المدارس الحديثة إلى مبادرة الحكام، فقد أنشا يوسف داوي<sup>7</sup> المدرسة

<sup>1</sup> - تم ذلك على يد سنان باشا سنة 981هـ/1573م

<sup>2</sup> - الطاهر العموري، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980. ص: 92.

<sup>3</sup> - هو أحمد خوجة داوي، كان دفتر دار بالديوان، ولي دايا من سنة 1050هـ/1640م إلى سنة 1647/1057م.

<sup>4</sup> - من أشهر هؤلاء العلماء: أحمد الشريف الحنفي الأندلسي، أبو عبد الله محمد برناز، أبو عبد الله محمد بن أحمد افندي الشهير بالقصري، جعفر كرابصة، عبد الله افندي، علي الصوفي، أحمد بن مصطفى برناز. الطاهر العموري، نفسه، ص: 92.

<sup>5</sup> - الطاهر العموري، المرجع السابق، ص: 91، 92.

<sup>6</sup> - ناصر الدين سعيدوني، ولايات الغرب العثمانية، المرجع السابق، ص143.

<sup>7</sup> - يوسف داوي: تولى مقاليد السلطة بين (1019-1047هـ / 1610-1632م).



اليوسفية<sup>1</sup> بالقرب من ضريح سيدي علي بن زياد، وأسس مراد باي الثاني<sup>2</sup> المدرسة المرادية<sup>3</sup> بموقع سوق القماش بتونس والمدرسة الجمنية بجربة، وبنى محمد باي<sup>4</sup> مدارس للعلم بالكاف وباجة والقيروان والجريد وقابس، كما أقام حسين بن علي<sup>5</sup> مدارس بسوسة والقيروان وصفاقس وقفصة ونفطة وتونس أهمها المدرسة الحسينية ومدرسة النخلة -الخالة- وشمل القائمين عليها برعايته<sup>6</sup>.

ويعتبر عهد علي باشا<sup>7</sup> أزهى فترات إنشاء المدارس في تونس الذي شهدت مرحلته ازدهارا عظيما للحياة العلمية، فقد شيد مدارس عديدة وأجرى على العلماء المدرسين الرواتب العالية ومنح الطلبة إعانات كثيرة دائمة، سواء منهم من كان في العاصمة أو خارجها. وقرب إليه الفقهاء والأدباء والشعراء من أمثال الصفاقسي ومحمد الورغي وغيرهم<sup>8</sup>، ومن أهم

<sup>1</sup> - المدرسة اليوسفية: تنسب إلى مؤسسها يوسف داي التي بناها بسوق الترك مع جامعہ وعين عليها رمضان أفندي لتدريس المذهب الحنفي، أزيلت هذه المدرسة بأمر من الباي محمد الصادق سنة 1269هـ/1878م لتوسيع المستشفى الصادقي. الطاهر العموري، المرجع السابق، ص:93.

<sup>2</sup> - مراد باي الثاني (1076-1086هـ/1665-1675): اشتهر بميله لحب العلم والعلماء وبناء المساجد والمدارس، حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، المرجع السابق، ص، 169.

<sup>3</sup> - المدرسة المرادية: بناها مراد باي الثاني سنة 1085 هـ/1675م وعين عليها الشيخ محمد الغماد المتوفي سنة 1703/1115م وهو عالم بالفقه المالكي و اللغة والمنطق. وتولاها بعده الشيخ محمد زيتونة. الطاهر العموري، المرجع السابق، ص، 95.

<sup>4</sup> - محمد باي: تولى حكم البلاد بين 1016-1018 هـ/1685-1687م.

<sup>5</sup> - حسين بن علي: مؤسس حكم الأسرة الحسينية بتونس، تولى الحكم بين (1117-1153هـ/1705-1740م) اشتهر بانجازاته الحضارية والعلمية كبناء المساجد والمدارس والاعتناء برواية الحديث، محمد السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص: 88-92.

<sup>6</sup> - ناصر الدين سيعدوني، ولايات الغرب العثمانية، المرجع السابق، ص: 153.

<sup>7</sup> - علي باشا (1153-1169هـ/1740-1766م): أشهر حكام الأسرة الحسينية تميز حكمه بالقسوة وكثرة الإنجازات في مختلف المجالات أهمها الجانب الفكري والعلمي كبناء المدارس والمساجد والعناية بالعلم والعلماء والطلبة وولوعه بالكتب. محمد السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص:93-98.

<sup>8</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص: 184.

المدارس التي أسسها المدرسة الباشية<sup>1</sup> بسوق الكتبين والمدرسة السليمانية<sup>2</sup> ومدرستي بير الحجاز وحوانيت عاشور، وزوّدها بخزائن من الكتب العلمية وجعل لها أوقافاً للإنفاق عليها<sup>3</sup>. وخصص علي باي الثاني<sup>4</sup> ميزانية موجهة لصرف رواتب منتظمة للمدرّسين والطلبة جمعها من يهود البلاد التونسية مع ربع بعض الأوقاف، وأنجز مدرسته المعروفة بالجديدة قرية تربة أبيه.

ومع جهود الحكام في تأسيس المدارس، لا يمكن أن نغفل دور الجالية الأندلسية في الحركة العلمية إذ قامت هذه الجالية بتأسيس المدرسة الأندلسية في عهد عثمان باي (1007-1019هـ/1599-1610) إلى جانب جامع سبحان الله، وتسمى أيضاً المدرسة العجمية نسبة إلى الولي المجاور ضريحه لها، وقيل أن يوسف داي الذي رغب الجالية الأندلسية في إحداث المدرسة وتسميتها بمدرسة الفتح تفاعلاً بالفرج بعد الشدة، وأول من انتصب للتدريس بها الشيخ شعبان الأندلسي من مشاهير الأندلس الوافدين على تونس في العهد التركي<sup>5</sup>.

ورغم تعدد المدارس العلمية التونسية خلال الفترة الحديثة إلا أن مدرسة الجامع الأعظم (الزيتونة) تبقى في المقدمة حيث استطاعت أن تحافظ على مكانتها المميزة أمام منافسة المدارس والزوايا التي أنشأها الحكام.

<sup>1</sup> - المدرسة الباشية: تنسب إلى مؤسسها الباي علي باشا وأقيمت بسوق الكتبين بالعاصمة تونس وهي مخصصة للطلبة الحنفية.

<sup>2</sup> - المدرسة السليمانية: بناها علي باشا وخصصها للطلبة المالكيين القادمين من مختلف الأفاق.

<sup>3</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص: 184، 185.

<sup>4</sup> - علي باي الثاني: (1172-1199هـ/1759-1783م)، تولى شؤون الإيالة بعد وفاة أخيه محمد باي الرشيد يوم الاثنين 14 جمادى الثانية 1172 هـ وحضر بيعته وزراء دولة أخيه ومفتي الإيالة الشيخ محمد بن براهيم البارودي وهرعت إليه الناس على اختلاف طبقاتهم وحضرها أكابر العلماء وأهل الديوان ورؤساء العسكر وبايعوه بيعة عامة طائعين غير مكرهين بقلوب صادقة ونيات صحيحة وعزائم ثابتة اشتهر بحبه للعلم و العمران. محمد خليل الطواحني، مخطوط سابق، ص: 94 ظهر.

<sup>5</sup> - الطاهر العموري، المرجع السابق، ص: 94.

## ثالثا: الحالة العلمية في القطرين خلال الفترة العثمانية.

## 1- الجزائر:

غلب على الحركة العلمية خلال العهد العثماني روح التصوف والتقليد وحفظ ما أنتجه الأولون في نصوص الحديث و اجترار الأراجيز الفقهية والأدكار الصوفية، وتغييب العقل واعتبار المنقول أصوب منهج لمن اتبع سنة الله ورسوله، حتى أنشد بعض علماء العصر:

خَبِرَ عَنِ الْمَرِيدِ بِأَنِّي      كَافِرٌ بِالذِّي قَضَيْتُهُ الْعُقُولُ  
مَا قَضَيْتُهُ الْعُقُولَ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ      بَلْ الدِّينَ مَا حَوَّثَهُ النُّقُولُ<sup>1</sup>

وهذه الوضعية خلقت نتاجا علميا ضئيلا إذا ما قورن بالأقطار الإسلامية الأخرى وهو محصور غالبا في بعض التفاسير التي جلتها لم يكتمل، وفي الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية التي دونها القدامى أو المعاصرون لهم في غير قطرهم، وحتى فن التصنيف الذي بادر إليه علماء الجزائر غلب عليه طابع التقليد الأعمى تارة لعلماء المغرب الأقصى، وتارة لعلماء تونس<sup>2</sup>.

كانت الحركة العلمية في الجزائر طيلة العهد العثماني نتاج السياسة التعليمية التي لم تكن موجهة من قبل السلطة، بل أن الدولة كانت بعيدة تماما عن التعليم وأعباءه ولم يكن لديها عندئذ وزير للشؤون الدينية ولا مدير أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية لقد كانت هموم الدولة منحصرة في الحفاظ على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب للخزينة وتوفير أجور الجند، والمعدات الحربية، وتوزيع الهدايا والعطاء للسلطان العثماني، وموظفي دولته من جهة وعلى موظفي الأوجاق في الجزائر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 48.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص: 61.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 415، 416.

فالتعليم قام على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية وتدخل رجال الدولة فيه كان بشكل فردي وليس بشكل رسمي<sup>1</sup>، وليس هناك جهود تستحق الإشادة من قبل السلطة الرسمية في هذا المجال عدا بعض المحاولات والانجازات المتعلقة بتشييد الجوامع والمدارس واعفاء بعض المؤسسات الدينية من الأعباء الضريبية، ويمكن الإشادة هنا بجهود الداوي محمد بكداش محرر وهران للمرة الأولى سنة (1119هـ 1708م) في إقامة مؤسسات علمية مخصصة لهذا الغرض والمتمثلة في منحه وقفا لفائدة الشيخ الكتروسي في مازونة، وهو معهد علم، كانت له فيما بعد فعاليته الكبرى لا بالنسبة للجزائر وحدها، بل تجاوز صداه حدود البلاد، حتى أن الكثير من الطلبة المغاربة، خاصة من شرق المغرب، كانوا يأتون ليدرسوا فيه<sup>2</sup>.

كما لا يمكن تجاوز كل من أعمال الباوي محمد الكبير<sup>3</sup> و صالح باوي<sup>4</sup> في النهوض بالحياة العلمية في غرب الجزائر وشرقها، وبنى حسن داوي مسجد كتشاوة سنة 1791م وجلب له من أصناف الرخام والمرمر، وأوقف عليه الرياح والضياع ما لا تسمح به نفس أحد بإنفاقه إلا من وقفه الله<sup>5</sup>، و زوده بكمية وافرة من الكتب ذات القيمة العلمية البالغة.

<sup>1</sup> - نستنتج بعض التعليمات الرسمية الموجهة من الباب العالي إلى بعض حكام الجزائر تدعو فيها إلى ضرورة تخصيص مستحقات مالية إلى أهل العلم والقرآن سواء من الجزائريين والأندلسيين الوافدين، الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم 23، العلية 06، حكم 244 سنة 981هـ، ص: 121، ينظر الملحق رقم 06 .

<sup>2</sup> - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، دار الأمة، الجزائر، 2008، ج 2، ص: 323.

<sup>3</sup> - قدم خدمات جليلة لوطنه في الجوانب الثقافية والعمرانية والسياسية في كل من وهران و معسكر و تلمسان، محمد طمار، الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص: 253.

<sup>4</sup> - صالح الباوي: أشهر بايات قسنطينة من إنجازاته مسجد سيدي الكتاني 1776م والمدرسة الملحقة به ومدرسة بجانب مسجد سيدي لخضر 1789 م ، حققت قسنطينة وبياك الشرق في عهده إنجازات عظيمة. ينظر: محمد طمار، الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص: 252، أوجين فايس، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1873)، ترجمة صالح نور، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2010، ص- ص: 47-52.

<sup>5</sup> - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص: 186.

ورغم هذه الجهود المبذولة وثناء البلاد بالمراكز والحواضر العلمية والثقافية التي تكلمنا عنها سابقا إلا أن الحالة العلمية بقيت راكدة طيلة الفترة العثمانية، وهو ما نبه إليه كثير من الزائرين للجزائر عبر مراحل مختلفة، وأقره بعض المؤرخين الجزائريين المعاصرين لنفس الفترة وغيرهم ، فمن الرحالة الذين وفدوا إلى الجزائر خلال القرن 11هـ /17م "العايشي" الذي قال: "إن أهل الزيبان لهم رغبة في العلم وتعلمه إلا أنهم في بلاد قل فيها أهل التحصيل"<sup>1</sup>، وفي القرن 12هـ/18م تحصر الشيخ ابن زكور عن تراجع الاهتمام بالعلم في قوله: "واليوم تشتت البال، وتبدلت الأحوال... وخلت الديار فسدت غير مسود"<sup>2</sup>.

وفي القرن 13هـ/نهاية 18م وصف الزياني الحالة العلمية في عاصمة الزيانيين قائلا: "وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية لإصلاح اللسان ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية..."<sup>3</sup> وأما عن المؤرخين الجزائريين الذين عاصروا أحوال البلاد العلمية خلال الفترة المدروسة وقدموا فيها وصفا، نجد صاحب التحفة المرضية يقول عن عهد الداوي مصطفى الذي قتل سنة 1112هـ/1700م: "واستوى في ذلك عنده العالم والجاهل، وصار الشرع سواء النبيل فيه والخامل"<sup>4</sup>.

وهذا المؤرخ والرحالة أبو راس الناصري يتألم من الوضع الثقافي والعلمي الذي آلت إليه البلاد في عهده بقوله: "إنني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومراسمه وعفت أطلاله ومعالمه، لاسيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان، وأشرفت شمسها على الأفول واستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون عن مدارس العلم وفضائله، ويتأسفون من انعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل، وإلى الله المشتكى من دهر إذا أساء أصر

<sup>1</sup> - العياشي، المصدر السابق، ج2، ص: 538.

<sup>2</sup> - مولاي بالحميسي، المرجع السابق ، ص: 123.

<sup>3</sup> - نفسه ، ص: 162.

<sup>4</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 123.

على إساءته، وإن أحسن ندم عليه من ساعته"<sup>1</sup>، ويذهب صاحب "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" إلى نفس المنحى عندما يؤكد أن الجزائر في النصف الأول من القرن 13هـ / 19م لم يكن فيها إلا قلة من يتضلع حقيقة التضلع في العلم لأن ليس في أوطانهم علماء فحول وإنما يقرأون صغار الكتب وأكثر الانكباب في الفقه على حفظ مختصر خليل وتقهمه...<sup>2</sup>.

إذا سلمنا بتدني الحالة العلمية في القطر الجزائري خلال العهد العثماني فهذا لا ينفى المستوى الذي وصلت إليه تلك الحواضر والمراكز<sup>3</sup> في مدن الجزائر، قسنطينة، بسكرة، معسكر، ومدن الجنوب في كونها منارات للمعرفة ونشر العلم في مختلف الميادين، وحمل ثقافة ذلك العصر القائمة أساسا على العلوم الشرعية. وواصلت المدارس العتيقة للعلوم مسيرتها العلمية مثل مدارس الجامع الأعظم (الكبير) ومدارس مازونة وقسنطينة وتلمسان ومعسكر وعنابة، وتخرج منها علماء لمع صيتهم وخصوا بمقام رفيع في الدولة فمنهم من مارس التدريس ومنهم من تقلد الإفتاء والقضاء وحتى المناصب السامية، وتعدت شهرتهم حدود الوطن. ومن أمثال هؤلاء عمر الوزان<sup>4</sup>، المانجلاتي<sup>5</sup>، عبد الرحمان الأخضر، عبد

<sup>1</sup> أبو راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ج1، 2011 . ص:45.

<sup>2</sup> محمد بيرم الخامس التونسي، المصدر السابق، ج4، ص:19.

<sup>3</sup> قدمنا لمحة عن أبرز الحواضر والمراكز ودورها في مبحث الحواضر والمراكز .

<sup>4</sup> -عمر الوزان: عمر بن محمد الأنصاري القسنطيني المشهور بالوزان، من أبرز علماء قسنطينة في القرن العاشر، كرس كل حياته للتدريس في مختلف الفنون خاصة البيان والفقه والأصول، تخرّج على يديه علماء كبار، توفي سنة 965هـ، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص- ص: 379-384، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص:572.

<sup>5</sup> -المانجلاتي: عمر محمد المانجلاتي الجزائري، فقيه محدث، بياني، درس على علماء عصره مثل عبد الواحد السجلماسي الأنصاري وسعيدة قدورة وغيرهم، وهو من علماء القرن الحادي عشر. الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص:294، 297.

الكريم الفكون، محمد بن عبد المؤمن<sup>1</sup>، ومن المؤرخين أبوراس الناصري، وأحمد بن سحنون<sup>2</sup>، وعلماء رجال دولة كانت لهم حضوة عند الحكام، كأحمد بن عثمان التلمساني، ومحمد بن حواء المستغامي<sup>3</sup>، وعلي بن محمد الجزائري وعبد القادر الراشدي وعبد الرحمان باش تارزي، وأدباء وشعراء وفقهاء فحول كأحمد بن عمار وأحمد المقري وغيرهم.

## 2- تونس:

عرفت تونس خلال القرن 10هـ/16م فتنا وحروبا عطّلت سير العلوم وأتلفت الكثير من خزائن الكتب، وتوقف الانتاج الفكري والأدبي والعلمي والعقلي، حتى أن الباحثين في التاريخ التونسي لم يحصوا إلا أعدادا قليلة جدا من العلماء والمفكرين والأدباء كالشيخ أحمد بن عبد الرحمان بن الخلوف وأبي الفتح محمد بن عبد السلام في الأدب التونسي، وما كادت تتقضى المائة العاشرة دون أن يكون هناك رجال لهم في العلم أقداما راسخة وأنظارا ثابتة<sup>4</sup>.

ولعل هذا الوضع هو نتاج ما وصلت إليه البلاد في ظل ضعف الدولة الحفصية<sup>5</sup> والغزو الإسباني المسيحي للسواحل وللعاصمة تونس والتواجد العثماني والصراع بين الطرفين

<sup>1</sup> - محمد بن عبد المؤمن: محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، من أعلام الجزائر متقن في معظم العلوم، عاش في القرن الحادي عشر، أجاز ابن زكور الفاسي عند قدومه إلى مدينة الجزائر، الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 420-423.

<sup>2</sup> - أحمد بن سحنون الراشدي: مؤرخ، كاتب، لازم الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم وحضر معه فتح وهران الأول عام 1119هـ/1708م، وصاحب كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، المرجع السابق، ج2، ص: 248.

<sup>3</sup> - محمد بن حواء المستغامي: الولي العارف الشاعر سيدي محمد بن قدار بن الجيلاني بن عبد الله أحمد التوجيني نسبا المستغامي، وهو من أعيان أواخر القرن الثاني عشر (18م)، وقبره عليه قبه مزار، الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 362-363.

<sup>4</sup> - محمد الخضر حسين، المرجع السابق، ص: 09.

<sup>5</sup> - بذلت الدولة الحفصية جهودا عظيمة في سبيل تطوير الحركة العلمية والفكرية ببناء المدارس والمعاهد وتزويد المكتبات بالكتب النفيسة واغدت على العلماء والطلبة ما تسبب في ازدهار العلوم الاسلامية وبروز طبقة من العلماء المشاهير كابن عرفة وابن خلدون وغيرهم، إلا أنه في أواخر عهدها انكشفت الحياة الثقافية بإهمال الكتب والمدارس، ومما زاد الوضع تعقيدا الغزو الإسباني للبلاد الذي خرب مراكز العلم ونهب وأحرق الكتب وقتل العلماء وتسبب في هجرتهم مغربا ومشرقا

لإحكام القبضة على كل البلاد وانتهى الحسم في الأخير لصالح الدولة العثمانية التي ألحقت تونس بها سنة 982-983هـ/1574م بشكل رسمي. ومع ارتباط تونس بالخلافة العثمانية ومرورها منذ تلك الفترة بمراحل مختلفة عاشت خلالها تطورات سياسية واقتصادية وفكرية وعلمية متباينة من مرحلة إلى أخرى.

ففي بداية عهد الدايات<sup>1</sup> لم يسجل إلاّ النزر القليل في الاهتمام ببيت العلوم ولعل ذلك يعود لقلّة الاستقرار وعدم التفات الأتراك الذين قدموا إلى إفريقية لتدارك العلم الذي كاد أن يضمحل في ذلك العهد، وهو ما أقره الرحالة التمكروتي في زيارته لجامع الزيتونة قبيل بداية هذا العهد (1589)، لما قال: "وليس في البلد من تقبل عليه النفس ويرتضيه العقل غيره"<sup>2</sup> وهو مؤشر يدل أن الفترة التي أعقبت سيطرة العثمانيين على تونس عرفت عقمًا في النشاط الفكري بإعراض الناس عن العلوم غير الدينية واحجامهم في العلوم الدينية عن الاجتهاد بجميع صورته واستفحال أمر الطرق وسيطرتها على الناس سيطرة لا تتطلب إلاّ مستوى متواضعا من الحياة الفكرية<sup>4</sup>، جعل أهل تونس يشتركون في اعتقاد ساذج يرى أن كل من يرمى بالحجر هو من الصالحين<sup>5</sup>.

لقد أسهم تدفق الجالية الأندلسية بالآلاف على سواحل بلدان المغرب العربي ومنهم المدن الساحلية التونسية، في نشر العلم ببناء المدارس وتشجيع الصنائع وتحويل التجارة،

فتعطلت الحركة الفكرية ولم يبق مجال للعلم والأدب، ينظر: دلندة الأرقش، "جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية بإيالة تونس"، أعمال المؤتمر العالم الثالث للدراسات العثمانية حول الحياة الفكرية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، الجزء 1 و2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق و المعلومات ، رغوان، تونس، 1990، ص: 84، 85.

<sup>1</sup> - عهد الدايات: يمتد هذا العهد بين (1591-1647).

<sup>2</sup> - ويقصد "تعبيره" العالم الجليل سيدي محمد الأندلسي خطيب الجامع الأعظم آنذاك.

<sup>3</sup> - التمكروتي، المصدر السابق، ص: 58.

<sup>4</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 22.

<sup>5</sup> - حسن الوزان، المصدر السابق، ص: 76.



إضافة الى عامل آخر تمثل في قدوم بعض العلماء الأتراك كأحمد أفندي المشهور بمولانا أحمد و الذي أخذ عنه الفقه والنحو والتفسير والمعاني والبيان والمنطق جماعة كبيرة من التونسيين من أمثال الشيخ محمد الغماد الكبير والشيخ ابو يحي الرصاع والشيخ محمد بوراوي الكبير والشيخ أبو القاسم البجائي، دون نسيان قدوم فقهاء كبار من القطر الجزائري مثل عثمان الأوراسي والشيخ محمد براو وهو من شيوخ محمد قويسم مؤلف كتاب نمط اللال<sup>1</sup>، أما العامل الثالث فتمثل في جهود بعض الحكام سواء من الدايات أو البايات المراديين في سبيل النهوض بالحركة العلمية والفكرية وهو ما أدى إلى انتعاش الحياة الثقافية خلال القرن السابع عشر (11هـ)، وخرجت الحاضرة شيئاً فشيئاً من حالة الجمود والسبات التي أردتها فيها أزمة القرن السادس عشر فنشطت الدراسات الدينية بمختلف جهات البلاد كالقيروان وسوسة صفاقس وكثر عدد العلماء من مالكية محليين أو من منتمين الى المذهب الحنفي ذلك المذهب الذي دخل افريقية مع الأتراك ثم سهر عليه ابناؤهم الذين اختاروا سبيل العلم والخطط الدينية<sup>2</sup>.

ومع أن هذه النهضة عرفت نتائج ايجابية تمثلت في إرساء قواعد ثقافية جديدة مبنية على الثنائية المذهبية "المالكية والحنفية"، وعمل الدايات على تجديد المدارس المالكية القديمة كالمدرسة الشماعية والعصفور وغيرها من المدارس<sup>3</sup>، وأسند البايات الخطط الشرعية والوظائف الإدارية الى فقهاء المالكية وأعفوا العلماء والفقهاء وطلبة العلم من الضرائب، وهو ما أسهم في ازدهار الحركة العلمية والإشعاع الثقافي بالمدن التونسية التي تحولت الى قبلة للطلاب والعلماء وهو ما انعش التعليم منذ أواخر القرن السابع عشر، وساهم في ظهور أسر

<sup>1</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق ص: 28، 29.

<sup>2</sup> - محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، تعريب محمد الشاوش، محمد عجيبة، دار سراسر، تونس، د.ت، ص: 76.

<sup>3</sup> - حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق الطاهر العموري، الدار الغربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1975، ص: 47، 48.

علمية مثل آل عظام وآل صدام وآل الزوابي وآل العواني الأشراف وغيرهم<sup>1</sup>، إلا أن دائرة الثقافة لم تخرج عن مفهومها السابق المتمثل في العلوم الدينية، وعليه بقي الانتاج الفكري منحصرا على النقل والتكرار<sup>2</sup>، ولم تحرك الصلات مع دول المغرب والمشرق أي انقلاب فكري داخل البلاد<sup>3</sup>.

ومع سيطرة الأسرة الحسينية على مقاليد السلطة منذ مطلع القرن 18م / 12هـ واستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية عرفت الحياة العلمية تحسنا كبيرا منذ عهد حسين بن علي وخليفته علي باشا وجهود الأول في الارتقاء بالحركة الفكرية والعلمية بفعل سياسته القائمة على تشييد دور العلم والاهتمام بالطلبة والعلماء، وهو ما أشار إليه صاحب الإتحاف عندما تكلم عن سياسة علي بن حسين (1172-1196هـ/1759-1782م) التعليمية بقوله: "هو الذي أحيا رسوم العلم بعد إعفائها، وأيقظ أجفان طلبته بعد اغفائها بالتفاته إلى أهل العلم بالصلوات المتواليه والإكرام والتعظيم والمجالسة والمسامرة، بحيث لا يخلو مجلسه منهم، واكتسب بذلك ملكة ومشاركة لا سيما في الحديث والفقہ والتاريخ..."<sup>4</sup>، وواصل حمودة باشا<sup>5</sup> جهود والده العلمية رغم النكبة التي أصابت البلاد نتيجة الوباء الذي ضربها سنة 1783م / 1199هـ، وأدى إلى هلاك عدد كبير من العلماء والصلحاء، حيث أعفى المجلس العلمي من الأعباء الضريبية وقرب العلماء وواصل دفع

<sup>1</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 46.

<sup>2</sup> - محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص: 76.

<sup>3</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 55.

<sup>4</sup> - ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج 2، 1989، ص: 171.

<sup>5</sup> - حمودة باشا (1199-1229هـ/1782-1814): من أشهر بايات تونس عرف بحنكته السياسية وسياسته الاصلاحية لشؤون الدولة في جميع المجالات، وكما واجه التحديات الخارجية والحملات التي استهدفت بلاده رغم صعوبة المرحلة التي تولى فيها شؤون الحكم. ينظر: رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا الحسني في تونس (1782-1814)، المجلة التاريخية المغربية، العهد الحديث والمعاصر، العدد السادس، تونس، جويلية/ يوليو، 1976. ص: 111-115.

رواتبهم وأغدق على الطلاب، وقام يوسف صاحب الطابع<sup>1</sup> في عهده ببناء المدارس والكتاتيب والجوامع<sup>2</sup>.

وبهذا ازدهرت الحياة الثقافية والعلمية وأنتجت آثارا يمكن الاستدلال من خلالها على أن البلاد على أعتاب النهضة، فلنذكر على سبيل المثال إنجاز مؤلّفين طريفيين في التاريخ هما: "المشرع الملكي في سلطنة أولاد حسين بن علي تركي" لصاحبه محمد بن محمد الصغير بن يوسف الباجي حوالي (1764-1769م) والكتاب الباشي للأديب ورجل الدولة حمودة بن عبد العزيز حوالي (1775-1778م)<sup>3</sup>. واستقطبت تونس علماء من خارج البلاد، حيث توافد إليها بعض علماء الجزائر أمثال أبو الحسن علي الجزيري (المتوفى سنة 1800م) المقرب من حمودة باشا والذي أيده في طريقته التعليمية<sup>4</sup>، كما وصل إشعاع الحركة العلمية التونسية إلى أنحاء العالم الإسلامي بهجرة علمائها إلى الخارج وخصوصا من صفاقس<sup>5</sup>.

وتحوّلت تونس بفعل هذه الجهود في المائة الثالثة عشر (القرن 19) إلى حاضرة عامرة بأجلة العلماء والفقهاء، واشتهرت البيوت بإقبال أبنائها على العلم وتوليهم للمناصب الشرعية، كآل النيفر وآل عاشور، وآل بيرم وآل أبي خوجة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - يوسف صاحب الطابع (1763-1815): من أشهر رجال الدولة التونسية في عهد حمودة باشا كلفه سنة 1782 بتنظيم الإدارة الجهوية بالمملكة (وزير الداخلية) وأسدى له مهام دبلوماسية وعسكرية كثيرة. وعرف بإنجازاته الكثيرة في المجال العلمي والاجتماعي والثقافي. ينظر: الصادق الزملي، أعلام تونسيون، تعريب وتقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1986. ص: 33-48.

<sup>2</sup> - رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)، السلسلة الرابعة، الجامعة التونسية، تونس، 1980. ص: 331-332.

<sup>3</sup> - محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص: 92.

<sup>4</sup> - رشاد الإمام، المرجع السابق، ص: 355، وابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج7، ص: 37.

<sup>5</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 74.

<sup>6</sup> - محمد الخضر حسين، المرجع السابق، ص: 09.

## خاتمة الفصل:

عرف العهد العثماني في كل من الجزائر وتونس استمرارا لحيوية كثير من الحواضر والمراكز العلمية بالبلدين رغم تراجع أداء البعض منها مقارنة بالعهود السابقة لاسيما الحقبة الزيانية بالجزائر و الحفصية بتونس، ففي الجزائر بقيت مدن الجزائر، تلمسان، قسنطينة، عنابة، بسكرة، قمار، تماسين، ورقلة، مازونة، و وهران... كمعالم رئيسية في الحياة الثقافية والعلمية نتيجة رصيدها الحضاري، وجهود السلطة القائمة في تطويرها والارتقاء بها عن طريق الاهتمام بالمراكز الثقافية كالمساجد بشكل رئيسي باعتبارها النواة الرئيسية كمؤسسة تعليمية ودينية وثقافية، وكذا المدارس والزوايا والكتاتيب. وأدت هذه الحواضر العلمية دورا بارزا في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية سواء خلال العهد العثماني أو حتى بعد الغزو الاستعماري الفرنسي.

وفي تونس لم يختلف الأمر عن الجزائر فقد شهد بداية العهد العثماني انتكاسة حقيقية لكثير من الحواضر والمراكز العلمية نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية للبلاد، لكن سرعان ما استرجعت بعض الحواضر والمراكز دورها الريادي في الثقافة التونسية من خلال الحواضر العريقة فيها كالقيروان وتونس وسوسة، المنستير، صفاقس، نفطة، توزر، قفصة وغيرها، بفضل رصيدها الحضاري العريق وجهود حكام القطر التونسي لاسيما ما حصل في عهد البايات (الأسرة الحسينية)، وكذلك احتوائها على مراكز علمية عتيقة من مساجد ومدارس وزوايا ورباطات، وفي مقدمتها جامع الزيتونة الذي ظل منارة للعلم وللفكر ينهل منه كل طالب للمعرفة وباحث عن التبحر في مختلف العلوم.

أما عن الحالة العلمية بالقطرين خلال العهد العثماني فقد غلب عليها روح التصوف والتقليد لما انتجه الأولون وظلت العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث وعلوم المنطق سائدة طيلة العهد العثماني، ولم يسجل عليها أي تطور مما جعل الحالة العلمية راكدة طيلة الفترة

العثمانية، لكن هذا لا يلغي الجهود الكبيرة لبعض الحكام سواء في الجزائر أو تونس في تطوير الحياة الفكرية والعلمية عن طريق الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والعناية بالعلماء والطلبة و تجدر الإشارة إلى تسجيل تفوق للحواضر والمراكز العلمية بتونس خاصة خلال القرن 12هـ/18م على حواضر ومراكز الجزائر.

الفصل

الثاني

## الفصل الثاني: التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس

## مقدمة الفصل

أولاً: الرحلة العلمية وأثرها في التواصل العلمي بين الجزائر وتونس

1- تعريف الرحلة: أ- لغة ب- اصطلاحاً

2- أنواعها: أ- الحجازية ب- العلمية ج- التجارية

3- نماذج عن الرحلات العلمية الجزائرية الكبرى إلى إيالة تونس وأثرها في العلاقات العلمية بين البلدين

أ- رحلة أحمد المقرئ (986-1041هـ/1578-1632م)

ب- رحلة الحسين الورثياني (1125-1193هـ/1713-1780م)

ج- أبو راس الناصري (1150-1238هـ/1737-1823م)

## ثانياً: الزيارات المتبادلة بين علماء الإيالتين

1- العلماء الجزائريون في تونس 2- العلماء التونسيون في الجزائر

## ثالثاً: الإجازات العلمية بين القطرين

1- إجازات علماء الجزائر لعلماء تونس

2- إجازات علماء تونس لعلماء الجزائر

## رابعاً: المراسلات و التقاريف

1- المراسلات 2- التقاريف

## خامساً: أشكال أخرى للتواصل

1- المناظرات العلمية 2- التنافس على شروحات بعض المؤلفات

## خاتمة الفصل

## مقدمة الفصل:

شكل التواصل بين الجزائر وتونس سمة غالبية على علاقات البلدين خاصة في جانبه العلمي واتخذ عدة مظاهر مختلفة، وسنحاول في هذا الفصل إبراز أهم مظاهر هذا التواصل من خلال الرحلات العلمية الكبرى بين الإيالتين، وتتبع حركة تنقل العلماء بينهما وتبادل الكفاءة عن طريق الإجازات العلمية وكذا المراسلات العديدة بينهما، وكتابة التقارير حول المؤلفات إضافة إلى المناظرات العلمية التي عرفت مختلف مجالس العلوم، والتنافس على شرح بعض المؤلفات الفقهية والعقدية لمجموعة من العلماء خاصة ما أنتجه بعض علماء الجزائر.



## أولاً: الرحلة العلمية وأثرها في التواصل العلمي بين الجزائر وتونس.

## 1- تعريف الرحلة:

## أ- لغة:

تعني الرحلة اسم للارتحال و للمسير، والترحل والارتحال: الانتقال وهو الرحلة والرحلة والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، نقول: انتم رُحلتني أي الذين أرتحل اليهم<sup>1</sup>، والرحلة بالكسر الارتحال للمسير، والرحلة بالضم المقصود، مثل مكة رُحلتني<sup>2</sup>.

وعليه فالرحلة تعني السير والانتقال والوجهة، أي المكان المقصود السير إليه، ويشتق من هذه الكلمة اسم كل ماله علاقة بالرحلة، كالرحالة وهو الإنسان والراحلة وهي وسيلة التنقل، وقد وردت كلمة رحلة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: "الإيلاف قريش إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف"<sup>3</sup>، وهي تشير إلى رحلة قريش التجارية إلى الشام واليمن خلال فصلين مختلفين.

## ب- اصطلاحاً:

لا يوجد مفهوم محدد للرحلة من الناحية الاصطلاحية لاختلاف وجهات نظر الباحثين والدارسين لهذا الفن، وتفسير كل واحد لها انطلاقاً من تخصصه، وعموماً يقصد بها نوعاً من الحركة، وهي مخالطة الناس والأقوام، وتعتبر مصدراً لوصف الثقافات الإنسانية، وهي ذات قيمة تعليمية كونها أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان، وإثراءً لفكره وتأملاًته عن نفسه وعن

<sup>1</sup> - جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، المجلد 1، ص: 279.

<sup>2</sup> - مجد الدين الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص: 1005.

<sup>3</sup> - سورة قريش، الآيتين 1، 2.

الآخرين في رسم ملامح حضارة العصر الذي تخصصه من عناصر ثقافة البلدان وأحوال الشعوب<sup>1</sup>.

## 2- أنواع الرحلة:

تصنف الرحلة حسب دوافعها وأغراضها إلى عدة أنواع، ويعتبر العامل الديني من أهم العوامل المؤثرة في الرحلة المغربية فقد ارتبطت جل الرحلات بأداء فريضة الحج أو مناسك العمرة وطلب العلم الذي يعتبر ركنا أساسيا في الإسلام، دون إغفال الجانب السياسي كالفرار من الظلم وتدهور أوضاع الأوطان أو لأداء مهمة دبلوماسية تتمثل في السفارة إلى دولة أخرى لإنجاز مهمة في وقت السلم والحرب على السواء، وكان معظم الرحالة في الحالتين من العلماء والفقهاء الذين دونوا رحلاتهم تاركين لنا مادة تاريخية خصبة تخص مختلف المجالات.

### أ- الرحلة الحجازية:

تعتبر الرحلة لتأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام استجابة لقول المولى عز و جل: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق"<sup>2</sup>، من أهم العوامل الأساسية لتنقل الجزائريين إلى الحجاز مرورا بمراكز وحواضر إسلامية هامة كتونس ومصر وليبيا، وهو ما جعلهم يحرصون على تدوين رحلاتهم الحجازية واصفين ما صادفهم في طريقهم من أخطار ومتاعب ومغانم مختلفة سواء كانت مادية أو معنوية (علمية)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - حسين محمد فهيم، أدب الرحلة، عالم المعرفة، الكويت، 1989. ص: 15.

<sup>2</sup> - سورة الحج، الآية: 27.

<sup>3</sup> - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 2002. ص: 27.

لم يفوت الرحالة الجزائريون فرصة التقائهم بالعلماء والاحتكاك بهم والأخذ عنهم، وسجلوا أسماء مشايخهم وأسانيدهم ومروياتهم وما أخذوا عنهم من كتب وإجازات<sup>1</sup>، كما قدموا وصفا عن الحالة العلمية لمختلف الأمصار التي مروا بها خصوصا القطر التونسي.

شاع هذا النوع من الرحلات خلال العهد العثماني وهو ينقسم إلى رحلات منظومة (شعرية) ورحلات نثرية، فالنوع الأول نجد منه العقيفة للمنداسي 1088هـ/1677 في مدح الرسول (ص)، ورحلة محمد بن مسائب وديوان عبد الكريم الفكون وغيرهم<sup>2</sup>، أما النوع الثاني (النثري) فهو الأكثر انتشارا وسنخصص له نماذج في بحثنا ونستنبط منه التواصل العلمي بين الجزائر وتونس.

### ب- الرحلة العلمية:

اشتهر المغاربة عموما والجزائريين خصوصا في شد الرحال لطلب العلم وتحصيل العلوم الدينية على يد معلم شهير أو لتلقي تدريب روعي من رجل ورع كرس حياته للتلقي، وكان هؤلاء الباحثون عن المعرفة والحكمة يغادرون القرى والمدن الصغيرة إلى الحواضر في الجزائر مرورا الى تونس ومراكزها وحواضرها العلمية لاسيما الزيتونة<sup>3</sup>، وقد تكون الرحلة في طلب العلم ضمن الرحلة الحجازية أو خارج نطاقها، كما هو شأن الكثير من الجزائريين الذين قصدوا تونس لطلب فريضة العلم دون أن ينتقلوا إلى البقاع المقدسة.

### ج- الرحلة التجارية:

إنّ الرحلة في طلب الرزق وتحصيل المعاش غالبا ما حركت الكثير من الرحالة الجزائريين سواء الى بلاد المغرب أو المشرق، ولما كانت تونس ملتقى الطرق البرية والبحرية

<sup>1</sup> - عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1996 ص: 72.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 180.

<sup>3</sup> - ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، تعريب أسمر صقر، دار طلاس، دمشق، ط1، 1997. ص: 162.

توقف عندها الكثير وقصدتها القوافل التجارية من جنوب الجزائر وشرقها<sup>1</sup>، وقد ارتبطت الرحلة التجارية بالرحلة العلمية، أي أنه مع تبادل البضائع أكيد أنّ هناك تبادل للمعرفة من كتب ومخطوطات وإجازات وأسانيد في مختلف صنوف العلم.

### (3) نماذج عن الرحلات العلمية الجزائرية الكبرى إلى إيالة تونس وأثرها في العلاقات العلمية بين البلدين:

لا يمكن الكلام عن كل الرحلات الجزائرية إلى تونس خلال العهد العثماني لأن ذلك غير ممكن وهذا مرده إلى كثرة الرحلات إلى هذا البلد الذي يعتبر نقطة تواصل بين الجزائر ودول المشرق، سواء طالّت مدة إقامة هؤلاء الرحالة الجزائريون أو قصرت، كما أن الفترة الممتدة بين القرنين 15-16م لم تكن فيها رحلات مكتوبة في الجزائر، وهو لا يدل على أنه لم يكن هناك رحلات في الجزائر خلال هذه الحقبة، ولا خلوها من الرحالة بل أن معظم الرحالة كانوا يهاجرون من دون عودة وبالتالي لم يهتموا بتدوين رحلاتهم.

ومع مطلع القرن 11هـ/17م برز رحالة جزائريون متميزون تركوا لنا رحلات ذات قيمة عالية تبرز التواصل الكبير بين الجزائر وتونس في جوانبه العلمية والفكرية والثقافية، وسنقتصر في هذا المبحث على أهم هذه الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني إلى تونس ونبين أهميتها في التواصل بين القطرين.

<sup>1</sup> - ينظر الخريطة المرفقة لأهم الطرق التجارية للشرق الجزائري مع تونس والمؤثرة في الحركة العلمية، الملحق رقم 05.

## أ- رحلة أحمد المقري (986-1041هـ/1578-1632م):

هو أبو العباس أحمد المقري التلمساني ولد بتلمسان سنة 986 هـ/1558م وهو ينحدر من بلدة مقرة قرب الزاب هاجرت أسرته الأولى واستوطنت تلمسان واشتهر أفرادها بتولي وظائف القضاء والإفتاء والخطابة<sup>1</sup>.

تلقى المقري العلم عن كبار الفقهاء والعلماء بحاضرة تلمسان، وكان عمدته في التعلم والتأديب عمه أبا عثمان سعيد المقري مفتي تلمسان وكبير مشيختها، وبعد دخول العثمانيين إلى تلمسان انتقل إلى مدينة فاس 1009هـ/1600م وبها لمع نجمه بجامع القرويين وأقبل الناس عليه وهو ابن الثالثة والعشرين آنذاك<sup>2</sup>، وتردد على المغرب وقضى به خمسة عشر سنة في كنف سلطة السعديين إلى أن تركها نهائياً سنة 1027هـ/1617م<sup>3</sup> متوجها لأداء فريضة الحج، وفي سنة 1028هـ وصل مصر بعد أداء مناسك الحج وبها تزوج وسكن ولكنه سرعان ما غادرها قاصدا دمشق التي مكث بها ودرس وناظر في مساجدها ولقي بها قبولا كبيرا واجتمع الناس حوله وبهروا بعلمه وفصاحته وبيانه، ورغم أنه غادرها إلى مصر عدة مرات لكن دمشق بقيت منيته في الاستقرار إلا أن الموت خطفه بمصر سنة 1041 هـ/1632م هاما الرجوع إلى بلاد الشام<sup>4</sup>.

يعد المقري من أشهر الشخصيات العلمية في القرن 11هـ/17م وأكثرها تأثيرا في بلاد المغرب والمشرق، بما حاز من علم وإمامة وفقه وعلم حديث وبلاغة وبيان، وإنتاج فكري تحول إلى تراث علمي وثقافي غزير في شكل مؤلفات منها: عُرف الطيب في أخبار ابن

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988. ص:327.

<sup>2</sup> أحمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في نكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص:6،5.

<sup>3</sup> أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص:542.

<sup>4</sup> نفسه، ص:540-553، خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص:237.

الخطيب وفتح المتعال، إضاءة اللجنة في عقائد أهل السنة، أزهار الكمامة وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، قطف المهتصر في أخبار المختصر في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وحاشية شرح أم البراهين<sup>1</sup>.

ويمكن اعتبار المقرئ من أبرز الرحالة الجزائريين في بداية الفترة العثمانية بالجزائر القرن 11هـ/17م، وتحمل رحلته عنوان "رحلة في المشرق والمغرب" والتي أورد أسبابها وتاريخها ووجهتها في كتابه عُرف الطيب أو "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، وكذا في مؤلفات أخرى "كروض الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس" و"أزهار الرياض في أخبار عياض"، ورغم الجدل الكبير بين الباحثين حول نص رحلته الأصلية التي عدها البعض في حكم المفقود بينما يؤكد البعض الآخر أنها موجودة<sup>2</sup>.

تعطي الرحلة فكرة واضحة عن نشاط المقرئ الفكري والعلمي بكل من المغرب الأقصى والجزائر وتونس وبلاد المشرق (الحجاز - الشام - مصر)، وذلك بما احتوت عليه من مادة نثرية ونظمية في شكل إجازات بين المؤلف وعلماء عصره، وهي بذلك تقدم صورة عن مظاهر الحركة العلمية والفكرية ومظاهر النشاط الثقافي بالحوضر والمناطق التي زارها ومكث فيها لمدة طويلة أو قصيرة.

ولما كان موضوع دراستنا يتعلق بالعلاقة العلمية بين تونس والجزائر فإننا نقتطف جزءا من هذه العلاقة من خلال تواجد المقرئ بتونس سنة 1028هـ/1618م، ونحن نعلم أن الزيارة لم تكن إلا مجرد فترة استراحة قليلة للمرور إلى الحجاز.

<sup>1</sup> - أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص: 541.

<sup>2</sup> - قام بتحقيق رحلة المقرئ عدة باحثين منهم محمد بن معمر من جامعة وهران تحت عنوان رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق سنة 2004، وهي مخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 3191 وتضم 66 ورقة.

نال المقري حسن استقبال وضيافة من قبل علماء تونس وحظي باهتمام كبير<sup>1</sup> يدل على مكانته وعلو كعبه ومنزلته العلمية والأدبية الكبيرة، وذاع صيته وشهرته الواسعة إلا أن صلاته مع علماء تونس لم تكن وطيدة كما كانت مع علماء المغرب لذا لم يتواصل الا مع القليل منهم<sup>2</sup>.

فأثناء نزوله بمدينة سوسة عام 1028هـ/1618م، واستقراره بها لمدة استجازة مكاتبة من مدينة تونس الشيخ محمد تاج العارفين<sup>3</sup>، وهو حينئذ من كبار علماء تونس، ثم حضر إلى المقري بسوسة فنظم له إجازة في ثلاثة وأربعين بيتا وهو يعرف مكانة تاج العارفين في تونس ويتضح ذلك من خلال العبارة الأولى التي استهل بها كلامه في اجازته له حيث قال: "وقلت مجيبا الأخ في الله سلالة الأكابر الشيخ تاج العارفين العثماني التونسي، حفظه الله وقد سأل مني الإجازة..."<sup>4</sup>.

تعطي الإجازة صورة واضحة عن الواقع العلمي والفكري في تونس حين زارها المقري أذ عرفت تدهورا وتراجعا كبيرا في هذا المجال إذا ما قورنت بعهود سابقة ، ولذلك نجد أنه يتحصر على ما آلت إليه أحوال العلم في الإيالة خلال القرن 11هـ/17م، ورغم ذلك فإنه يجيز تاج العارفين في جميع مروياته ومؤلفاته واستعرض عددا من الفهارس التي تضم بعض الأسانيد ، كما ذكر سنة الإجازة و مكان تحريرها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:216، 217.

<sup>2</sup> - لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 196.

<sup>3</sup> - محمد تاج العارفين: كان حيا سنة 1628/1037، من كبار علماء تونس والأسرة البكرية، تولى إمامة الزيتونة وبقيت تتوارثها العائلة مائة وثلاثة وسبعين سنة، وله مع علماء عصره مراسلات منهم عبد الكريم الفكون سنة 1037هـ. ينظر: محمد قاسم مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص:425.

<sup>4</sup> - المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن عمر، مكتبة الرشد، الجزائر ، 2004، ص:153.

<sup>5</sup> - ينظر: نص الإجازة الملحق رقم 08.

ولم يسفر اللقاء بين المقرئ وتاج العارفين عن الإجازة فقط بل أظهر صورة أخرى من مظاهر الاحترام والود المتبادل بين علماء الجزائر وتونس، حيث قدم العالم التونسي هدية لمجيزه وهي تعبير عن المحبة والاحترام، وقد لاقت في نفس المجيز فرحة وامتناناً.

وجمع المقرئ بتونس لقاء علمي ثان بأحد علمائها من مدينة القيروان وهو الشيخ أبي القاسم محمد بن جمال الدين بن خلف المسراتي القيرواني<sup>1</sup>، وتوج اللقاء بإجازة طلبها المعني من العلامة المقرئ فأجازه بمنظومة قصيرة في ثمانية أبيات أقر فيها المقرئ الإذن له برواية جميع مؤلفاته ومروياته<sup>2</sup>.

وبالرغم من قلة نشاط المقرئ بتونس وانحصار المادة العلمية في الرحلة في نموذج الإجازتين السالفتي الذكر فإنها تبيّن مدى التواصل العلمي بين الإيالتين وحرص العلماء للاستفادة من بعضهم البعض من جهة، وسبق صيت المقرئ إلى تونس قبل دخولها و دراية الأخير بالحياة الفكرية والعلمية بتونس خلال القرن 11هـ/17م وإعطائه صورة حية وشهادة تبرز المستوى الذي وصلت إليه الإيالة في الحياة الثقافية.

وتجدر الإشارة أن المقرئ نال حظه في الكتابات والمؤلفات التونسية فقد خلد سيرته وآثاره الحبيب الجنحاني التونسي في رسالة سماها "المقرئ صاحب نفح الطيب" ونفس العمل قام به عثمان الكعك التونسي في عمل سماه "المقرئ"<sup>3</sup> وهذا يدل على مكانة الرجل العلمية في الأوساط التونسية ومدى التقارب والتواصل الفكري والعلمي بين الشعبين.

<sup>1</sup> - أبو القاسم بن خلف المسراتي: (ت 1065هـ/1654م)، ينظر، محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 305.

<sup>2</sup> - المقرئ: الرحلة، المصدر السابق، ص: 237.

<sup>3</sup> - خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 1، ص: 237.



## ب- رحلة الحسين الورثيلاني ( 1125هـ - 1193/1713-1780م):

ولد الحسين بن محمد السعيد في بني ورثيلان<sup>1</sup> ومن ثمة نسبته الورثيلاني سنة 1125 هـ/1713م وتوفي بنفس المكان سنة 1193هـ/1780م، جمع في أصوله بين الدين والدنيا فالدين عن طريق جده ووالده اللذين كانا من المرابطين، والدنيا عن طريق أخواله أولاد مقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف<sup>2</sup>، ومع ذلك نشأ نشأة فقيرة أساسها النقشف الصوفي، وفي مدرسة والده القرآنية حفظ القرآن مبكرا، وتعلم مبادئ الدين وعلومه الأساسية، ثم تنقل بين الزوايا ومراكز العلم في مختلف مناطق الوطن متبحرا في الفقه والنحو والتوحيد وعلوم التصوف وبعد أن تمكن منها، رجع إلى مدرسة والده ليمارس مهنة التدريس وتخرج على يده عدد هائل من العلماء<sup>3</sup>.

يعتبر الورثيلاني من أكبر العلماء والمشايخ والرحالة الجزائريين خلال القرن 12هـ/18م، وذلك بمساهمته في الحركة العلمية والفكرية عن طريق مزاولته مهنة التعليم لمدة طويلة سواء في مسقط رأسه أو في مناطق مجاورة لها (بجاية)، أو بتدوينه لكتب قيمة<sup>4</sup> معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد والتاريخ، ويعتبر مؤلفه "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المعروف بالرحلة الورثيلانية أهم مصدر في التعريف بالمورث الثقافي والعلمي والاقتصادي والاجتماعي لبلاد المشرق والمغرب، وتمكن من إنجاز هذا العمل الضخم بعد قيامه بثلاثة حجات الأولى سنة 1153هـ/1740م، والثانية سنة

<sup>1</sup> وهي قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية، وهي اليوم مدينة تابعة إداريا لولاية سطيف.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص: 394.

<sup>3</sup> نفسه، ص: 394.

<sup>4</sup> من أهم كتب الورثيلاني: شرح على منظومة القدسية لعبد الرحمان الاخضري، شرح العقيدة الوسطى للسوسني، حاشية على حاشية السكتاني التي وضعها على شرح العقيدة للسوسني، شرح المقاصد للإمام أحمد بن زكري التلمساني، شرح على كتاب الصلاة للشيخ السمان القرشي، شرح وظيفة يحيى العبدلي، المرادين في الأحكام والأوراد. ينظر: الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد بن شنب، مطبعة بيار فونتان، الجزائر، 1908. ص: 5، 10، 87، 108، 284، 529، 530.

1166هـ/1752م والثالثة سنة 1179هـ/1765م، جمع خلالها معلومات تاريخية وملاحظات عن الأماكن التي مر بها فضلا عما فيها من أخبار المتصوفين مشرقا ومغربا<sup>1</sup>.

وأهم ما امتازت به الرحلة الورثيانية الجهد الكبير الذي بذله مؤلفها في سرد كم هائل من المعلومات في شتى علوم ومواضيع العصر، و الغرائب والطرائف، وكرامات الأولياء وأصحاب الطرق وتطرق إلى قضايا الجدل في عصره كقضية شرب القهوة وتناول الدخان وسماع الموسيقى، وقطع الميراث عن المرأة في بعض الجهات، كما استتكر طريقة الحكم العثماني وقلّة العلم في عهده وشيوع الرشوة والاستيلاء على الأوقاف وانتشار الظلم<sup>2</sup>.

مر الورثياني في رحلته بتونس و تعرّف خلالها على حواضرها ومراكزها العلمية، واختلط بعلمائها وصلحائها، وزار أضرحة أوليائها واحتك بحكامها وأمرائها ورجال الدولة فيها وقدم شهادته على الحركة العلمية والثقافية والفكرية بالإيالة خلال القرن 12هـ/18م من خلال التعريف بعلمائها وتبيان دورهم ومساهماتهم في هذا المجال مركزا على دور مدينة تونس باعتبارها منارة علم وجذب واستقطاب للعلماء بفضل جامعها الأعظم الذي ظل مركز الحياة الثقافية في تونس وبلاد المغرب، كما قدّم صورة عن التواصل العلمي بين الرحالة الجزائريين وعلماء تونس في أبهى مظاهره من خلال تبادل الإجازات والمصنفات وعقد المناظرات والمجالس العلمية وحل بعض القضايا المستعصية وما يدور فيها من بث للعلوم وتبادل للمعارف.

تحكمت ثقافة الورثياني الصوفية في نقله لواقع الثقافة وتطور الحركة الفكرية بالإيالة التونسية بتركيزه على المزارات والأضرحة والتبرك بالأولياء وكراماتهم أحياء وأموات، وجاب الورثياني الحواضر التونسية وكذا القرى الصغيرة والتجمعات السكانية الفرعية وتوقف

<sup>1</sup> - دلندة الأرقش، جمال بن طاهر، عبد الحميد الأرقش، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، تونس، 2003، ص:292.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:398.

بمؤسساتها العلمية وتفاعل مع أهلها خاصة النخبة منهم من مدرسين وفقهاء وعلماء وما جرى له معهم، كما لم ينس الأموات منهم بزياراته لهم والتقرب من أضرحتهم، واعطاء لمحة عن مسيرتهم ودورهم الاجتماعي والعلمي والثقافي.

بين الورثياني إعجابه بتطور الحركة العلمية وازدهارها في معظم المدن التونسية خلال القرن 12هـ/18م، وأرجع ذلك إلى سياسة الدولة في تشجيع الحركة الفكرية بإقامة المنشآت التعليمية كبناء المدارس والمساجد، وتقريب العلماء والفقهاء وخصهم بالامتيازات وفي ذلك يقول: "إن سلاطين تونس وأصحاب الدولة فيها صرفوا همهم إلى العلم وأقاموا منائر عزة فبنوا المدارس وأوقفوا الأحباس وأعزوا العلماء وأغنوا للدرس الجلاس فأسهموا كلا على قدر همته وانشغاله فإذا كان كل شيء على أصله وفصله ومنواله فمن لم يصبه منهم كثير وصل إليه نزر قليل لمثل العلم فليعمل العاملون..."<sup>1</sup>.

وهذه السياسة انعكست على ارتفاع عدد العلماء والمؤسسات التعليمية بالحواضر التونسية، وجعلتها قبلة ومحجاً لعلماء بلاد المغرب خاصة منهم المتوجهين لأداء فريضة الحج. لكنه بالمقابل لم يخف الورثياني ظاهرة التضيق على العلماء بسبب آرائهم وميولتهم السياسية أو الوشاية بهم إلى الحكام، كما حدث مع علامة سوسة الشيخ عبد الهادي الذي جيء به إلى مدينة تونس لأن أميرها علي باشا اغتاض عليه ومن عادته أنه إذا ضاق على أحد من العلماء حبسه في المسجد للتدريس ثم أنه يجري عليه النفقة وما يستحقه<sup>2</sup>، و نفس الشيء مع أحد العلماء المدرسين بمدرسة مدينة الكاف، " وأن بعض المدرسين في المدرسة المعلومة فيها قد وشي به إلى سلطان تونس إذ قيل له أن هذا العالم وجماعة أرادوا أن يأخذوا بيد ابن يونس<sup>3</sup> وأظنه كذب فرفعه إلى تونس حين كنا فيها فشفعنا فيه عنده ليرده إلى

<sup>1</sup> - الورثياني، المصدر السابق، ص: 662.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 658.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 678.

أهله فامتتع وقال "وإنما أجعل له راتباً في تونس يدرّس فيها وكان الأمر كذلك أصلح الله الكل"<sup>1</sup>. وهاتين الحادثتين تؤكدان فرض الرقابة على العلماء من قبل السلطة الحاكمة في تونس وانفرادها بفرض إقامة جبرية داخل المساجد للتدريس، في حال عدم رضاها على أحد من العلماء لأي سبب كان.

بدأ الورثياني حديثه عن الحركة العلمية والفكرية بتونس من مدينة توزر في الجريد حيث أعجب باتساعها وجودة تمورها وجمال بناءاتها خصوصاً المساجد والمدارس وفي ذلك قال: "وقد بنى بها محمد باي مدرسة للطلبة جيدة بإزاء مسجد جيد متقن رائع اعتمدتها كلها رخام"<sup>2</sup>، ثم عرّج للتعريف بعلمائها ومدرّسيها، فعرّف بالشيخ عبد القادر الفاسي الذي لقيه سنة 1153هـ/1740م بقوله: "الفاضل والفهامة الكامل سيدي عبد القادر الفاسي يقرأ في مسجد توزر في التفسير... وكان رضي الله عنه حافظاً للروايات ناقلاً مذاهب العلماء عبارته سلسلة فصيح اللسان حلو الكلام ما أحسنه في وقته قلّ نظيره.."<sup>3</sup> كما ذكر زيارته لسيدي إبراهيم الخليل من أولاد الشيخ الغوث من أولاد سيدي سالم، و خديم الطلبة والعلم السيد أحمد بوطبة الذي انتقل واستقر بقفصة، أما عن أولياء المدينة اللذين خصهم بالزيارة<sup>4</sup> فذكر الولي أحمد الزريبي، وقبر سيدي سالم، والشيخ أبو الفضل النحوي<sup>5</sup>، والعالم الكبير ابن شباط

<sup>1</sup> - الورثياني، المصدر السابق، ص: 683.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 123.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 124.

<sup>4</sup> - الورثياني، المصدر السابق، ص- ص: 124 - 126.

<sup>5</sup> - أبو الفضل النحوي: المعروف بابن النحوي التوزري، من مشاهير علماء الإسلام وأحد المجددين للفقهاء الإسلامي وأصوله، مجتهد نحوي ناظم فقيه من أهل تلمسان، ولد بتوزر له رحلة إلى الأندلس ثم استوطن القلعة، وهو تلميذ ابن اللخمي الذي أخذ عنه الحديث. عبد الحق حميش، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، موسوعة تراجم علماء الجزائر تلمسان وتوات، دار زمورة، الجزائر، 2011، ص: 259، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص: 682-684.

الشقراطيبي<sup>1</sup>.

وبمدينة قفصة وفي حفته الأولى التقى الفاضل من بلغ درجة التأليف المشهور علمه وفقهه الشيخ المنصوري وأيضا الشيخ أحمد بن نفيس صاحب الكرامات<sup>2</sup>، وفي قابس<sup>3</sup> وقف الورثيلائي على مآثر المدينة ومعالمها الطبيعية والأثرية وأنكر على أهلها بعض العادات الفاسدة كاجتماع الرجال والنساء قرب نهر المدينة من غير ستر كل واحد يرى عورة الآخر وقام بزيارة ضريح الصحابي الجليل أبي لبابة<sup>4</sup> الذي بنى عليه أمير تونس حمودة باشا بنيانا عظيما، كما أعجب الورثيلائي بالمدرسة والمسجد المحاذيين للضريح وذلك بقوله: "وبإزائه مدرسة بناها محمد باي في غاية الجودة والاتقان والحسن ومسجده كذلك وجعل لهذه المدرسة أحباسا ورتب فيها عشرين طالبا يعطي كل واحد منهم رايالا على رأس كل شهر"<sup>5</sup>. ولم يفوت فرصة تواجهه بالمدينة حيث اجتمع مع بعض فضلائها من طلبة العلم وصلحاء البلد كالمدرس الإمام الفاضل العالم سيدي عمر.

<sup>1</sup> - ابن شباط الشقراطيبي (618-681هـ): هو محمد بن علي المصري المعروف بابن الشباط التوزري وهو العالم الرياضي والأديب المؤرخ أحد أعلام العلماء وصدور القضاة الفضلاء، شرح قصيدته الشقراطيبيية في مجلدات عدة، سمي مؤلفه "الغرة اللاتحة والمسكة الفائحة في الخطوط الصمدية والمفاخر المحمدية. محمد النيفر، المصدر السابق، ج1، ص: 260، 261.

<sup>2</sup> - الورثيلائي، المصدر السابق، ص: 126.

<sup>3</sup> - قابس: مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر الأبيض المتوسط في داخل الخليج، تشتهر بزراعة التمر وأهلها سود البشرة يمارسون الفلاحة. لم تعرف المدينة أي تطور علمي وثقافي خلال الفترة الحديثة حسب ما وقف عليه معظم الرحالة الذين مروا بها، مثل العبدري و حسن الوزان و العياشي وغيرهم. ينظر: العبدري، المصدر السابق، ص: 182، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 91، العياشي، المصدر السابق، المجلد2، ص: 533، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص: 279، 280.

<sup>4</sup> - أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري: صحابي شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة أحد وما بعدها من المشاهد، توفي في خلافة علي رضي الله عنه، قبره في قابس وعليه مسجد وهو منه في بيت مغلق. العبدري، المصدر السابق، ص: 484.

<sup>5</sup> - الورثيلائي، المصدر السابق، ص: 27، 28.

واغتتم فرصة تواجده بقباس وأجاب طلبتها على بعض مسائل العلم وعرض مؤلفاته عليهم وفي ذلك يقول: " وطلبوا منا البحث في بعض النوازل من مشكلات الفنون وقوانين العلوم فأسعفتهم على ذلك بحسب ما فتح لي الوهب الرباني والمنح الفرداني... لاسيما لما رأوا بعض المؤلفات لنا"، كما استغل وجود بعض فضلاء جربة في المدينة من نجباء أولاد الجمني في مناقشة قضايا تخص العلم حيث قال: فاستفادوا منا واستفدنا منهم"، وعرف بالشيخ إبراهيم الجمني ومدرسته الكبيرة<sup>1</sup> والعظيمة والمعلومة في نشر العلم، غير أنه تمنى زيارتها في فرصة أخرى، وتعرف أيضا بأحد أعمدة العلم والفضل بمدينة جربة وهو موسى الجمني، الذي قال عنه: "العالم العارف بالإتقان الذي تؤخذ عنه الآن العلوم والفنون شتى تأتيه الطلبة من كل البلاد، وتشد إليه الرحال من جميع البلاد فقد ظهر فضله وانتشر علمه وثبت حلمه عند كل الناس في تلك الأقطار وتبين فضله في جميع القرى والأمصار"<sup>2</sup>.

وعن مدينة صفاقس سجل الورثياني إعجابه بموقع المدينة وتنوع ثرواتها ومعالمها الأثرية المتنوعة الضاربة في عمق التاريخ، وأبرزها أضرحة العلماء والأولياء، حيث زار الكثير منها وخص بالذكر ضريح الشيخ اللخمي<sup>3</sup>، وقبر النوري الذي أدرك الورثياني بعض تلامذته خلال حجته الثانية<sup>4</sup>.

ولم يخف استيائه من مستوى بعض العلوم كعلم الكلام والنحو والفقه، رغم كثرة المجالس العلمية وتنوع المؤسسات التعليمية وكثرة العلماء والطلبة، "وجود مسجد عظيم يجتمع فيه القراء والعلماء للتدريس". ويتضح ذلك من خلال مشاركته في بعض المجالس

<sup>1</sup> - الورثياني، المصدر السابق، ص: 653.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 653، 654.

<sup>3</sup> - أبو الحسن علي اللخمي: أصله من القيروان فقيه صفاقس، أديب محدث، أخذ عنه عبد الله المازري، أبو الفضل النحو، وعبد الحميد الصفاقسي وغيرهم توفي سنة 478هـ وقبره مزار وبنى عليه بعض الولاة قبة مشهورة. محمد مقديشو، المصدر السابق، ص: 276، 277.

<sup>4</sup> - الورثياني، المصدر السابق، ص: 656.

العلمية في قوله: " وقد باحثت البعض في علم الكلام لأنني وجدته مدرّسا فيه فلم يستطع فهم الإشكال فضلا عن الجواب وعلى تقدير فهم الإشكال فلا يقدر على الجواب لضعف ملكته، ثم انتقلت إلى مجلس آخر في الفقه غير أن صاحبه منصف فاجر بالعجز والتقصير وقد علمت أن لا ادري علم وهو جنة (بضم الجيم) العالم أي حصن ووقاية له إذا وقع له ريب فلا ينافي العلم. ثم انتقلت إلى مجلس في النحو غير أنه تأدب معي وهو يقرأ ويسأل ويسمع مني وينقل إلى أن شاع أمري ذلك اليوم في مدينة صفاقس فصار الطلبة يخرجون إلى الخيمة يقصدون الاستفادة في العلم والاختبار على حسب قصد كل ولكل امرئ ما نوى، ثم اشترينا بعض منها...<sup>1</sup>.

وعن سوسة قال: " إنها مدنية علم وبركة، ومحل الصالحين والعلماء العاملين أحياء وأمواتا، فالنسبة للأحياء ذكر منهم العامل الفاضل والعلامة المدقق الذي يده تجول في كل العلوم الشيخ عبد الهادي، وتأسف الورثيلاني عدم ملاقاته لكنه أكد في موضع آخر الالتقاء به فيما بعد أثناء زيارته للمدينة تونس وهو يؤدي عقوبة فرضها عليه علي باشا. أما عن الأموات فركز على طبقة العلماء المؤلفين أهل الترجيح من المجتهدين كالإمام المازري وابن يونس وغيرهما<sup>2</sup>.

وفي مدينة تونس التي قضى فيها نحو خمسة أشهر ونيف وهو مشغول بتحصيل العلم وتدريس الفنون وضبط القواعد من العلوم، فقد أكد الورثيلاني أنّ تونس قاعدة من قواعد العلم ومدينة من مدن الفهم ودار فقه، لا يمكن استقصاء ما فيها من النجباء والفضلاء والصلحاء الأحياء منهم والأموات، وقد زار من يعتد بزيارته، وأجاز بالأذكار والعلوم ما لا يحصى عدّه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الورثيلاني، المصدر السابق، ص: 656.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 657، 658.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 667 ، 668.

ومن الأموات الذين زارهم الورثياني وتبرك بقبورهم الشيخ محرز بن خلف<sup>1</sup> وسيدي علي بن زياد<sup>2</sup> والشيخ المرجاني وما كان في الزلاج كابن عبد السلام<sup>3</sup> و ابن عرفة<sup>4</sup> و البرزلي وابن هارون وابن راشد القفصي<sup>5</sup> ومغارة الشاذلي<sup>6</sup> ومحل الأربعين من أصحابه وغيرهم من العلماء والصلحاء<sup>7</sup>.

وعن نجوم الخضراء من العلماء الأحياء التقى عددا هائلا منهم استفاد منهم وأفاد وعرف من يستحق التعريف ومر على من يعتد باسمه، وأول من لاقاه الشيخ محمد الغرياني<sup>8</sup> وهو محدث نحوي تصريفي منطقي أصولي متكلم عروضي مفسر، رحيم للأمة المحمدية لاسيما غرباء الطلبة، ومنهم السيد ابن محجوبة وولده محمد، والأديب اللامع

<sup>1</sup> - محرز بن خلف: (340-413هـ / 951-1022م) من عائلة زهد، درس العلوم الدينية و اللغوية، تردد على القيروان ورحل إلى مصر حيث أخذ عن علمائها (الأبهري) لعب دورا كبيرا في نشر المذهب المالكي، يسميه أهل تونس بسلطان أهل المدينة والدنيا، وضريحه مزار ومحور لمدينة تونس، أما زاويته فلم تبن إلا في العهد الحفصي. خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص:284.

<sup>2</sup> - علي بن زياد : هو أبو الحسن علي بن زياد الطرابلسي المولد ثم التونسي، الفقيه المقتي المتوفى سنة 183هـ/779م وهو أول من أدخل الموطأ إلى بلاد المغرب، خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص:289.

<sup>3</sup> - ابن عبد السلام الهواري: وهو الفقيه أبو عبد الله قاضي الجماعة بتونس المحروسة، له شرح على مختصر الحاجب على مذهب الإمام مالك، توفي سنة 749هـ. أحمد بن القاضي، ذرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد أبو النور، دار الترابة، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، دت، ج2، ص:133.

<sup>4</sup> - ابن عرفة : ولد بتونس سنة 716هـ، شيخ الإسلام علامة الدنيا وحائز قصب السبق في الفنون، مجد المائة الثامنة الشيخ بن عرفة الورغمي التونسي، تولى إمامة الزيتونة بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم البسيلي، واستمر في الإمامة والخطابة إلى غاية وفاته سنة 803هـ/1404م وله التصانيف المفيدة في فنون عديدة. ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج7، ص61، محمد النيفر، المصدر السابق، ص ، ص:334، 335.

<sup>5</sup> - محمد بن راشد القفصي: (650-726هـ/1260-1336م) محمد بن عبد الله بن راشد القفصي، تعلم بقفصة وتونس ثم رحل إلى مصر وأخذ عن علمائها الكبار ، حج ثم رجع إلى قفصة وتولى بها القضاء، له مؤلفات كثيرة في الفقه وعلوم اللغة العربية.

<sup>6</sup> - مغارة الشاذلي: وهي مغارة أبي الحسن الشاذلي التي كان يتعبد فيها، وهي قريبة من قبره الزلاج وإبراهيم الرياحي قصيدة طويلة يؤرخ بناءها سنة1232م. محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص:791.

<sup>7</sup> - الورثياني، المصدر السابق، ص:668.

<sup>8</sup> - محمد الغرياني: الفقيه المفتي المحدث، ولد بالقيروان وبها أخذ العلم ثم رحل إلى تونس، فأخذ عن قاسم بن عاشور وغيره، ثم حج وفي طريقه زار مصر، توفي سنة 1216هـ/1801م، ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج7، ص:41.



والمؤرخ الشهير حمودة بن عبد العزيز صاحب الكتاب الباشي والذي كان والده محمد شيخا للورثياني، والمحقق والأديب النحوي اللغوي الحنفي حسن الترجمان، والعالم الأصولي المنطقي الفقيه في العلم والتخصص أحمد بن عبد الصادق، كما أنه التقى بالعالم المعروف صالح الكواش، وناصر القابسي<sup>1</sup> ونجله، والعلامة الفهامة عبد الله السوسي<sup>2</sup> ونجله محمد وأحمد. واجتمع أيضا بأحمد التجاني ومحمد المغربي، وصاحب الأوراد أحمد الباهي ومطعم الطعام وصاحب الزاوية الشهيرة محمد بن الحاج نجل سيدي أحمد المجذوب<sup>3</sup>.

ومن حواضر تونس أيضا زار الورثياني مدينتي بنزرت والكاف و قال عن الأولى أنها مدينة ظريفة طيبة وشريفة، مليحة المرسى فيها من العلماء والصالحين الكثير وزار فيها صاحب البركة وولي الله سيدي عبد الواحد المشهور بالزيارة<sup>4</sup>. وعن المدينة الثانية -الكاف- وهي الحد الفاصل بين الجزائر وتونس وبؤرة التوتر بين البلدين في معظم الأوقات، وصفها الرحالة الحسين بأن طلبة القرآن والعلم وعلمائها لا باس بهم، وأنه تكلم معهم في بعض مسائل العلم فوجد بعضهم على شرفة من الفهم غير أن الوطن خال من الاعتناء بالعلم<sup>5</sup>.

ولم يفوت الورثياني تنويهه بمؤسسة العلم والثقافة جامع الزيتونة ودوره في الحياة الفكرية والعلمية بتونس والعالم الإسلامي على مر العصور في استقطاب الطلبة والعلماء الذين يجتمعون فيه للإقراء والتدريس واصفا إياه: "بالجامع الذي انتشرت عليه الأنوار وانبسطت عليه الأضواء والمعارف والعلوم والأدكار، كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا

<sup>1</sup> - ناصر القابسي: من كبار علماء تونس في نهاية القرن 12هـ / 18م، مارس مهمة التدريس مع شيوخ عصره كالشيخ

الظاهر بن مسعود وغيره ودرس عنه الكاتب حمودة يوسف. ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج8، ص:173.

<sup>2</sup> - عبد الله السوسي: ولد بالمغرب قدم تونس لطلب العلم واستقر بها، اشتهر بغزارة علمه كما كان أديبا و شاعرا. محمد

النيفر، المصدر السابق، ج1، ص: 501، 502، محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

ط1، ج4، 1996، ص:60.

<sup>3</sup> - الورثياني، المصدر السابق، ص:660-667.

<sup>4</sup> - نفسه، ص:677.

<sup>5</sup> - نفسه، ص:683.

للعلوم فما أحسنه من جامع أكرم به الطلبة الباحثين فشمس أنوار الفهوم فيه مشرفة، وفوائده محققة ومدققة فهو جنة العارفين<sup>1</sup>.

ويبدو أن الورثيلائي حظي بمكانة مرموقة في تونس بفضل علمه وعلاقاته الطيبة مع العلماء ورجال الدولة على أعلى مستوى، وهذا ما جعل علماء الإيالة وأفاضلها وطلبتها يخرجون في توديعه لما هم بالرجوع إلى الجزائر، وفي هذا قال: "ولمّا خرجت من تونس ودعني أكثر علمائها، وجم فضلائها وعامة طلبتها، كالفاضل المحقق والكامل المحقق سيدي محمد الغرياني ومن لا يحصى عددا إلى سيدي عبد الله الشريف فاجتمعوا هناك فما أصعبه من فراق.

وهذا ما جعله يفكر في اختيارها كمقر لسكناه نتيجة مبالغة أهلها وعلمائها في محبته والظروف الملائمة لنشر العلم عكس الجزائر، وهذا تبيّن من خلاله قوله: "أخذًا بخاطر من فيها من العلماء والصالحين ممن بالغوا في محبتي واشتياقا في إقامتي، ناويا الرجوع إليها والتوطن فيها رغبة في نشر العلم وبثه لكثرة الآخذين فيها مع عدم الكلفة للطلبة الآخذين بخلاف وطننا فإنه لا بد من كلفة الطلبة والإقامة بمؤونتهم والّا انقطع مادة العلم..."<sup>2</sup>.

### ج- رحلة أبوراس الناصري: (1150-1238هـ/1737-1823):

هو محمد بن أحمد عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر<sup>3</sup> الجليلي، ولد بنواحي جبل كرسوط بالغرب الجزائري من أسرة توارثت العلم والصلاح والتصوف ويعود نسبها إلى

<sup>1</sup> - الورثيلائي، المصدر السابق ، ص: 661.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 677، 678.

<sup>3</sup> - يرى أبو القاسم سعد الله أنّ نسبه هو "الناصر" وأنّ الناصري خطأ وقع فيه بعض المؤلفين، لأنه بالرجوع إلى بعض مؤلفاته يؤكد أبو راس أن نسبه العائلي هو الناصر مثل ما بيّنه في شرحه للشقائق النعمانية . ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:377.

آل البيت<sup>1</sup>. نشأ أبوراس في بيئة فقيرة وقاسية جعلته يعيش معظم حياته في بؤس وفقير ويتم خصوصا وأنه فقد والديه في سن مبكرة ولم يكفله سوى أخوه الأكبر عمر الذي تنقل به إلى المغرب، ومن شدة معاناته قال عن نفسه أنه: «لم يلبس الثياب ولا النعال إلا عن قرب صومه»<sup>2</sup>.

تلقي تعليمه الأول على يد والده أحمد الذي يقول عنه: أنه من القراء الماهرين والأساتذة المشهورين ومن أهل الحزم في القرآن<sup>3</sup>، وعلى يد مجموعة من الشيوخ يتقدمهم صاحب الفضل عليه العلامة عبد القادر المشرفي<sup>4</sup>، كما أخذ العلم عن علماء من مختلف البقاع سواء في مدن الجزائر أو خارجها مغربا ومشرقا.

كرّس أبو راس معظم حياته للتدريس فقد زاول التعليم بأمر العسكر (معسكر) ستا وثلاثين سنة مجتهدا ومنضبطا لم يغيب عن مهنته يوما "ما بطلت فيه يوما واحدا"<sup>5</sup> وأقبل عليه الطلاب من كل المناطق حتى وصل عددهم إلى السبعمئة وثمانون طالبا، وبذلك علا شأنه ورسخت قدمه في العلم حتى غدا معروفا ومشهورا، وفي ذلك قال: "حتى صارت حضرتي في العلم تذكر في الآفاق وتنسبك دروس مصر والشام وتونس والعراق"<sup>6</sup>.

لم يمنع أبا راس مزاولته للتدريس الاهتمام بشؤون كتابة المؤلفات في مختلف العلوم والتنقل بين مختلف الأمصار حتى صنف من أبرز الرحالة الجزائريين في أواخر العهد العثماني، وأكثرهم علما ومعرفة وتدوينا للكتب لا سيما ما تعلق بالتاريخ والأنساب والأخبار،

<sup>1</sup> - أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية العلمية " تحقيق محمد بن عبد الكريم"، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986. ص: 18.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 19.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 25.

<sup>4</sup> - عبد القادر المشرفي: يعد من أبرز علماء أم العسكر في عصره، احتضن أبي راس وقدم له الدعم المادي والمعنوي، أبو راس، المصدر نفسه، ص: 23.

<sup>5</sup> - أبو راس، المصدر السابق، ص: 22.

<sup>6</sup> - نفسه، ص، 22.

وقد ذكر في رحلته ثلاثة وستين كتابا بين صغير وكبير وقسمها إلى ثلاثة عشر قسما مبتدئا بالقرآن ومنتها بالشعر ونسب إليه بعضهم مائة وسبعة وثلاثين كتابا<sup>1</sup>.

رحل أبو راس إلى بلاد المشرق (مصر - الحجاز - الشام) عدة مرات مارا على البلاد التونسية التي دون أخبارها العلمية والفكرية من خلال مؤلفاته ، خصوصا كتاب "فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" والذي انتهى منه في أواخر حياته<sup>2</sup>، متكلما عن نفسه وسيرته الذاتية والعلمية ويعد هذا المصدر من المؤلفات الثمينة في معرفة العلاقات العلمية بين تونس والجزائر خلال العهد العثماني، دون فيه المؤلف رحلته إلى بلاد المشرق والمغرب، وأعطى فيها صورة الرحالة الخابر بثقافة عصره والمتعشش للاحتكاك بالبيئات العلمية المحيطة بالجزائر أو البعيدة عنها.

بدأ كلامه في العلاقة العلمية بين الجزائر وتونس بقضية هامة وهي موضوع التعليم الذي احتكرته الإيالة التونسية في العصر الحديث رغم تراجع الحياة الفكرية والثقافية بها مقارنة بالعهد الحفصي. إذ يقصد الكثير من الجزائريين الحواضر التونسية بحثا عن تلقي العلوم من مشايخ كبار من أجل إتمام تعليمهم العالي، وفي شأن ذلك ذكر الرحالة أبو راس شيوخه في العلم من تونس ووصفهم بكل عبارات التقدير والتبجيل، ولكننا نجده أحيانا ينتقد بعضهم في مسائل معينة أو في قضايا فقهية أو نحوية أو أدبية، وهذا يعبر عن المستوى الرفيع الذي وصل إليه علماء الجزائر في نفس الفترة.

وأول شيوخه في العلم العلامة أحمد بن عبد الله السوسي المغربي نجارا، التونسي دارا ووفاتا وإقبارا، وطلب منه إجازته سنة خمس ومائتين وألف بقوله: " أحببت أن أكون من تلامذتك الراغبين في إجازتك وإن لم أكن بذلك أهلا فيكون ذلك منك لنا وبلا لكي تهب علي

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص: 380.

<sup>2</sup> - كتب رحلته سنة 1233هـ/1818م

نفحاتكم وسناء بركاتكم، فإجازتي في جميع ما يتعلق بالدين ووصائله وفروعه وأصوله ومسائله....<sup>1</sup>.

وأثنى على مكانة شيخه العلمية وعلو شأنه بين أقرانه من العلماء بقوله: "أثنى على هذا الشيخ غير واحد من الأكابر، وأرباب البصيرة والبصائر فالبصيرة كالبصر أدنى شيء بغير النظر ولما توفي ترك ألفي كتاب ومائتين". وأما شيخه الثاني فهو محمد بن قاسم المحجوب عالم إفريقية وتونس الذي خصه أيضا بكل الفضائل ووصفه "بالإمام عالم الأعلام"<sup>2</sup> وشيخه الثالث مفتي الديار التونسية السيد محمد بيرم الذي أخذ عنه أبو راس فقه أبي حنيفة من خلال قراءة مختصر الكنز وغيره عليه و قال عنه: "شيخ الشيوخ.. الامام في الآداب والبيان والإعراب والتاريخ واللغة والأنساب، والفرائض والحساب، أربى على الفحول في المعقول والمنقول... إمام الحقيقة، وتاج الحنفية..."<sup>3</sup>.

ولفت أبو راس من خلال التعريف بشيوخه في العلم المستوى العالي لعلماء الإيالة في الفكر والثقافة من جهة، ومن جهة ثانية التنويه بعلوم العصر السائدة آنذاك والمتمثلة في العلوم الدينية والتصوف والعقائد والحساب وعلوم اللغة العربية، وهي نفس العلوم الرائدة في الجزائر خلال نفس الفترة، كما وضّح أبو راس مكانة تونس كمركز علمي يحوي عددا هائلا من أهل العلم الذين التقى بهم الرحالة وفي هذا الشأن يقول: "واجتمعت بعلمائها وأجلة فقهاء"<sup>4</sup>.

ويؤكد على دور جامعتها الأعظم كمؤسسة علمية وفكرية وثقافية في استقطاب أصحاب المعرفة وتحوله الى مجلس للمناظرات وتبادل للرؤى والأفكار والمبادئ العلمية التي

<sup>1</sup> - أبو راس، المصدر السابق، ص: 50.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 51.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 53.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 109.

غابت في كثير الأقطار، تحول هذا المرفق الى نواة للحركة العلمية والفكرية والثقافية لإيالة تونس وكل بلاد المغرب في العصر الحديث وهو ما ورد في قوله: " واجتمعت مع العلماء بجامعها الأعظم، فتذاكرنا، وتناظرنا، وترافعنا، وتشاجرنا، وتقاضينا في جميع الفنون الدقيقة والمسائل المخفية"<sup>1</sup>.

وهنا تبرز مسألة في غاية الأهمية تتعلق بمكانة الرحالة الجزائريين في مقارعة أندادهم من العلماء في تونس والتفوق عليهم في كذا من مسألة تخص بعض القضايا المعرفية سواء في الفقه أو النحو أو الفنون الأدبية وحتى في علم التاريخ ، وهو ما يبرز في افتخار وتعالى بل واستهزاء أبي راس منهم أحيانا مثل قوله: " وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله ثم سألوني عن أشياء صعبا فقهية، فأجبتهم بما عندي من الأنقال الرائعة عليها من غير توقف، ولا تلثم وأخبروا بذلك الاعتراض والجواب الذي حارت فيه أهل الصواب..."<sup>2</sup>، وحلّه لبعض المسائل الفقهية في حضرة كبار علماء الإيالة، فبينما هو جالس مع شيخه محمد بن المحجوب أتى خصمان في حضانه، فقال لمن أراد نزعها من الحضانه: أثبت عليها إنها غير مأمونة، فقلت: إن الحضانه إذا توزعت في سلب شرط وأدعت أنها متصفة به هي تثبته لقول الشيخ خليل: "واثبتها" فرجع إلى قولي فالله دره ما أنصفه، وصار يشاورني في نوازل ترفع إليه، وبث شكري في تونس يفوق ما أستحقه"<sup>3</sup>.

ومنها أيضا تصويبه في حادثة تاريخية اختلطت على الشيخ أبي سعيد الباجي تخص ابن رشد والشيخ أبو العباس السبتي، لما ربط الباجي بينهما في الاطار الزماني، بينما وضح

<sup>1</sup> - أبو راس، المصدر السابق ، ص: 115.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 115.

<sup>3</sup> - نفسه ، ص: 109.

أبو راس أن الأول مات في القرن السادس والثاني في القرن السابع فأقر الشيخ أن "الصواب معي"<sup>1</sup>.

ولمّا كان بمجلس صالح الكواش<sup>2</sup> هذا الأخير الذي وصفه أبو راس بالعلامة الفهامة الذي ليس في عصره مماثل ولا في قطره ولا غير قطره معادل<sup>3</sup>، وحين وقع في الأئمة كابن خلدون و البرزلي وابن ناجي، وقف له أبو راس ناصحا بلطف بعدم الخوض في أعراضهم لأنهم رحلوا وأبلوا حسنا<sup>4</sup>. وحين التقى أبو راس عالم الزيتونة وخطيبها ومفتيها الشيخ إبراهيم الرياحي<sup>5</sup> أعجب هذا الأخير بتأليفه وطالعها واستحسنها غاية الاستحسان، وأنشد عليها قصائد حسان ومما جاء فيها:

|   |  |
|---|--|
| سَارَتْ بِتَبْرِيْزِهِ فِي الْخَلْقِ رُكْبَانُ                | - هَذَا الْإِمَامُ أَبُو رَاسٍ مُحَمَّدٌ مَنْ    |
| وَأَبْصَرَتْ نُورَهُ الْمِلِيَاخُ عُمِيَانُ                   | - هَذَا الَّذِي أَقْلَعَتْ أَنْبَاؤُهُ مَهْمَا   |
| وَأَشَدُّ مِنْهُ لِـدِينِ اللَّهِ بُنْيَانُ                   | - أَخْلَى الْجَهَالَةَ فَانْجَابَتْ غَيَاهِبُهَا |
| قَوْلٍ وَحَرَّرَ مِنْ بَحْثٍ لَهُ شَأْنُ                      | - فَكَمْ أَفَادَ بِتَخْرِيْرٍ وَقَرَّرَ مِنْ     |
| لَهُ ابْتِغَاءَ رِضَى مَوْلَاهُ أَجْفَانُ                     | - وَكَمْ أَجَادُوكُمْ أَهْدَى وَكَمْ أَرْقَبَ    |
| وَحَارَ فِيهِ أَسَاءَةٌ عَزَّ إِمْكَانُ                       | - وَكَمْ شَفَى مِنْ سَقِيمٍ كَانَ فَوْقَ شَفَا   |
| بِالْفَضْلِ لَمْ يَلْتَمِسْ لِلشَّمْسِ بُرْهَانُ <sup>6</sup> | - آيَاتُهُ الْبَيْنَاتُ الْعُرَّ قَدْ نَطَقَتْ   |

<sup>1</sup>- أبو راس، المصدر السابق ، ص: 109.

<sup>2</sup>- صالح الكواش: أصله من الكاف ، كان والده يحترف بكوشة في تونس، ولد سنة 1137هـ / 1724م أخذ عن محمد الغرياني والمعاصرين له، برع في العلوم المعقولة والمنقولة، رحل إل طرابلس وإسطنبول ، اشتهر بالحفظ و راحة الفكر والفصاحة والشجاعة، توفي سنة 1218هـ/1804م ودفن قرب العالم ابن عرفة، ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص: 44-46. محمد مخلوف، المصدر السابق، ص: 366. محمد النيفر، المصدر السابق، ج1، ص-ص: 635-639.

<sup>3</sup>- أبو راس، المصدر السابق ، ص: 109.

<sup>4</sup>- نفسه، ص: 110.

<sup>5</sup>- ينظر ترجمته في الفصل الرابع.

<sup>6</sup> محمد النيفر، المصدر السابق، ج 2، ص- ص: 764-767.

وينبها أبو راس إلى مسألة في غاية الدقة وهي اهتمام تونس بالحياة الفكرية والعلمية من خلال تقريب العلماء وتبجيلهم والالتقاء والإنفاق عليهم وتخصيص مجالس لهم يناقشون فيها مختلف العلوم والفنون النثرية والشعرية والمستجدات الداخلية والخارجية، ولما علم صاحب تونس<sup>1</sup> بمكانة أبي راس دعاه إلى قصره على جناح السرعة وحين قدم إليه فرح به وقربه منه وأغدق عليه كرمه، ثم سأله عن أشياء عديدة تخص مواقع جغرافية وتاريخية، فأجابه عن كل ما سأل عنه "فاستحسن ذلك كله". ويبدو أن هذا اللقاء جلب للرحالة الجزائري حسد وكره وبغض بعض علماء الإيالة<sup>2</sup>، وهي صفة سائدة في علماء ذلك العصر في كل الأقطار المغاربية.

هذا التواصل الذي كان بين أحد أبرز رحالة الجزائر أبي راس الناصر وبين علماء تونس يدل على أن العلاقات العلمية لم تتأثر بالاضطرابات السياسية بين الإيالتين، إذ يعد عهد حمودة باشا من أكثر الفترات التي تدهورت فيها العلاقات بين الجزائر وتونس.

## ثانيا: الزيارات المتبادلة بين علماء الإيالتين:

### 1) العلماء الجزائريون في تونس:

تعد قضية انتقال علماء الجزائر إلى تونس من أبرز مظاهر التواصل بين الشعبين، سواء كان هذا الانتقال في شكل رحلة إلى الحجاز كما أشرنا إلى بعض النماذج منها أو إلى الهجرة المؤقتة أو الدائمة بهذا القطر أو مرورا إلى مناطق أخرى من العالم لتحقيق أغراض متنوعة وهذه الظاهرة قديمة حيث كانت الدروب معلومة بين الحواضر الجزائرية وتونس منذ قرون مثل ما وضحها أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني في عنوان الدراية في محور الفقه

<sup>1</sup> - يقصد به حمودة باشا.

<sup>2</sup> - أبو راس، المصدر السابق، ص: 115.



على سبيل المثال حيث نجد أنّ "جل تراجم الكتاب تدور حول الفقهاء الذين كانت تزدان بهم بجاية وتونس"<sup>1</sup>.

وأسباب اختيار علماء الجزائر لتونس منطلقا ومقصدا عديدة لا يمكن حصرها، فمنها ما هو متعلق بالأوضاع السائدة بالبلدين، ومنها ما هو متعلق بتاريخ العلاقات بين القطرين ومنها ما يرجع الى العامل الجغرافي والترابط الاجتماعي الذي يجمع البلدين، ومنها ما هو متعلق بالوضع الثقافي والسياسي في تونس، إذ نجد أن أوضاع العلم والثقافة فيها أفضل وأرحب مجالا واهتماما بالعلوم إذ أنّ "حال الجزائر أقل وأضعف في العلم منذ القدم مقارنة بحال تونس، حيث كانت تونس في كل عصر غرة الجميع وأهلها أقرب إلى التحقيق وإلى التقدم السريع"<sup>2</sup>.

ولعلّ عدم تأثير الاستعمار الكبير بهذه الدولة يعود أساسا إلى قوة بنيتها الثقافية المتمثلة في وجود جامع الزيتونة، وهو ما يشير إليه أبو القاسم سعد الله بقوله: "إنّ الاستعمار الفرنسي لم يؤثر على الثقافة العربية في تونس بفعل جامع الزيتونة الذي حصن البلد من فعالية الاستعمار، أما الجزائر فلم تكن تتمتع بمؤسسة دينية تعليمية عريقة كالتّي ذكرناها لا قبل ولا بعد الاستعمار"<sup>3</sup>، اللهم إذا استثنينا دور المؤسسات الدينية المحدودة التأثير والأدوار كالزوايا والمساجد بالرغم من التضييق الذي حصل عليها بعد الاحتلال، فكان في الجزائر بدل تلك الجوامع ازدهار الطرق الصوفية<sup>4</sup>.

ولعبت سياسة حكام تونس في العصر الحديث عاملا مهما في استقطاب العلماء والطلبة من مختلف الأقطار الإسلامية خاصة من الجزائر بفضل دعم الحركة العلمية

<sup>1</sup> - أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة التاسعة ببجاية، تحقيق رابح بونا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص:41.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، المعرف التونسي للطباعة، 1967، ص:99.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، افكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص:56.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1990، ص:126.

والأدبية في البلاد عن طريق الاهتمام بالمراكز العلمية تشييدا وتسييرا، وإعطاء أهل العلم مكانتهم اللائقة من خلال منحهم الامتيازات الواسعة، وحضور مجالسهم العلمية وتشجيعها.

وظهر هذا مع معظم بايات البلاد لاسيما في عهد حسين بن علي وعلي باشا ومحمد باي<sup>1</sup> وحمودة باشا<sup>2</sup> وغيرهم وكان لظهور أقطاب علمية<sup>3</sup> بلغت سمعتهم الآفاق في مختلف العلوم العقلية والنقلية وازدهار حواضر ومراكز<sup>4</sup> الدولة التونسية عاملا مهما في تنقل علماء الجزائر إلى الإيالة لملاقاة العلماء بها والأخذ عنهم أو من أجل نشر العلم وممارسة التعليم كما فعل أحمد المقرري الذي أجاز بعض العلماء التونسيين، ويحي الشاوي النايلي ت(1096هـ/1685م) وأبو راس الناصر والحسين الورثيلاني وأحمد بن عمار.

ولعل الظروف التي عاشتها الجزائر في ظل سلطة الخلافة العثمانية (1518-1830م) المتميزة بالانفراد في الحكم والقسوة في معاملة الجزائريين وملاحقة أصحاب الفكر والرأي المخالف من علماء ومعارضين للنظام، وإهمال شؤون الثقافة والحركة العلمية<sup>5</sup> في كل البلاد، وتراجع النشاط الاقتصادي والمالي الذي أثر على حياة الاجتماعية سلبا. كلها عوامل

<sup>1</sup> - محمد باي: وهو الأمير محمد الرشيد بن حسين بن علي (1122-1172هـ/1711-1759م)، عرف منذ صغره بولوعه بالعلوم العقلية والدينية خاصة الأدب، تولى شؤون البلاد بمساعدة الجزائر على ابن عمه سنة 1169هـ، اهتم بالحركة الفكرية والعلمية، كما له ديوان شعري. محمد السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص: 98-110. عمر كحالة، المرجع السابق، ج3، ص: 254.

<sup>2</sup> - حمودة باشا: وهو أبو محمد بن علي بن حسين بن علي (1191/1229هـ)، يعد من أقوى حكام الأسرة الحسينية، حقق إنجازات ضخمة في فترة حكمه داخليا وخارجيا ورثاه الرياحي بعد موته. محمد السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص- ص: 118-123.

<sup>3</sup> - من أبرز الأقطاب الحركة العلمية في تونس خلال العصر الحديث: تاج العارفين، محمد خلف المسراتي، أبو الغيث القشاش، محمد بيرم الأول وأسرته، صالح الكواش، عبد الله السوسي، ابن محجوبة، إبراهيم الرياحي، آل النيفر... وغيرهم.

<sup>4</sup> - ظل جامع الزيتونة على مر العصور عاملا رئيسيا في جذب أهل العلم من الجزائر لاعتقادهم أن طلب العلم فيه واجب لا بد منه لتطور الحركة العلمية به وكفاءة مدرّسيه. ينظر الفصل الأول من هذا البحث حول الجامع الأعظم بتونس.

<sup>5</sup> - يستثنى جهود بعض الحكام في الجزائر والذين قدّموا خدمات كبيرة للنهوض بالحياة العلمية والفكرية مثل الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791م)، ومحمد الكبير باي وهران (1779-1796م) وصالح باي قسنطينة (1771-1792م).

ساهمت في هجرة العلماء إلى تونس بحثاً عن واقع أحسن ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

### مراحل حركة علماء الجزائر إلى تونس:

مرت حركة علماء الجزائر إلى تونس خلال الفترة العثمانية عبر ثلاث مراحل أساسية خلال أربعة قرون تقريباً، إذا اعتبرنا أن الحكم العثماني في تونس قد استمر إلى عهد الحماية الفرنسية 1881م، وهي موزعة على نحو التالي:

#### أ- المرحلة الأولى:

من نهاية القرن 9هـ / 15م إلى نهاية القرن 10هـ / 16م.

#### ب- المرحلة الثانية:

من بداية 11هـ / 17م إلى الربع الأول من القرن 13هـ / 19م.

#### ج- المرحلة الثالثة:

من الغزو الاستعماري للجزائر إلى نهاية القرن 13هـ / 19م.

وإذا تتبعنا كل مرحلة على حدى فإننا نلاحظ تباين في عدد ونوعية العلماء المتوجهين إلى البلاد التونسية مع اختلاف مدة الإقامة بها، فهناك من اتخذ هذا البلد كنقطة عبور فقط إلى بلاد المشرق سواء لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم أو للاستقرار هناك، ومنهم بقي مدة مؤقتة سواء كانت طويلة أو قصيرة ثم رجع إلى وطنه الجزائر ومنهم من أختار تونس وطناً له وتأقلم مع أوضاعها.

أ- المرحلة الأولى: وتمتد هذه المرحلة من نهاية القرن 9هـ / 15م إلى نهاية القرن 10هـ / 16م وعرفت ركوداً كبيراً في حركة تنقل العلماء من الجزائر إلى تونس، ولعل ذلك

يعود إلى ظروف استثنائية عاشها البلدان مع بداية الحكم العثماني بهما، من حيث تدهور الأوضاع السياسية والثقافية والكساد الفكري والعلمي الذي تسبب في هجرة الكثير من العلماء إلى خارج الدولتين، قاصدين بلاد المشرق من جهة، والمغرب الأقصى من جهة ثانية، خاصة علماء الجزائر الذين توجهوا إلى المغرب في شكل موجات كبيرة بعد بسط العثمانيين نفوذهم على تلمسان<sup>1</sup>. ويعود التواجد الكبير لعلماء الجزائر في المغرب خلال هذا القرن إلى الظروف السياسية التي سادت المنطقة، وبالأخص إلى الأحداث العسكرية وما نتج عنها من توتر بين العثمانيين والسعديين الذين يبدو أنهم جلبوا إليهم العلماء الجزائريين معارضة للعثمانيين في الجزائر<sup>2</sup>.

لم نحص سوى اثنا عشر عالما جزائريا كانت لهم علاقة ما بتونس خلال هذه المرحلة الصعبة في تاريخ الدولتين ولا يوجد فيهم عالم واحد ذا شهرة وصيت وكلمة هناك أننا وجدنا بعض الأسماء ولكن بدون فائدة كبيرة ومن أبرزهم الكفيف التلمساني، محمد بن مرزوق الكفيف المتوفى 901هـ/1495م، الذي نزل بتونس ونال بها إجازة من قبل كل من القاضيين محمد بن محمد بن أبي ابراهيم بن عقاب الخدامي التونسي وأبي محمد عبد الله بن أبي الربيع الجيزي التونسي<sup>3</sup>. ومنهم حمزة بن محمد المغربي المتوفى 902هـ/1503م، تميز بتونس في علوم العربية والصرف والمعاني والبيان والمنطق<sup>4</sup>، وابن أبي الشرف محمد بن علي الحسيني التلمساني عاش بعد 917هـ/1511م، وأنجز تأليفه "صف المنهل

<sup>1</sup> - أحصى عمار هلال ما يزيد عن 13 عالما جزائريا خلال القرن (10هـ/16م) تصدرهم أحمد بن أبي جمعة شقرون الوهراني، الونشريسي عبد الواحد، ابن جيدة الوهراني، العقباني، محمد بن عبد الرحمان بن حلال التلمساني، شقرون التلمساني، أحمد بن يعقوب العبادي التلمساني، ابن الوقاد. ينظر عمار هلال، العلماء الجزائريون، المرجع السابق ص- 117-121.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 121.

<sup>3</sup> - عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، المرجع السابق. ص: 217.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 173.

الآصفي في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألقاظ الشفاء " في تونس والقاضي الفقيه الوجيه أبي محمد عبد الله بن محمد العباسي دفين مدينة تونس عام (920هـ/1514م)<sup>1</sup>.

ومن العلماء الجزائريين الذين ارتبطوا بتونس مولدا ونشأة نتيجة هجرة أسرته مبكرا إلى هناك الشيخ عمي سعيد الجربي العالم الإباضي الكبير الذي ولد سنة 841هـ/1437م بقرية أجم التي تقع جنوب غرب جزيرة جربة ولذا نسب نفسه إلى الخيري الجربي أي القرية والجزيرة. نشأ عمي سعيد في بيئة علمية وتخرّج من مدرسة جامع بني ليمس العامرة بالعلماء و الطلبة ودرس على كبار علماء الجزيرة، فتمكن من علوم عصره وبرع فيها إلى أن لبي نداء عشيرته (بنو ميزاب) الذين كانوا في حاجة إلى عالم ينقذ منطقتهم من التخلف الفكري والعلمي والانحيار الاجتماعي الذي أصابهم منذ القرن 9هـ، وأمام هذا الوضع اختير عمي سعيد من طرف علماء جربة للتوجه إلى وادي ميزاب وحين وصلها سنة 889هـ أحدث نهضة علمية وتطورا اجتماعيا بفضل جهوده القائمة على نشر العلم بالاهتمام بالتعليم وأقام اصلاحات على مناهجه و أنشأ المكتبات ونسخ أمهات الكتب، و سعى للارتقاء بالجانب الاجتماعي عن طريق الإصلاح الديني وتسوية النزاعات بين القبائل ودعم حلقة العزابة وغيرها، توفي الشيخ عمي سعيد سنة 927هـ/1524م بعد أن أدى رسالته على أحسن وجه<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى منصور المتتاني المعروف "بالبجائي" توفي (931هـ/1524م)، اللغوي الأصولي المنطقي الفقيه المالكي المتعلم ببجاية وتونس<sup>3</sup>، وعالم الفرائض منصور أحمد بن أبي القاسم بن سليمان بن عمر السلمى المتتاني 930هـ/1523م البجائي الذي سافر إلى

<sup>1</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 236.

<sup>2</sup> - بشير بن موسى الحاج موسى، الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب، الأيام الدراسية العلمية من الشيخ عمي سعيد 927هـ/1521م إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد ت 1425هـ/ 2005م ، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ص- ص: 6-18.

<sup>3</sup> - عادل نويبيض، المرجع السابق، ص: 40.

تونس<sup>1</sup>، و رحل يحيى الفكون على كبر سنه إلى تونس وصاهر فيها الشيخ الزلديوي التونسي الذي استخلفه في إمامة الزيتونة، ثم استقل بها إلى تاريخ استشهاده على يد النصارى الغزاة الإسبان وهو يدرس ويروي صحيح البخاري بالجامع الأعظم سنة 941هـ/1534م<sup>2</sup>.

وقصد محمد العطار ت (965هـ/1558م) تونس في تجارة وأثناء وجوده بالجامع لفت انتباهه نقاش بين إمام ومفتي الزيتونة مع طلبته في مسألة تخص بعض العقليات، فأجاب الشيخ العطار عن المسألة بتلطف فالتفت إليه الشيخ الإمام ورحب به وأكرمه وأتحفه بالجلوس معه في الحلقة وقال له: "ومثلك إنّما يجلس هنا" أو كلاماً هذا معناه، وبرّه غاية المبرة<sup>3</sup>، أخذ محمد بن عبو الورنيدي العبد السلامي ت (970هـ/1563م) عن مجموعة من العلماء منهم سيدي منصور القيرواني<sup>4</sup>، وتبوأ الإمام قاسم الفكون (965هـ/1557/1558م) إمامة جامع البلاط بتونس حين انتقل والده إليها، ومن شيوخه العالم التونسي مغوش<sup>5</sup>.

وقدم أبي عبد الله محمد الأندلسي (ت 982هـ/1574) إلى تونس "ووصف بالإمام الخطيب، وصاحب أهل الخير، والمشارك في العلوم"<sup>6</sup>، وقيل أن عبد الرحمان الأخضرى (ت 982هـ/1574م) أخذ العلم بتونس عن مشايخ الزيتونة<sup>7</sup> وهو من أهم أعلام الجزائر وبلاد المغرب خلال القرن 16م/10هـ، وظلت مصادره يعتمد عليها في التدريس في مختلف

<sup>1</sup> - شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، لبنان ج10، ط1، 1992، ص:172.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:43.

<sup>3</sup> - نفسه، ص:38.

<sup>4</sup> - ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص:296.

<sup>5</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص:43.

<sup>6</sup> - ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج7، ص:66.

<sup>7</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص:500.

المعاهد والمدارس في الجزائر وخارجها خصوصا الدرة البيضاء في الحساب والفرائض والسلم المرّونق في المنطق ورجز الحساب ومنظومة العمل بالإسطرلاب<sup>1</sup>.

ب- المرحلة الثانية: وتمتد هذه المرحلة من بداية 11هـ/17م إلى الربع الأول من القرن 13هـ/19م، وشهدت فيها نقلة نوعية في هجرة علماء الجزائر الى تونس كما وكيفا، فقد أحصينا ما يزيد عن الخمسين عالما دخل الأراضي التونسية، منهم أسماء ثقيلة تحمل رصيда كبيرا، أثرت في الوسط الثقافي والعلمي طيلة فترة تواجدها هناك، وحظيت بسمعة طيبة سواء بين الأوساط الشعبية أو في علاقاتها بالسلطة السياسية داخل البلاد.

ولأن المرحلة الطويلة تجاوزت القرنين ارتأينا تقسيمها إلى فترتين حسب التسلسل الزمني أي كل قرن على حدى ففي القرن 11هـ/17م أحصينا حوالي عشرين عالما ولجوا تونس منهم من مرّ فقط عليها ولا نملك تفاصيل حول مدة بقائه ونشاطه فيها. أمّا ما يزيد على عشرة علماء فقد استقروا بتونس ولكن لفترة قليلة من الزمن، نسجوا خلالها علاقات مع الأوساط العلمية والثقافية بالإيالة.

من الأوائل الذين تواجدوا بتونس المرابط البارز و الصوفي المعروف عبد الله بن المغوفل صاحب أرجوزة الفلك الكواكبي في أولياء منطقة الشلف المتوفى سنة 1023هـ/1614م، وتذكر المصادر أن أمره ظهر وهو ما يزال بتونس، وأن المشيخة أعطيت له هناك<sup>2</sup> و استشهد الشيخ محمد تواتي 1031هـ/1621م بباجة التونسية بالطاعون، بعد أن حسده أهلها وكابروا في انتقاص شأنه رغم أنه العالم البارع في الفقه

<sup>1</sup>- أحمد نوار، أعلام وأعمال علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن التاسع الى القرن التاسع عشر، قسنطينة، 2002. ص- ص: 67-69.

<sup>2</sup>- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص: 116.

والنحو<sup>1</sup>، وأسعف الحظ الشيخ عبد الكريم الفكون وعبد العزيز النفاتي عالم الحساب والفرائض في إكمال دراستهما بتونس على يد أحد كبار علمائها الشيخ الشريف النجار<sup>2</sup>.

ومن أشهر علماء الجزائر إطلاقاً في تونس خلال القرن المذكور أحمد المقرري و1041هـ/1632م، صاحب نفح الطيب، الذي حط الرحال بها سنة 1027-1028هـ/1618م ونال حسن استقبال أهلها وعلمائها نظير مكانته العلمية المرموقة وشهرته الواسعة، ولذا طلب منه علماءها الإجازة<sup>3</sup>، رغم أن مدة إقامته لم تكن طويلة حيث غادرها إلى بلاد المشرق في نفس السنة رفقة عالم تونس محمد تاج العارفين العثماني متوجهين إلى مصر<sup>4</sup>، ويبدو أن أبا القاسم بن محمد البجائي كان من النحاة التقليديين في القرن 11هـ/17م، فقد عاش على الأقل جزءاً من حياته في تونس وأخذ بها العلم من علمائها وعلى الوافدين عليها من العثمانيين وغيرهم.

ويذكر حسين خوجة صاحب ذيل البشائر أن البجائي قد تولى الخطابة في جامع الخطبة خارج باب الجزيرة بتونس، وأنه كان أيضاً فقيهاً ورعاً<sup>5</sup>، وتذكر المصادر أيضاً عاشور ابن عيسى القسنطيني (984-1084هـ/1576-1664م) المعروف بالفكيرين، عالم ورحالة من فقهاء المالكية، استقر بتونس أخذ عن علمائها وتولى وظيفة التدريس بالجامع الأعظم<sup>6</sup>، ومن الذين ترددوا على تونس واختلطوا بعلمائها عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية بحكم وظيفته في رئاسة قيادة ركب الحجاج لمدة طويلة، وقد جرت

<sup>1</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 58، 59.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 61.

<sup>3</sup> - تم التفصيل في شخصية المقرري عند الكلام عن الرحلات ودورها في العلاقات العلمية.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص: 216، 217.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 164.

<sup>6</sup> - الفكون، المصدر السابق، ص: 94، عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 262، عبد اللطيف بونشادة، المرجع

السابق، ص: 86.



بينه وبين علماء الإيالة مراسلات كثيرة<sup>1</sup>، وفي نفس الفترة عاشر القوجيلي مدة في تونس ونظم بها شعرا والتقى محمد ضاي سنة 1065هـ<sup>2</sup>، ولعل الثعالبي عيسى بن عامر الجعفري (1020-1080هـ/1611-1669م) من أشهر علماء الجزائر بتونس وهو محدث ومن كبار فقهاء المالكية في عصره أصله من وطن الثعالبة (مدينة الجزائر)، ولد و نشأ في منطقة القبائل الكبرى، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر العاصمة، حيث أخذ عن بعض علمائها، ثم رحل إلى تونس "و أخذ عن بها من الأجلء كالشيخ زين العابدين وغيره"<sup>3</sup>. وكذلك يحي الشاوي النابلي فإنه من كبار علماء الظاهر في القرن 11هـ/ 17م، ذلك أن معظم مؤلفاته لا تكاد تخرج عن التوحيد والنحو والمنطق، وقد طاف البلاد الإسلامية من الجزائر إلى مصر والحجاز واسطنبول، والمؤكد أنه توقف في تونس بدليل ان مؤلفاته توجد بها كتوكيد العقد وقرة العين<sup>4</sup>.

و خلال القرن 12هـ/18م وإلى الربع الأول من القرن 13هـ/19م ارتفع نسق هجرة علماء الجزائر إلى تونس بشكل ملفت للانتباه، إذ احصينا خلال هذه الفترة ما يزيد عن الثلاثين عالما، ومعظمهم من المشاهير والمؤثرين في العلاقات العلمية بين البلدين رغم تباين مدة مكوثهم وفاعلية نشاطهم بالبلاد التونسية.

ومن الجزائريين الذين قصدوا إيالة تونس محمد الفكون (ت 1114 هـ/1709م) ابن العالم الشهير عبد الكريم الفكون الذي خلف والده في إمارة ركب الحجيج الجزائريين ما يزيد

<sup>1</sup> - الفكون، المصدر السابق، ص- ص: 215-222.

<sup>2</sup> - أحمد بن عمار، مختارات مجهولة من الشعر العربي، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2005. ص: 136، 137.

<sup>3</sup> - أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 597، عمار هلال، المرجع السابق، ص: 57، عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 91.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص، ص: 102، 110.

عن أربعين سنة، تردد خلالها مرات عديدة على معظم المدن التونسية<sup>1</sup>، ومنهم أيضا بدر الدين بن محمد الفكون، كان حيا بعد 1164هـ/1750م)، نسخ نسخة بيده من كتاب "بشائر أهل الايمان بفتوحات آل عثمان" لصاحبه حسين خوجة وهو بتونس سنة 1113هـ/1749م<sup>2</sup>، عالم آخر من الغرب الجزائري شد الرحال تجاه المشرق عابرا بتونس هو الفقيه المالكي مصطفى الرماصي، قصد الزيتونة لإسماع صوته لقب حامل راية الفقه المالكي في عصره توفي سنة 1137هـ/1724م<sup>3</sup>، ومن أبرز العلماء ارتباطا بالقطر التونسي أحمد البوني المتوفى 1139هـ/1726م، تمتع بسمعة دينية وعلمية داخل وخارج الوطن، أخذ العلم في تونس ومصر و الحرمين، ذكر شيوخه في عنابة والمغرب وتونس<sup>4</sup> في مؤلفه الشهير: "الذرة المصونة في علماء وصلحاء بونة وايضا في:" التعريف بما للفقير من التواليف"<sup>5</sup>، كما عدد بعض تلامذته من التوانسة<sup>6</sup>.

وممن قصد تونس من أجل طلب العلم نذكر محمد ابن الشريف الجزائري(ت 1151هـ/1738م)، كان باحث ملما للعلوم رحل الى المشرق فمر بإيالة تونس<sup>7</sup>، والعالم المالكي أحمد بن عثمان بن علي بن محمد أبو العباس التلمساني الأصل(المتوفى 1151هـ/1738م) الذي نشأ بتلمسان ثم رحل إلى المشرق، وأخذ عنه مجموعة من علماء المغرب والمشرق، حيث جالس علماء تونس قبل توجهه إلى الحج وانتقاله إلى الرفيق الأعلى

<sup>1</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 653، عبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 89.

<sup>2</sup> - بونشادة، نفسه، ص: 91، 92.

<sup>3</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 153.

<sup>4</sup> - ذكر من شيوخه في تونس: محمد غلاب، علي الغرياني، أحمد القروي، علي الزرلي، أحمد العروي، ابن علان، محمد الملكي، ابراهيم الباجي، محمد نجيب الكافي وغيرهم ينظر: أحمد البوني، الذرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تحقيق حفناوي بعلي، دار الكتب للطباعة ونشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 404-413.

<sup>5</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 60، 61، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 63، ج1، ص: 413.

<sup>6</sup> - أحمد البوني، المصدر السابق، ص- ص: 306-315.

<sup>7</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 66.

بالقاهرة اثناء رجوعه<sup>1</sup>، أيضا القاضي محمد بن عبد الرحمان التلمساني، كان من كبار فقهاء تلمسان قام برحلتين نحو المشرق خلال القرن 12هـ/18م فتوقف بتونس<sup>2</sup>، كما درس عبد القادر الراشدي المتوفى 1194هـ/1780م عند نزيل تونس الشيخ أحمد الكمودي<sup>3</sup>، وفي نفس الفترة جاب الحسين الورثيلاني (ت 1193هـ/1779م) كل حواضر تونس وأقام علاقات طيبة مع حكامها وعلماؤها ودون ذلك في رحلته الشهيرة<sup>4</sup>، وعلى قلة أخبار تونس في رحلة عبد الرزاق ابن حمادوش إلا أنه أشار إلى دراسته عند الشيخ محمد زيتونة<sup>5</sup>، وهو من كبار علماء تونس في القرن 12هـ/18م حيث توفي سنة 1138هـ/1724م، وبقي أحمد التجاني ت (1230هـ/1815م) سنة كاملة بتونس وأخذ عن علمائها كالشيخ عبد الصمد الرحوي<sup>6</sup>.

وقصد أحمد بن عمار مفتي الجزائر الإيالة التونسية سنة 1195 هـ بنية الاستقرار لكنه غادرها بسبب منافسة العلماء له وموت صديقه الباي حمودة بن عبد العزيز، وفي فترة إقامته بتونس تمتع بمكانة كبيرة بين ساستها وعلماؤها، فقد قال عنه تلميذه إبراهيم السيالة: "شيخنا الفقيه العلامة الرحالة النظار مولانا أبا العباس أحمد بن عمار الجزيري أمضى الله عليه صحائف الرضوان وأسكنه بفضلته فسيح الجنان..."<sup>7</sup>، ومن العلماء الذين التقى بهم الفقيه اللوذعي المورسي أبو محمد حسونة بن خليل الحنفي وكانت لهما مناقشات في قضايا كثيرة منها قضية في التفسير عن قوله عز وجل "إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك" ما المراد

<sup>1</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 66.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 72.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 92.

<sup>4</sup> - تعرضنا لهذه الشخصية في الرحلات.

<sup>5</sup> - عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق ابو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 34. وينظر في تعريف الشيخ محمد زيتونة إلى: محمد بن خليل الطواحني، مخطوط سابق، ص: 101 وجه وظهر.

<sup>6</sup> - أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 41-42.

<sup>7</sup> - إبراهيم السيالة، مباسم أو مباحج الأزهار ودوحة الأفكار، مخطوط رقم 260، دار الكتب التونسية، ص: 68، وجه.

بالإثمين؟ فكتب رسالة يخاطب فيها الباي علي باشا التونسي، في هذه المسألة بأسلوب أدبي راق جدا موجه لخاصة الخاصة من أدباء وفقهاء ولم يكن يقصد العوام في رسالته<sup>1</sup>.

ونشأ الشيخ علي الجزيري المتوفى سنة 1800م في خدمة الباي حسين بن علي وتقلد الخطط النبوية كالأعراض ودار الجلد وغيرها<sup>2</sup>، وقيل عن خليفة بن حسن القماري أنه ظل ينهل من مصادر تونس وقسنطينة، رغم عدم تأكد رحلته إلى تونس في سبيل طلب العلم وهو الفقيه المالكي الكبير بقمار ضواحي وادي سوف<sup>3</sup>، وزار سيدي ناجي توزر ونفطة سنة 1153هـ ونزل عند القطب سيدي عبد الحق رفقة الورثيلاني<sup>4</sup>، كما درس عمر بن المؤدب (ت 1241هـ/1829م) بجامع الزيتونة، وتقدم به إماما سنة 1220هـ/1805م<sup>5</sup>، وولد العالم الإباضي الأفضلي يحي صالح (1120 - 1223هـ / 1707 - 1808م) بجزيرة وتعلم بها ثم عاد إلى الجزائر وعليه تتلمذ عبد العزيز الثميني (الفقيه الإباضي) الذي يضاهاه الونشريسي في الفقه<sup>6</sup>، وهاجر الشيخ الطاهر بن مسعود من قبيلة أولاد سيدي عيسى بالجزائر إلى تونس لطلب العلم بالجامع الأعظم ونزل بالمدرسة التوفيقية وأخذ عن علماء الإيالة الكبار كصالح الكواش والشيخ حسونة الصباغ والشيخ حسن الشريف والشيخ محمد محجوب. ولما رسخ في العلوم انتفع به كثيرا من الفحول وتقدم لمشيخة المدرسة السليمانية بعد وفاة شيخها الغرياني، وتبوأ إمامة الزيتونة إلى أن وافته المنية بالطاعون سنة 1234هـ/1818م<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم السائلة ، المخطوط السابق، ص: 68 ظهر، ينظر نص الرسالة بالملحق رقم: 15.

<sup>2</sup> - ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج7. ص: 37.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 8.

<sup>4</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ص: 567.

<sup>5</sup> - ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج7، ص: 156.

<sup>6</sup> - عادل نويهض ، المرجع السابق، ص: 22، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2،

ص: 74.

<sup>7</sup> - محمد السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص: 237، 238.

إضافة إلى أنّ محمد الحفصي القسنطيني (1226هـ-1811م) أحد كبار فقهاء المالكية في عصره، أخذ عن صالح الكواش وغيره بتونس<sup>1</sup>، وتولى أحمد القسنطيني (أبو العباس) المتوفى سنة 1235هـ/1820م وكالة الجامع الأعظم، وهي من الخطط النبيهة في الحاضرة وهو الذي وشح رؤوس سواريه بالنقش<sup>2</sup>، وتعلم محمد الصالح الدحموني العسيوي الزواوي (ت1242هـ/1826م) بتونس وهو عالم أديب نحوي<sup>3</sup>، وأقرأ حمودة المقاييسي المتوفى (1245هـ/1829م) أهل تونس وطلبوا منه الإقامة عندهم، ووعده بتوفير كل ما يحتاجه، إلا أنه رفض ذلك وأصر على العودة إلى الجزائر<sup>4</sup>.

ومن العلماء الأكثر تأثيرا بتونس في النصف الأول من القرن 19 نجد محمد بن علي السنوسي الجزائري (1202هـ-1276هـ/1788-1859م) مؤسس الطريقة السنوسية. ولد بمستغانم ونشأ في بيت علم ودين وفضل، تمكن من علوم عصره كالفقه والتصوف والمنطق وعلوم الفلك<sup>5</sup>.

دخل السنوسي تونس من منطقة الجريد خلال سنة 1823م وبقي مدة قصيرة في قابس بزاوية سيدي بولبابة، إذ سرعان ما غادرها إلى طرابلس بعد ما رفضت أفكاره من قبل سكان هذه المنطقة وحسد علمائها له وعلى رأسهم مفتي المدينة محمد الطرابلسي الذي ألب السكان عليه، ولكن محمد السنوسي عاد إلى تونس مرة أخرى في جويلية 1841م، ويبدو أنه استطاع خلال فترة مكوثه بتونس تكوين قاعدة عريضة من الأتباع والمحبين، وعندما غادرها

<sup>1</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص:264.

<sup>2</sup> - ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج7، ص:119.

<sup>3</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص:146.

<sup>4</sup> - أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص:146.

<sup>5</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص:189، 190.

متوجها إلى طرابلس في جانفي 1842م لحق به بعضهم، من بينهم السيد عبد الله التواتي والسيد محمد بن الشفيح وغيرهم<sup>1</sup>.

ج ( المرحلة الثالثة : وتمتد هذه المرحلة من الغزو الاستعماري للجزائر إلى نهاية القرن 13هـ/19م الذي يعتبر قرن الحوادث الجسام لمنطقة المغرب الكبير فقد شهد انتهاء العهد العثماني في كل من الجزائر (1830م) وتونس (1881 م) وإحلال محله العهد الاستعماري الفرنسي، الذي انتهج سياسة التجهيل ومحاولة القضاء على التعليم العربي الإسلامي وكل مقومات الهوية الأساسية. ولذا تميز هذا القرن بالجمود الفكري والخمول الثقافي، وانعدام التعليم العربي أو أي مدرسة تربوية عربية من شأنها تحضير الأجيال حضاريا واجتماعيا للقيام بأدوارها المنوطة بها في كل المجالات وذلك ما يتضح جليا من خلال حركة المثقفين الجزائريين باللغة العربية نحو تونس<sup>2</sup>.

فخلال هذا القرن لم نعثر إلا على النزر القليل من المثقفين الجزائريين الذين شدوا رحالهم نحو تونس ومعظمهم رجع إلى أرض الوطن، والقلة من استقر هناك، ويعتبر علي بن محمد الملي الجمالي المتوفى سنة 1248هـ/1833م من الأوائل الذين أحصيناهم بتونس عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد استوطن جمال وهي قرية من قرى الساحل التونسي، وإذا كنا لا نعرف شيئا عن نشأته الأولى ودراسته، إلا أنه صاحب مؤلفات كثيرة منها: كتاب الصوارم والأسنة في الاعتراض على أحمد التجاني<sup>3</sup>، ومنهم أيضا العلامة الفقيه أبو العباس أحمد بن سعيد العباسي (ت1251هـ/1835م) ولد بقسنطينة ونشأ وتعلم بها، ثم سافر إلى تونس للدراسة بجامعة الزيتونة على أيدي علمائها الكبار وفي مقدمتهم الشيخ أبو محمد حسن بن عبد الكبير الشريف مفتي مدينة تونس وإمامها بالجامع الأعظم وغيره من

<sup>1</sup> - محمود براهم، العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري 1788-1859، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، الجزائر، ص: 54، 63، 67.

<sup>2</sup> - عمار هلال، العلماء الجزائريون، المرجع السابق، ص: 60.

<sup>3</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، المرجع السابق، ج2، ص- ص: 444-446.

العلماء<sup>1</sup> والأديب الفقيه مصطفى بن الشاوش القسنطيني (ت 1252هـ/1836-1837 م) من أهل قسنطينة تعلم بها ثم رحل إلى تونس لطلب العلم وأخذ عن علمائها الاجلاء<sup>2</sup>. ومدح القاضي والأديب محمد بن مالك الجزائري عشية الاحتلال باي تونس ثم هاجر إليه يستحسنه<sup>3</sup>.

ودخل ابن العنابي المتوفى 1267هـ/1850م تونس سنة 1244هـ/1828م ومكث بها مدة، وهو من كبار الفقهاء الحنفية بالجزائر، وكانت له علاقات طيبة مع علماء تونس حيث أجاز الكثير منهم وتبادل مع البعض الآخر الرسائل<sup>4</sup>، ورحل العربي بن عطية الشلبي الصوفي الدرقاوي إلى تونس وتوفي بها خلال القرن 13هـ/19م<sup>5</sup>، كما دخل مصطفى بن عزوز ت 1282هـ/1865م تونس وأسس الطريقة الرحمانية ونشرها انطلاقا من نفطة، وحظي باحترام وتقدير أهلها وعلمائها على رأسهم عالم الإيالة إبراهيم الرياحي الذي خصه بمدائح شعرية ونثرية<sup>6</sup>، وانتقل محمد بن عبد الباقي بن أبي القاسم الديسي المتوفى 1285هـ/1868م إلى نفطة للتعلم على علمائها<sup>7</sup>، وتردد أحمد بن العطار القسنطيني ت 1287هـ/1870م على تونس عدة مرات<sup>8</sup>، وقصد الشيخ عبد الله بن غانم الدراجي ت 1296هـ/1879م الإيالة وهو عالما يريد العلم، وأخذ في قراءة البخاري دراية ورواية

<sup>1</sup> - عبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 103.

<sup>2</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 265، عبد اللطيف بونشادة، المرجع السابق، ص: 105، أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج 2، ص: 562.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص: 264.

<sup>4</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 245.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 189.

<sup>6</sup> - نفسه، ص: 232، عمر كحالة، معجم المؤلفين، المرجع السابق، ج 3، ص: 882.

<sup>7</sup> - أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج 2، ص: 519، 520.

<sup>8</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 317.

وحضر لختمة باي تونس سيدي الحسني وأعيان المدينة<sup>1</sup>. و تتلمذ أحمد الاغريسي المعروف بالمجاهد (ت 1307 هـ / 1890م) على يد الشيخ العفيف وبيرم الكبير بالزيتونة، وهو قاضي و فقيه من مدينة معسكر<sup>2</sup>، وترك محمد الطاهر بن محمد الشريف الجنادي معمرة الأيلولي سنة (1283هـ/1866م) مهاجرا إلى تونس<sup>3</sup>، ونفس الكلام يقال عن مفتي الجزائر علي الحفاف (1307هـ/1840م) الذي أخذ عن بيرم الخامس علم القراءات وتتلّمذ على ربحانة تونس العلامة الكبير ابراهيم الرياحي<sup>4</sup>.

ومن الذين استقروا نهائيا بتونس نجد الخירاني قاسم بن محمد الجزائري<sup>5</sup> ثم التونسي لمكوته مدة طويلة بها، وهو مهتم بعدة علوم من علوم عصره، متكلم، ناظم، عارف بالفقه وقد توفي الخيراني سنة (1308هـ/1890م)، وفي نفس الفترة الزمنية عاش وتوفي الحسين بن عمر الطولقي<sup>6</sup> (1236 - 1309هـ/1830-1891م)، وهو من أهل طولقة (بسكرة) انتقل إلى تونس وسكنها وبها توفي، وهو فقيه مالكي صوفي مهتم ببعض علوم عصره، وإلى هؤلاء يضاف محمد بن عيسى الجزائري<sup>7</sup> (1234-1310هـ/1828-1892م)، وهو كاتب من الكتاب البلغاء عارف باللغة العربية وعلومها والتفسير، ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر ثم انتقل إلى تونس سنة 1282هـ / 1865م وتولى بها رئاسة الكتابة العامة، ثم خطة الانشاء سنة 1302هـ، ثم انقطع الى العلم إلى أن توفي وأيضا محمد التواتي(ت1311هـ/1893م) البجائي الأصل التونسي المولد، درس بجامعة الأعظم، برع في علوم عصره،

<sup>1</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 234، 235، عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 141، 142، أبو القاسم

سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص: 235، بونشادة، المرجع السابق ص: 118.

<sup>2</sup> - نويهض، المرجع السابق، ص: 21، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص: 92، 93.

<sup>3</sup> - أحمد ساحي، المرجع السابق، ج1، ص: 167.

<sup>4</sup> - المهدي بوعبدلي، الحياة الثقافية في الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013. ص: 79، الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 260.

<sup>5</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 139.

<sup>6</sup> - نفسه، ص: 203.

<sup>7</sup> - عمر كحالة، المرجع السابق، ج3، ص: 573.



ترك مؤلفات من أهمها: مجموعة الإفادة في علم الشهادة وثبت اشتمل على أسانيده في القراءات<sup>1</sup>، في نفس الفترة عاصره حسن بوكبال (1315 هـ/1897 م)، شاعر، أديب تعلم بتونس وترك ديوانا شعريا<sup>2</sup>.

وأدى كثير من العلماء الجزائريين أدوارا كبيرة في نشر العلم والمعرفة وتعليم القرآن الكريم بالإيالة التونسية، خاصة في المدن المحاذية للحدود الجزائرية الشرقية "إذ لم يخلو دوار أو دشرة أو حومة من مؤدب جزائري<sup>3</sup>، ومن هؤلاء محفوظ بن عبد الرزاق الغربي القسنطيني معلم الصبيان بأولاد بوغانم (ت 1312 هـ/1889 م)<sup>4</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين قد شهدت توافدا كبيرا للمثقفين الجزائريين على تونس ووطدوا علاقاتهم العلمية والحضارية والاجتماعية والسياسية بها لاسيما في الفترة الممتدة بين (1900-1939 م)، ومما يلاحظ في هذه الفترة من تاريخ الجزائر المعاصر، أنها أنجبت كل العلماء، والشخصيات السياسية<sup>5</sup>، التي تعلمت وتثقت ثقافة عربية إسلامية التي قدر لها أن تمسك بزمام الأمور، لتعلب دور الريادي المنوط بها تارة، أو على الأقل أن تحتل مكانة مرموقة في الصنف الثاني للحركة النهضوية الوطنية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - عمر كحالة، المرجع السابق، ج3، ص:162.

<sup>2</sup> - نويهض، المرجع السابق، ص:43.

<sup>3</sup> - يوسف الجفالي، الجالية الجزائرية بجهة الكاف من 1881-1929 شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس 1992-1993، ص:169.

<sup>4</sup> - نفسه، ص:168.

<sup>5</sup> - من أبرز هؤلاء العلماء: صالح بن مهنا (1854-1910 م)، محمد المكي بن عزوز (1854-1915 م)، محمد التهامي شطة ت 1915 م، الخنقي عاشور (1848-1929 م)، ابن سماية عبد الحليم (1866-1933 م)، السوفي ابراهيم (1888-1934 م)، عبد الحميد بن باديس (1889-1940 م)، مبارك الميلي (1898-1945 م)، مامي اسماعيل (1889-1956 م)، الزاهري محمد سعيد (1899-1956 م)، العربي التبسي (1895-1957 م)، اطفيش ابراهيم بن يوسف (1888-1965 م)، أبو اليقظان ابراهيم (1888-1973 م).

<sup>6</sup> - عمار هلال، العلماء الجزائريون، المرجع السابق، ص:62.

## 2/ العلماء التونسيون في الجزائر:

ورد على الجزائر خلال العصور الحديثة، أعداد هامة من العلماء المغاربة عموماً ومن البلاد التونسية خصوصاً إلا أنه من الصعب جداً حصرهم وتقديم معطيات دقيقة حول الأسماء أو معظم العلماء التونسيين الذين جاؤوا إلى الجزائر لطلب العلم وإجراء المناظرات العلمية أو لتولي مناصب هامة في الحكم، ورغم رحيل الجزائريين إلى تونس لطلب العلم والاقامة والتجارة فإن القليل من علماء تونس قد زاروا الجزائر نسبياً خلال العهد العثماني ولعل ذلك يعود حسب رأي أبو القاسم سعد الله إلى اكتفاء علماء تونس الذاتي من طلب العلم فلم يجمع الزيتونة يروي غلتهم، وهم إذا أرادوا المزيد فالمشرق أمامهم، ولم تكن الجزائر تقدم لهم شيئاً تقريباً مما كانوا يطلبون<sup>1</sup>.

ولكنه من المؤكد أن كثير من علماء تونس شدوا رحالهم إلى المغرب الأقصى فسواء كانت رحلتهم براً أو بحراً فإن العديد منهم كان يفضل التوقف ببعض المدن الجزائرية للراحة أو لزيارة الأولياء الصالحين والاتصال بالعلماء<sup>2</sup>، وبما أن معظم هؤلاء العلماء لم يصلنا ما دونوه فإننا نجعل الكثير عنهم وعن نشاطهم بالجزائر عكس الجزائريين الذين دون الكثير منهم رحلاتهم خلال العهد العثماني.

وأما البعض الآخر من العلماء التونسيين وخاصة منهم من كان على المذهب الحنفي فلم تكن الجزائر بالنسبة لهم نقطة عبور فقط، وإنما تحولت موطناً لطلب العلم والوظائف، فبحكم التشابه النسبي في النظم السياسية بين الولايتين العثمانيتين ورد على الجزائر في العهد العثماني بعض العلماء والقضاة الحنفية من تونس، نذكر منهم على سبيل المثال أبو الطيب، الخطيب أمير محمد ومولانا إبراهيم بن حاجي علي حيث وصلوا إلى الجزائر في نهاية 10/هـ 16م ولمكانتهم العلمية الرفيعة وصل قرار إلى حاكم الجزائر من الباب العالي

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:46.

<sup>2</sup> - دلندة الأرقش، جمال بن طاهر، عبد الحميد الأرقش، المرجع السابق، ص:301.

يدعوه فيها إلى ضرورة التكفل بهؤلاء العلماء وتوفير كل ما يحتاجونه من دعم مادي أو معنوي.

وقد حصلنا على وثيقتين في هذا الشأن جاء في الأولى ما نصه: "جاء إلى سعادتنا كل من الخطيب أمير محمد والشيخ (ضلا) ابراهيم بن حاجي علي، وهما من سادات وعلماء ولاية تونس طالبين تعيين مقدار من الوظائف لهما فأمرت بتعيين وظيفة بمقدار خمسة عشر أجرة (يومية) لكل منهما وأمرت: "أن تعين لكل منهما خمسة عشر أجرة، يتصرفون بها بموجب أمرى"<sup>1</sup>، أما الوثيقة الثانية: "قدم كل من أبو الطيب والخطيب أمير محمد ومولانا إبراهيم بن حاجي علي وجميعهم من سادات وعلماء واعربوا انهم كانوا يتلقون مقادير معينة من الوظائف (وظيفة) في تونس قبل فتحها إلا أنه رغم فتح تونس وضبط الأوقاف الأميرية فيها أصبحوا لا يتمتعون بأي وظيفة معينة فيها.

وبناء على استضافهم، فقد صدر حكم شريف<sup>2</sup> بمنحهم وظيفة بمقدار خمسة عشر أجرة (يومية) وكذلك تم إعفائهم من الرسوم الأميرية<sup>3</sup>، وفي نفس القرن وفد على الجزائر محمد بن علي الخروبي الصفاقسي المتوفى (961-963هـ/1554-1556م) وهو من أهل الحديث والفقہ والتصوف، مارس التدريس والخطابة بالجزائر، وكان له وجاهة عند أمراء بني عثمان، استعملوه في السفارة بينهم وبين السلطة في المغرب الاقصى أيام أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني سنة تسع وخمسين والثانية سنة واحد وستين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم رقم 14، العلبة 5، حكم رقم 39 بتاريخ 979/1/10، ص:25.

<sup>2</sup> - يقصد الحكم السابق الذكر.

<sup>3</sup> - الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم رقم 15، العلبة 5، حكم رقم 180 بتاريخ 979/1/30هـ، ص:21. ينظر

الملحق رقم:07.

<sup>4</sup> - محمد بن عسكر، المصدر السابق، ص: 114، الحفاوي، المرجع السابق، ج2، ص:477، عادل نويهض، المرجع

السابق، ص:132.

ومن علماء تونس كذلك الذين زاروا الجزائر خلال القرن 11هـ/17م نجد كل من تاج العارفين البكري وإبراهيم الغرياني اللذين جاءا في إطار مبادرة صلح بين البلدين بعد موقعة (1037هـ/1627م)، وقد تبادلوا الرسائل مع بعض علماء الجزائر أهمهم عبد الكريم الفكون<sup>1</sup>. ومن التونسيين تردداً على مدينة قسنطينة إبراهيم الفلاري التونسي، المتوفى سنة (1039هـ/1629م)، عالم النحو الكبير الذي كان يجله علماء قسنطينة ويستقبلونه على أنه من كبار النحاة ويعقدون معه المجالس العلمية<sup>2</sup>، وقد دارت بينه وبين عبد الكريم الفكون مناظرة نحوية انتهت باعتراف كل طرف بكفاءة الآخر والإقرار بقيمته النحوية، رغم أن الفكون كان صبياً آنذاك مقارنة بالفقيه النحوي الفلاري الذي وعد الفكون بنسخة من شرح الدماميني في المغنى الكبير<sup>3</sup>.

ومنهم أيضاً العالم الكبير سعيد بن إبراهيم قدورة (ت 1066هـ/1656م) الجزائري الدار التونسي النجار الأصل، كان عالماً مشاركاً في أنواع العلوم زاهداً ورعاً موصوفاً بالصلاح، ولي الفتوى والإمامة بالجامع الكبير بالجزائر، له تأليف كثيرة منها: "الشرح علم السلم في المنطق"، وله حواشي على الصغرى للسوسني وعلى خطبة اللقاني<sup>4</sup>.

ويبدو من خلال المصادر المتوفرة أن انتقال التونسيين إلى الجزائر قد تقلص خلال القرن 12هـ/18م مقارنة بالقرون السابقة له وذلك لعدة اعتبارات من أهمها استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية بتونس وانتعاش الحياة الثقافية والعلمية على يدي أبناء حسين بن علي في حين ساءت علاقة السلطة العثمانية بالجزائر وبعلمائها، وكان ذلك من الأسباب القوية

<sup>1</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 215-222.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص: 159، 160، الفكون، المصدر السابق، ص- ص: 110-112.

<sup>3</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 110-112.

<sup>4</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص: 558، عمر كحالة، المرجع السابق، ج3، ص: 762.

التي دفعت بعلماء الجزائر إلى الهجرة لطلب العلم بالمغرب الأقصى وبالبلاد التونسية على حد سواء<sup>1</sup>.

ومها يكن فقد قصد الجزائر خلال هذا القرن (12هـ/18م) مجموعة من العلماء التونسيين ولكل سبب في قدومه، ومنهم القاضيان أبو حفص عمر بن محمد التونسي، ومحمد زيتون التونسي<sup>2</sup>، اللذين توليا قضاء العسكر في عهد الداوي محمد بكداش<sup>3</sup>، وكان يستشيرهما في أمور الحكم خوفا من نشوب تمرد في أوساط الجيش الانكشاري، كما تولى أيضا محمد زيتون القضاء الحنفي في فترة حكم الداوي شعبان خوجة<sup>4</sup>، ودخل إبراهيم الجمني التونسي (1038-1134 هـ/1628-1721م) بلاد زواوة، وأخذ عن علمائها وأشاد به الشيخ حسين الورثياني في رحلته<sup>5</sup>، وتوجه أحمد بن مصطفى برناز صاحب الشهب المحرقة (ت1726م) إلى الجزائر وأخذ عن عدة مشايخ بها منهم الشيخ رمضان بن مصطفى العنابي والشيخ علي بن خليل والشيخ محمد بن سعيد قدورة، وفي زواوة تلقى علوم العربية وعلوم المنطق والتصوف والأجرومية والقراءات السبع عن مشايخ أجلاء منهم الشيخ محمد الفاسي وعلي أحمد عبد العظيم ومحمد بن صولة<sup>6</sup>، وجالس علماء عنابة وقسنطينة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - دلندة الأرقش، جمال بن الطاهر، المرجع السابق، ص: 302.

<sup>2</sup> - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 149-151، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 436، 437.

<sup>3</sup> - محمد بكداش: حكم الجزائر بين (1707-1710م) ينظر: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داوي الجزائر (1766-1791): المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 47، 48.

<sup>4</sup> - بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م) رسالة نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية 2007/2008، ص: 165.

<sup>5</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، المرجع السابق، ج2، ص: 833.

<sup>6</sup> - أحمد ساحي، المرجع السابق، ج1، ص: 168، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 21، دلندة الأرقش، المرجع السابق، ص: 301.

<sup>7</sup> - Ahmed Abdesselam, les historiens des 17,18 et 19eme siècle, librairie klincksiek, printed in Tunisia, 1973, p : 220

ومن علماء تونس الذين زاروا الجزائر لطلب العلم وبثه يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر محمد الشافعي الباجي وأحمد الأصرم القيرواني اللذان رافقا أبناء الحسين بن علي سنة 1148هـ/1735م واستقروا بالجزائر واحترفا بث العلم وصناعة التوثيق<sup>1</sup>، كما كانا محل ثقة لدى الحكام وفي غالب الأحيان تتم استشارتهما في أمور الدين وشؤون الدولة كما كانا دائما يحثان على نشر السلم بين الإيالتين<sup>2</sup>. ولجأ محمد الرشيد المتوفى سنة (1172هـ/1759م) إلى الجزائر قبل توليه شؤون إيالة تونس سنة 1169هـ/1756م، وله عدة قصائد شعرية نظمها زمن غربته بالجزائر يتشوق فيها إلى وطنه، وهي تدل على رسوخ قدمه في الفنون الأدبية ومشاركته الحسنة في العلوم<sup>3</sup>، وودعت زاوية يوم الثلاثاء ربيع الاول 1144هـ/1754م عبد الرحمان الخليفوني بعد أن توفي بها ووري الثرى بالقرب من زاوية كوكو، وهو الفقيه والمدرس بجامع الزيتونة، وأدى الشيخ على نفطي التونسي ت (1213هـ/ 1792 م) دورا في الحركة الدينية بمنطقة جنوب الأوراس بالجزائر<sup>4</sup> إلى أن وافته المنية ودفن بقرية غوفي<sup>5</sup> في نفس المنطقة.

ومن أشهر علماء تونس في الجزائر خلال القرن 13هـ /19 م العلامة إبراهيم الرياحي الفقيه والرحالة والديبلوماسي الشهير الذي زار الجزائر في رحلة إيمانية روحية صحبة الشيخ الطاهر بن الصادق، ولأهمية هذه الزيارة حظي الرياحي باستقبال مميز وكبير من قبل أهل سوف وتماسين نظير العلم الذي يحمله هذا العلامة الجليل، وقد أعجب بحفاوة الاستقبال وأنشد في ذلك قصائد خص بها ابن الشيخ سيدي محمد الكبير في زاوية قمار وأخرى في

<sup>1</sup> - دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص:310، ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج2، ص:146.

<sup>2</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص:185.

<sup>3</sup> - أحمد ساحي، المرجع السابق، ج1، ص:214.

<sup>4</sup> - التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات، منوبة، ط2، 2009، ص: 31، 50.

<sup>5</sup> - قرية غوفي : تقع جنوب شرق ولاية باتنة ببلدية غسيرة دائرة تكوت على الطريق الوطني بسكرة- باتنة عبر اريس تبعد عن بسكرة ب45 كلم تشتهر بشرفاتها ومناظرها الطبيعية التي تجلب السياح.

مدح قطب العارفين خليفة أحمد التجاني الشيخ الحاج علي التماسيني<sup>1</sup>، وأيضا محمد بيرم الخامس التونسي الذي زار الجزائر في إطار رحلته والتي تزامنت مع بداية الاحتلال الفرنسي للبلاد، اين التقى ببعض علماء الجزائر وأثنى عليهم من أمثال علي بن حفاف المفتي المالكي بقاعدة الجزائر، أحمد قندوز المفتي الحنفي بالقاعدة، سيدي قدور الشريف نقيب الأشراف وغيرهم من العلماء<sup>2</sup>.

### ثالثا: الإجازات العلمية بين القطرين:

يعتبر تبادل الإجازات<sup>3</sup> بين علماء الجزائر وتونس تجسيدا لمظاهر المبادلات العلمية بين الإيالتين خلال العهد العثماني، ورغم متانة الصلة بين علماء البلدين إلا أن القليل فقط من الإجازات حفظ في كتب السير والتراجم ومقدمات ومتون بعض الكتب في مختلف مجالات العلم، سنقتصر في هذا المبحث على إعطاء نماذج للإجازات عبر فترات زمنية مختلفة بين علماء تونس و الجزائر.

<sup>1</sup> - الصادق بن أحمد العروسي، العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 2015، ص: 74-79.

<sup>2</sup> - محمد بيرم الخامس التونسي، المصدر السابق، ج3، ص: 16.

<sup>3</sup> - الإجازة: يختلف مفهوم الإجازة حسب مجال استعمالها، ولكنها عموما تُعرف على أنها إذن من شيخ لطالب علم أو لعالم آخر في رواية الحديث الشريف، أو الفقه، أو التاريخ، أو غيرها من العلوم، أو هي إذن في تولي منصب ما كالفتوى والتدريس وغيره، وهي شهادة كفاءة أو تأهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها، وهي ما يقابل الشهادة الجامعية وشهادات الكفاءة التي تمكن صاحبها من تلقين المعارف على الصورة التي تلقاها بها. ولا يمكن الحصول على الإجازة أحيانا إلا بقطع مسافات طويلة للطالب أو العالم بين المدن والأصقاع المختلفة، وارتبطت الإجازة بتحمل أعباء السفر وملازمة الشيخ المجيز مدة من الزمن ومناظرته في بعض المسائل أحيانا، ولكنها مع مرور الزمن فقدت أهميتها بعد أن أصبحت تمنح بالمراسلة والسماع وتعطى على العموم في كل العلوم سواء قرأها المجيز أم لا. ينظر: لزغم فوزية، المرجع السابق، ص: 8، مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص: 34، ألبرت حوراني، المرجع السابق، ص: 162، 200، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص- ص: 39-41، إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية في المغرب خلال القرنين ونصف قبل الحماية، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1994، ص: 34.

الجدير بالذكر أن علماء الجزائر ارتبطوا بصلات ثقافية وثيقة بأقرانهم في تونس في وقت لم تكن فيه الحدود السياسية تتحكم في حركة الأفراد، فتنقل هؤلاء العلماء بين القطرين، طلبا للعلم أو هجرانا لبلدانهم لظروف مختلفة في مقدمتها الظروف السياسية حيث دأب العلماء على هجران البلدان التي تكثر فيها الفوضى والفتن إلى أخرى أكثر أمنا واستقرارا وبحثا عن جو ملائم للعطاء الفكري، كما كان لاهتمام الحكام بالحركة الفكرية والعلمية دور كبير في استقطاب العلماء إلى بلدانهم، واتصل علماء المغرب الاسلامي فيما بينهم ايضا في المشرق خصوصا اثناء الرحلات الحجازية وكان لتفلاتهم دور ايجابي في توثيق الصلات الثقافية بينهم، فتبادلوا التأليف والفتاوى والآراء في المسائل الفقهية والكلامية المتنوعة، واستجازوا وأجازوا بعضهم البعض<sup>1</sup>.

#### أ- إجازات علماء الجزائر لعلماء تونس:

طلب علماء تونس إجازات من علماء الجزائر عند مرورهم أو استقرارهم بالأراضي التونسية طيلة العهد العثماني، وهذا يدل على قيمة علماء الجزائر وانتشار صيتهم عبر بلاد المغرب وتمكنهم من مختلف فنون العلم العقلية والنقلية. وقد حاولنا الحصول على أكبر عدد من هذه الإجازات التي لم يدون الكثير منها، فاقنصرنا على أخذ عينات من هذه الإجازات العلمية عبر مراحل مختلفة في العلاقات بين البلدين أهمها إجازات أحمد المقري، فبالرغم من ضعف اتصالات أحمد المقري بعلماء تونس إلا أنه خلال رحلته إلى المشرق توقف بتونس فاستجازه مكاتبة من مدينة تونس الشيخ محمد تاج العارفين وهو من كبار علماء تونس آنذاك، ثم حضر إليه بسوسة فنظم له إجازة في ثلاثة وأربعين بيتا<sup>2</sup>، كما أجاز أيضا الشيخ

<sup>1</sup> - لزغم فورية، المرجع السابق، ص:163.

<sup>2</sup> - المقري، الرحلة، المرجع السابق، ص:153.



أبي القاسم محمد بن جمال الدين بن خلف المسراتي القيرواني بمنظومة قصيرة في ثمانية أبيات<sup>1</sup>.

ودرس بعض علماء تونس على الشيخ يحيى الشاوي بالمشرق، كالشيخ أبي الحسن علي النوري الصفاقسي<sup>2</sup>، فأجازه سنة 1018هـ/1667م بما رواه عن مشايخه المغاربة وهي: الموطأ والشافا و الصحيحان، وحزب البحر للشاذلي، وكتب الشيخ السنوسي وغير ذلك<sup>3</sup> وقال علي النوري في فهرسته معجبا بذكاء شيخه: "ولما كتب الإجازة قال: مؤرخة بمجموع الاسم واللقب، فعددت حروف يحيى الشاوي، فوجدتها ثمانية وسبعين والـف، وذلك هو التاريخ<sup>4</sup>.

وفي سنة 1159هـ أجاز أحمد الزروق<sup>5</sup> - نجل أحمد قاسم البوني - محمد بوعتور<sup>6</sup>، إجازة مطولة<sup>7</sup> بدأها بالثناء على المجاز بقوله: "الفاضل، العلامة، الماهر، الناشر أبو عبد الله سيدي بوعتور..". ثم بيّن ترده في منح المعني هذه الإجازة وذلك بقوله: "لست أهلا للإجاز.. وترددت في ذلك المرة بعد المرة.. فأجبتة إجابة المكروه لا البطل لما طلبه

<sup>1</sup> - المقري، الرحلة، المرجع السابق، ص:175.

<sup>2</sup> - أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي (1053-1117هـ/1643-1705م): ولد بصفاقس وتمكن من علم القراءات وأسس زاوية ومدرسة بها، له مجموعة من المؤلفات منها: غيث النفع في القراءات السبع والعقيدة النورية في معتقدات السادة الأشعرية ومعين السائلين في فضل رب العالمين. ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، المرجع السابق، ج2، ص:506، محمد مخلوف، المصدر السابق، ص:321، 322، حسن خوجة، المصدر السابق، ص-ص:127-129، محمد مقديشو، المصدر السابق، ج2، ص-ص:358-368.

<sup>3</sup> - محمد مخلوف، المصدر السابق، ص:321.

<sup>4</sup> - عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ص:1133.

<sup>5</sup> - أحمد الزروق (ت 1194هـ): هو أحمد الزروق بن أحمد بن قاسم البوني العالم الشهير، يعتبر الزروق أحد علماء القرن 12هـ/18م ومن مشاهير عصره، نوه به والده أحمد في الدرة المصونة وبمكانته العلمية التي جمعت بين السياسة والرياسة في الفقه والتصوف والأدب، وقد أجاز كثير من العلماء منهم: الحسين الورثيلاني، ومرتضى الزبيدي مراسلة لأنه لم يجتمع به. عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ج1، ص:239، حفناوي بعلي، الرحلات الحجازية المغربية في البلد الحرام، دار اليازوري العلمية، عناية، الجزائر، 2018، ص:436.

<sup>6</sup> - محمد بوعتور: من كبار علماء تونس وهو والد الوزير الأكبر في عهد الحماية العزيز بوعتور.

<sup>7</sup> - ينظر الإجازة كاملة، مخطوط مجموع به شرح مقصورة بن دريد ومقامات الشيخ حمودة بن عبد العزيز ومقامات الشيخ بوعتور، دار الكتب التونسية، رقم 8635، ص - ص:46 وجه-57ظهر.

مني..."، ثم أجازته: "وأقول الفاضل أبا عبد الله المذكور وأجزت الفاضل جميع ما تحوز لي وعن روايته من مقروء ومسموع، ومعقول ومنقول، وأصول وفروع كالموطأ والكتب الستة وغيرها من الجوامع والمسانيد.." وعرف بعدها المجيز بنفسه وشيوخه في العلم وفي الأخير طلب من بوعتور-المجاز- الدعاء الصالح وختم إجازته: "وكتب الحقيير خادم العلم والملة أحمد زروق بن أحمد قاسم البوني ثاني شعبان 1159هـ".

وأثناء إقامة العلامة أحمد بن عمار الجزائري في تونس، اتصل بالكثير من علمائها وتبادل معهم الإجازات و التقاريف، ومن أشهر تلامذته بها الشيخ إبراهيم السائلة الذي جمع ثبنا في أسانيد شيخه سماه بمنتخب الأسانيد فأجازته به سنة 1204هـ/1789م<sup>1</sup>.

والمؤكد أن تردد كل من الحسين الورثياني والشيخ أبو راس الناصري على تونس واختلاطهما بالطبقة المثقفة طلابا وعلماء، كل بمنحهما اجازات عديدة لهذه الفئة في ظل تمتعهما بمكانة مرموقة داخل هذه الأوساط، لكن من المؤسف أن كلاهما لم يدون هذه الاجازات العلمية في مؤلفاته واكتفيا بإشارات لدورهما الهام في الجانب الفكري والعلمي أثناء وجودهما بالإيالة وقد فصلنا في ذلك من خلال الكلام عن رحلة كل منهما ودورها في العلاقات العلمية بين البلدين في بداية هذا الفصل.

ومنح محمد بن محمود العنابي إجازة لمجموعة من العلماء الذين التجأوا إليه وطلبوا منه ذلك نثرا وشعرا، ولاسيما علماء أسرة بيرم ذات الأصول التركية التي تربطها مع أسرة ابن العنابي نفس الجذور والمذهب (الحنفي)، وقد حصل محمد بيرم الرابع على إجازتين على الأقل من الشيخ ابن العنابي إحداها عامة تشمل على العلوم العقلية والنقلية التي تلقاها عنه<sup>2</sup> والأخرى صوفية مشافهة بالأحزاب الشاذلية<sup>1</sup>. واستجازه أيضا مصطفى بيرم (عم محمد

<sup>1</sup> - عبد الحي الكتاني ، المصدر السابق ، ج1، ص:121،122، لزغم فوزية، المرجع السابق، ص:252، 253، عمر كحالة، المرجع السابق، ج1، ص:40.

<sup>2</sup> - ينظر نص الإجازة الملحق رقم: 09 .

بيرم الرابع) بقصيدة هامة تصور مدى احترام علماء تونس لابن العنابي وتذكر بعض أعماله العلمية<sup>2</sup> فلبى ابن العنابي رغبة هذا الطالب العالم بإجازته إجازة عامة<sup>3</sup>.

### ب- إجازات علماء تونس لعلماء الجزائر:

قصد عدد هائل من علماء الجزائر تونس خلال الفترة الحديثة<sup>4</sup> سواء في طريقهم إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم في مختلف حواضر ومراكز الإيالة خصوصا جامع الزيتونة للاحتكاك بعلمائها وتبادل المعارف معهم، وكانت تنتهي معظم اللقاءات بين الطرفين بمنح إجازات علمية لكل طرف للآخر ونظرا لمكانة علماء تونس طلب كثير من علماء الجزائر إجازات منهم وسنحاول إعطاء بعض النماذج منها رغم قلة تدوينها.

ففي مطلع القرن 10هـ/16م مُنح الكفيف التلمساني (ت901هـ) أثناء إقامته بتونس إجازة من قبل كل من القاضي محمد بن محمد بن أبي إبراهيم بن عقاب الخدامي التونسي وأبي عبد الله بن أبي الربيع الجيزي التونسي<sup>5</sup>، وخلال رحلة الشيخ عيسى الثعالبي إلى المشرق نزل بمدينة تونس وأخذ وأجيز وأثنى عليه كبار علمائها كالشيخ أبي بكر بن الشيخ تاج العارفين البكري (ت1072هـ)، في ذلك يقول محمد مخلوف "وأجازوه وأثنوا عليه بما هو أهله"<sup>6</sup>، ولم يخصص من منهم إجازة فهل كان الشيخ المذكور من جملة هؤلاء العلماء؟ ويغلب الظن أنه قد أجازته رواية لأن العلماء ما كانوا يفوتون فرصة استدعاء كبار المحدثين

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الجزائري محمد ابن العنابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005. ص:44.

<sup>2</sup> - ينظر قصيدة مصطفى بيرم الملحق رقم: 10 .

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه ، ص:44.

<sup>4</sup> - ينظر الجدول المرفق بأسماء أهم علماء الجزائر في تونس خلال هذه المرحلة الملحق رقم:12.

<sup>5</sup> - عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص:217.

<sup>6</sup> - محمد مخلوف، المصدر السابق، ص:311،312.

كالشيخ أبي بكر تاج العارفين الذي خلف والده في مجلس تدريسه، وقام بعلم الحديث الشريف أحسن قيام<sup>1</sup>.

وكان الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت1102هـ) قد رحل إلى المشرق، ودرس على العلماء وأجازوه، ومنهم الشيخ أبو الغيث المعروف بالقشاش التونسي (ت1031هـ)<sup>2</sup>، وطلب أبو راس الناصر خلال إقامته بتونس سنة خمس ومائتين وألف استجازة من الشيخ عبد الله السنوسي التونسي حيث قال: "أحببت أن أكون من تلامذتك الراغبين في إجازتك، وإن لم أكن لذلك أهلاً، فيكون ذلك مثلك لنا وبلا، كي تهب علي نفحاتكم وسناء بركاتكم، فأجازني في جميع ما تعلق بالدين ووصائله وفروعه وأصوله ومسائله. وكتب لي بخط يده حفاظاً كأنها عقيان أو درر، فهي عندي من نفائس ما يقنتى ويدخر"<sup>3</sup>، إلا أنه لم ينشر نص الإجازة في مؤلفاته.

ومنهم الشيخ العلامة محمد صالح بن سليمان العيسوي الزواوي (ت1242 هـ/1826م) الفقيه النحوي صاحب التأليف الكثيرة، الذي وجد بخطه أنه قرأ وأجيز في جامع الزيتونة بتونس<sup>4</sup>، غير أن صاحب "تعريف الخلف" لا يذكر شيوخه ولا بما أجيز، ويبدو أنه تلقى بها تكويناً مهماً إلى جانب ما يكون قد أخذه بالجزائر وظل مدرساً في جبل بن عيسى بجرجرة إلى أن توفي عن عمر يربو عن 90 عاماً، سنة 1242هـ.

وطلب علامة المغربين الأدنى والأوسط الشيخ المكي بن مصطفى ابن عزوز إجازة الإمام والفقيه علي بن الحفاف الجزائري ت1307هـ فأجازه هذا الأخير في رواية صحيح

<sup>1</sup> - لزغم فوزية، المرجع السابق، ص:203، عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 91.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الآثار في تراجم الأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997، ص:122.

<sup>3</sup> - أبو راس الناصر، المصدر السابق، ص: 50، 51.

<sup>4</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص:517.

البخاري وفي غيره<sup>1</sup>، ويضيف الحفناوي أن وفاة المجيز كانت في الغد فقط. ولم يذكر نص الإجازة.

#### رابعاً: المراسلات و التقاريف:

تجلت مظاهر التواصل العلمي بين الجزائر وتونس في الفترة الحديثة أيضاً من خلال تبادل الرسائل و التقاريف في مختلف المواضيع بين علماء الإيالتين.

#### 1- المراسلات:

احتلت الرسائل في كل عصر حيزاً كبيراً من اهتمام الأدباء والموظفين والأصدقاء والأحباء، ومن العادة أن تقسم الرسائل إلى رسمية (ديوانية) وإخوانية، وسنركز على النوع الثاني من هذه الرسائل المتداولة بين بعض الجزائريين وأقرانهم من تونس عبر فترات زمنية مختلفة. وقبل الخوض فيها نذكر أن بعض علماء الجزائر كانوا أكثرين في كتابة الرسائل وبعضهم كانوا مقلين، وهذا بالطبع يعود إلى مزاج كل أديب ومدى علاقاته الانسانية والاجتماعية، فعبد الكريم الفكون مثلاً كانت له علاقات كثيرة ومراسلات تبعاً لذلك، وكذلك كان الأمر مع أحمد المقرئ وسعيد قدورة وأحمد بن عمار، ومحمد بن محمود العنابي، ومن حسن الحظ أن الوثائق تحفظ لنا نماذج من هذه الرسائل الإخوانية، ويبدو أن بعضهم كان متميزاً في عصره بكتابة الرسائل الجيدة كما كان غيره متميزاً بنظم الشعر الجيد<sup>2</sup>.

#### \*نماذج عن الرسائل المتبادلة بين الطرفين:

شاع بين الأدباء والفقهاء تعاطي المراسلات والمساجلات الفكرية في مختلف المناسبات، وهي لا تخلو من نقاش علمي في جوانب لغوية أو أدبية أو فقهية، عرف منهم بذلك مجموعة من العلماء كالشيخ أحمد مقرئ، وابن المفتي، وابن حمادوش وغيرهم، ومن

<sup>1</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 260، 261.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص: 188.

علماء قسنطينة اشتهر عبد الكريم الفكون بالمراسلات، سجل بعضها في كتابه "منشور الهداية" تبادل فيها مع علماء عصره الأفكار والأشعار والألغاز، وقع له ذلك مع علماء من خارج القطر الجزائري كالشيخ محمد تاج العارفين، وإبراهيم الغرياني القيرواني، والشيخ بلغيث القشاش التونسي، ومحمد السوسي الفاسي الذي كان يزور قسنطينة كثيرا، وكانت له معارف واسعة ويحسن قرض الشعر والمدح به<sup>1</sup>.

ويبدو أن علاقة الفكون بعلماء تونس كانت وثيقة جدا ويتبين هذا من خلال كتابه المشار إليه سابقا، فقد أورد في طبيعة التعريف بالأصحاب والأحباب الشيخ بلغيث القشاش التونسي وعرفه بالشيخ الصالح الفقيه بلغيث، كذا يكتبه في مراسلته لي<sup>2</sup> وهذا يدل على كثرة الرسائل بين الرجلين، رغم أن المؤلف لم يقدم نموذجا عنها من الجانبين، وانتهى بقوله عنه: "ولنا به صحبة عن بعد الدار تضمنها الرسائل من الجانبين"<sup>3</sup>

وإذا غفل الفكون عن تقديم نموذج عن رسائله إلى علماء تونس، فإنه كان حريصا على تقديم بعض الرسائل الواردة إليه من علماء الإيالة التونسية، ومن أهمها رسالة الشيخ محمد تاج العارفين المدونة بتاريخ أوائل ذي القعدة عام سبعة وثلاثين وألف بقصر جابر 1628م، وهي قرينة واضحة تبين عمق الصلة ومتانتها بين علماء الإيالتين، حيث بدأها تاج العارفين بالإطراء ومدح الشيخ الفكون وتبيان مكانته في الجهة الغربية من بلاد المغرب بقوله: "الحمد لله الذي اطلع شمس الطلعة الفكونية من الأفق المغربي ويا عجا من طلوعها أمانا للعالم.."، ثم يواصل: "السيد الفقيه، العالم العلم النزيه، التحرير المتقن الوجيه من لنا إلى حبه ركون..."<sup>4</sup>، ثم يثني على الصلح بين البلدين الذي لعب فيه العلماء والفهاء

<sup>1</sup> - محمد بسكر، الإنتاج المعرفي لمدينة القسنطينة، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، المجلد 1، 2015، ص: 411.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 199.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 200.

<sup>4</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 216، محمد السنوسي، المصدر السابق، ص: 221.

دورا هاما يقوله: "وقد تقاءلنا باسمه جابر<sup>1</sup>، وقد طاب منه مشربه الرائق الزاهر، منزل جبر الله فيه القلوب، ويسر الله فيه كل مرغوب ومطلوب، من إصلاح الله سبحانه بين عباده ورد سيف المعاند والمكائد في اغماده..."، وفي الأخير أوصاه بالدعاء له في ظاهر الغيب وبلغ له السلام مجموعة من الفقهاء التونسيين وأكد له ضرورة بقاء المراسلات بينهما حيث قال: "وأعلمكم أنني لا أنساكم من الدعاء كما اني اطلب ذلك منكم... ولا تتسنا من مكاتبتكم مع الواردين، كما أنها ترد إليكم منا مع الصادرين.."<sup>2</sup>.

أما الرسالة الثانية فقد وردت إليه من عند الشيخ إبراهيم الغرياني في نفس السنة (سبعة وثلاثين وألف) وهي رسالة طويلة يعبر فيها الشيخ الغرياني عن حبه وشوقه إلى صديقه الفكون، ورغبته في طلب دعائه له شخصيا ولأولاده، وفي ذلك يقول: "لما دعاني داعي الحب والتودد الى سيدي عبد الكريم الفكون، وطلب الدعاء منه لي و لأولادي"<sup>3</sup>، ثم يورد مدحا مطولا في صديقه، الفكون وهو يبيّن قوة الصلة بين العالمين من جهة والاعتراف بمكانة عبد الكريم الفكون العلمية والفقهية من جهة ثانية اذ يقول: "الإمام العالم العلم العدل الصالح المكرم، الأمر الممدوح المسلم، مسيل أهل الحل والحلا وكمال أهل الكمال والعلا، ما دونكم صار صامرا للسا وعلى عهدكم ما كل ولا سها".

ودون صاحب منشور الهداية قصيدة الغرياني فيه وهي تبلغ الثلاثة والأربعون بيتا تنحو نفس المنحى مع الرسالة السابقة، وقد اخترنا منها<sup>4</sup>:

شَيْخُ فَقِيهِه وَلِيُّ عَالِمِ عِلْمٍ      بِهِ افْتِخَارِي وَعَهْدِي عَنْهُ لَمْ يُحَلْ  
سَأَلْتُهُ يَنْظُرُنْ دَهْرًا فَهُوَ لِي      عَسَى بِذَا دَائِمًا أُبْدِي لَهُ كَسْلِي

<sup>1</sup> - إشارة إلى المنزل الذي وقع الصلح فيه بين تونس والجزائر .

<sup>2</sup> - عبد الكريم الفكون، المصدر السابق ، ص: 217.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 218.

<sup>4</sup> - نفسه ، ص: 220-222.

رَبِّي يُنِيلُ مُرَادِي إِنْثِي لُهَجُ  
لِأَنَّهُ فَاضِلٌ فَاقَ الْمَنَاطِرَ فِي  
وَفِي دَهْرِنَا هُوَ عَزُّ اللَّائِذِينَ بِهِ  
فَإِنْ نَحَا بِيَّانِ جَلَّ مَنْطِقُهُ  
مُؤَرِّخُ فَاضِلٌ بِالْفِقْهِ مُتَزَرِّ  
وَهُوَ الَّذِي ثَبَّرَ الْأَسْقَامَ دَعْوَتُهُ  
وَفَضْلُهُ شَاعَ بَيْنَ النَّاسِ مُشْتَهَرًا  
فِي قُرْبِهِ وَمُرَادِي نَلْتَقِي أَمَلِي  
كُلَّ الْمَكَارِمِ مِنْ جَارِ مُزْتَحَلِ  
وَلَمْ يُعَوَّلْ بِدُنْيَاهُ عَلَى رَجَلِ  
وَإِنْ تَكَلَّمَ فِي التَّوْحِيدِ قَلَّ وَسَلِ  
مُحَدِّثُ بِحَدِيثِ صَحَّ فِي الْأَصْلِ  
وَيُنْعِشُ الرُّوحَ بِالْآيَاتِ عَنْ عَجَلِ  
كَالْبَدْرِ يَغْلُو لَنَا لَكِنْ بِلَا أَفَلِ

ومن بين الذين تواصلوا من الجزائريين مع علماء تونس، العلامة الفقيه ابن العنابي وكانت شهرته سببا في كثير من المراسلات التي جرت بينه وبين مثقفي عصره. وقد اختلفت أسباب المراسلات، فهناك الاستفتاءات التي يحاول أصحابها الحصول على فتوى دينية في قضية من القضايا التي كانت تعرض لهم، وهناك الإجازات التي يطلب أصحابها من أن يمنحهم إجازة بمروياته في الحديث والفقه ونحوهما<sup>1</sup>. وهناك مراسلات أخرى أدبية جرت بينه وبعض العلماء الأدباء منها هذه الأبيات الشعرية في آل بيرم:

بَنِي بَيْرِمِ زَانَ الْبَسِيطَةِ ذِكْرُهُمْ  
هُمْ أَحْرَزُوا فَضْلَ الْمَعَارِفِ وَالتَّقَى  
جَمِيلُ الْمُحْيَا زَاهِرَ الْوَجْهِ حُجَّةُ  
فَبَلِّغُهُمْ أَسْنَى السَّلَامِ وَخَصَّهُ  
فَمَالَهُمْ فِي الْمَشْرِقَيْنِ نَظِيرُ  
وَلَا سَيِّمًا صَدَرَ إِلَيْهِ أَشِيرُ  
يُبَيِّنُ الْهُدَى لِلْمُهْتَدِي وَيُنِيرُ  
فَإِنِّي عَلَى نَهْجِ الْوَدَادِ أَسِيرُ

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الجزائري، المرجع السابق، ص: 49.



ومن المؤكد أن هذه الأبيات موجهة لآل بيزم عامة، وتخص أحدهم دون الإفصاح عنه، ومن المؤكد أنه محمد بيزم الرابع، الذي رد على كتاب صاحبه بأبيات مثلها في القافية وروى<sup>1</sup>:

هَمَامٌ لَهُ حَوْلَ السَّلَاطِينِ مَنْزِلٌ      إِمَامٌ بِتَحْقِيقِ الْعُلُومِ حَيِيرُ  
بِهِ كَسَى الْإِسْلَامَ حُلَّةً مَجْدِهِ      وَأُضْحَى لَهُ فَخْرٌ بِهِ وَسُرُورُ  
إِذَا حَوَمَ الظَّمَانَ حَوْلَ عُلُومِهِ      يُصَادِفُهُ مَاءٌ هُنَاكَ نَمِيرُ  
وَلَوْ قِيلَ مَنْ حَازَ الْعُلُومَ بِأَسْرِهِا      إِلَيْهِ جَمِيعُ الْعَالَمِينَ تُشِيرُ

ويبدو أن المراسلات استمرت بين الرجلين حتى بعد غربة ابن العنابي في مصر ونفيه من الجزائر، حيث أرسل إليه محمد بيزم الرابع رسالة في سنة نيف وستين ومائتين وألف - وقد توفي ابن العنابي سنة (1267هـ) - يذكره فيها بالعهد بينهما ويوصيه بأحد الفضلاء المغاربة ليتدخل له في مصر ويساعده على قضاء مآربه<sup>2</sup>.

وراسل أيضا الأمير عبد القادر<sup>3</sup> أحد علماء أسرة بيزم وهو محمد بيزم الخامس التونسي وعبر له فيها عن أواصر الأخوة والاحترام المتبادل وكل التقدير والتبجيل له، وهي مؤرخة في 16 جمادى الأولى سنة 1297هـ، ومما جاء فيها: "... من خادم أهل الله عبد القادر بن محي الدين الحسني إلى جناب العالم الفاضل، والهمام الكامل صاحب المقام السني، الشيخ محمد بيزم أفندي المحترم"<sup>4</sup>. ومن أفاضل علماء تونس الذين حرروا رسائل إلى علماء الجزائر العلامة الشيخ اسماعيل التميمي، في رسالة له ساير بها رسالة أحمد بن عمار في

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الجزائري، المرجع السابق، ص: 50.

<sup>2</sup> - ينظر نص الرسالة في الملحق رقم: 14.

<sup>3</sup> - الأمير عبد القادر: عبد القادر بن محي الدين الحسيني (1808-1883)، عالم وفقه ومنتصوف جزائري قاد حركة الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بين (1832-1847)، ثم سجن بفرنسا ومنها انتقل الى بلاد الشام، أين كانت له أدوار مهمة علمية وسياسية،

<sup>4</sup> - محمد بيزم الخامس، المصدر السابق، ج5، ص: 306.

نازلة من نوازل الأوقاف وقد طبعت في تونس ملحقة برسالة في الرد على ابن عبد الوهاب سنة 1328هـ<sup>1</sup>.

## 2- التقاريز<sup>2</sup>:

يعتبر التقريظ من أشكال النثر الأدبي وتسيطر فيه الروح الإخوانية على الأسلوب، وتبرز في ثقافة الكاتب الأدبية واللغوية سواء في موضوعات فقهية أو أدبية وغيرها، ويمزج المقرظ في تقريظه بين الشعر والنثر.

تواصل علماء الجزائر وتونس طيلة العهد العثماني بواسطة هذا اللون من النثر وبرع فيه مجموعة من العلماء والأدباء يتقدمهم من الجزائر أحمد بن عمار حيث كان مقصودا من زملائه ومعاصريه في هذا اللون الأدبي زيادة عن الإجازة، ومن أشهر تقاريزه هو الذي خص به صديقه التونسي حمودة بن عبد العزيز<sup>3</sup>. في رسالة له تعنى بعلم الكلام بطلب من المعني، بتاريخ صفر سنة 1196هـ/1781م، وهو يصادف وجود أحمد بن عمار بتونس، ويمكن تقسيم التقريظ إلى خمس فقرات أساسية وهي<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> - حسن جسني عبد الوهاب، كتاب العمر، ج2، المرجع السابق، ص:863، دار الكتب الوطنية تونس رقم 424/2، 9350/3.

<sup>2</sup> - يقصد بالتقريظ مدح الحي ووصفه، وقرظ فلان فلانا وهما يتقارضان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه، ومثله يتقارضان بالضاد، وقد قرضه إذا مدحه أو خصه، فالتقارظ في المدح والخير خاصة، والتقارض في الخير والشر. وعليه فالتقريظ يستعمل للدلالة على مدح شخص ما لكتاب معين أو لمؤلفه أو لهما معا، وهو أسلوب دج عليه الأقدمون وسار عليه من جاء بعدهم، حيث يعطي المؤلف كتابه لشخصية علمية بارزة كي يقرظه له. عبد الله أحمد اليوسف، منهجية الدكتور الفضلي في صناعة التقريظ. Index.phx,www.arabia.com تاريخ الدخول 2019/11/05 على الساعة 22:35.

<sup>3</sup> - حمودة عبد العزيز: عالم ومؤرخ تونسي، تولى شؤون الوزارة في عهد علي باي (1759-1782م) له مجموعة من المؤلفات أشهرها الكتاب الباشي الذي أرخ فيه لعهد الباي علي توفي سنة 1787م. ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، المجلد2، ج5، 2005. ص: 204، 205.

<sup>4</sup> - نفسه، ص- ص: 207-209.

الفقرة الأولى: وهي الديباجة ويبرز فيها ابن عمار موضوع الرسالة ببراعة وتقنن، وهي وحدانية الله والحديث عن صفاته.

الفقرة الثانية: وتبدأ من قوله: "أما بعد وفيها يمدح ابن عمار الرسالة بأوصاف الدقة والتحقيق، كما مجد صاحب الرسالة ووصفه بأوصاف السلطة وبكونه "زين الوزراء والكتاب".

الفقرة الثالثة: تتضمن أيضا مدح ابن عمار للرسالة وصاحبها. ويبدأ ذلك من قوله: "فرايتها قد حازت قصب السيق"، وقال في صاحبها أن ابن عبد العزيز لا يجيد به الدهر إلا نادرا.

الفقرة الرابعة: وفيها أثنى على الرسالة وصاحبها بعبارات شعرية راقية في اثني عشر بيتا. وبدأها بقوله:

– شَمْسٌ تَجَلَّتْ فَمَا أَسْنَى تَجَلِّيَهَا \* لَاحَتْ عَلَى غُرَّةِ الدُّنْيَا تَجَلِّيَهَا.

الفقرة الخامسة: تبدأ من قول ابن عمار: "إيه أيها الساري ولا رفيق..". وهي أجمل ما جاد به ابن عمار لغة وأسلوبا وألفاظ جميلة، تنوه بصاحب الرسالة، وفيها دعاء للباي بالشفاء ونوه كذلك بولي عهده وبالدولة الحسينية<sup>1</sup>.

ومن أهم التقارير الجزائرية للمؤلفات التونسية وأصحابها، تقرّظ حمدان لونيبي<sup>2</sup> لكتاب "نصرة الفقيه السالك على من أنكر مشهورية السدل في مذهب الإمام مالك لصاحبه محمد بن يوسف الشهير بالكافي التونسي. وهو مؤرخ في 8 ربيع الثاني سنة 1328 هـ/1910م باسم حمدان لونيبي القسنطيني، وأحتوى هذا التقرير على افتتاحية أثنى فيها على المؤلف

<sup>1</sup> - ينظر نص التقرير كاملا في الملحق رقم:15.

<sup>2</sup> - حمدان لونيبي: ولد بقسنطينة سنة 1272هـ/1856م ينتمي إلى أسرة علمية شهيرة ( لونيبي)، وهو فقيه ومحدث ولغوي من كبار مقادير الطريقة التجانية بقسنطينة والمدينة المنورة، ويصنف من كتلة المحافظين في بداية القرن العشرين، كما أن له مؤلفات عديدة في مختلف تصانيف العلوم. ينظر: أحمد غريسي، العلامة الشيخ حمدان لونيبي التجاني القسنطيني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2018. ص:14 وما بعدها.

في حفظ مذهب الإمام مالك من التحريف والتزييف بفضل قوة أدلته الدامغة، حمدا لمن حفظ مذاهب الأئمة الأعلام من التحريف والتبديل والأوهام، وقيض لها فطاحل الأقلام، تذب عنها بأدلة أشد من وقع السهام، والصلاة والسلام على من نوه بعلو كعب أئمة الإسلام..<sup>1</sup>، ثم وضح المقرظ أن التقريظ جاء بناء على طلب من صاحب التأليف الشيخ محمد بن يوسف الكافي على كتابه النفيس نصرة الفقيه السالك على من أنكر مشهورية السدل في مذهب الإمام مالك، ومزج حمدان لونيبي بين النثر والشعر في تقريظه كعادة سابقه في أسلوب راقى ولغة جميلة تعبر عن تقدير كبير للمؤلف ومؤلفه. ويتبين ذلك من خلال قوله: "فقد أطلعني العلامة المحقق والدراكة المدقق.. سيدي الشيخ محمد بن يوسف الكافي على كتاب له بهية ذات تحقيقات نفيسة سنية، في الرد على من ذكر السدل في مذهب مالك..

يا نُصْرَةَ السَّالِكِ الْمَبْرُورِ طَوْلِي عَلَى مَنْ رَامَ بِالظَّفْرِ هَدْمَ هَيْكَلٍ وَعَلَا  
لا تَخْشَى وَأَسْدَلِي يَدَ الْفَخَّارِ فَقَدْ حَمَاكَ بَلْ قَدْ حَبَاكَ الْكَافِي تَاجَ عَلَا.<sup>2</sup>

خامسا: أشكال اخرى للتواصل:

لم يكتف علماء الإيالتين بالتواصل في المجالات السابقة الذكر بل تعدت أشكال التواصل العلمي والثقافي إلى مواضيع كثيرة ومتنوعة ذات طابع فقهي وأدبي وعقدي وغيره.

### 1- المناظرات العلمية:

تعتبر المناظرة العلمية وسيلة اتصال بين علماء القطرين وتوضح لنا أنه لم يكن هناك حواجز بين علماء المسلمين رغم تباعد الأصقاع التي تمنع اتصالهم، وكانت الرحلة الحجازية أهم العوامل لتحقيق ذلك الاتصال ومن ثم تلاق الأفكار وتناقضها. ثم أن المناظرة هي بمثابة اختبار للعالم، وكان غالبا ما يحضرها كبار العلماء، وفيها يتم غلبة الآراء

<sup>1</sup> - أحمد غريسي، المرجع السابق، ص:63.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص:63.

والرجال، وتتناقل المجالس بعد ذلك ما راج في تلك المناظرات، فكانت المناظرة إذن حافزا للعلماء وللطلبة على الزيادة في ضبط معارفهم، إضافة الى ما كانت تحققه من تبادل للآراء وتلاقح للأفكار<sup>1</sup>.

وقد سجلت كتب الرحلات والتراجم عدة نماذج عن هذه المناظرات بين علماء الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة، ومن الذين اشتهروا بذلك الفكون وأحمد بن عمار والورثيلاني وأبي راس الناصري وغيرهم، وسنكتفي بذكر المناظرة النحوية بين نزيل قسنطينة الشيخ ابراهيم الفلاري التونسي والشيخ عبد الكريم الفكون، فقد استقر الفلاري الأستاذ بجامع الزيتونة -الذي كان يتردد على قسنطينة- الفكون في إحدى الجلسات بسؤاله عن قضية نحوية، وهي الجامع بين قوله تعالى: "فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا" وقول الشاعر:

- كَانَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فَتُلُّهُمْ \* مِنْ الْعَبِيدِ وَتُلُّ مِنْ مَوَالِيهَا

ويقول الفكون أنه لم يعرف الجواب لقله زاده وصغر سنه، فلامه الفلاري عن جهله بالنحو والقواعد، لكن الفكون اجتهد في مكتبة والده، ووجد بيتا من الشعر فسره واستخرج معناه وإعرابه ابن هشام وهو:

- أَنْ هِنْدُ الْمَلِيحَةُ الْحَسَنَاءُ \* وَأَيٌّ مِنْ أَضْمَرَتْ لَحْلٍ وَقَاءٍ

ولما عاود الفلاري تأنيب الفكون طلب منه هذا الأخير أن يجيبه عن معنى هذا البيت وإعرابه، فبهت "الفلاري وأحمر وأصفر وألجم" واكتشف أمره بين أصحاب المجلس وأخذ يتضاءل في نفسه<sup>2</sup>، وانتهت المناظرة باعتراف كل طرف بالآخر والإقرار بقيمة النحوية، وقصد الفلاري منزل الفكون وأخذ بخاطره وقال له بارك الله فيك والله لأنت أحسن من فقهاء

<sup>1</sup> - عبد السلام شقور، المناظرات والانشادات في رحلات المغاربية الحجازية، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426هـ. ص - ص: 121، 125.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2005، ص: 120،

بلدك أو كلاما هذا معناه، وإنما فعلت ذلك لأعرف كنه عقلك، فلقد وقفت منه على المراد وذكر لي أن الجمع المذكور ذكره الدماميني في شرح المغنى الكبير من شروحه ووعدني بإرساله إلي أو نسخه، وعرف حقي منذ ذلك اليوم<sup>1</sup>.

والتقى ابن حمادوش الجزائري سنة 1159هـ العالم التونسي الشيخ محمد الشافعي الباجي الذي يسميه ابن حمادوش صاحبنا وهو في الجزائر، وتذاكرا في عدة مسائل منها لغز الشيخ أحمد البوني المشهور، وأورد ابن حمادوش رأي الشافعي في اللغز شعرا ونثرا وعلق عليه<sup>2</sup>.

## 2- التنافس على شروحات بعض المؤلفات:

شاعت منذ القديم ظاهرة الشروحات والحواشي لكثير من مؤلفات الانتاج الفكري والعلمي في مجالات المختلفة، وقد استمرت أثناء الوجود العثماني في الجزائر وتونس، ويبدو أنّ إنتاج بعض الجزائريين منذ مطلع القرن 10هـ/16م كان الأكثر عناية وتداولاً بين علماء الإيالتين في الشروح والتعليق والحواشي، خاصة ما تعلق بما تركه كل من الشيخين الامام محمد السنوسي، وعبد الرحمان الأخضر في موضوع العقيدة.

وتشكل الدرّة البيضاء و الجوهر المكنون وعقيدة السنوسي أكثر المؤلفات تداولاً بين علماء الإيالتين طيلة العهد العثماني، فقدت كثرت الشروحات عليها من قبل الطرفين خاصة علماء تونس، وفي هذا الشأن نسجل أنه رغم قلة هجرة هؤلاء العلماء للجزائر إلا أن تأثيرهم بالإنتاج الفكري الجزائري كان واضحاً من خلال شروحاتهم وتعليقهم الكثيرة على بعض المؤلفات الجزائرية لاسيما ما كتبه الشيخ السنوسي والشيخ الأخضر. فقد ظل علماء الايالة

<sup>1</sup> - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، المصدر السابق، ص: 111، 112.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، حياته وآثاره، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2،

2005، ص: 65.

حبيسي ما أنتجه الجزائريون سواء في مناهج التدريس داخل المؤسسات التعليمية، أو ما كان متداولاً بين الأوساط المثقفة شرحاً وتعليقاً<sup>1</sup>.

ولأهمية وكثرة التعليقات والشروحات على التراث الجزائري الخاص بما أنتجه العالمان الجزائريان السابقين الذكر ارتأينا أن نحصر أهم الشروحات والتعليق في جداول تبرز أسماء المؤلفين وعناوين مؤلفاتهم والفترة التي عاشوا فيها من الجزائر وتونس.

الجدول 1: خاص بشروحات وتعليق العلماء الجزائريين على مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي و عبد الرحمان الأخضرى

| الاسم                      | التاريخ      | التخصص           | العنوان   | المصدر                            |
|----------------------------|--------------|------------------|---|-----------------------------------|
| الحوضي التلمساني           | 910هـ/1505م  | فقيه أصولي       | نظم على عقيدة السنوسي   | نويهض، ص: 129                     |
| التلمساني                  | 930هـ/1524م  | فقيه             | نظم عقيدة السنوسي الصغرى  | نويهض، ص: 129                     |
| أحمد بن الحاج              | 930هـ/1524م  | فقيه             | نظم عقيدة السنوسي الصغرى  | كحالة، ص: 293                     |
| أحمد بن أقدار الراشدي      | 951هـ/1527م  | أصولي            | شرح عقيدة السنوسي الصغرى  | ابن عسكر، ص: 116.                 |
| عمر الوزان                 | 960هـ/1533م  | فقيه، صوفي       | شرح عقيدة السنوسي الصغرى  | نويهض، ص، 342                     |
| عبد اللطيف المسيح المرادسي | 980هـ/1572م  | فقيه             | شرح مختصر الأخضرى في العبادات على مذهب الإمام مالك ، شرح الدرّة البيضاء | نويهض، ص: 297<br>أحمد نوار، ص: 65 |
| محمد امزيان المسلياني      | 11هـ/17م     | فقيه             | شرح عقيدة السنوسي الصغرى  | نويهض، ص، 317.                    |
| بن مريم التلمساني          | 1025هـ/1611م | مؤرخ، فقيه       | شرح على مختصر الصغرى للسنوسي  | نويهض، ص: 293 .                   |
| سعيد قدورة                 | 1066هـ/1656م | مفتي، فقيه       | شرح الصغرى للسنوسي<br>شرح السلم للاخضري                                 | نويهض، ص: 259<br>كحالة، ص: 762.   |
| يحي الشاوي                 | 1092هـ/1685م | محدث، فقيه، نحوي | حاشية على أم البراهين للسنوسي   | كحالة، ج3،<br>ص: 114، 115.        |
| معزوز البحري المستغامي     | 12هـ/18م     | فقيه             | شرح على السنوسية - شرح على متن السلم ونظم متن السنوسية                  | نويهض، ص: 298.                    |

<sup>1</sup> - أحمد نوار ، المرجع السابق، ص- ص: 67- 69، المهدي البوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص: 179، أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 23.

|                          |                         |                      |   |                   |
|--------------------------|-------------------------|----------------------|---|-------------------|
| الجزائري                 | كان حيا<br>1115هـ/1703م | فقيه                 | موضح السر المكنون على الجوهر<br>المكنون             | كحالة، ج3، ص:188. |
| أحمد البوي               | ت 1116هـ/1704م          | محدث، فقيه،<br>أديب  | نظم عقيدة السنوسي السادسة وشرحها                    | كحالة، ص:246      |
| الحسين الورثيلاي         | ت 1193/1779م            | مؤرخ متصوف<br>فقيه   | شرح القدسية للأخضري                                 | نويهض، ص:340.     |
| أبو حسن القلعي           | 1199هـ/1785م            | فقيه                 | حاشية على السلم للأخضري.<br>شرح ام البراهين للسنوسي | نويهض، ص:266      |
| محمد الحفصي<br>القسنطيني | ت 1226/1811م            | فقيه                 | حاشية عظيمة على السلم المروتنق                      | بونشادة، ص:96.    |
| الرحموني                 | ت 1242هـ/1785م          | فقيه                 | حاشية على السلم الأخضري.<br>شرح ام البراهين للسنوسي | نويهض، ص:266      |
| محمد الويني              | ت 1260هـ/1844م          | ناظم، أصولي،<br>فقيه | حاشية على صغرى للسنوسي                              | نويهض، ص:377.     |
| أحمد بن محمد المبارك     | 1265هـ/1849م            | فقيه                 | حاشية على شرح الأخضري للجوهر<br>المكنون             | نويهض، ص:260      |
| محمد بن أحمد الموسوم     | ت 1300هـ/1883م          | فقيه                 | شرح عقيدة السنوسي الصغرى                            | نويهض، ص:323      |

ويلاحظ من خلال هذا الجدول اهتمام العلماء الجزائريين الكبير بما أنتجه كل من محمد السنوسي في نهاية القرن 9هـ/15م وعبد الرحمان الأخضري في القرن 10هـ/16م طيلة العهد العثماني وإلى نهاية القرن 13هـ/19م.

الجدول 02: خاص بشروحات وتعاليق العلماء التونسيين على مؤلفات الأخضري والسنوسي

| الاسم                | تاريخ الوفاة | التخصص     | العنوان                 | المصدر                                 |
|----------------------|--------------|------------|-------------------------|--|
| محمد بن مدين السويسي | 1707م        |            | شرح السلم المروتنق      | أبو عمران، ص:23                        |
| القويسني             |              |            | شرح السلم المروتنق      | أبو عمران، ص:23                        |
| محمد زيتونة          | 1138/1726    | محدث، فقيه | شرح علم السلم في المنطق | حسني عبد الوهاب، كتاب العمر،<br>ص: 421 |



|                  |                         |                       |   |                                       |
|------------------|-------------------------|-----------------------|---|---------------------------------------|
| التارزي          | حي سنة<br>1721/هـ/1134  | أصولي                 | حاشية على شرح السنوسي                           | نفسه، ج2، ص: 432                      |
| الهددة محمد      | 1725/هـ/1199            | فقيه، قاض             | شرح على متن السلم في المنطق                     | نفسه، ج2، ص: 438.                     |
| فتاة             | ت1115هـ                 | فقيه، مفتي<br>محدث    | شرح على الدررة البيضاء<br>للأخضري               | نفسه، ج2، ص: 826.                     |
| محمد الامام      | كان حيا<br>1778/هـ/1130 | أصولي                 | شرح على الدررة البيضاء                          | نفسه، ج2، ص: 831                      |
| الغرياني         | م1780/هـ/1194           | فقيه، مفتي            | حاشية على مقدمات السنوسي                        | نفسه، ج2، ص: 833                      |
| محمد الدرناوي    | م1785/هـ/1199           | أديب                  | شرح الدررة البيضاء                              | نفسه، ج1، ص: 843.844                  |
| ابو الحسن القلعي | 1785/هـ/1199            | فقيه، أصولي،<br>منطقي | شرح عقيدة السنوسي<br>شرح متن السلم              | نوبهض، ص: 266.                        |
| إبراهيم الزبيدي  | ت<br>م1886/هـ/1303      | محدث                  | شرح الجوهر المكنون                              | حسني، كتاب العمر، ج1،<br>ص: 43.       |
| أحمد السوسي      | م1779/هـ/1193           | فقيه                  | حاشية على شرح السنوسي أم<br>البراهين في التوحيد | نفسه، ج1، ص: 187.                     |
| حسين برناز       | م1138/م1726             | فقيه، نحوي            | تزيين الغرة بمحاسن الدررة                       | نفسه، ج3، ص: 605                      |
| محمد بن ملوكة    | م1726/هـ/1138           | فقيه، حاسب            | شرح على منظومة الدررة البيضاء                   | نفسه، ج3، ص: 358<br>أحمد نوار، ص: 104 |
| اللطيف           | م1857/هـ/1273           |                       | شرح السنوسي في المنطق                           | حسني، كتاب العمر، ج1،<br>ص: 876       |

ويلاحظ من خلال هذا الجدول مدى الاهتمام الكبير والارتباط والتواصل بين علماء تونس والجزائر من خلال هذه الحواشي والشروحات المنصبة حول إنتاج كل من السنوسي والأخضري من طرف علماء تونس من جهة ومن جهة ثانية أن معظم هذه الأعمال كانت خلال القرن 12هـ/18م، وهو ما يمثل عهد النهضة الفكرية والأدبية في البلاد التونسية.

## خاتمة الفصل:

اتخذ التواصل العلمي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني مظاهر متعددة وتأتي الرحلة بمختلف أنواعها في مقدمة هذا التواصل، فقد قصد الإيالة التونسية مجموعة من العلماء الرحالة الجزائريين في فترات مختلفة ودونوا لنا ملاحظاتهم وانطباعاتهم عن الإيالة التونسية في عدة جوانب لا سيما منها الحياة الثقافية والعلمية عبر كل تراب تونس ومن أهم ما نستشفه من خلالها :

- عدم تأثر العلاقات العلمية بين البلدين بالظروف السياسية والأمنية.
- تقديم صورة عن الحواضر العلمية التونسية.
- معرفة الفوارق بين نواحي الإيالة إذ قدم الرحالة الجزائريون صورة ناصعة عن بعض الحواضر خاصة الشمالية منها وانطباع سيء عن البعض الآخر لاسيما بعض المدن الجنوبية.
- رصد جهود السلطة التونسية عبر مختلف المراحل في تطوير الحياة العلمية من خلال الاهتمام بالمراكز العلمية كالمساجد والمدارس والزوايا ومدى تقديرهم للعلماء والطلبة.
- معرفة العلوم السائدة بالإيالة خلال الفترة المدروسة، وأهم أقطاب الحركة العلمية بها خلال الفترة المدروسة.
- تقدير حجم علماء الجزائر بنظرائهم التونسيين، حيث حظي علماء الجزائر بمكانة مرموقة بالإيالة التونسية سواء عند العامة أو العلماء أو حتى السلطة القائمة بالتهافت عليهم بالأخذ من علومهم وانتاجهم الفكري وتقديمهم وتقديرهم من خلال أخذ الإجازات عنهم وعرض المناصب العليا عليهم خاصة القضاء والافتاء والتدريس بمختلف الجامعات العلمية.

ومن المظاهر الأخرى للتواصل لتبادل الزيارات بين علماء الإيالتين والإجازات وكثرة المراسلات و التقاريز والمناظرات والتنافس في شرح بعض المؤلفات الشهيرة لعلماء الإيالتين سيما ما أنتجه بعض الجزائريين في المنطق واللغة والفقه وغيرها.

وبيّنت هذه المظاهر جملة من النتائج أهمها:

- متانة العلاقات العلمية بين الإيالتين.
- كثافة التبادل العلمي من خلال المراسلات الكثيرة بين علماء الإيالتين والتي عالجت قضايا مختلفة تمس جوانب متعددة في معظمها ذات طابع ثقافي اجتماعي.
- تقدير مكانة علماء الإيالتين لبعضهما البعض من خلال إبداء الرأي في المصنفات العلمية عن طريق التقاريز المتبادلة بين الطرفين.
- الحركة الكثيفة لعلماء الجزائر نحو تونس وهذا نتيجة عوامل مختلفة في مقدمتها عناية حكام الإيالة التونسية بالعلم والعلماء، واحتوائها على حواضر ومراكز عريقة ذات تقاليد راسخة في الشؤون العلمية والفكرية على غرار جامع الزيتونة، إضافة إلى تدهور الأوضاع بالجزائر في كثير من الأحيان وافتقادها إلى مراكز علمية كبيرة.
- المساهمة الكبيرة لعلماء الجزائر في الحياة الثقافية والعلمية بتونس عبر مختلف المراحل سواء في التدريس أو الافتاء أو القضاء وحتى بعض المناصب العليا كديوان خطة الانشاء.
- ضالة حركة علماء تونس إلى الجزائر مقارنة بحركة علماء الجزائر إلى الإيالة ولعل ذلك يعود إلى عوامل مختلفة أهمها اكتفاء علماء الإيالة بما لديهم من مراكز إشعاع علمي.
- تفوق علماء الجزائر على نظرائهم في تونس في مختلف العلوم وهو ما بيّنته حضوتهم المرموقة عند هؤلاء والعلماء وحتى عند الحكام.

- الحضور الفكري القوي لعلماء تونس في الجزائر من خلال العدد الهائل للشروحات والتعليق لما أنتجه كثير من الجزائريين في مختلف العلوم، لاسيما مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمان الأخضرى.

البايع

الثاني

الفصل

الأول

## الفصل الأول: مغرب المتصوفة

### مقدمة الفصل

### أولاً: التصوف ونشأته

#### 1- مفهوم التصوف

أ - لغة                      ب - اصطلاحاً

2- نشأة التصوف الإسلامي وتطوره

3- التصوف في بلاد المغرب

4- عوامل انتشار التصوف في الجزائر وتونس

### خاتمة الفصل

## مقدمة الفصل:

يعد ظهور التصوف ببلاد المغرب مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة، نتيجة تأثيره الكبير في حياة المجتمعات المغاربية سواء كان في جانبه الإيجابي أو السلبي وهو ما جعل هذه الظاهرة جديرة بالدراسة من حيث مفهومها وتطورها وأهم العوامل التي ساعدت على انتشارها ببلاد المغرب عامة والجزائر وتونس خاصة.



## أولاً: التصوف في بلاد المغرب

## 1- مفهوم التصوف:

## أ- لغة (الاشتقاق):

إذ كان لفظ تصوف وصوفي من الألفاظ الشائعة فإن المعنى الاشتقاقي لهذين اللفظين لم يكن موضع اتفاق بين الكتاب والمؤرخين والباحثين والدارسين في مجال التصوف الإسلامي .

لم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم أو الحديث النبوي ومن الثابت تاريخياً أنه لم تسم طائفة في عهد الرسول ص بهذا الاسم<sup>1</sup>، وهي من الكلمات الغامضة التي تتعدى مفاهيمها وتتباين معانيها والسبب في ذلك كله هو أن التصوف مبدأ مشترك بين ديانات وحضارات مختلفة<sup>2</sup>. وهي كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية وعلى هذا تكون كلمة تصوف مبتدعة ومحدثة وغير معروفة عن العرب الأوائل<sup>3</sup>، إلا أن هناك آراء كثيرة ومختلفة في بيان هذا اللفظ ويمكن حصرها في رأيين.

رأي يقول بعربية لفظ التصوف وتعدد مصادره ( صوفة، صوفانة، صوفة القفا، الصف الأول، الصفاء، أهل الصفة، الصوف) وأشهر القائلين به مجموعة من علماء الإسلام منهم أبو سراج الطوسي، الحسن البصري، سفيان الثوري، ابن القيم الجوزية، محمد الكلاباذي، أحمد زروق، ابن خلدون، ابن تيمية، والمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون.

<sup>1</sup> - محمد إبراهيم تركي، التصوف الإسلامي، أصوله و تطورات، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط، 2007. ص:25.  
<sup>2</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، التصوف في الجزائر المدارس و الفروع ، منشورات جامعة أدرار، مطبعة غرداية، ع1، الملتقى الدولي 11 التصوف في الإسلام و التحديات المعاصرة ، ج1، 2008/ 2009. ص:6 .  
<sup>3</sup> - محمد يوسف الشبوكي ، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، 2002. ص: 356.

ورأي آخر يرى بعجمية اللفظ ويرجعه إلى الأصل اليوناني - الأفلاطوني ويتصدر هؤلاء أبو الريحان البيروني والمستشرق الألماني فون هامر والمستشركة الألمانية آن ماري شيميل<sup>1</sup>.  
ب- اصطلاحا :

إن التصوف تجربة خاصة بأفراد معينين وليس شيئا مشتركا بين الناس جميعا ولكل صوفي منهج أو طريقة معينة في التعبير عن حالته، ويعمد إلى استعمال أسلوب رمزي لإخفاء ذوقه عن لا يرتقون إلى مستواه .

وعلى هذا الأساس تعددت مفاهيم التصوف حيث ذكر السهروردي أن أقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد عن ألف قول<sup>2</sup>، وقال الشيخ زروق<sup>3</sup> أنها تزيد عن ألفين<sup>1</sup> وأورد

<sup>1</sup> - ينظر في هذا الموضوع إلى: السيد محمد عقيل بن علي المهدي ، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الحديث، ط2، 1993، ص:51، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ط1، 2011، ص:153، 154، حسن جلاب ، بحوث في التصوف المغربي، المطبعة الوطنية، مراكش، ط1، 1995، ص:137، عبد المنعم الحنفي، موسوعة الطرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشد، ط1، 1993، ص:279،

Ben tounes Cherif khaled, **le soufisme cœur de L'Islam** , elalamin, setif, 1997,p,p :51,52  
أبي بكر محمد الكلابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبط و تعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص: 9 ، أحمد زروق، قواعد التصوف، ضبط و تعليق محمود بيروتي، دار البيروتي، دمشق ، ط1، 2004، ص:20، ابن تيمية ، فقه التصوف، تعليق زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993، ص:34، أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1988. ص: 20 / أبو سراج الطوسي ، اللمع ، تحقيق وتقديم محمود عبد الحليم وسرور طه عبد الباقي ، دار الكتب الحديثة ، مصر 1960. ص: 40/ ابن خلدون ، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح محمد مطيع الحافظ، دار الفكر دمشق، 1966 . ص- ص : 51 -53، عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، دار الرشد، الاسكندرية، دس، ص:345 . عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المنقذ من الضلال ، دار المعارف ، ط5، 2003، ص:35.<sup>2</sup> القشيري ، الرسالة القشيرية ، دار صادر، بيروت، ط2011، ص:3. 183. شيميل آناماري ، الأبعاد الصوفية في تاريخ الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة إسماعيل السيد و رضا حامد قطب، منشورات الجمل ، بغداد ، ط2006، ص:7 ،

Louis rinn . **marabouts et khoans** .etude sur lislam en algerie.adolphe jourdan libraire editeur  
- Alger.1884.p:25 .

<sup>2</sup> صادق سليم صادق، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1994، ص:34.

<sup>3</sup> الشيخ أحمد زروق : وليد فاس 846هـ أخذ التصوف مبكرا و سافر الى مصر و اخذ الطريقة عن أبي العباس الحضرمي ، أنشا في طرابلس الزاوية الزروقية ، له مؤلفات عديدة معظمها في التصوف ، توفي 899هـ و دفن في مصراتة عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان ، الرباط، ط4، 2003. ص-ص : 147- 153 .

المتصوف الفارتي المروزي (المتوفى سنة 491هـ) أكثر من عشرين تعريفاً، والكلاباذي و ابن عجيبة الحسين، وذكر القشيري أكثر من خمسين تعريفاً، كما ذكر نيكليسون ثمانية وسبعين تعريفاً، وذكر السراج في لمعه مائة تعريف<sup>2</sup>.

وقد صنف الباحثون في التصوف هذه التعاريف في أبواب عديدة حسب مدلولات أبعادها، ورغم اختلافها إلا أنها تتفق في بعدها الأخلاقي المستمد من الإسلام<sup>3</sup>.

ونحاول أن نختار بعض التعاريف للتصوف منها :

حسب الغزالي: " التصوف اسم جامع لمعاني الزهد مع مزيد من أوصاف وإضافات كثيرة لا يكون الرجل بدونها صوفياً وإن كان زاهداً"<sup>4</sup> وسئل سمنون (المتوفى سنة 290هـ/903م) عن التصوف فقال: "ألا تملك شيئاً ولا يملكك شيئاً"، ويقول رويم بن أحمد (المتوفى سنة 303هـ/942م): " التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل و الإيثار، وترك التعرض والاختيار". وقال معروف الكرخي: " التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق".

وقال دلف الشبلي المتوفى سنة (334هـ/946م): " التصوف الجلوس مع الله تعالى بلا هم" وقال أيضاً: "الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق". وسئل ذا النون المصري عن الصوفي فقال: "هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شيء، فأثرهم الله عز وجل على كل شيء"<sup>5</sup> وكلها تعاريف تربط التصوف بالزهد والتفقر.

<sup>1</sup> أمين لغويني ، مفهوم التصوف في علاقته بالتخلق عند الشاطبي و ابن خلدون ، مجلة قوت القلوب ، المملكة المغربية ، ع 1 ، 2012.ص:119.

<sup>2</sup> إحسان إلهي ظهير ، التصوف المنشأ و المصدر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986. ص:36.

<sup>3</sup> عبد الكريم بوصفصاف ، المرجع السابق، ص:7 .

<sup>4</sup> محمد بركات البيلي ، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية ، مطبعة جامعة القاهرة، 1993. ص:6.

<sup>5</sup> القشيري ، المصدر السابق، ص:183، 184 .

إلا أن هناك من يربطه بالأخلاق مثل تعريف أبي الحسن النوري (المتوفى سنة 225 هـ) الذي ينفي فيها عن التصوف أن يكون علما أو رسما ويثبت أنه مبني على الأخلاق بالأساس بقوله: "ليس التصوف رسما ولا علما ولكنه خلق" ثم علل ذلك قائلا: "لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بخلق الله، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم".

وهو نفس ما ذهب إليه أبو بكر الكتاني (المتوفى سنة 233 هـ): "التصوف خلق فمن زاد عليك فقد زاد عليك بالصفاء" وقال أحد المتصوفة المتأخرين: "التصوف أخلاق وأذواق وأشواق"<sup>1</sup>. كما يعزوه البعض إلى التزام الشريعة ومن ذلك جواب صاحب اللّمع لما سئل عن الصوفية قال: "هم المعتصمون بكتاب الله المجتهدون في متابعة رسول الله ص المقتدون بالصحابة والتابعين السالكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين"<sup>2</sup>.

وهو العلم المختص بترويض القلوب لتهيئتها إلى استحضار الله تعالى في كل نفس وحركة خلف البرزخ المحمدي الذي هو الشريعة" على حد قول الفهري أبي حامد<sup>3</sup> ويفصل الشاذلي في نفس الاتجاه " الشاذلي في نفس الاتجاه "أن التصوف ليس بالرهبانية ولا أكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية"<sup>4</sup>.

إن التصوف ليس نحلة أو دين يعتقد المرء مقابل الانسلاخ من الإسلام، بل هو اجتهاد في العبادات والطاعات ومظهر متطور للزهد والعبادة<sup>5</sup>، وهو ليس بديلا عن الكتاب

<sup>1</sup> أمين لغويني، المرجع السابق، ص: 119.

<sup>2</sup> أبو نصر الطوسي، المصدر السابق، ص: 22.

<sup>3</sup> أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفهري، مرآة المحاسن، دراسة وتحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008، ص: 22.

<sup>4</sup> عبد المجيد الصغير، تجليات الفكر المغربي دراسة ومراجعات في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص: 179.

<sup>5</sup> مجموعة من المؤلفين، التصوف السني ببلاد المغرب، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط2، 2013، ص: 62.

والسنة<sup>1</sup>، وهو ما يؤكد شيخ الطائفة العيساوية محمد بن عيسى المكناسي لما سئل عن التصوف والصوفي قال: "الصوفي عندنا هو العارف بالله عن يقين من الله وهو المستعد لهذه المعرفة بلوازمها<sup>2</sup> وبالعقل والعلم<sup>3</sup>.

وهناك من قدّم تعاريف شاملة عن التصوف منها قول الجنيد<sup>4</sup>: "أن يميّتك الحق عنك ويحييك به"<sup>5</sup>، وسئل أبو سعيد الخراز (المتوفى سنة 268هـ) عن الصوفي فقال: "من صفا ربه قلبه فامتلاً قلبه نورا، ومن دخل بعين اللذة بذكر الله" وعرّفه الكتاني أيضا: "التصوف صفاء ومشاهدة، وقال بشر بن الحارث (المتوفى سنة 227هـ): "الصوفي من صفا قلبه لله<sup>6</sup>.

والتصوف في الإسلام كعلم ديني يختص بجانب الأخلاق والسلوك، وهو روح الإسلام ويوضح التفتازاني أنه لا فرق بين التصوف وعلم الكلام وعلم الفقه، وأن التصوف يستند إليهما معا، وأنه لا انفصال بين العلوم الثلاثة إلا مع نهاية القرن الثالث الهجري، ويعتمد على قول الشعراني: "هو (أي علم التصوف) علم انقذح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، والتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن بريكة، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، دار المتون، الجزائر، ط1، ج1، 2006، ص: 52.

<sup>2</sup> لوازم التصوف هي: الجوع، العزلة، السهر، قلة الكلام، خشونة الملبس، الورع، الخشوع.

<sup>3</sup> عبد الرحمان الملحوني، الحكاية الشعبية الصوفية، شركة بابل للطبع، الرباط، ج2، 2000، ص: 17.

<sup>4</sup> الجنيد: أبو القاسم الجنيد بن محمد (المتوفى سنة 297هـ/910م) سيد هذه الطائفة وإمامهم، أصله من نهاوند ولد بالعراق ونشأ بها لقب بالقواريري وكان فقيها على مذهب أبي ثور ويفتي في حلقاته وهو ابن عشر سنين، يمثل الجنيد تصوف الفقهاء المستند إلى الكتاب والسنة (الرسالة القشيرية ص: 287/عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ص- ص: 180-184/ابن الجوزي، صفة الصفوة، ح أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، 2009 ص- ص: 518-522 / المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية، مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم: 1739، ص - ص : 88 - 92 وجه.

<sup>5</sup> القشيري، المصدر السابق، ص: 184.

<sup>6</sup> عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 97.

<sup>7</sup> أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1979

ص: 16.

وقد تطور مفهوم التصوف من كونه تجربة ذاتية إلى علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة بعد تدوينه<sup>1</sup>، وترتيبه وتبويبه ووضع قواعده وتسجيل شروطه وحدوده وثمراته وهذه المستحدثات هي عامة في جميع العلوم الدينية<sup>2</sup>.

## 2- نشأة التصوف الإسلامي وتطوره:

ظل الدين أمرا ملازما للبشرية عبر مختلف تاريخها، بغض النظر عن صحته وضلاله، وقد ارتبط ظهور العقيدة الدينية عند الإنسان بإحساسه بالضعف اتجاه مظاهر الكون<sup>3</sup>، وهو ما جعله يتقرب من القوى الإلهية المتحكمة في تلك الظواهر الطبيعية الخطرة، وإقباله على التمام والتعاويز المختلفة والتسليم المطلق والرضا بالعيش البسيط والانقطاع في التأمل في أصله ومصيره والتفكير في ملكوت الكون، وبالتالي فالضعف هو طريق الزهد عند الإنسان<sup>4</sup>.

أما عن ظاهرة التصوف في الإسلام فيعيدها البعض بأنها لصيقة بالدين الإسلامي منذ ظهوره كون الرسول ص عاش حياة روحية بعيدة عن ضجة قريش في مراحل الدعوة الأولى (خلوته بغار حراء)، وهو ما أتاح له صفاء الروح، ونقاء السريرة حتى صار مستعدا للوحي والرسالة، وربى الصحابة تربية روحية خاصة في دار الأرقم بن أبي الأرقم<sup>5</sup>، وهو ما جعل الزهاد والعباد الذين ظهروا فيما بعد وعرفوا باسم الصوفية يشابهون الرسول ص في حياتهم الروحية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة بن خلدون، اعتنى به هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 2007. ص - ص: 505- 507 .

<sup>2</sup> عبد الكريم بوصفصاف ، المرجع السابق ، ص: 6 .

<sup>3</sup> عبد القادر صحراوي، التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية مابين القرنين السادس عشر والثامن عشر، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2009. ص: 17 .

<sup>4</sup> رشيد الناضوري ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار النهضة العربية، 1969. ص: 162.

<sup>5</sup> وهي أول دار مارس فيها الرسول ص الدعوة إلى الله وتنسب إلى صاحبها الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وهو من الأوائل الذين أسلموا، صفي الدين المباركفوري ، الرحيق المختوم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2007. ص: 50.

<sup>6</sup> منال عبد المنعم جاد الله ، التصوف في مصر والمغرب، دار المعارف، الإسكندرية، 1977 . ص: 120.

إلا أن الحياة الروحية في عهد الصحابة كانت تتسم بالزهد المعتدل القائم على الكتاب والسنة، ونموذجاً صادقاً للحياة الروحية التي كان يحياها زهاد المسلمين وصوفية الإسلام السنيين، وقد ترك أهل الصفة تأثير كبيراً في حياة المسلمين في ما بعد خصوصاً سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان والبراء بن مالك، وغيرهم من الصحابة<sup>1</sup>.

وعموماً عرف التصوف الإسلامي في بداياته الأولى أي منذ عصر الرسول "ص" إلى القرن الثاني الهجري سير أصحابه من العباد والذين أطلق عليهم فيما بعد المتصوفون على مذهب أهل السنة بقواعد الشرع ومحاربة النفس والتوكل على الله في جميع الأمور وخوفهم من الله أشد من حُبهم للحياة، وأطلق على هذه المرحلة التي دامت أكثر من قرن ونصف بمرحلة الزهد، وقد كان المتصوف أو العابد صورة نموذجية للمسلم الصحيح، فلم يكن التصوف قد تلوث بأي أفكار دخيلة أو أي صورة مرذولة<sup>2</sup>، رغم خوضه في مسائل دقيقة مثل العشق الإلهي والفناء، ويطلق على أصحابه بالرواد الأوائل لمشاريع صوفية<sup>3</sup> وهذا ما حدا بأحد الباحثين أن يعتبر الصحابة والتابعين أهل تصوف حتى وإن لم يُسموا باسم الصوفيين فهم عاشوا لربهم لا لأنفسهم، وتحلوا بالزهد وملازمة العبودية والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات و مذاهب، دار النهضة العربية، 1984. ص، ص: 54، 55.

<sup>2</sup> عبد المحسن سلطان، التصوف الإسلامي في مراحل تطوره، دار الآفاق العربية، 2003. ص-ص: 19-27.

<sup>3</sup> أبو الوفا التتازاني، المرجع السابق، ص: 90، 91.

<sup>4</sup> لحسن السباعي الإدريسي، حول التصوف و المجتمع، منشورات الإشارة، دار أبي الرقاق، المغرب، ط 1، 2007. ص: 38.

ورغم صعوبة الفصل بين الزهد والتصوف والتمييز بينهما في هذه المرحلة<sup>1</sup>، وحتى الذين أطلقوا على أنفسهم اسم الصوفية في بداية القرن الثالث الهجري، لم يكونوا في الحقيقة إلا زهادا على حض قليل جدا من التصوف<sup>2</sup>.

لقد تضاربت الآراء بين الباحثين والمؤرخين حول بدايات الحركة الصوفية، وإن اتفق الكثير على أن نشأة التصوف تعود إلى القرن الثاني الهجري وما بعده على حد قول ابن خلدون في مقدمته: "إن نشأة التصوف تعود إلى القرن الثاني وما بعده، وعرف المقبولون عليه باسم الصوفية والمتصوفة"<sup>3</sup>، وأيده في ذلك ابن تيمية في قوله: "إن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني الهجري، وإن لم يشتهر إلا بعد القرن الثالث"<sup>4</sup>.

ويعتبر بروز الحسن البصري (ت110هـ) ومالك بن دينار (ت131هـ) ومحمد بن واسع (ت126هـ) هو نواة تأسيس حركة صوفية مستقبلية<sup>5</sup>، ثم تجسد في ابراهيم بن أدهم البلخي (ت160هـ)، ورابعة العدوية (ت153هـ)، وذا النون المصري (ت245هـ) وغيرهم، حتى غدا مذهبا قائما على أركان مدعمة بنصوص من القرآن والحديث ويسمى (علم الباطن)<sup>6</sup>.

وأول من نعت بالصوفي في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي جابر بن حيان وهو صاحب كيمياء شيعي وأبو هشام الكوفي (ت150هـ)<sup>7</sup>، وقيل عبدك<sup>8</sup> (ت210هـ)،

<sup>1</sup> يفرق البعض بين الزهد والتصوف في كون الأول جاءت به السنة المطهرة، و التصوف عقيدة فلسفية غايتها فتح القلب على علوم غيبية عن طريق الكشف، ينظر إلى: نصر الله محمد عبد الحميد البراجة، الحركة الصوفية و موقف الإسلام منها، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، دس، ص: 8، ممدوح حربي، موسوعة الفرق و المذاهب و الأديان المعاصرة، ألفا للنشر و التوزيع، مصر، ط 1، 2010. ص: 98.

<sup>2</sup> التليلي العجيلي، المرجع السابق ص: 26.

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص: 505.

<sup>4</sup> نصر الله البراجة، المرجع السابق، ص: 24.

<sup>5</sup> محمد بن جلال شرف، المرجع السابق، ص: 60.

<sup>6</sup> التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 27.

<sup>7</sup> ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط1، 1984. ص: 26.

<sup>8</sup> محمد بن جلال شرف، المرجع السابق، ص: 23.



ويقول الإمام الشافعي: "تركت بغداد و قد أحدث الزنادقة<sup>1</sup> فيها شيئا يسمونه السماع وهو الغناء والمواجيد"، ومعروف أنه رحمه الله دخل مصر سنة 199هـ، وهذا دليل وجود طبقة الزنادقة أو المتصوفة كما يسمونهم في القرن الثاني الهجري<sup>2</sup>.

أما المرحلة الثانية في تطور التصوف الإسلامي فتتمتد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ويسمى البعض بمرحلة الانحراف<sup>3</sup>، وفيها حدث امتزاج بين التصوف الإسلامي وروافد الحضارات الأخرى مثل المانوية<sup>4</sup> والزرادشتية<sup>5</sup> والأفلاطونية المحدثة<sup>6</sup> والمسيحية وغيرها، وهو ما جعل البعض يرجع أصل الحركة الصوفية إلى أصل واحد هو الأصل الهندي أو الفارسي أو الأفلاطوني، بل هناك من غالى عندما ادعى أنها يونانية في الصميم، وأن المسيحية هي الوعاء الحقيقي للتصوف باعتبار رجال التصوف سنوا عقائد دخيلة على الإسلام كمسألة الفناء والاتحاد<sup>7</sup>، رغم أن الباحثين نفوا أن يكون التصوف إسلاميا أو مسيحيا أو هنديا وعزوه إلى كونه مجرد نمط من العيش في حالة طهر وصفاء كاملين، كما نفوا أن يكون عقيدة ثابتة أو تفكيراً عقليا معلا<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الزنادقة : مفردا زنديق وهو القائل ببقاء الدهر وهو مصطلح فارسي معرب (زندكر) / أحمد أمين ، فجر الإسلام، دار الكتب العربية، ط2، 2006. ص:111.

<sup>2</sup> نصر الله البراجة ، المرجع السابق ، ص : 24 .

<sup>3</sup> عبد المحسن سلطان ، المرجع السابق، ص-ص: 31-33.

<sup>4</sup> المناوية: ديانة تنسب إلى مؤسسها ماني (216م-277م) وهي مذهب مثنوي جذري أخذ من المزدكية والغنوسية واليهودية والمسيحية، انتشرت في الصين وإيطاليا وإفريقيا الشمالية وبقيت متواجدة إلى غاية القرن 14م، جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006. ص: 629.

<sup>5</sup> الزرادشتية : مذهب ديني ينسب إلى صاحبه زرادشت الذي عاش في منتصف القرن 7 ق م و مات حوالي 583 ق م اتخذها الفرس ديانة لهم في عهد الساسانيين من 226 م إلى الفتح الاسلامي .

<sup>6</sup> الأفلاطونية المحدثة : تنسب إلى أفلوطين (205م/270م) روماني ، تعلم بمدرسة الإسكندرية، أسس فكره على فلسفة أفلاطون .

<sup>7</sup> عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص:21.

<sup>8</sup> محمد مكحلي ، ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827 ، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2003-2004. ص:44.

ويؤكد باحث غربي أن التصوف ليس فرقة دينية أو مذهباً فلسفياً، وأنه لا يتعارض مع عقيدة الإسلام، وهو البحث في الجوانب العلمية التي ترقى بالإنسان إلى الروحانية والريانية وصفاء النفس<sup>1</sup>.

ظهرت في هذه الفترة تأليف تدعوا إلى أمور لم يناد بها الزهاد الأوائل مثل ترك الزواج، عدم أكل اللحم، والنوم في المزابل مع الكلاب<sup>2</sup>، والخوض في قضايا الحلول<sup>3</sup> والاتحاد<sup>4</sup> والعشق الإلهي، وهو منحى لقي مناهضة شديدة من السلطة القائمة، وأدى إلى اتهام الحلاج<sup>5</sup> وقتله سنة (309هـ/922م)، بعد أن مزج أصحاب هذا التوجه أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية<sup>6</sup>، واستمدوا كثيراً من دعائمهم وفكرهم من علوم اليونان والحكمة الشرقية القديمة والديانات الكتابية كالنصرانية وغيرها، وذاع هذا التصوف في القرنين السادس والسابع الهجريين ويمثله مجموعة من المتصوفة<sup>7</sup>، ويعد ذا النون المصري (ت245هـ/859م) وأبو يزيد البسطامي (ت261هـ/875م) وقيل 264هـ، والحسين بن منصور الحلاج

<sup>1</sup> LOUIS RINN ,op ,cit ,P :15.

<sup>2</sup> محمد العبدية وطارق عبد الحليم، دراسات في الفرق الصوفية، مكتبة الكوثر، الرياض، د.ت، ص:17.

<sup>3</sup> الحلول: يعني الحلول في اللغة النزول أما اصطلاحاً فهو عبارة عن اتحاد جسمين بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر(الحلول السرياني)، وهو أيضاً كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز وقد اشتهر الحلاج بالحلول السرياني وعبد الحق بن سبعين. نظلة الجبوري، فلسفة الوجود في الفكر الفلسفي الإسلامي، وقفات نقدية مقارنة، نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، 2009. ص: 35.

<sup>4</sup> الاتحاد: هو أن تمحى من الإنسان كل صفة من صفات الجسم، ويزول عنه كل ما هو غير روحاني، ومتمى تم ذلك يتحد الإنسان مع الله، ويصير علمه علم اللهوقدرته قدرة الله، وعظمته عظمة الله، وينسب هذا الإتحاد إلى أبي يزيد البسطامي المتوفى سنة 261هـ. محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الإسلامية، نظرات في التصوف والكرامات، مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1982. ص: 233.

<sup>5</sup> في ترجمة الحلاج ينظر إلى: التقتازاني ص:124 / وفيات الأعيان، ج2، ص-ص:140-145، عبد المعنم الحنفي، المرجع السابق، ص:125، علاء بكر، مختصر تاريخ التصوف، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2012 ص:73، جوزي سكاتولين وأحمد حسن أنور، التجليات الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008 ص:183، 184.

<sup>6</sup> التقتازاني، المرجع السابق، ص:187.

<sup>7</sup> عبد الفتاح أحمد فؤاد، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2001. ص:250.

(ت309هـ/922م)، وابن سينا (ت428هـ/1037م) من الأوائل الذين تطرقوا إلى قضايا حساسة كمعرفة الله بالخيال والقول بالفناء والحلول والاتحاد والنظرة الإشراقية<sup>1</sup>، ثم تبنى متصوفة الأندلس نظرية وحدة الوجود<sup>2</sup> على يد عبد الله بن محمد بن علي الحاتمي المعروف بابن عربي<sup>3</sup> (ت638هـ/1240م).

وشهدت هذه المرحلة بروز مجموعة من الصوفية المعتدلين في آرائهم يربطون تصوفهم بالكتاب والسنة، رغم أنه بعضهم خلط التصوف بالآراء الكلامية في مسائل العقيدة من أمثال المحاسبي (ت243هـ) والغزالي<sup>4</sup> (ت505هـ)<sup>5</sup>.

ويعتبر التصوف السلفي والتصوف العملي أو تصوف أصحاب الطرق هو امتداد للتصوف السني، وهو نتاج هذه المرحلة ويعني التصوف الأول تصوفا كتبه جماعة من السلف منهم الهروي وابن تيمية (ت728هـ) وابن القيم الجوزية (ت597هـ) وقد وجهوا نقدا لاذعا لأصحاب التصوف الفلسفي، أما التصوف العملي أو تصوف أصحاب الطرق فهو الذي مارسه أصحاب الطرق الصوفية، والذي يقوم على المجاهدة ومحو الصفات الذميمة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنة الهمة على الله تعالى وفيه قواعد السلوك وآدابه على نحو

<sup>1</sup> النظرة الإشراقية: تقوم هذه النظرية على إتباع طريق النور الذي يقذفه الله في قلب العبد ذو النفس الطاهرة وقال بها ابن سينا والسهروردي المقتول.

<sup>2</sup> نظرية وحدة الوجود: مفهوم الوجودية الواحدية مذهب يرد العالم إلى مبدأ واحد، وهو مذهب ابتدعه فولف للدلالة على المذهب الذي يرد الكون كله إلى واحد كالروح المحضة أو الطبيعة المحضة أي أن الله والعالم واحد، محمد الراشد، وحدة الوجود من الغزالي إلى ابن عربي، الأوائل، دمشق، 2006. ص: 19، 20.

<sup>3</sup> ابن عربي: هو أبو بكر بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي، ولد في مرسية جنوب شرق الأندلس سنة 560هـ، درس بأشبيلية وفي سن الثلاثين ارتحل إلى المغرب والمشرق واستقر به المقام إلى أن توفي في دمشق سنة 638هـ وعرف بنظرية وحدة الوجود، ينظر إلى: محمد الكحلوي، الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية الحلاج وابن عربي نموذجا، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005. ص-ص: 130-134.

<sup>4</sup> الغزالي: أبو حامد بن محمد بن أحمد الغزالي من أشهر متصوفة الإسلام من أهم مؤلفاته إحياء علوم الدين.

<sup>5</sup> عبد الفتاح أحمد فؤاد، المرجع السابق. ص: 27.

مفصل مثل علاقة المرید بالشیخ، والعزلة بالخلوة والجوع والسهرة والصمت والذكر وما إليها<sup>1</sup>، ومن أبرز شیوخ الطرق الصوفية عبد القادر الجیلاني<sup>2</sup>، وأحمد الرفاعي<sup>3</sup>، والشاذلي<sup>4</sup>، و النقشبندی<sup>5</sup>، وأحمد البدوي<sup>6</sup> وغيرهم كثير<sup>7</sup>.

### 3- التصوف في بلاد المغرب:

على الرغم من ظهور التصوف في القرن الثاني الهجري وانتشاره في المشرق العربي إلا أن المجتمع المغربي كان بمعزل عنه ولم يعرفه أهله كما عرفه إخوانهم المشاركة حتى أوائل القرن الخامس الهجري أو قبله بقليل وذلك حسبما تشير إليه معظم المراجع<sup>8</sup>، إلا أن هناك من ذهب إلى أنه إلى غاية القرن السادس خلا المغرب من أي طرق صوفية أو زوايا عدا رباطات مجردة، بل لم تكن كلمة صوفي متداولة في العهد الموحيدي وقبله خلال فترة

<sup>1</sup> ينظر في هذه القضايا إلى كتاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012.

<sup>2</sup> الجیلاني: أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجیلاني (561/471هـ) ينسب إلى جيلان من طريستان، له مصنفات عديدة في التصوف وهو مؤسس الطريقة القادرية.

<sup>3</sup> الرفاعي: ولد بواسط بالعراق سنة 512هـ وتوفي بأمر عبيد بالبصرة سنة 578هـ وهو شيخ الطريقة الرفاعية التي تقوم على عشر قواعد، عبد المعظم الحنفي، المرجع السابق، ص- ص: 178-180، حربي ممدوح، موسوعة الفرق والمذاهب المرجع السابق، ص: 115.

<sup>4</sup> الشاذلي: أبو الحسن ينسب إلى شاذلة إحدى قرى تونس وهو شيخ الطائفة الشاذلية (593هـ-656هـ) عرف عنه حبه لركوب الخيل والسعي في قضاء حوائج الناس. عبد المعظم الحنفي، المرجع السابق، ص: 232، موسوعة الفرق والمذاهب ص: 116، عبد القادر التليدي، المرجع السابق، ص- ص: 122-126، عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، ت ح أسامة عبد العظيم، دار الكتب المصرية، 2013 ص- ص: 381-395).

<sup>5</sup> النقشبندی: هو بهاء الدين محمد شاه نقشبند المتوفي سنة 791هـ وإليه تنسب الطريقة النقشبندية، ممدوح حربي موسوعة الفرق والمذاهب، المرجع السابق ص: 117.

<sup>6</sup> أحمد البدوي: مؤسس المدرسة البدوية ولد بفاس واستقر به المقام في طنطا المصرية إلى أن وافته المنية وله ضريح بها يزار سنويا، عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص- ص: 170-172، عبد الوهاب الشعراني، المصدر السابق، ص- ص: 345-352)

<sup>7</sup> يرجع إلى محمد المهدي، دراسة في الطرق الصوفية، دار الحديث، القاهرة، ط2، د. ت، ص- ص: 93-199.

<sup>8</sup> إبراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010. ص: 10.

حكم المرابطين<sup>1</sup>. ومع أن المنطقة المغاربية كانت معبرا للفتحين الذين يضمون أعدادا من الصلحاء الذين استقروا بعد الفتح هنا وهناك في القرون الأربعة الأولى وكان من بينهم زهاد وصوفية<sup>2</sup>.

ويبدو أن التصوف المغربي مر بمراحل حتى وصل إلى مرحلة النضج حيث بدأ هو الآخر في شكل زهد وورع ثم ما لبث أن تطور إلى تصوف نظري فلسفي، مثله في العهد المرابطي ابن عريف<sup>3</sup> صاحب كتاب محاسن المجالس ومن بعده تلميذه محي الدين بن عربي، وأبو محمد عبد الحق بن سبعين في العهد الموحي<sup>4</sup>.

و أول من كتب فيه من المغاربة الشيخ الحسين المسيلي (المتوفى سنة 580هـ) بعنوان " التذكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات " وهو مؤلف مواز على منوال ما كتبه الغزالي " إحياء علوم الدين "<sup>5</sup>، وقد سلك المغاربة منذ القرون الأولى لإسلامهم منحاً زهديا لحاجتهم الماسة لاطمئنان روحي ولطبيعتهم المهيأة والقابلة لتبني كل مسلك يزهد في الدنيا ولطبيعة حياتهم العامة المتأثرة بالظروف المناخية والمستوى المعيشي المنحاز إلى البساطة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص، ص: 157، 158.

<sup>2</sup> من بين هؤلاء الزهاد والصوفية: أبو حفص أحمد بن عبد الله (ت 284هـ)، أبو عبد الله السوسي (ت 299هـ) وأبو محمد التاهرتي (ت 313)، ينظر إلى: إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم و التصوف، ط1، ج3، دار الرشاد، الدار البيضاء، 2000. ص - ص: 53-55.

<sup>3</sup> ابن عريف: أبو العباس أحمد بن موسى ابن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن عريف من أهل الزهد والعبادة، توفي بمراكش في الثالث والعشرين من صفر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، أبو يعقوب التادلي (ابن الزياد)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة الزجاج الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997.

<sup>4</sup> بن يوسف تلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1997-1998، ص: 28.

<sup>5</sup> عبد المنعم القاسمي الحسني، المؤلفات الصوفية بالجزائر، دار الخليل، بوسعادة، ط1، 2005. ص: 32.

<sup>6</sup> مجموعة مؤلفين، التصوف السني ببلاد المغرب، المرجع السابق، ص: 74.

ومن أهم العوامل المساعدة على تبني التصوف ببلاد المغرب:

#### أ- تأثير المشرق العربي:

هيمن المشرق العربي على الحياة الثقافية والفكرية والمذهبية والدينية من بينها الأفكار الصوفية ، حيث لا يستبعد تأثير المغاربة في أخذ التصوف وهو في بداية تشكله من المشرق عن طريق المجتمع وطلب العلم وكذلك ممارسة التجارة<sup>1</sup>، دون إغفال دور المؤلفات الصوفية عند انتقالها إلى بلاد المغرب فقد لعبت دورا كبيرا في اعتناق المغاربة لهذا الفكر خصوصا كتب الرقائق لابن المبارك<sup>2</sup> وقوت القلوب للمكي، وطبقات الصوفية للسلمي، ومنهاج العابدين والمقصد الأسني وإحياء علوم الدين للغزالي<sup>3</sup> الذي ساهم في تقريب الثقة بين التصوف والفقهاء ولقي رواجا كبيرا في مختلف أصقاع المغرب<sup>4</sup>.

#### ب- التأثير الأندلسي:

رغم الاتصال القوي بين المشرق والمغرب الأكثر خصوبة إلا أنه لا يمكن إغفال التأثير الأندلسي على بلاد المغرب في نشر الأفكار الصوفية نتيجة هجرة علمائها إلى المشرق مروراً بالمغرب واستقرارهم فيه بشكل مؤقت ودائم مثل استقرار أبي مدين شعيب (المتوفى سنة 594هـ) في بجاية ومرور ابن عربي وابن سبعين والشودي بكل من (بجاية وفاس وسبتة) وتكوينهم فرقا من الأتباع والفقراء ولكن مذهبهم لم يكتب له النجاح والاستمرار على أرض المغرب لرفض البيئة المغربية لهذا النوع من التصوف الفلسفي رغم أن أفكار ابن

<sup>1</sup> بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م) ، دار الغرب، وهران، 2003. ص:40،41.

<sup>2</sup> عبد الله بن المبارك: هو عبد الرحمان عبد الله بن المبارك بن واضح المزوري، جمع بين العلم والزهد، تفقه على يد سفيان الثوري ومالك بن أنس، كان كثير الانقطاع محبا للخلوة، شديد الورع، ولد سنة 118هـ بمرور وتوفي سنة 182هـ بهيت، ابن خلکان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، د. ت. ص-ص:32-34 / الكواكب الدرية ، المخطوط السابق ، ص:66 وجه.

<sup>3</sup> عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص:32.

<sup>4</sup> إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشد، الدار البيضاء، ج1، 2009. ص:181.

عربي كانت أكثر قبولا من أفكار ابن سبعين<sup>1</sup>، ولم ينسلخ المغاربة عن تجربتهم الصوفية السنية<sup>2</sup>.

### ج- دور الحكم المرابطي والموحدي :

لعبت السياسة المرابطية والموحدية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية دورا بارزا في تثبيت دعائم التصوف ببلاد المغرب، فأما عن الدولة المرابطية فإن موقفها من الفلسفة وعلم الكلام والتصوف تميز بمناهضة هذه العلوم ولمفكرها عموما، وانصب اهتمامها حول الفقهاء والعلوم الشرعية، وتجسد هذا الموقف في قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ونكبة ابن العريف وابن بركان بمراكش<sup>3</sup> لكن رد الفعل المرابطي من هذا الكتاب وعملية الإقدام على حرقه لم تحد من انتشاره بل مكنته من أن يحظى بمكانة خاصة لدى صوفية المغرب والأندلس وقد أثار هذا الكتاب أكثر من غيره نقاشا هاما في بلاد المغرب<sup>4</sup> أما قضية مقتل ابن العريف وابن بركان في مراكش بعد استدعاء الأول من المرية والثاني من اشبيلية بإيعاز من فقهاء بلاط الدولة المرابطية سنة ست وثلاثين وخمسمائة (536هـ) فلم يوقف تيار الغزالي المناهض لهم، ثم إن تعاليم الرجلين كانت راسخة في الأندلس بين طلابهم من أمثال أبو بكر بن خير، وأبو الحسن القشي وابن قسي وغيرهم من تلاميذ ابن العريف<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبيد بوداود، المرجع السابق، ص- ص: 46-51.

<sup>2</sup> مجموعة مؤلفين، التصوف السني ببلاد المغرب، المرجع السابق، ص: 75.

<sup>3</sup> حسن جلاب، المرجع السابق، ص: 7.

<sup>4</sup> عبيد بوداود، المرجع السابق، ص: 42.

<sup>5</sup> -حسن جلاب، المرجع السابق، ص، ص: 19، 20 .

ومما زاد الأوضاع تردياً هو استبداد الأمراء المرابطين منذ عهد علي<sup>1</sup> وتدخل النساء في شؤون السياسة وفساد الأخلاق بسبب ميل المرابطين إلى الحضارة بعد احتكاكهم بالأندلس<sup>2</sup>، وميل فقهاءهم إلى الترف والاستمتاع وهو ماعمق من تصاعد التيار الصوفي أمام تراجع القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع، وبروز التفاوت الطبقي وبقاء شريحة واسعة من الفقراء والمعدمين والتي لم تجد إلاّ الأولياء و المتصوفة للالتفاف حولهم<sup>3</sup>. إن السياسة الموحدية لم تختلف عن السياسة المرابطية اتجاه التصوف رغم تحالفها الاستراتيجي المرحلي مع المتصوفة حيث سمحت بتداول كتاب الغزالي وتدريبه في المساجد وصارت قراءته شرعا ودينا بعد أن كانت كفرا وزندقة<sup>4</sup>، وهذا التوجه الجديد يتفق مع مبادئ ابن تومرت القائمة على دراسة العقائد والأحاديث المتصلة بمذهبه<sup>5</sup>، والمرتبطة بمذهب الأشاعرة الذي يفضله الموحدون وهو يقر بالأولياء والصالحين، ويرى في كرامتهم تصديقا بمعجزات الأنبياء<sup>6</sup>، لكن السلطة الجديدة سرعان ما دخلت في صدام مع رموز التصوف من خلال سجن الولي ابن يعزى بلنور "ابن ميمون" من قبل السلطان عبد المؤمن بن علي (عام 541هـ) ونفس الشيء لقيه أيوب بن سعيد الصنهاجي، لولا سكوت أبو يعزى و أبو

<sup>1</sup> -علي بن يوسف بن تاشفين: تولى الحكم بعد والده المؤسس لدولة المرابطين وسع الدولة في الأندلس والبرتغال قضى معظم خلافته في حرب مستمرة مع القوط ، اشتهر بحادثة حرق كتاب الغزالي. نجيب زيبب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، دار الأمير، ط1، ج2، 2005. ص: 297، 298.

<sup>2</sup> -إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، المرجع السابق، ص: 170.

<sup>3</sup> -عبيد بوداود، المرجع السابق، ص: 53.

<sup>4</sup> -محمد هبة الله، العلاقات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2013. ص: 261.

<sup>5</sup> -إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، المرجع السابق، ص: 35.

<sup>6</sup> -يوسف بن حيدة، الطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب ودورها في نشر الوعي والإخاء والتضامن الاجتماعي، رسالة ماجستير، غير مطبوعة، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011. ص: 21.



العباسي السبتي وأبو إسحاق البلفيقي درءا للفتنة وزهدا في السلطة لكانت العواقب أضخم من ذلك<sup>1</sup>.

ويبدو أن لهذه السياسة وهزيمة العقاب بالأندلس (609هـ-1212م) الأثر الكبير في انكسار القاعدة الشعبية التي اختارت الثورة السلمية أي الاندماج في الحركة الصوفية مقابل الثورة ضد النظام القائم وهو ما زاد من توسع قاعدة التصوف ببلاد المغرب<sup>2</sup>، ولعل ذلك يعود إلى ضعف السلطة المركزية وتبوء رجال التصوف مهمة الدفاع عن الثغور وحماية السلم العام بالبوادي بعد ضعف الولاة<sup>3</sup>.

#### د- تأثير الربط :

تحولت سواحل المغرب الى نقاط مراقبة ومقاومة عرفت في التاريخ بالربط والرباط وهي تخوم تجتمع فيها مقاصد الجهاد والتعليم والزهد<sup>4</sup> والتعبد واكتساب المعارف خصوصا الدينية منها، واختار عدد كبير من العباد الاعتزال بالمواقع الجبلية والتخلي عن الدنيا وسكنوا الجبل مع الوحش ، ويعيشون من نبات الأرض وصيد البحر منذ الفتح، وقد اكتسحت الربط الشمال الإفريقي منذ القرن الثالث وتحولت إلى مراكز لإشاعة المعرفة الروحية والتفقه عن طريق حلقات الذكر وترديد الأوراد<sup>5</sup> ، لقد كانت تلك المؤسسات عامرة بالعلماء والصالحين الذين يقومون فيها بكل أنواع العبادات ويحرسون في الوقت نفسه حدود البلاد من الغارات الخارجية

<sup>1</sup> عبيد بوداود، المرجع السابق، ص:29.

<sup>2</sup> إبراهيم القادري ، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، ط1، 1995.ص:137.

<sup>3</sup> عبيد بوداود، المرجع السابق، ص:55.

<sup>4</sup> محمد طيبي، التصوف الإسلامي الجزائري، الملتقى الوطني الأول، أمجاد الصوفية، مديرية الثقافة، عين تموشنت، دار الكتاب العربي، ط1، 2010. ص:22.

<sup>5</sup> - إبراهيم حركات ، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15م، دار الرشاد، دار البيضاء ،ج3، 2000. ص:29.

وهذا الفعل سيؤدي إلى تكريس ظاهرة التصوف وتعميقها داخل المجتمعات المغاربية مع مرور الزمن<sup>1</sup>.

وتجدر الإشارة أن بلاد المغرب الأوسط شهدت ربط كثيرة على غرار بلدان الشمال الإفريقي الأخرى، ومن أهمها: رباط مرسى مغيلة بتنس، رباطات شرشال رباطات بجاية، رباط مستغانم، ورابطة العباد<sup>2</sup> والنسك بتلمسان<sup>3</sup>.

#### هـ- دور المتصوفة الأوائل :

عرف التصوف المغربي انتشارا واسعا سواء منذ العهد الموحي وما بعده، وربما يرجع ذلك إلى كون النخبة المتصوفة كانت تجمع بين علوم الظاهر والباطن، وتأثرت بالمنهج الذي اختطه أبو حامد الغزالي، وبروز مجموعة من رواد التصوف وأثرهم الكبير في دفع الحركة الصوفية بالمنطقة ومن أهمهم أبو مدين شعيب<sup>4</sup> الذي يعد أول من أدخل التصوف الطريقي إلى المغرب وعبد الرحمان الثعالبي<sup>5</sup> وإبراهيم التازي<sup>6</sup> ومحمد بن يوسف السنوسي<sup>1</sup> وأبو الحسن الشاذلي<sup>2</sup> وغيرهم، ومنذ هذه الحقبة تكاثرت الطرق وتفرعت عن بعضها البعض.

<sup>1</sup> - التليبي العجيلي، المرجع السابق، ص: 21.

<sup>2</sup> الرابطة: يطلق اسم الرابطة عادة على أماكن التعبد والتتقيف الصوفي، وربما اختصت بالعبادة فقط.

<sup>3</sup> إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب، المرجع السابق، ص: 34، 35.

<sup>4</sup> شعيب بن حسن الأنصار: أندلسي ولد بإشبيلية زاول دراسته بالمغرب وتلمذ على كبار متصوفيه انتقل إلى المشرق، توفي بتلمسان أثناء سفره إلى المغرب بعد دعوة المنصور له سنة 594 هـ. عبد القادر التليبي، المرجع السابق، ص- ص: 64-87 - أبو العباس بن القاضي، جذوة الاقتباس، تح محمد بن عزوز، دار بن حزم، بيروت، ط1، 2014، ص- ص: 543-546 / أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص- ص: 174-180.

<sup>5</sup> عبد الرحمان الثعالبي: هو عبد الحي بن خروف الثعالبي أبو زيد، صوفي من كبار علماء الجزائر نشأ بوادي يسر شرق الجزائر، تعلم في بجاية وتونس ومصر، زار تركيا والحجاز له أكثر من تسعين كتاب في مختلف العلوم، عادل نويهض، المرجع السابق. ص: 90.

<sup>6</sup> إبراهيم التازي: هو إبراهيم بن محمد التازي نزيل وهران زاهدا وفقه وأصولي جاب أرجاء واسعة من العالم الإسلامي، ونال خلالها إجازات عديدة ولما رجع توجه إلى وهران وعرف بحبه وإجلاله للعلماء والإرشاد توفي سنة 866 هـ، ابن مصعد

وقد وجد الإنسان المغربي في هذا التصوف (الطريقي) المعتدل الذي يلائم عقلية المؤمن المغربي سواء كان من العامة أو الخاصة، فعلى سبيل المثال لم يبق أحدٌ في بجاية من أشهر العلماء خارج نطاق تأثير الغوث أبي مدين، وبذلك لم تعد البلاد المغربية بمعزل عن الدعاية الصوفية منذ القرن الحادي عشر<sup>3</sup>.

#### 4- عوامل انتشار التصوف بالجزائر وتونس:

يبدو أنّ الظروف العامة التي عاشتها كل من الجزائر وتونس بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر كانت الأرضية الخصبة التي توسع فيها نفوذ التصوّف و تحوّل فيها من طابعه النخبوي إلى الطابع الشعبي و من بين هذه الظروف :

##### أ- السياسية:

بعد سقوط الدولة الموحدية و قيام الدويلات الثلاث في بلاد المغرب (الحفصية، الزيانية، المرينية) تبنت هذه السلط السياسية الطرق الصوفية و مكنت لها و شجعتها على الانتشار

التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مر وتح يحي بوعزيز، منشورات ANEP ط1، 2004. ص- ص: 143-181 / الحفناوي ، المرجع السابق، ج2، ص- ص: 12-17.

<sup>1</sup> - السنوسي: هو محمد بن يوسف بن عمر الحسن عالم تلمسان، صاحب العقائد المشهورة وحواشي الصحيح، أخذ عن الثعالبي والقصادي وابن مرزوق الحفيد وغيرهم، ولد بتلمسان سنة 832هـ وتوفي بها سنة 895هـ له مؤلفات كثيرة منها: العقائد المشهورة الكبرى والصغرى، وشرح الإمام الألبيري في التصوف وله في الحديث شروح على بعض المسائل في الصحاح وله تفسير في القرآن لم يكمله وغيره ، عبد الحق حميش، ساعد محفوظ بوكراع، المرجع السابق، ص: 171، 172.

<sup>2</sup> أبو الحسن الشاذلي: ولد بالمغرب حوالي 593هـ/1197م في قبيلة غمارة، تلقى التصوف عن طريق شيخه عبد السلام بن مشيش(624هـ/1227م) سكن شاذلة بالقرب من تونس واشتهر بالزهد والورع، رحل إلى مصر ومنها إلى الحجاز ثم تحول إلى تونس ومنها إلى مصر ليستقر بها نهائيا إلى غاية وفاته 656هـ/1258م من أشهر تلاميذته أبو العباس المرسي. إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، ج3، المرجع السابق، ص- ص: 137-143 وممدوح حربي، موسوعة الفرق المذاهب والأديان المعاصرة، المرجع السابق، ص: 116.

<sup>3</sup> روبرير برشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط1، 1988. ص- ص: 333-337.

نظرا لما كانت تقوم به من أدوار دينية و اجتماعية عجزت هي عن أدائها في ذلك العهد<sup>1</sup>. كما أن عدم وجود سلطة مركزية يلتف حولها الناس وتكون قادرة على تزعم الجهاد و قيادة الكفاح ضد الغزاة، و هو ما أدى إلى شعور السكان بضعف الأسر الحاكمة، فانقادوا إلى التمرد والعصيان مسببين في ذلك في كثير من الفوضى والاضطرابات الذين قضيا على جميع أنواع الأمن والاستقرار وإلى انعدام الثقة بين الحكام و المحكومين ، فالسكان لم يعودوا يثقون بالمسؤولين لعدم قدرة هؤلاء الأخيرين على تلبية حاجيات الأهالي اليومية ولعجزهم في المجالين الداخلي والخارجي.<sup>2</sup>

وكان لسقوط الأندلس وغزو البرتغاليين والإسبان لسواحل إفريقيا الشمالية رد فعل قوي في نفوس الجماهير التي انتفضت في الحواضر و البوادي في معركة صليبية قادها الصوفية العلماء<sup>3</sup>، وأمام الضعف السياسي للدولتين الزيانية و الحفصية لم يبق أمام المرابطين سوى الاعتماد على أنفسهم في الدفاع عن الأراضي الإسلامية التي تعود إليهم لذلك كانوا يتولون القيادة بأنفسهم أو يوجهونها روحيا و ذلك بإصدار الأوامر إلى أهل المدن الساحلية و ضواحيها للدفاع عن أنفسهم<sup>4</sup>. وهذا ما سمح للحركة الصوفية اكتساح فئات اجتماعية أكبر عددا وأشد تنوعا<sup>5</sup>.

### ب- الاقتصادية و الاجتماعية:

في أواخر القرن الخامس عشر كان الشمال الإفريقي كله مرتعا للفتن وموطنا للقلاقل والاضطرابات، قد مزقت الفوضى أوصاله<sup>6</sup>، وزادت النزاعات والحملات العسكرية بين هذا

<sup>1</sup> - التليلي العجيلي، المرجع السابق ، ص: 23.

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1975. ص: 17.

<sup>3</sup> روبر بريشفيك ، المرجع السابق ،ص:337.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ج1، ص:460.

<sup>5</sup> عبد العزيز بنعبد الله ، معلمة التصوف ، دار المعرفة ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، ج1، 2001 ،ص:32.

<sup>6</sup> أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر ، المرجع السابق، ص:21.

الإقليم وذلك أو بينه وبين الإقليم الثاني وأنفقت الأموال وصرفت الجهود وسقط القتلى، مع زيادة عدد المؤامرات من أجل هذا الأمير أو تلك الأسرة ولا شك أن هذه الحروب الداخلية كانت استهلاكاً واضحاً لجزء هام من ثروة البلاد، كما أنها عملت ضد الاستقرار اللازم لاستمرار الإنتاج وازدهار التجارة ونمو الحرف. وأخذت هذه النظم تعيش على الأرض وضربتها، حيث عمدت بفضل القوة العسكرية إلى إعفاء القبائل الموالية للسلطان ومضاعفتها على القبائل الأخرى، وخاصة من تتحرك منها ضد السلطة<sup>1</sup>.

أدت هذه الظروف إلى تحطيم مظاهر الحياة الاقتصادية، وهو ما انعكس سلباً على الحياة الاجتماعية، فقد عمّ الرعب والجوع واستأثرت الإقطاعية الزراعية على مصادر الرزق، وأدت إلى الاستغلال والفقر للسواد الأعظم من الشعب، وانتشرت أراضي الحبوس للتهرب من مصادرة الدولة للأراضي واغتصابها، وكان المستفيد الأول من هذه العملية هي المساجد، المدارس والزوايا، وهذا ما أدى إلى تبوء التيار الصوفي المكانة الكبيرة لدى المجتمع المغاربي<sup>2</sup>. لقد تعمق التدهور الاجتماعي نتيجة الأزمات الظرفية التي تسببت فيها الظروف الطبيعية كالزلازل والأعاصير والجفاف من حين إلى آخر في كل البلاد المغاربية مثل مجاعة 776هـ التي عمّت سائر أقطار المغرب<sup>3</sup>.

اعتبر الإنسان المغاربي عامة و الجزائري والتونسي خاصة هذه الكوارث غضبا من الله يقتضي تصحيح التوبة والإنابة إليه، وهذا ما أدى إلى تقوية الشعور الديني خلال هذه القرون وذلك بالميل إلى العزلة والانقطاع للعبادة وسيلة للتهرب من هذه الحياة المليئة بالكثير من التناقضات والتحديات والصراعات بحثاً عن راحة البال والضمير.

<sup>1</sup> يحي جلال ، تاريخ افريقية الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث الأزريطة، الإسكندرية، 1999، ص:52،53.

<sup>2</sup> عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص- ص:178-188.

<sup>3</sup> عبيد بوداود ، المرجع السابق ، ص:186.

## ج- الثقافية:

شهدت القرون التي تلت القرن 9هـ/14م خروج التصوف عن الأوساط المتعلمة وانتشاره بين فئات المجتمع الواسعة خاصة الريفية منها وهو ما أفقده جانبه الفلسفي الرّاقى ليصبح مجموعة من المعطيات الملموسة يمثل وليّ الله محورها الأساسي والزاوية فضاءها الأول، والطقوس معانيها الدينية<sup>1</sup>.

إنّ هذا التحول الذي شهده التصوف في القرن التاسع الهجري في كل من الجزائر وتونس تميز بظهور عقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف العملي، الذي خفّت فيه أنوار المعارف والعلوم، وانتشرت البدع والخرافات وعمّ السحر والشعوذة، والاهتمام بخوارق العادات بشكل ملفت للانتباه<sup>2</sup> عمّا كان عليه في القرن السابع الهجري بعد أن كان المتصوفة يمتازون بصفات الزهد و الورع و العلم .

<sup>1</sup> لطيفة الأخضر، الإسلام الطريقي ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993.ص:20.

<sup>2</sup> - يحي جلال ، المرجع السابق ، ص:53.

## خاتمة الفصل:

يعد التصوف المحرك الأساسي للمجتمعات المغاربية منذ ظهوره بها، فقد تحول إلى أداة اتخذت أبعادا سياسية واجتماعية بفعل دوره المهم في مختلف مناحي الحياة ، سواء في ظل وجود السلطة القائمة أو كبديل عنها أو متحالفا معها، في خضم المستجدات الداخلية و الخارجية التي عاشتها منطقة المغرب العربي خلال الفترة الحديثة، إذ تنبأ فيها المتصوفة مكانة الريادة ولذا أصبح يعرف عند البعض بمغرب المتصوفة.

الفصل

الثاني



## الفصل الثاني: التواصل الطريقي بين الطرق الصوفية في الجزائر وتونس

### مقدمة الفصل

أولاً : الطرق الصوفية في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني

1- مفهوم الطريقة

أ- لغة                      ب- اصطلاحا

2- الطرق الصوفية في الجزائر

2- الطرق الصوفية في تونس

ثانياً: دور الطرق الصوفية في التواصل العلمي بين الجزائر وتونس

1- الطريقة الشاذلية                      2- الطريقة القادرية                      3- الطريقة الرحمانية

4- الطريقة التجانية                      5- طرق أخرى

ثالثاً: دور شيوخ الزوايا في ربط الصلات العلمية بين الجزائر وتونس

\* الشيخ خليفة بن المختار الحدباوي انموذجاً

1- مولده ونشأته                      2- رحلته العلمية                      3- مكانته العلمية والثقافية

### خاتمة الفصل

## مقدمة الفصل:

ظل التصوف المحرك الأساسي لمختلف نواحي الحياة خلال العهد العثماني في كل من الجزائر وتونس، إذ تعددت الطرق الصوفية بالبلدين وزاد توغلها في الأوساط الشعبية وحتى دوايب الحكم، ولذا سندرس في هذا الفصل التواصل الطريقي بين الطرق الصوفية في الجزائر تونس بإعطاء لمحة عن مفهوم الطريقة لغة واصطلاحاً وأهم الطرق الصوفية فيهما و دورها في التواصل بين الإيالتين وسنركز على الطرق التي شكلت دوراً محورياً في هذه العلاقات كالطريقة الشاذلية و القادرية و الرحمانية و التجانية وغيرها من الطرق الصوفية، وكذا التعريف بدور شيوخ الزوايا في ربط الصلات العلمية بين الجزائر وتونس من خلال التعريف بشخصية الشيخ المختار بن خليفة الحدباوي شيخ زاوية عين اقلال ببويرة الأحداب بولاية الجلفة انموذجاً لهذا التواصل.

## أولاً: الطرق الصوفية في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني.

## 1 - مفهوم الطريقة :

## أ- لغة :

ورد في اللغة أن أصل الكلمة من "طرق" و هي تفيد معاني كثيرة منها : طرق المعدن طرقاً : ضربه و مدّده ، و طرق الباب : قرعه ، و طرق الطريق سلكه ، و طرق الكلام : عرض له و خاض فيه . و الطريق مسلك الطائفة من المتصوفة و الجمع طرق و الطريق السبيل الذي تطرقه أرجل السالكين<sup>1</sup> ، و طريقة الرجل مذهبه ، و الطريقة الرجال الأشراف ، و الطريقة جمعها طرائق ، و تطارق القوم ، تبع بعضهم بعضاً ، و الطرائق بمعنى الفرق<sup>2</sup> .

واستعمل الطريق في القرآن والسنة النبوية للسبيل المسلوكه وللمسلك الذي يسير عليه الإنسان ومن ذلك قوله تعالى: "إلاّ طريق جهنّم"<sup>3</sup> ، وقوله تعالى : " قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى، مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم"<sup>4</sup> ، وقوله تعالى : " و لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً"<sup>5</sup> .

أمّا عن السنة النبوية فقد وردت أحاديث كثيرة تنحو نفس المنحى منها حديث ابن عمر رضي الله عنه : " لكل شيء طريق و طريق الجنة العلم"<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> - محمد المهدي ، المرجع السابق .ص:8.

<sup>2</sup> - جمال الدين بن منظور، المصدر السابق ، مج 9، ص - ص: 112 - 114 .

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية :169.

<sup>4</sup> سورة الأحقاف، الآية : 30.

<sup>5</sup> سورة طه، الآية : 77 .

<sup>6</sup> حديث.

## ب - اصطلاحا:

ورد الطريق أو الطريقة بمعاني كثيرة سواء في الفلسفة أو التصوف عند المسلمين وغير المسلمين منها:

أن الطريق في القرون الأولى كان يعني عند المتصوفة مراسم الله تعالى و أحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ، و ورد لفظ الطريق بما يعرف بتصوف الحقيقة في شعر نسبه أبو نصر الطوسي إلى علي بن عبد الرحيم القناد الذي يقول :

أهلُ التَّصَوُّفِ قد نَصَّوا، صارَ التَّصَوُّفُ مَخْلَقَةً

صارَ التَّصَوُّفُ صَيْحَةً وتَوَاجُدًا ومَطْبَقَةً

مَصَّتِ العُلُومُ، فلا عُلُومَ ولا قُلُوبَ مُشْرِقَةً

كذبتك ، لیسَ ذا سُنَنِ الطَّرِيقِ المَخْلَقَةَ

وعلى ذلك فالطريق هو المنهج العلمي للتصوف كما عرف منذ القرن الثالث على الأقل قبل أن يشيع استعماله منذ القرن السادس<sup>1</sup> ، أما عن المهتمين بالتصوف من غير المسلمين فقد عرّف نيكلسون Nikholson الطريق بمجموعة من القواعد والرسوم التي يفرضها الشيوخ على مريديهم، أما ماسينيون فرأى أنه جملة مراسم التدبير الروحي المعمول به من أجل المعاشرة في الجماعات الإخوانية الإسلامية المختلفة التي بدأت تنشأ منذ ذلك الحين، ويضيف إسبلمان Splimann الطريقة جمعية خاضعة لتدرج من مسلمين يقومون بأنشطة خاصة يرتبها لهم وليّ ذو علم لدني أو صاحب كرامات لنيل رضوان الله<sup>2</sup>، وعموما فالطريق أو الطريقة ليست إلا منهج حياة روحية يمكن التوصل بها بصحيح النية ، وفي تقديم

<sup>1</sup> إبراهيم حركات ، مدخل إلى تاريخ العلوم، ج3، دار الرشاد، الدار البيضاء، ط1، 2000.ص: 115، 116.

<sup>2</sup> - محمد مكحلي ، المرجع السابق، ص: 26.

المجاهدات والرياضات النفسية إلى معرفة الله تعالى معرفة صحيحة ، وهي تدل على ممارسات ومراسيم تعبدية تقوم بها الجماعات الإسلامية المختلفة التي بدأت تنتشر في مختلف البلاد.<sup>1</sup>

## 2- الطرق الصوفية في الجزائر:

ظهرت الحركة الصوفية في الجزائر قبل مجيء العثمانيين إليها، من خلال بروز عدد كبير من المرابطين و أهل الزهد و رجال التصوف بشكل ملفت مثل عبد الرحمن الثعالبي ومحمد الهواري وإبراهيم التازي و أحمد بن عبد الله و محمد بن يوسف السنوسي ، و هناك من عاصر بداية العهد العثماني مثل أحمد بن يوسف الملياني و محمد أفغول و محمد بن شعاعة و محمد التواتي البجائي ، فالحركة الصوفية، إذن قد ازدهرت قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر<sup>2</sup>، وتوسعت مع الوجود العثماني الذي ربط علاقات متينة ومميزة مع كثير من الطرق ورجال التصوف .

ومن الطرق الصوفية التي احتضنت الأتراك في الجزائر الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية اللتين كانتا سائدتين قبل الوجود العثماني بالجزائر، فيقال أن أحمد بن يوسف الملياني أعلن هو وأتباعه تأييد العثمانيين حتى عده بعض المؤرخين أحد رجال عروج بعد اتصاله به سنة 1509 ودخوله في خدمته بداية من 1517، وشارك في حملة عروج على مدينة تلمسان، واستمر التحالف بين باشاوات الجزائر وأحفاده إلى غاية دخول الفرنسيين إلى الجزائر<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> - محمد المهدي ، دراسة للطرق الصوفية ، المرجع السابق ، ص: 13.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج1 ، ص: 459.

<sup>3</sup> -Kamel filali, **l'Algérie mystique des marabouts fondateurs au khwan insurgés 15eme-19** editions publisand , paris 2002-p;63.

و أخذت الطرق الصوفية تنمو وتنتشر على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والرابع الأول من القرن التاسع عشر، ومن أهم هذه الطرق هي: القادرية والرحمانية و التجانية و الدقاوية و الشاذلية، و التي كان لها دورا كبيرا في الحياة السياسية في أوائل القرن التاسع عشر<sup>1</sup> ، و قد بلغ عدد الطرق الصوفية الفعالة في الجزائر أكثر من 26 منها أربعة أنشئت في العهد الاستعماري كالسوسية و العليوية و الباقي كان موجودا في العهد العثماني و من هذا العدد ما هو مؤسس في الجزائر كالرحمانية و التجانية، و ما هو مؤسس في المغرب كالطيبية و العليوية و الدقاوية، و ما هو مؤسس في المشرق كالقادرية كما أن الشاذلية بدأت في تونس ولكنها تأسست في المشرق و أما الطريقة الشاذلية فقد عُرفت في تونس<sup>2</sup>.

و نحاول أن نركز على الطرق الصوفية التي لها علاقة ببحثنا في إطارها الزمني وفعاليتها و من أهمها :

**\* الطريقة القادرية:**

تتسب القادرية لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المولود في جيلان القريبة من بغداد سنة (470 هـ / 1077م ) و المتوفى ببغداد سنة (561 هـ / 1165م) و تعتبر طريقته من أكبر الطرق الصوفية في العالم الإسلامي<sup>3</sup>، وهي تسود اليمن و الصومال والهند و المغرب و السودان الغربي، ولها فروع كاليافعية و النابلسية و الرومية والعرودية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - العيد مسعود ، المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا، العدد 10، 1988، ص: 10.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4 ، ص: 28.

<sup>3</sup> - Louis rinn , OP.CIT.p :30.

<sup>4</sup> - عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها و آثراها، دار كنوز اشبيليا، المملكة العربية السعودية

ط، 1 ، 2005 ص: 485

و دخلت القادرية إلى بلاد المغرب عن طريق الحج و طلاب العلم و لعل أول من نقلها هو أبو مدين شعيب دفين تلمسان والمتوفى سنة ( 594هـ ) بعد أن التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني في عرفات و تتلمذ و درس عليه في مكة و ألبسه الخرفة ، ثم عاد إلى بجاية و استقر بها ، و ورثها لعدد من التلاميذ أبرزهم عبد السلام بن مشيش و الذي ورثها من بعده إلى أبي الحسن الشاذلي، و عنه انتقلت إلى الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي و الذي أخذ الطريقة على الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي<sup>1</sup> ، و لقد أسس الحاج الغريسي جد الأمير عبد القادر زاوية في الجزائر سنة(1200هـ /1785م) المعروفة بزاوية القيطنة قرب مدينة معسكر<sup>2</sup> .

لقيت القادرية كل التشجيع و الدعم في العهد العثماني بالجزائر ونالت امتيازات واسعة مكنتها من الانتشار في معظم أنحاء البلاد<sup>3</sup>، لكنها لم تلعب دورا سياسيا يذكر بالرغم من الشعبية الكبيرة التي كانت تتمتع بها في الجزائر<sup>4</sup>.

#### \* الشاذلية :

ترجع هذه الطريقة الى مؤسسها أبو الحسن بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي (593هـ-656هـ/1158م-1196م) ، الذي ولد في قبيلة غمارة قرب سبتة بالمغرب، وتتلذ على الشيخ عبد السلام بن مشيش ، ثم انتقل بأمر من شيخه إلى قرية شاذلة بتونس

<sup>1</sup> يحي بو عزيز ، الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، الحياة الروحية للأمير عبد القادر، موفم للنشر،الجزائر،2011.ص- ص: 19-23.

<sup>2</sup> - صلاح مؤيد العقبي،المرجع السابق ، ص: 96، 97.

<sup>3</sup> حيث ذكر أن للقادرية ، 23700 مريد ، 33 زاوية ، ينظر إلى :

andré(C.R), **confréries religieuses , musulmanes**, éditions la maison des livres , alger , P149 , et Octave depont et xavier coppolani ,**les confreries religieuses musulmanes**, adolphe jourdan ,imprimeur , ,libraire,Alger,1897. , P :254

<sup>4</sup> مختار الطاهر فيلاي ، المرجع السابق، ص: 38.

ونشر تعاليمه قبل انتقاله الى المشرق<sup>1</sup>، وكان لنشاط تلاميذ الشاذلي في المغرب وتحمسهم لمذهبه، أن تفرعت عن الشاذلية عدة طرق في المناطق الممتدة بين الحجاز شرقا واسبانيا غربا مثل الوافية<sup>2</sup> و العروسية<sup>3</sup> و الزروقية<sup>4</sup> والبكرية<sup>5</sup> و الجازولية<sup>6</sup> وغيرها من الطرق الأخرى والتي يصعب إحصائها لكثرتها وتشعبها<sup>7</sup> وقد سبقت الشاذلية من حيث زمان ظهورها وانتشارها في إفريقيا، كل الطرق الصوفية الأخرى التي عملت في السودان الغربي، ومهدت بذلك الطريق لظهور الطرق الصوفية الأخرى<sup>8</sup> وفي الجزائر انتشرت الشاذلية بفروعها المختلفة، فقد أحصى بعضهم في أواخر القرن الثالث عشر هجري (19م)، فوجد ثلاثة عشر طريقة شاذلية من مجموع الستة عشر<sup>9</sup>. وظلت هذه الطريقة متحالفة مع السلطة العثمانية منذ أن حظي أحمد بن يوسف الملياني بامتيازات هامة بعد تأييد النظام الجديد<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> الشهبي، المرجع السابق، ص: 103-104.

<sup>2</sup> الوافية: مؤسسها الشيخ محمد وفا ابن أحمد وفا المتوفى (710هـ-1310م)، نشرت هذه الطريقة بالأخص في مصر، ينظر الى: louis rinn, opcit p:267.

<sup>3</sup> العروسية: مؤسسها عباس بن أحمد عروس، مقدم الشاذلية (853هـ-1450م)، ولها علاقة بالقادرية، ينظر الى: ابراهيم حركات، مدخل الى تاريخ العلوم، المرجع السابق، ج3، ص-ص: 166-172.

<sup>4</sup> الزروقية: تنسب الى مؤسسها أبو عباس أحمد زروق البرنوسي المولود بالمغرب، من أهم شيوخها في الجزائر عبد الكريم الفكون، عبد الرحمان الأخضر، ينظر الى rinn louis, opcit p: 270.

<sup>5</sup> البكرية: مؤسسها سي محمد بن أبو بكر مريد زروق، ويطلق عليها البكرية الزروقية، و مركزها مكة، تأسست سنة (909هـ/1503م) ينظر الى rinn louis, ibid P: 271.

<sup>6</sup> الجازولية: طريقة مغربية تأسست سنة (869هـ/1464م)، من طرف الإمام أبو عبد الله محمد بن أبو بكر سليمان الجازولي المتوفى سنة 869هـ، وهي كبرى الطرق في المغرب، و منها تشكلت العيساوية و الحبيبية و الطيبية، ينظر الى rinn louis, ibid p: 269.

<sup>7</sup> -عمار هلال، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1982، ص: 105، 106.

<sup>8</sup> -نفسه، ص: 108.

<sup>9</sup> -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص: 461.

<sup>10</sup> -نفسه، ص: 464-465.



## \* الطريقة الرحمانية :

تستمد اسمها من مؤسسها محمد بن عبد الرحمن الأزهري الذي درس في زاوية ثم توجه إلى الحج و بقي بمصر، أين أخذ عن الشيخ محمد سالم الحفناوي الخلوتي المتوفى 1767م<sup>1</sup> ثم عاد إلى الجزائر سنة (1183هـ/1770م) و بدأ في نشر طريقته و أسس زاوية "آيت إسماعيل" ببلاد القبائل<sup>2</sup> ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة و واصل نشر طريقته لكنه تلقى رفضا من قبل الإدارة العثمانية و أعوانها ، و هو ما جعله يعود إلى بلاد القبائل حيث تابع دعوته، و قيل أنه قبل و فاته سنة 1793هـ ترك وصية مكتوبة تنص على من سيخلفه و هو الشيخ علي بن عيسى المغربي<sup>3</sup> .

تعد الطريقة الرحمانية من أكثر الطرق انتشارا فقد قدر عدد أتباعها في نهاية القرن التاسع عشر (13هـ) بمائة و ست و خمسون ألف (15600) و مائة و سبع و سبعين زاوية (177 زاوية)<sup>4</sup> ، و من أهم مراكزها في العهد العثماني الأخير الحامة قرب العاصمة ، و آيت إسماعيل ببلاد القبائل ، و زاوية صدوق بناحية سطيف و قسنطينة، و البرج قرب طولقة ، أولاد جلال و خنقة سيدي ناجي و تقع المراكز الأخيرة بالواحات و قد تميزت دون الطرق الصوفية الأخرى باهتمامها الكبير بنشر التعليم في زواياها<sup>5</sup>.

## \* الطريقة الطيبية:

هي فرع من الطريقة الشاذلية، انفصلت عن الجازولية وتنسب إلى مولاي الطيب (1181/1127هـ) الذي قام بتطوير الطريقة وتنظيمها، وفي عهده توسعت وانتشرت في

<sup>1</sup> -الخلوتية : تستمد تسميتها من مؤسسها الفعلي عمر الخلواتي أحد الصالحين الذي عاش في عزلة و في خلوة فردية

توفي سنة 1318م في سوريا ينظر إلى Depont et,(x) coppolani , op ,cit , p : 162

<sup>2</sup> - (x) coppolani, Depont(O) opcit , p: 170.

<sup>3</sup> - أحمد مريوش و آخرون ، المرجع السابق ، ص:120.

<sup>4</sup> - andré (C.R),op.cit , P :148.

<sup>5</sup> مختار الطاهر فيلالي ، المرجع السابق، ص:45.

مناطق عديدة من المغرب العربي رغم أن هذه الطريقة تأسست في عهد عمه مولاي عبد الله الشريف المتوفى سنة 1089هـ الذي أسس الزاوية الأم للطريقة بوزان<sup>1</sup>.

تعتبر الطريقة الطيبية من أكثر الطرق انتشارا في الجزائر وخصوصا في الجهة الغربية والجنوبية ، وكان لها زوايا عديدة في معظم أنحاء البلاد . وتعرف هذه الطريقة في المغرب الأقصى بالتهامية<sup>2</sup>، بلغ عدد أتباع الطريقة الطيبية في الجزائر حسب الإحصاء الرسمي سنة 1882م 1544 مريد ، و301 مقدم ، و20 زاوية<sup>3</sup>.

#### \* الطريقة الشيعية :

يعود تأسيس الطريقة إلى سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد 1023هـ -1615م المعروف بسيدي الشيخ ، وهو تلميذ سي محمد بن عبد الرحمان السهيلي والذي أخذ بدوره عن سي محمد بن يوسف الملياني ، وبالتالي فهي طريقة شاذلية المرجع ، صديقية الأصل، اتخذ مؤسسها من الأبيض زاوية للطريقة وهي الزاوية الأم<sup>4</sup>، وهناك زاوية الحاج بوحفص وزاوية الحاج عبد الحكيم، وقد امتدت هذه الطريقة قبل خمسينيات القرن التاسع عشر من حدود المغرب إلى المنيعية و ورقلة<sup>5</sup>.

#### \* الطريقة الحنصالية :

تنحدر هذه الطريقة من الشاذلية ومؤسسها هو بن يوسف الحنصالي من المغرب الأقصى في القرن 17، وادخلها إلى الجزائر سعدون الفرجيوي، وخلفه أحمد الزواوي الذي عارض صالح باي ودفع بالطريقة للانتشار والتوسع في إقليم الشرق الجزائري والهضاب

<sup>1</sup> -Coppolani (X) , Depont . **op cit** ; p 484 .

<sup>2</sup> -أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص: 102 .

<sup>3</sup> -LOUIS ( R ) , **OP.CIT** , P 384.

<sup>4</sup> -COPPOLANI (X) , DEPONT , **OP. CIT** ; P : 468-470

<sup>5</sup> -أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ، ج4، ص - ص: 110 -120.

العليا<sup>1</sup>. تضم الحنصالية في الجزائر 4200 من الأتباع و18 زاوية أهمها الشاطبة بالقرب من قسنطينة وبها قبة سي أحمد الزواوي<sup>2</sup>.

#### \* الطريقة العيساوية :

تأسست بفاس المغربية وهي فرع من فروع الشاذلية، وتنسب إلى الشيخ محمد بن عيسى، لها طقوس خاصة تميل الاحتفالات والحضرة. وكانت العيساوية محبوبة عند العثمانيين لأنها خذرت الشعوب أكثر من عملها على تنويره، واهتمت بالوعدة والزرده والزمرة والرقص و الاختلاص والشعوذة<sup>3</sup>.

انتشرت العيساوية في مناطق مختلفة من الوطن ، واتخذت من وزرة بضواحي البرواقية مقرا رئيسيا لها، وهي تضم 3500 من الأتباع و10 زوايا<sup>4</sup>.

#### \* الطريقة الكرزائية (الأحمدية) والزيانية :

أسسها أحمد بن موسى الحسن مولاي كرزاز (907 هـ -1502م) وتوفي عن عمر يناهز 108 سنة وتعرف كذلك بالأحمدية وهي إحدى فروع الشاذلية، توجد زاويتها الأم جنوب القنادسة في الطريق المؤدي إلى توات، لها 2924 من الإخوان و62 مقدا من إقليم وهران و10 زوايا<sup>5</sup>.

أما الطريقة الزيانية فتنسب إلى الحاج محمد بن عبد الرحمان أبو زيان، والمعروف باسم مولاي بوزيان المولود في منتصف القرن 17 والمتوفى (1145 هـ -1733 م)، وأخذت

<sup>1</sup> - أحمد مريوش و آخرون، المرجع السابق، ص:108.

<sup>2</sup> - André ( C. R) OP.CIT P: 151.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4، ص: 83- 84.

<sup>4</sup> André ( C. R) OP.CIT P: 151.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4، ص- ص: 88-92.

عن الشاذلية، ولعبت دورا كبيرا خلال العهد العثماني في حماية القوافل التجارية وحسن استقبال الوافدين إليها واتخذت من القنادسة مقرا رئيسيا لها<sup>1</sup>.

### \* الطريقة الشاذلية :

طريقة ناصرية شاذلية، أسسها العارف بالله أحمد بن مخلوف الشاذلي (835-878هـ / 1431-1492 م) أحد أتباع الشيخ محمد بن ناصر الدرعي ترك أحمد بن مخلوف ذرية صالحة رباها على السلوك الصوفي، وكان من أهمهم سيدي عرفة الشاذلي الولد الثاني له وهو المؤسس الحقيقي للحركة الشاذلية على ثلاثة أصول هي علم الشريعة، الأخلاق الصوفية، علم التوحيد<sup>2</sup>، وقد كان للشاذلية نفوذ ديني واسع في الجزائر و واد سوف وامتد إلى القالة وسوق أهراس وتبسة و الأوراس، كما كان لها امتداد في كل الأراضي التونسية موطن النشأة، عارضت الطريقة الحكم العثماني خلال فتراته المختلفة سواء في تونس أم الجزائر بمواجهة بايات قسنطينة كثرة 1828م ضد الحاج أحمد باي<sup>3</sup>.

### \* الطريقة التجانية :

تنسب إلى مؤسسها سي أحمد بن المختار التجاني<sup>4</sup>، ولد سنة (1150هـ/1737م) بعين ماضي الواقعة خلف منحدرات جبال العمور، تبعد بحوالي 70 كلم عن مدينة الأغواط وهي مشهورة بكل الصحراء من خلال زاويتها التي يقصدها العلماء و الشرفاء المعروفين

<sup>1</sup> LOUIS ( R ) , OPCIT, P : 410-411.

<sup>2</sup> محمد أمين بلغيث، الشيخ محمد بن عمر العدواني، مؤرخ سوف الطريقة الشاذلية، دار كتاب الغد، جيجل، الجزائر، ط2، 2007. ص-ص: 99-102.

<sup>3</sup> خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، (1900-1956م)، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009. ص: 457، 458.

<sup>4</sup> نسبة إلى بنوتوجين أو تيجانة (سكان عين ماضي) الذين قصده سيدي محمد بن سالم (الجد الرابع للتيجاني) من أسفي بالمغرب و تزوج منها و سار أولاده يعرفون بالتيجانية . الشيخ التيجاني بن الشيخ الهادي بن سيدي مولود فال ، طواع السعود ، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية . المملكة المغربية ، دار أبي الرقاق ، ط1 ، 2008 ، ص25.

من مختلف أنحاء شمال إفريقيا<sup>1</sup>، و يعد أحمد التجاني صوفيا كبيرا أخذ عن طرق صوفية كثيرة ، كالقادرية و الخلوتية و الطيبية و الرحمانية قبل أن ينتهي إلى تأسيس طريقة خاصة به بعد عودته من رحلته إلى الحجاز و القاهرة حيث التف حوله عدد كبير من الأتباع و المريدين .

و بعد أن جاب إقليم توات بالصحراء و شمال إفريقيا، توجه إلى فاس وهناك توفي سنة (1239هـ/1815م)، بعد أن ترك قيادة الطريقة إلى سيدي الحاج علي التماسيني<sup>2</sup> .

و الشيء الملاحظ على هذه الطريقة ذات النشأة الجزائرية ، أمرين أما الأول هو أنها لم تجد إقبالا من الجزائريين و بالتالي لم تعرف انتشارا واسعا في الجزائر، و من ثم لم يكن لها تأثير ديني كبير باستثناء الصحراء، و لعل ذلك يعود إلى تطرف مؤسس الطريقة فقد أعلن أنه أمر من النبي أن يترك كافة الطرق، والغفران الذي منحه لمن رآه ولمن رأى من رآه ، الأمر الذي نفّر الناس منه ، إضافة إلى تزكية الشيخ التيجاني لنفسه، و ربما محاصرة العثمانيين لهذه الطريقة .

أما الأمر الثاني أنها طريقة ذات طابع أرسنقراطي، إذ اتبع طريقتها العلية من الناس كالتجار الكبار، وبعض سلاطين المغرب مثل السلطان عبد الحفيظ و بايات تونس، وقد انتشرت الطريقة خارج حدود الجزائر وخاصة في بلاد السودان الغربي و لعبت دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين السود في إفريقيا<sup>3</sup>، و يقدر لويس رين<sup>4</sup> عدد زوايا الطريقة بسبعة عشر زاوية و مائة مقدم و إحدى عشر ألف و اثنان و ثمانون من الأحباب موزعة على مقاطعة الجزائر و مقاطعة وهران و مقاطعة قسنطينة .

يعرف أتباع التجانية بالإخوان أو الأحباب وهم معروفون من خلال سبحتهم فهي من خشب الصندل وحباتها مقسمة إلى ست مجموعات مفصولة بخمس حبات من حرير أحمر

<sup>1</sup> Louis rinn ,op cit p :416 .

<sup>2</sup> Arnaud( L),histoire de louali sidi Ahmed et-tedjani, R A ,n°5, ,Alger , 1861 p :470 .

<sup>3</sup> - العيد مسعود، المرجع السابق، ص: 12، 13.

<sup>4</sup> Louis rinn,opcit p 451.

ومن فوقها عشر حلقات مسطحة بنفس حجم الحبات وهي تساعد على ترديد أنكار الطريقة وهي: 100 مرة اللطيف، 100 مرة أستغفر الله، 100 مرة لا إله إلا الله، 100 مرة صلاة الفاتح و12 مرة صلاة جوهرة الكمال<sup>1</sup>.

### 3- الطرق الصوفية في تونس:

غلبت روح التصوف على تونس العثمانية وسيطرت الطرق الصوفية على مناحي الحياة العامة حتى غدى التصوف أحد ركائز الحكم في البلاد، كما تحوّلت الزاوية والطريقة الصوفية إلى سلطة قوية، بما تملكه من أموال وأتباع وسلطة روحية على المجتمع، وهذا ما جعل السلطة والمجتمع بمختلف طبقاته تحت وطأة رجال التصوف<sup>2</sup>، ولهذا عملت السلطة مجهودات كبيرة للانخراط في هذا النسق العام القائم على الولاء لسلطة الشيخ والطريقة، فعززت صفوفها بكسب ولاء وود رجال الطرق وأصحاب الزوايا.

وبعد القضاء على الشابية في القيروان عوضتها السلطة المركزية بسلطة عالم تونس سيدي أبو الغيث القشاش<sup>3</sup>، وعززت الأسرة الحسينية هذا النفوذ أكثر من خلال سياستها المهادنة والمشجعة لرجال الطرق الصوفية عن طريق بناء الزوايا وتقديم مختلف الامتيازات لها، بل وصل الأمر إلى انتماء كثير من حكام هذه الأسرة إلى بعض الطرق، فكان حمودة باشا حامي الطريقة القادرية بتونس أول المساهمين في بناء زاوية لها بالبلاد، ثم انطلقا من الأمير أحمد باي، أصبحت العائلة الملكية تتوارث انتماءها للطريقة التجانية إلى النهاية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> louis rinn,opcit, p :441-442.

<sup>2</sup> محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص: 62.

<sup>3</sup> سبق تعريفه في مبحث المراسلات.

<sup>4</sup> لطيفة الأخضر، المرجع السابق، ص، 34.

ويكفي أن نلقي نظرة على كتاب أحمد بن أبي الضياف<sup>1</sup> لندرك مكانة الطرق والزوايا عند الحسينيون، إضافة إلى أن أحمد بن أبي الضياف نفسه، مؤرخ الدولة الحسينية ووزير أحمد باي قد كتب مقامة<sup>2</sup> في مناقب الأولياء إخلاصا للأفكار المسيطرة في عصره، وهذا ما يعكس هيمنة الطرق والزوايا على المجتمع التونسي، وكان اقتراحا شعبيا فرض على هؤلاء الحكام تبني الطريقة والاعتقاد في الأولياء على حد تعبير أحد الباحثين<sup>3</sup>.

ومن هذا المنطلق سنحاول التعريف بأهم الطرق الصوفية في تونس خلال العهد العثماني، وسنركز على الطرق التي تعني بحثنا بدرجة أولى أي الطرق المؤثرة في عملية التواصل العلمي والثقافي بين البلدين.

### \* الطريقة القادرية:

دخلت القادرية إلى تونس مبكرا على يد أبا مدين شعيب اثناء مروره بها راجعا من بلاد المشرق إلى بجاية في القرن 6هـ/12م، وزاد انتشارها مع مجيء العثمانيين منذ القرن 10هـ/16م، واستطاع الشيخ أبي الحسن على بن عمر الشائب أن يجدد الطريقة القادرية بمساعدة تلميذه الإمام المنزلي<sup>4</sup> والدعم الكبير من قبل حكام البلاد على رأسهم حمودة باشا

<sup>1</sup> - أحمد بن أبي الضياف، ولد بتونس العاصمة سنة 1217هـ/1804م، درس على كبار علماء عصره، تولى خطة العدالة بديوان الحكومة عام 1822، ثم التحق بديوان الانشاء في عهد حسين باي الثاني، وأول كاتب للدولة الحسينية إلى الباب العالي باللغة العربية، تدرّج في الرتب السامية إلى أن توفي سنة 1874م، وترك مؤلفا في تاريخ الدولة الحسينية يسمى "تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان". ينظر: بوعزة بوضرساية: المؤرخ التونسي أحمد ابن أبي الضياف وموقفه من الاحتلال الفرنسي للجزائر وانعكاساته على الوضع الداخلي 1830 "مجلة الثقافة"، مارس 1995، وزارة الثقافة الجزائر، ص: 112. وكذلك بوزية محمد، مشاهير التونسيين، دار سراس، تونس، ط2، 1992، ص: 104.

<sup>2</sup> - المقامة: موجودة بالمكتبة الوطنية التونسية تمت رقم 358، بعنوان: "المقامة الجليلة في الأنوار البشرية".

<sup>3</sup> - لطيفة الاخضر، المرجع السابق، ص: 34.

<sup>4</sup> - الإمام محمد المنزلي (ت 1248-1832م): إمام أهل إفريقية في الطريقة القادرية عنه تصدر الإجازات، وإليه يرجع طالبوه حتى جعل له امير وقته طابعا يطبع به الإجازات، له آداب المرید منظمة شرحها عبد القادر بن محمد المجاوي الجزائري المتوفى 1332هـ/1911م. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، المرجع السابق، ج 1، ص: 553.

(1196-1229هـ/1781-1813م) الذي ساهم في بناء أول زاوية للطريقة بمنزل بوزلفة<sup>1</sup>.

على أنّ الطريقة سرعان ما انتشرت في الإيالة فشملت معظم أنحاءها حيث كان لها أتباع كثر وصل عددهم في بداية القرن 14هـ/20م إلى 117681 كما يبيّنه الجدول التالي<sup>2</sup>:

| المدينة      | عدد الزوايا | العدد الجملي للاتباع |
|--------------|-------------|----------------------|
| بنزرت        | 06          | 663                  |
| تونس         | 38          | 1821                 |
| زغوان        | 02          | 172                  |
| قرنبالية     | 14          | 1154                 |
| طبرقة        | 1           | 6001                 |
| سوق الاربعاء | /           | 1012                 |
| تبرسق        | 1           | 26001                |
| باجة         | 02          | 5000                 |
| الكاف        | 04          | 5911                 |
| سوسة         | 11          | 484                  |
| مكتر         | /           | 729                  |
| القيروان     | 2           | 12508                |
| تالة         | 7           | 42036                |
| صفاقس        | 5           | 120                  |
| قفصة         | 2           | 5000                 |
| توزر         | 3           | 1593                 |
| قابس         | 4           | 408                  |
| جربة         | 1           | 61                   |
| مطماطة       | 4           | 74                   |
| مدنين        | 1           | 983                  |
| تطاوين       | 1           | 4505                 |

<sup>1</sup> - لطيفة الاخضر، المرجع السابق، ص: 44.

<sup>2</sup> - التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 35.



|        |     |         |
|--------|-----|---------|
| 1435   | /   | قبلي    |
| 117681 | 109 | المجموع |

تبرز هذه الأرقام القاعدة الشعبية التي تتمتع بها الطريقة في البلاد، ومدى نفوذها الروحي والمادي الذي تتقاسمه ثلاثة مراكز أساسية وهي: زاوية بوزلفة (الشمال الشرقي) وزاوية الكاف (الشمال الغربي) وزاوية توزر (الجنوب).

### \* الطريقة الرحمانية:

دخلت الطريقة الرحمانية إلى تونس عن طريق الجزائر من منفذين وهما:

- جهة الكاف: أين أسس أحمد بن علي بوحجر أصيل عين تيموشنت أول زاوية رحمانية بالكاف ما بين 1784-1785م بأمر من مؤسس الطريقة، وبقيت عائلة بوحجر تتوارث الإشراف على الزاوية إلى غاية سنة 1881م<sup>1</sup>.

- جهة نفطة: أين قدم محمد بن عزوز من منطقة الزاب ببسكرة بعد الاحتلال الفرنسي لها سنة 1844م، وأسس زاوية بها وصل أوج اشعاعها في عهد شيخها مصطفى بن عزوز<sup>2</sup>.

إضافة إلى هاتين الزاويتين الرئيسيتين، ظهرت زاوية أخرى أم للرحمانية بقنطرة سليانة، أسسها سيدي عبد الملك خلال القرن 19م، وارتبطت هذه الزوايا بمجموعة من الزوايا التابعة

<sup>1</sup> - لطيفة الأخضر ، المرجع السابق، ص: 46.

<sup>2</sup> - مصطفى بن عزوز (1182-1282هـ/1768-1865م): المعروف بابن عزوز المالكي التونسي، دخل بلاد الجريد وأسس زاوية له بنفطة، كانت له أدوارا مهمة في الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية ، له مجموعة من المؤلفات و الرسائل أهمها: رسالة في السلوك إلى الطريقة الخلوتية، و رسالة في مناقب علي بن عمر الطولقي و روضة الأنوار للعارفين. ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج3، المرجع السابق، ص: 882.

لها وعددها 47 زاوية، تضم حوالي 114761 من الأتباع والمريدين، وهي في المرتبة الثانية بعد الطريقة القادرية من حيث الأتباع<sup>1</sup>.

### \* الطريقة التجانية:

دخلت هذه الطريقة أيضا من الجزائر إلى تونس منذ أول القرن الثالث عشر الهجري بفضل جهود مجموعة من الرجال أولهم كان الشيخ محمود التونسي و الشيخ المناعي التونسي، والشاعر يوسف بن ذنون الذي نظم قصائد كثيرة في مدح الشيخ وطريقته، ومن أشهر الشعراء التونسيين التجانيين الأوائل الكبار السيد محمود قباد المتوفى يوم الأربعاء 3 رجب عام 1288هـ<sup>2</sup>، لكن أشهرهم على الاطلاق هو مفتي الديار التونسية العلامة إبراهيم الرياحي.

تلقى الرياحي الطريقة مباشرة عن مؤسسها أثناء تواجده بفاس سنة 1803-1804م وهو في مهمة رسمية لجلب الميرة، وكان بذلك أول من تلقى الطريقة التجانية بحاضرة تونس وعمل على نشرها وتوسيع رقعتها بمنطقتي الشمال والشرق، وتحول ضريحه بعد موته سنة 1850 إلى أول زاوية تجانية بتونس<sup>3</sup>.

وفي الجنوب التونسي انتشرت الطريقة نتيجة الاتصالات مع منطقة سوف، وجهود بعض الرجال من أمثال الطاهر بن عبد الصادق القماري ت1266هـ الذي وصل توزر بإذن من خليفة التجاني الحاج علي التماسيني، فانتشرت الطريقة انتشارا واسعا على يديه<sup>4</sup>، وهكذا

<sup>1</sup> - لطيفة الاخضر، المرجع السابق، ص:47، عباس كحول، الجريد التونسي القاعدة الخلفية للزوايا العزوية و المقاومة الوطنية في الجنوب الشرقي الجزائري، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، أكتوبر 2014، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، ص:08.

<sup>2</sup> - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، د. ت، ص:186.

<sup>3</sup> - لطيفة الاخضر، المرجع السابق، ص: 52، 53، عباس كحول، الجريد التونسي، المرجع السابق، ص:08، التليبي العجيلي، المرجع السابق، ص: 38.

<sup>4</sup> - عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص: 187.

شملت التجانية معظم الأراضي التونسية خلال القرن 13هـ/19م<sup>1</sup>، وظهرت زوايا لها في عدة مناطق ومدن أبرزها:

- زاوية الطرنجة بالعاصمة تونس وهي أول زاوية للطريقة بالحاضرة يعود تأسيسها إلى سنة 1254هـ/1838م على يد الحاج سالم بن سليمان الجبالي اليفريني الذي اشترى مجموعة من المحلات تعرف بحوانيت عاشور<sup>2</sup> نيابة عن الشيخ الحاج علي التماسيني وحوّلها إلى زاوية بمنطقة الطرنجة ولذلك أصبحت الزاوية تسمى بهذا الاسم، ويعتبر الحاج عمر بن سليمان الزواوي أول مقدم لها وهو من أصول جزائرية ويعرف بالقشاش(ت1271هـ/1855م)<sup>3</sup>.

- زاوية باب المنارة: تأسست سنة 1287هـ/1866م من قبل الخليفة محمد العيد التماسيني خلال زيارته لتونس في طريقه للحج<sup>4</sup>.

- زوايا توزر:

\* زاوية سيدي الطاهر بن عبد الصادق القماري والراجح أن مؤسسها هو الهادف بن محمد الهادفي، وحينما نزل الطاهر بن عبد الصادق القماري بتوزر واستقر بهذه الزاوية ولما مات

<sup>1</sup> - يرى بعض الباحثين أن عدد أتباع الطريقة التجانية بالجريد التونسي ظل محدودا، إذ لم يتجاوز حسب التقديرات 400 نسمة في نهاية القرن 19م وفسروا ذلك بهيمنة القادرية والرحمانية على هذه المنطقة ، وكذا المواقف الغير مشرفة للطريقة فيما يخص مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إضافة إلى الشروط القاسية في قبول المنتسبين، إذ لا يسمح لكل من يدخلها بالانتقال إلى طرق أخرى أو احتفاظه بطريقة أخرى، ووصف كل من يخرج منها بالردة، التليلي العجيلي، الوضع الطريقي بالجريد في النصف الثاني من القرن 19م، المجلة التاريخية المغربية، العدد 75-76، ماي 1994، ص- ص 308-306.

<sup>2</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D ، 97 ، الملف 03، ص:5.

<sup>3</sup> - علي غريسي، الزوايا التجانية طرنجة تونس، دار الجائزة، القبة ، الجزائر، 2018، ص- ص:8-11.

<sup>4</sup> - علي غريسي، زاوية باب المنارة من التأسيس إلى التجديد، مطبوعة سلسلة الزوايا الطريقة التجانية، تماسين، العدد3، جويلية، 2010، ص:2.

دفن بها، ولذا سميت عليه<sup>1</sup>، وهناك زاوية ثانية تحمل نفس الاسم جهة أولاد الهادف بتوزر مجاورة لمسجد الباي، وهي نواة برج الشيخ سيدي حمه الموجود حالياً بحي الهادف أو ملاصقة له<sup>2</sup>.

\* زاوية سيدي ابراهيم بن محمد السوداني وهي زاوية أنشأها الحاج ابراهيم بن محمد السوداني قرب داره بتوزر<sup>3</sup>.

\* زاوية جد المقدم أحمد الأديب بن محمد المأمون التجاني الحسني: وقد ذكرت هذه الزاوية في رسالة موجهة للخليفة سيدي أحمد التجاني التماسيني بتاريخ 27 رمضان سنة 1355 هـ، الموافق ل 10 ديسمبر 1936م ما نصه: " والسلام من الفقير إلى ربه المبدي أحمد الأديب بن محمد المأمون التجاني الحسني شيخ زاوية جده بتوزر ووكيل أوقافها..."<sup>4</sup>.

\* زتوية العبيدة : تأسست سنة 1826م تدعى زاوية الباي لأن الباي محمد الصادق خصها ببعض النخيل<sup>5</sup>.

\* زاوية دقاش<sup>6</sup>: أسسها الحاج العجيمي ت1266هـ/1850م<sup>7</sup>.

ورغم الدخول المتأخر لهذه الطريقة إلى الإيالة التونسية إلا أنها سرعان ما انتشرت في معظم البلاد وهو ما يوضحه الجدول التالي<sup>8</sup> (1346هـ / 1925 م):

<sup>1</sup> - علي غريسي، الطريقة التيجانية في الجنوب التونسي، أعلامها-زواياها، مطبعة كوينين، الوادي، الجزائر، ط1، 2014، الجزائر، ص، 80، 81.

<sup>2</sup> - نفسه، ص، 83.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 84.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 85.

<sup>5</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، ، السلسلة D، 97، الملف 03، ص: 06.

<sup>6</sup> - دقاش: معتمدية تابعة لولاية توزر.

<sup>7</sup> - علي غريسي، الطريقة التيجانية في الجنوب التونسي، المرجع السابق، ص: 98.

<sup>8</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D: 97، ملف رقم 03، ورقة: 14.

| المدن        | عدد الزوايا | العدد الاجمالي |
|--------------|-------------|----------------|
| بنزرت        | 2           | 293            |
| تونس         | 06          | 501            |
| قرنبالية     | 01          | 51             |
| مجاز الباب   | 01          | 201            |
| سوق الاربعاء | 01          | 22             |
| باجة         | /           | 400            |
| الكاف        | 01          | 1015           |
| سوسة         | 03          | 123            |
| تالة         | /           | 5350           |
| القيروان     | 02          | 1578           |
| قفصة         | /           | 500            |
| قابس         | 03          | 406            |
| توزر         | 03          | 555            |
| مدنين        | 01          | 68             |
| تطاوين       | /           | 5031           |
| المجموع      | 24          | 16054          |

## \* الطريقة الشابية:

انتشرت الشابية في تونس والجهة الشرقية من الجزائر في فترة مبكرة باعتمادها على أتباع وقبائل متعددة مثلت الدعامة الأساسية في مشروع الطريقة، فوجدت في قبائل أولاد سعيد ودريد والهمامة وطرود وأولاد مهلهل، و النمامشة و الحراكتة الداعم الأساسي في توسيع رقعتها التي امتدت من وسط تونس إلى جنوبها ومن شمالها الغربي إلى الأوراس

بالجزائر<sup>1</sup>، وامتدت إلى سوف بواسطة جماعة طرود، حيث أخذ منهم الشيخ عرفة الشابي عهدا لما وفدوا إليه في القيروان<sup>2</sup>.

قادت الشابية حروبا ضد السلطة القائمة، فقد واجهت الخطر الإسباني في عهد عبد الصمد الشابي بمساعدة مختلف القبائل، كما أعلنت الحرب ضد السلطان الحفصي أحمد بن الحسين الموالي للإسبان، ونجحت في تأسيس دولة انفصالية بالقيروان سنة (965هـ/1557م)، ولكنها سرعان ما سقطت، فتوجه قادة الأسرة الشابية إلى الصحراء واستقروا بحامة الجريد وشمل نشاطهم منطقة الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري، مسيطرين بذلك على قفصة وتوزر وسوف بالجزائر وغيرها من بلاد الجريد إلى الأوراس (جبل ششار)<sup>3</sup>.

وقد عرفت الطريقة الشابية تراجعا في أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدأت تفقد نفوذها في المنطقة أمام الطرق الأخرى، و حاول من تبقى من شيوخ الطريقة انتهاج سياسة المهادنة التي ميزت مواقف بقية شيوخ الزوايا، و لعل أهمها الموقف من الاحتلال الفرنسي أثناء دخوله لتونس ومساندتها له من خلال زاويتها بالكاف<sup>4</sup>. كما أنّ وصول النفوذ الفرنسي إلى جنوب التونسي وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والصراع بين شيوخ الطريقة على أحقية الزعامة، أدى إلى ضعف الشابية وتراجع عدد أتباعها، حتى كادت تختفي تماما في تونس بعد 15 سنة من الاحتلال<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> علي الشابي، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية، العدد 13، 14، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، فيفري 1979، ص:55، محمد الامين بلغيث، المرجع السابق، ص- ص: 105-109.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص:57

<sup>3</sup> علي الشابي، المرجع السابق، ص، ص:76-77.

<sup>4</sup> - محمد الامين بلغيث، المرجع السابق، ص:98.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص:277.

وتجدر الإشارة في الأخير أن الإيالة ظهرت بها طرق أخرى تعددت أصولها بين مشرقية ومغربية، في بداية العهد العثماني أو في أواخره، لكن الكثير من هذه الطرق لا تمس دراستنا بشكل مباشر، أو ظهرت متأخرة نسبياً عن الإطار الزمني الذي حددناه لموضوعنا، ولكن يمكن الإشارة إلى أن أهم هذه الطرق التي تعرّضنا إلى أصول نشأتها في المبحث الخاص بالطرق الصوفية في الجزائر، وسنكتفي بذكر بعضها وتطورها في البلاد التونسية فقط. إذ تعد الطريقة المدنية<sup>1</sup>، السنوسية<sup>2</sup>، الشاذلية<sup>3</sup>، العروسية<sup>4</sup>، العيساوية<sup>5</sup>، السلامية<sup>6</sup>، وغيرها من أهم هذه الطرق المنتشرة في الأراضي التونسية خلال الفترة الحديثة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - المدنية: ظهرت في أوائل 13 هـ/19م في طرابلس على يده محمد حمزة المدني، ثم تولاهما محمد ظافر المدني الذي وصلت المدنية في عهده أوج سمعتها، وهي طريقة مقرية من السلطة العثمانية. ورغم دخول الطريقة إلى تونس إلا أن أتباعها وعدد زواياها كان قليلاً (5 زوايا، 485 مريداً). ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص، ص: 122، 123، التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 42، 43.

<sup>2</sup> - السنوسية: انتشرت في تونس بعد مرور المؤسس بمنطقة الجريد، حيث ظهرت زاوية لها بالواديان تسمى زاوية العرب، ولم تعرف التوسع داخل البلاد التونسية نتيجة تضييق الاستعمار الفرنسي على أتباعها نتيجة مواقفها الجهادية منه. التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 62.

<sup>3</sup> - الشاذلية: انتشرت الطريقة أثناء وجود مؤسسها بتونس ونتيجة لجهود أصحابه الأربعة، كأبو عبد الله الغماري، وأبو عبد الله محمد القرطي، أبو العباس أحمد الغرابي وغيرهم، محمد بهلى النبال، الحقيقة التاريخية للتصوف، دار آفاق للنشر تونس، ط2، 2013، ص- ص: 161-168، ناصرالدين سعيدوني، ولايات الغرب العثمانية، المرجع السابق، ص: 157، 158.

<sup>4</sup> - العروسية: حضيت الطريقة بحماية السلاطين الحفصيين، ولما توفي مؤسسها أصبحت لها شهرة في تونس وكثير أتباعها، وامتدت إلى شمال أفريقيا وخاصة ليبيا. ينظر: روبر برنشفيك، المرجع السابق، ص- ص: 359-362.

<sup>5</sup> - العيساوية: دخلت تونس منذ القرن 10 هـ/16م وانتشرت في معظم أنحاء البلاد، حتى فاق أتباعها وزواياها الطرق الأخرى، فقد تم احصاء: 144 زاوية، و 37534 من الأتباع سنة 1925. ينظر: لطيفة، الأخضر، المرجع السابق، ص: 48، 49.

<sup>6</sup> - السلامية: متفرعة عن الطريقة العروسية وتنسب إلى شيخها المؤسس عبد السلام بن سليم الفيتوري دفين زليتن اللببية سنة (981 هـ/1573م)، ولم تنتشر في تونس إلا في القرن التاسع عشر في عهد المشير أحمد باي (1258-1276 هـ/1837-1855 م) على يد عبد السلام الأسمر في العاصمة. ينظر: زغندة فتحي، الطريقة السلامية في تونس أشعارها وألحانها، بيت الحكمة تونس، 1991، ص: 39.

## ثانيا: دور الطرق الصوفية في التواصل العلمي بين القطرين

شكلت الطرق الصوفية جسرا للتواصل العلمي بين الجزائر وتونس نظرا لسيطرتها الروحية على معظم فئات المجتمع سواء في الجزائر أو تونس وارتباط بعضها البعض نظرا لوحدة الكثير منها في أصولها الفكرية والعقدية وسنركز في مبحثنا هذا على أهم مظاهر التواصل العلمي والثقافي من خلال أهم الطرق الصوفية وأكبرها خصوصا المنتشرة على الحدود بين البلدين لاسيما بالنسبة إلى شرق و جنوب شرق الجزائر وجنوب تونس وغربها ووسطها.

## 1- الطريقة الشاذلية:

أسس أحفاد أحمد بن مخلوف عدة زوايا سواء بالقيروان أو توزر وحتى بتبسة، وجبل ششار(ضواحي خنشلة)، ويعود الفضل في تثبيت ركائز الطريقة إلى الشيخ سيدي المسعود بمساعدة ابنه علي<sup>1</sup>، الذي وسع نشاط الزاوية من ششار و خنشلة و تبسة إلى وادي سوف اين تأسست عدة مؤسسات دينية ومساجد<sup>2</sup> خلال القرن السابع عشر وحملت بعضها اسم سيدي المسعود الشاذلي في الوادي وقمار، وبفضل دعم الحنانشة وطرود وجهود علي بن المسعود الشاذلي وأحفاده من أمثال علي بن العابد و محمد بن كنوز، غزت الطريقة الشاذلية المنطقة الممتدة حاليا من سوق اهراس و القالة إلى بونة (عناية)، وأحواز قسنطينة والأوراس الى مشارف الصحراء جنوبا وعلى الخصوص جبل "أرقو" بالقرب من الجرف بولاية تبسة<sup>3</sup>.

وعلى الرغم من أن الشاذلية ظلت معارضة للسلطة القائمة منذ العهد الحفصي الى الحكم العثماني في تونس والجزائر، وخاضت ضدها حروبا طويلة تلت خلالها ضربة

<sup>1</sup> - إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص:180، محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2005، ص: 110،127،130.

<sup>2</sup> Octave depant, Xavier coppolani, op .cit.p:482.

<sup>3</sup> - أحمد البوني، الدرّة المصونة، المصدر السابق، ص:170.



موجعة سنة 1557م بهزيمة الشابي بالقيروان والقضاء على دولته. وبذلك انقسمت الشابية إلى قسمين: قسم أثر أن يحارب حتى النهاية من أجل الثأر من الأتراك واسترجاع الدولة وقد مثل هذا القسم عبد الصمد الشابي (958-1025/1551-1616) وابنه وأحفاده، وقسم آخر أثر بعد الهزيمة الانقطاع للتصوف والعلم والأدب وإرشاد المؤيدين وتربيتهم ونشر الهداية بين قبائل تونس والجزائر، وقد مثل هذا القسم أخ عبد الصمد محمد ابن المسعود الشابي وأبنائه وأحفاده<sup>1</sup>.

ولتتبع دور هذه الطريقة في العلاقات العلمية والثقافية بين البلدين سنركز على جهود القسم الثاني من الشابية الذي يمثله كما قلنا محمد المسعود الشابي وأبنائه وأحفاده، فقد أسس هذا الأخير عند انتقاله إلى الجزائر على الحدود الشرقية زاوية ششار بضواحي خنشلة، فتوافد عليه المريدون من المدن والبوادي، وكانت القبيلة هي القاعدة الأساسية التي استهدفتها الزاوية بعملها العلمي والإرشادي والإصلاحي، حيث كان يلتحق البعض بالزاوية للإقامة بها والبعض الآخر للزيارة من كل من تونس والجزائر.

ومن خلال الزاوية استطاع المسعود<sup>2</sup> وابنه علي<sup>3</sup> تكوين تلاميذ ودعاة في مواطن كثيرة رفعوا هم بدورهم ونشروا الطريقة الشابية بأصولها الجامعة بين الظاهر والباطن، بين الشريعة والحقيقة في تونس والجزائر، ومن أمثال ذلك صوفية بارزين كالشيخ عمر بن عبد الجواد

<sup>1</sup> - علي الشابي، تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2015، ص:393.

<sup>2</sup> - المسعود الشابي: الشيخ الثامن للطريقة الشابية يعود له الفضل في نشر الطريقة بالجزائر وغرب تونس وجنوبها توفي ببلدة ششار قرب خنشلة ودفن بزوايتها الشابية سنة (1028هـ/1618م). ينظر: إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص: 192 .

<sup>3</sup> - علي الشابي: ولد علي الشابي سنة (1000هـ/1591) في قرية تيزاقرارين بالأوراس (ولاية خنشلة حاليا)، التي انتقل إليها والده وأخوته فرارا من الأتراك العثمانيين، تعلم علي مبادئ العلوم على يد والده بالزاوية ونبغ في علم الكلام والفقه والتصوف والتفسير. وبعد وفاة والده سنة (1028هـ/1618) تولى زعامة الزاوية حيث عرفت في عهده ازدهارا وتوسعا كبيرين خصوصا بعد انشائه منشأة بيت الشريعة (1040 هـ/1630م)، واستمر في قيادة الزاوية إلى غاية وفاته (1074هـ/1663م). ينظر: علي الشابي، المرجع السابق، ص - ص:388-394.

العكرمي دفين زاويته بقصر قفصة، وصاحب الضريح الشيخ بلقاسم بن منصر الهمامي، وهو المقدم على زاوية الشابية بيت الشريعة والشيخ نصر الدين العليمي، والشيخ منصور الدالي دфина قفصة والشيخ جاء بالله بن طاهر دفين زاويته بتبسة، والشيخ عبد الملك العنابي دفين ماونة بولاية قسنطينة والشيخ عون بسوف<sup>1</sup>.

وإذا كانت الزاوية بجبل ششار قد استطاعت نشر الوعي وتخليص الكثير من أبناء المنطقة من الجهل والأمية وإشاعة العلم والمعرفة بينهم إلا أن تأثيرها مس مناطق جغرافية محددة، إلا أنه بعد تأسيس علي بن المسعود الشابي لمنشأة بيت الشريعة في حدود سنة 1040هـ/1630م، وهي مؤسسة تعليمية قضائية علمية متنقلة بصورة متواصلة بين مواطن القبائل في غرب تونس ووسطها وجنوبها وفي شرق الجزائر وجنوبها<sup>2</sup>.

اتخذت بيت الشريعة شكل خيمة كبيرة من القماش وتحولت إلى زاوية متنقلة كبديل عن الزاوية بجبل ششار بها مكتبة ذات أهمية، وقد أصبحت مقصدا لطلاب العلم والتقوى، وملجأ للخصوم يطلبون منها الحكم الشرعي الفاصل، وملاذا للمضطهدين. ولسعتها كانت تتعقد فيها مجالس دون أن يفسد أحدهما الأمر على الآخر. وينام بها كل ليلة أربعمئة من الوافدين إليها من تونس والجزائر، وقد تخرّج من مجالسها العلمية عدد كبير من العلماء واستمرت منشأة بيت الشريعة تؤدي رسالتها الى سنة 1284هـ/1874م<sup>3</sup>، هذا وقد تحولت بيت الشريعة الى مدرسة للقبائل التونسية الجزائرية التي حرمت من التعليم في الحواضر والمراكز العلمية الكبرى سواء في الزيتونة او غيرها حيث كاد يكون التعليم فيها قصرا على أهل المدن فقط.

<sup>1</sup> - علي الشابي، المرجع السابق، ص: 395.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 393.

<sup>3</sup> - نفسه ، ص: 398.

نجحت الطريقة الشاذلية بفضل منشأة بيت الشريعة من تطوير الحياة العلمية بين الجزائر وتونس، وذلك من خلال نقل التعليم من طريقته التقليدية القائمة على تلقين الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية وأصول الطريقة، إلى نقلة جديدة أصبح التعليم فيها ببيت الشريعة يعتمد على مستويات ثلاثة وهي المستوى الابتدائي وتدرّس فيه المختصرات الصغرى وشروحها مثل كتاب "المختصر الصغير" وشرح "المختصر الصغير" وكلاهما لمحمد المسعود الشاذلي، وكتاب "مفيد الفقير في اختصار المختصر الصغير" لحفيده أحمد الصغير الشاذلي (ت 1103 هـ/ 1691 م)، أما المستوى الثانوي كان الكتاب المقرر في النحو "شرح الأجرومية" لعلي الشاذلي، وفي الفقه "المختصر الكبير" و "شرح المختصر الكبير" و"مصباح الظلام الحالك في فقه مذهب الإمام مالك" لمحمد المسعود، وفي المستوى العالي اعتمد الجزء الثاني والثالث من كتاب "المقرب المفيد في شرح فروض العين والتوحيد" للمؤلف نفسه، فالثاني خاص بالعبادات والثالث خاص بالمعاملات، كما اعتمد من تأليفه كتاب المسائل ويسمى أيضا المسائل المسعودية وهو خاص بالمعاملات، وكذلك اعتمد مختصر خليله بشروحه، وأما الجزء الأول من المقرب المفيد فيدرّس في اختصاص التصوف في المستوى العالي لأن المؤلف قصره على التوحيد الصوفي والأخلاق الصوفية، وكل ذلك في العقيدة الأشعرية، فكتاب شرح العقيدة يدرّس في المستويين الابتدائي والثانوي وأما كتابه شرح العقيدة الكبرى فيدرّس في المستوى العالي وهكذا في بقية علوم الوسائل والمقاصد<sup>1</sup>.

وبفضل جهود بيت الشريعة العلمية التي دامت طوال (237 سنة) داخل الأراضي الجزائرية والتونسية<sup>2</sup> انتشر المد التنويري الذي أدى إلى توثيق العلاقات بين القبائل فخفت حدة التعصب القبلي وانكفأت الغارات المتبادلة وقلّت مناهضة الهامة لطرود والنامشة بعد

<sup>1</sup> - علي الشاذلي، المرجع السابق، ص: 401.

<sup>2</sup> - ينظر الملحق رقم: 18 الخاص بنفوذ الطريقة الشاذلية في الجزائر وتونس.

كل الذي عرفه تاريخهم من أيام مزدحمة بالحروب، وكان الشيخ مرجعا لهم في كل ما يجَد بينهم، يقضي بالعدل والحسنى ويرشدهم الى سواء السبيل.

## 2- الطريقة القادرية:

نجح الشيخ أبو بكر بن أحمد الشريف<sup>1</sup> تلميذ الشيخ محمد المنزلي في توسيع نفوذ القادرية إلى منطقة الجريد، بتأسيسه زاوية لها بتوزر سنة 1816، ثم وسع تلميذه ابراهيم بن أحمد الشريف النفطي (ت1878م) نفوذ الطريقة إلى نفطة أين أسس بها زاوية قادرية سنة 1843م سرعان ما امتد نفوذها من نفطة إلى بعض مناطق ليبيا وبعض مناطق الجنوب الجزائري المتاخمة لتونس وبالأخص منها منطقتي وادي سوف وطولقه<sup>2</sup>، وأصبحت تتمتع بنفوذ واسع في منطقة الجريد مما أدى إلى ارتفاع عدد أتباعها وتوسع نشاطها.

وتحولت قادرية الجريد وبخاصة زاوية نفطة إذ أصبحت بمثابة الزاوية الأم حيث شمل نفوذها زوايا الشرق الجزائري<sup>3</sup> والجنوب الشرقي وتأثر بها سكان الحدود الجزائرية من قسنطينة إلى واد سوف في أقصى الجنوب بل وصل تأثيرها الى عين صالح وتوات، والتوارق<sup>4</sup>. ويعود الانتشار الواسع للقادرية الى جهود الشيخ ابراهيم بن احمد الشريف وابناؤه الذين توزعوا في كامل بلاد الجريد وأسسوا زوايا للطريقة في مختلف المناطق لاسيما في

<sup>1</sup>- أبو بكر بن أحمد الشريف: أصله من الجزائر ينتمي إلى قبيلة لبازيد التي كانت تقطن في منطقة الزيبان، وقد هاجر جدهم الى تونس. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص: 320.

<sup>2</sup>- نفسه، ص: 320.

<sup>3</sup>- بلغ عدد سكان الشرق الجزائري عام 1851 حوالي 103896 نسمة وكان عدد المريردين للطريقة القادرية 8342 أي بنسبة 0.8 من السكان وذلك في تبسة وضواحي، خنشلة، مسكيانة، سوق اهراس، سدراتة، عين البيضاء، أم البواقي. ينظر: عميرايو احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مطبعة البعث، قسنطينة، د. ت، ص: 31.

<sup>4</sup>- صالحة السمراني، الطريقة القادرية في المغرب العربي تونس والجزائر انموذجا، جامعة الزيتونة، تونس، 2007-2008. ص: 82.

الجنوب الجزائري، فبعد وفاة والدهم تولى محمد الابن الأكبر شؤون الزاوية الأم بنقطة، وأسس ابنه الهاشمي زاوية في البيضاء وبالضبط في قرية عميش على بعد 10 كلم من الوادي، ويبدو أنه استجاب لنصيحة والده بالعودة الى دارهم الأصلية الجزائر<sup>1</sup>، وقام بتجنيد الأتباع ونشر الطريقة في أقصى الجنوب، فصارت له سلطة روحية على معظم أتباع الطريقة القادرية، وأصبح الرئيس المطاع بوادي سوف ونائبا لأخيه<sup>2</sup> وأما أخوهما محمد الطيب فقد نشر الطريقة بناحية ورقلة وأسس زاوية في الرويسات وكان له أتباع في الأغواط وغرداية وأسس أخوهم الحسين زاوية بقمار في وادي سوف والتي أقيمت في إطار التنافس مع التجانية في تلك الجهة. وأسس أخوهم آخر زاوية في تبسة وأخوهم السادس وهو محمد الامام أسس زاوية في صحن الشعانبة (سوف أيضا). أما في تونس فإنّ الاخوة أسسوا بالإضافة إلى زاوية نفطة، زوايا أخرى في عدة مناطق منها: قفصة (محمد العربي)، الكاف (محمد الأزهر)، قابس (الحاج أحمد)، وهكذا تفرعت القادرية إلى فروع صغيرة كثيرة ترجع في الواقع إلى عائلة واحدة (الشريف)<sup>3</sup>.

أما زاوية الكاف فقد أسسها سيدي محمد الميزوني (المازوني) أصيل مازونة بالجزائر وهي اليوم مدينة تابعة لولاية غليزان. ولعب هذا الفرع القادري دورا مهما في نشر مختلف العلوم سواء بين سكان مدينة الكاف من التونسيين والوافدين إليها من الجزائر لمختلف الأغراض سواء العلمية أو الاجتماعية أو غيرها، وبذلك تحوّلت هذه الزاوية الى محطة وقبله للجزائريين المارين إلى تونس<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عمار هلال، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص: 320.

<sup>2</sup> - علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (19م)، مطبعة الرمال، 2019. ص: 202.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4. ص: 47، 48.

<sup>4</sup> - صالحة السمراني، المرجع السابق، ص: 81.

وبفضل هذه الفروع الكثيرة للزوايا القادرية سواء في تونس أو الجزائر<sup>1</sup> والمرتبطة بالزاوية الأم بنقطة نشط التواصل العلمي بين البلدين على كامل الساحل الشرقي والجنوب الشرقي المحاذي لتونس، من خلال السند الصوفي القادري الذي يتصل بالشيخ علي بن عمار المنزلي، ويصل إلى شيخ الطريقة الأم ببغداد عبد القادر الجيلاني، وتتهض زاوياها بورد يتصل بسلسلة يقرأ في فترات معينة.

كما اهتمت الزوايا القادرية بمهمة التعليم في مراحلها الأولى القائم على التعليم القرآني وتلقين الأوراد ومبادئ الفقه والتصوف وهو ما اضطلعت به مختلف فروع الزوايا في جنوب شرق الجزائر وشرقها وغرب ووسط تونس وجنوبها، إلا أن التكوين الحقيقي يتم في زاوية نقطة القادرية أو زاوية توزر التي تولى امرها الشيخ المولدي بوعرقية<sup>2</sup>. وبذلك ساهمت زاوية نقطة بتخريج عدد كبير من المثقفين والمعلمين ورجال العلم من سكان الجزائر خاصة منطقة الشرق والجنوب الشرقي، ولم يقتصر فننوذها على هذا المجال الجغرافي المذكور بل تجاوزه إلى غدامس وغات والجزائر وعين صالح وتوات وتيدليكت سنة 1897م حسب بعض الباحثين<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر أن زاوية توزر القادرية التي أسسها الشيخ أبو بكر بن أحمد بن عبد الله في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وتولى من بعده ابنه المولدي، صارت ملاذا لأهل سوف يقصدونها لحفظ القرآن الكريم استعدادا لدخول جامع الزيتونة، وكان للشيخ المولدي

<sup>1</sup> - وصل فنوذ القادرية إلى الزيبان حيث ظهرت زاوية أولاد جلال (بسكرة) التي أسسها الشيخ الشريف بن ابراهيم الهاشمي سنة 1870 وهي زاوية علمية. ينظر: محمد نسيب، المرجع السابق، ص: 219، 220.

<sup>2</sup> - علي غنابرية، المرجع السابق، ص: 202.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص: 47.

أتباع من سوف يأخذون عنه الأذكار متجاوزين في ذلك الشيخ الهاشمي، ويجتمع بعضهم كل سنة ويزورونه في زاويته بتوزر<sup>1</sup>.

### 3- الطريقة الرحمانية:

تعد الطريقة الرحمانية من أهم الطرق الصوفية التي لعبت دورا كبيرا في التواصل العلمي والروحي والاجتماعي وحتى السياسي بين الجزائر وتونس لفترة طويلة، يعود جذور هذا التواصل إلى حياة المؤسس "الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري الجرجري" فقد نسج شبكة علاقات خلال مروره بالبلاد التونسية، وغرس مبادئ الطريقة بها في فترة مبكرة، وذلك ما يتضح من خلال مراسلاته إلى نقيبته بتونس بلحسن اليوسفي وهو يومئذ يقيم بالمشرق<sup>2</sup>.

وسرعان ما انتشرت تعاليم الأزهري في الجزائر خصوصا في شرقها ووسطها وفي تونس ويبدو أنها انتشرت بين الفقراء وسكان الأرياف بالخصوص، كما وصلت تأثيراتها إلى عدة مدن مثل قسنطينة أين كان ينشر مبادئها الشاعر الشعبي أبو القاسم الرحموني في أماكن التجمع العامة، كما انتشرت في الصحراء الشرقية ومنطقة الجريد بتونس<sup>3</sup>. وواصل خليفة الأزهري الشيخ علي بن عيسى المغربي الينبوعي<sup>4</sup>، ومقدمي الطريقة البارزين كالشيخ محمد بن عبد الرحمان باش تارزي<sup>5</sup>، مهمة نشر الطريقة في الشرق الجزائري وجنوبه إضافة إلى تونس.

<sup>1</sup> - علي غنابزية، نفسه، ص: 203 .

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص: 507.

<sup>3</sup> - نفسه، ص، 508.

<sup>4</sup> - Raymand . (A) ,op.cit,p :460

<sup>5</sup> عبد الرحمان باش تارزي (1222هـ/1807م): عبد الرحمان بن أحمد باش تارزي القسنطيني، أديب، ناظم، صوفي، نشأ بمدينة الجزائر ثم انتقل إلى قسنطينة فاستوطنها ونشر فيها الطريقة الرحمانية له عهدة المرید في بيان الطريقة، ومنظومة الرحمانية و"غنية المرید" شرح به نظم مسائل التوحيد وهي 41 مسألة، وله قصائد وموشحات. عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 31، 30، الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 198.

وقد أعطى الشيخ بأش تارزي عهد الطريقة بالجنوب الى مجموعة من الشيوخ والعلماء وأهل الصلاح، يتقدمهم الشيخ محمد بن عزوز البرجي الذي أسس زاوية البرج بطولقة في أوائل القرن 19م، ومن خلالها نشر تعاليم الرحمانية وكثر تلامذته ومقدميه في المنطقة الممتدة بين الزيبان والأوراس<sup>1</sup>. وقبل وفاة الشيخ محمد بن عزوز سنة 1233هـ قام بتعيين خمسة مقاديم من تلاميذه وهم: علي بن عمر (طولقة) والمختار بن خليفة (أولاد جلال) ومبارك بن خويدم والصادق بن الحاج (الأوراس)، وعبد الحفيظ (خنقة سيدي ناجي) وأوصى بخلافته لابنه مصطفى بن عزوز، وبعد حين أضيف فرعان آخران، فرع الهامل ببوسعادة، وفرع وادي سوف. وقد تولى الفرع الأول الشيخ محمد بن بلقاسم، وتولى الفرع الثاني الشيخ سالم بن محمد الأعرج<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة أنّ الشيخ محمد بن عزوز قد غادر زاويته البرج بطولقة عند احتلال فرنسا لمدينة بسكرة (1843-1844م) إلى نفطة أين أسس زاوية رحمانية آلت مشيختها من بعده إلى ابنه مصطفى (ت 1866م) والتي ذاع صيتها وصار لها نفوذ على الوسط، والوسط الغربي، مما حد من نفوذ زاوية الكاف الرحمانية التي تأسست في فترة مبكرة على يد أحد اتباع عبد الرحمان الأزهري وهو يوسف بوحجر أصيل الجزائر (عين تيموشنت) في ما بين (1821-1843م)، وتحوّلت خلال هذه الفترة إلى الزاوية الأم للطريقة في البلاد التونسية قبل أن تفقد هذه المكانة كما قلنا بظهور زاوية نفطة<sup>3</sup>.

إن رصد العلاقات العلمية بين القطرين من خلال هذه الطريقة لا يتأتى إلاّ بتسليط الضوء على أهمية ودور زوايا الطريقة وعلاقاتها بمختلف فروعها سواء في الجزائر أو تونس وتتبع حركة العلماء الحاملين لواءها وجهودهم في سبيل نشر العلم والمعرفة بين الشعبين.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص:216.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص:147.

<sup>3</sup> - التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 46.



وكان انتقال الأسرة العزوية البسكرية إلى نفطة وتأسيسها لزواية بها بداية لتمتين الروابط العلمية والثقافية بين الجزائر وتونس، فقد تحوّلت هذه المنشأة إلى منارة للعلم والتصوف، وملجأً للهاربين من بطش الاستعمار الفرنسي.

قصد زاوية نفطة الوفود الطلابية من الجنوب الجزائري ومن الشرق القسنطيني وبلاد القبائل ومن الأوراس وغيرها<sup>1</sup>، وفي زوايا وكتاتيب نفطة وجد مئات من الجزائريين مستقرا ومقاما لتلقي العلم، والتتلمذ على كبار علماء هذه القرية الذين قاموا بدور بارز في تلقين الناشئة الجزائرية مبادئ العربية والدين الاسلامي. وتبعاً لذلك اختلطت العائلات والأصول وامتزجت الدماء وقويت المصاهرات، واشتهرت نفطة كمركز من مراكز العلم بالنسبة للجزائريين المقيمين على امتداد التخوم الجزائرية، وتداخلت لهجتها باللهجات المتداولة في الجنوب التونسي وعاداتها بعادات الجزائريين<sup>2</sup> وغيرها من الأوطان المغاربية لاسيما في تونس، وحسبنا أن نحصي أسماء من درس بهذه الزواية من أمثال الشيخ علي بن عمر (1830-1891م)<sup>3</sup> صاحب زاوية طولقة، وقاسم بن محمد علي الخيري الجزائري (ت1890م)<sup>4</sup> والعربي بن عطية البوعبدلي الشلبي<sup>5</sup>، ولعل أشهرهم على الإطلاق هو الشيخ محمد بن عيسى الجزائري (1828-1892م)<sup>6</sup> العالم باللغة والتفسير الذي تولى رئاسة الكتابة العامة ثم خطة الإنشاء سنة 1885، ثم انقطع عن العلم إلى غاية وفاته وكانت له اسهامات كبيرة في الحياة الفكرية التونسية، ومنهم أيضاً الشيخ عبد الحفيظ صاحب زاوية

<sup>1</sup> - سليمان عشراتي، العالم الاسلامي خلال القرنين 18م، 19م، دار الغرب للنشر، الجزائر، 2004، ص: 226.

<sup>2</sup> - محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص: 221 ، 222.

<sup>3</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 203.

<sup>4</sup> - سليمان عشراتي، المرجع السابق، ص: 205.

<sup>5</sup> - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 189.

<sup>6</sup> - عمار هلال، العلماء الجزائريون، المرجع السابق، ص: 60.

خنقة سيدي ناجي والشيخ المدني التواتي والشيخ مبارك بن خويدم والشيخ محمد المكي بن عزوز<sup>1</sup> ومحمد الخضر حسين<sup>2</sup> وغيرهم كثير.

وتواصل المد الجزائري إلى زاوية نفطة منذ انشائها، فأهل بسكرة و تقرت والوادي كانوا يقصدونها للتعليم والسلوك معاً<sup>3</sup>، لكونها مدرسة هامة لتعليم القرآن وحفظه، وتدرّس كافة فنون العلم، حيث جهزها الشيخ مصطفى بن عزوز ببيوت لسكن المتفرّغين لطلب العلم وأحضر لها كبار العلماء من مختلف الجهات، كما أسس عدة زوايا أخرى بتونس كان لها أثر بعيد في تعليم القرآن الكريم وحفظ العقيدة الإسلامية، منها: زاوية توزر، القصرين جرجيس، جندوبة، غد امس، النوبة و الكاف ووسع أبناؤه وأحفاده الزاوية إلى مناطق أخرى فخلفه الحفناوي على زاوية نفطة، وأسس محمد زاوية بالقيروان، ومبروك زاوية بالأغواط وتوفي فيها سنة 1888م، وأنشأ حفيده الكامل بن المكي بن عزوز فرع للرحمانية في سوق أهراس<sup>4</sup>، وفي أواخر القرن 19 أنشأ محمد الأزهري ت 1896م بن عبد الحفيظ الخنقي زاوية في خيران في ششار (قرب خنشلة) امتد نفوذها وتأثيرها إلى داخل الحدود التونسية. وكانت له مراسلات مع أخويه في تونس وتمغزة وكلاهما يكن له الاحترام، فقد أسس محمود زاوية في تمغزة بالجنوب الغربي لتونس، والحفناوي أنشأ أخرى بتونس العاصمة وكانا على صلة بزاوية نفطة الرحمانية العزوزية، ولعبت هذه الفروع التي تعود قيادتها ومؤسسيها إلى أصول جزائرية دورا بارزا في الحياة العلمية والفكرية في البلاد التونسية<sup>5</sup>.

ولم تنقطع الصلة بين الجزائريين والتونسيين بفضل الترابط والتناسق والصلة المتينة التي وثقت عراها الطريقة الرحمانية من خلال فروعها المنتشرة في البلدين، ولذا ظلت الزيارات

<sup>1</sup> - عمار هلال، العلماء الجزائريون، المرجع السابق، ص: 63.

<sup>2</sup> - محمد الخضر حسين، المرجع السابق، ص: 06.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص: 153.

<sup>4</sup> - نفسه، ص: 182.

<sup>5</sup> - نفسه، ص: 151، 152.

والهجرات متبادلة بين الطرفين خاصة العلمية منها إلى الربع الأول من القرن 20م، ويمكن ذكر بعض الأمثلة عن هذه الحركة الفكرية والعلمية المتبادلة بين الطرفين، فقد التحق بزواوية نفضة كل من محمد بن عبد الباقي أبو محمد بن الشيخ بن أحمد أبي القاسم الديسي رفاة ابن عمه محمد الشلالي بن أحمد بن بلقاسم لطلب العلم والتعلم على علماء الزاوية عند صهرهما سيدي مصطفى بن عزوز زوج اختيهما، وبعد سنوات جاء إلى والديهما خبر وفاتهما معا وذلك في حدود سنة 1285هـ<sup>1</sup>، وقيل أن لفرع الزاوية الرحمانية بوادي العثمانية (ميلة) التي يتزعمها الشيخ علي بن الحملوي في نهاية القرن 19 (1897م) أتباعا في تونس(وطرابلس والقاهرة وجدة)<sup>2</sup>.

وظلت الزوايا الرحمانية بالجزائر قبلة للطلبة والعلماء من مختلف الأصقاع، ولاسيما زوايا الزيبان والاوراس فزواوية خنقة سيدي ناجي كانت أكثر الزوايا اهتماما بالعلم والعلماء، ولعل الدور يعود فيها إلى المسجد الذي بني على منوال جامع الزيتونة وكانت الزاوية الناصرية (سيدي ناجي) بجامعة الكبير ومدرستها قد اشعت الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين من الزمن، فكانت مقصد لعلماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة وزواوة وحتى من تونس وليبيا<sup>3</sup>.

وتشرفت زاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف بزيارة ثلة من أهل العلم والصلاح من البلاد التونسية نذكر منهم الشيخ إبراهيم البخترى ومحمد بن محمد النفطي من علماء الجريد والشيخ العروسي بن عزوز والشيخ المكي بن عزوز والشيخ الأخضر بن الحسين شيخ جامع الأزهر بمصر وغيرهم، وقد لقوا دروسا ومواعظا لما زاروا الزاوية ومكثوا بها ضيوفا عدة

<sup>1</sup> - الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص:519، 520.

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص:169.

<sup>3</sup> - لزغم فوزية، المرجع السابق، ص:126، 127.

أيام<sup>1</sup>. وحظيت زاوية الهامل الرحمانية بزيارة السادة العلماء من حاضرة تونس في مناسبات مختلفة ومن بينهم الشيخ المكي بن عزوز حيث تردد عليها مرات<sup>2</sup> ودرّس وأجاز مجموعة من العلماء من أمثال العالم التقي محمد بن الحاج محمد الهاملي، والفقير الدراجي بن عبد الله الصولي العقبلي، والإمام الطاهر دالي علي البسكري<sup>3</sup>.

وهكذا تعددت مظاهر التواصل العلمي بين الجزائر وتونس بفضل العلاقات القوية بين أبناء وأقطاب الطريقة الرحمانية بالبلدين، ومن أهم مظاهرها بعد الزيارات العلمية والإجازات، هو تبادل الرسائل الإخوانية ومنها رسالة الشيخ مصطفى بن عزوز إلى شيخ زاوية طولقة الرحمانية علي بنعثمان التي يبين فيها مكانة هذا الشيخ عنده ومما جاء فيها: "الحمد لله وحده المحب الأكمل سيدي وابن سيدي وعمدتي في ديني ودنياي خليفة شيخنا وولده وهو شيخنا، نورنا ونزهتنا شيخ البركة سيدنا علي بنعثمان بن مولاي علي بن عمر... سلام الله عليك ألف أوف وعلى كافة أخوتك أسيادنا، وبعد فما نسيتم بالدعاء والتفكر، وعند تفكيري فيكم أحس كأنه لهب صاعد من بدني الضعيف، جمعنا الله بكم على أحسن حال، وإني وصلت إلى الفيض بعافية، وأن البكاء ملازمي، فلا نبكي إلا عليكم، ولا نتفكر إلا فيكم، والله أنتم أعز علي من أولادي، ومن إخوتي ومن جميع الناس ولكن يا أولاد علي بن عمر المنور ولا يخصكم شيء إن شاء الله، ولا نخدم إلا عليكم، وإني مملوك لأولاد علي بن عمر يبيعون مصطفى بخروبة أو أكثر، ونطلب الله أن يجمعني بكم في أقرب وقت إن شاء الله آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- إبراهيم مياسي، الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف، حولية المؤرخ، العدد 1، 2002. ص: 315، 316.

<sup>2</sup>- تزوج الشيخ المكي بن عزوز من ضواحي بوسعادة ورزق بابنه الكامل الذي رجع إلى الجزائر بعد تخرجه من الزيتونة وأسس زاوية رحمانية بسوق اهراس.

<sup>3</sup>- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 315.

<sup>4</sup>- سليمان الصيد، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومه، الجزائر، 1998، ص: 25، 26.

وتبين من خلال هذه الرسالة مدى تقدير العلماء لبعضهم البعض والاعتراف الضمني بمكانة الطرف الآخر العلمية، حيث أشاد الشيخ مصطفى بن عزوز بالشيخ علي بنعثمان رغم صغر سنه وذلك تقديرا لعلمه ومشيخته على الزاوية ووفاء لمكانة والده الشيخ علي بن عمر أحد أعمدة الطريقة وأقطابها. كما أن الشيخ علي بنعثمان كانت تربطه علاقة محبة وتقدير واحترام بشيخه بن عزوز، وهو بذلك يقتدي بأثر والده الذي كان يشاور شيخه بن عزوز في كل ما يعمله في زاويته، "وإذا فعل شيئا من غير مشورته أتاه معتذرا مما صدر منه"<sup>1</sup>.

#### 4- الطريقة التجانية:

تعتبر الطريقة التجانية طريقة روحية علمية بفضل اهتمام مؤسسيها الأوائل بالعلوم الدينية، كتحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعلومهما وعلوم التصوف والبلاغة والنحو والفقه وغيرها من العلوم، ومن أجل رفع المستوى العلمي لأبناء زوايا الطريقة وكل طالبي العلم بها، استقدم شيوخ الطريقة وعلى رأسهم الشيخ علي التماسيني مجموعة من العلماء من مختلف الأمصار<sup>2</sup> للاستفادة من كفاءتهم العلمية، ونتيجة لاهتمام الشيخ الحاج علي وخلفائه بالعلم والعلماء وتشجيع المتعلمين نشأت حركة علمية وثقافية مزدهرة للزاوية في عهده مكنت أبناءها من نيل نصيبهم من حفظ القرآن الكريم وعلوم العصر، خصوصا الفقه وأصول الدين، وكانوا هم بعد ذلك أساتذة ومدرسين بالزاوية في الجيل الأول بعدهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - سليمان الصيد، المرجع السابق، ص: 25.

<sup>2</sup> - قدم إلى زاوية تماسين وقمار التجانيتين علماء من المغرب، تونس، مصر، موريتانيا، مصر، بلاد سوف.

<sup>3</sup> - أمينة تجاني، مقاربة سيميائية للثلاثية العرفانية، الدويحة، المسيحة، السبيحة، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف،

الجزائر، 2019. ص: 13، 14.

ونفس الشيء يقال عن زاوية قمار التجانية فقد أولت للتعليم أهمية كبيرة والذي بلغ شهرة واسعة في الجزائر وخارجها، خاصة البلدان المجاورة بسبب عناية شيوخ الطريقة بالعلم والعلماء كتقريبهم وتبجيلهم وتخصيص رواتب لهم واستدعاء الفقهاء والأدباء الكبار<sup>1</sup>.

ومن بين دول الجوار التي عمقت الطريقة التجانية علاقاتها العلمية بها هي الجارة تونس، فقد توغلت الطريقة داخل الإيالة سواء في شمال البلاد أو وسطها أو جنوبها كما أشرنا إلى ذلك في الكلام عن تطور وتوسع الطريقة داخل البلاد التونسية، ومن أهم مظاهر العلاقات العلمية في إطار هذه الطريقة مع تونس هي جلب زوايا الطريقة خاصة تماسين وقمار لكبار العلماء التونسيين بغرض التدريس والتعليم وتكوين أجيال مثقفة من أبناء الزاوية ومربيها وطالبي العلم بها.

فمن الذين استقدمهم الحاج علي التماسيني إلى زاويته نجد كل من الشيخ المختار السوداني التونسي<sup>2</sup> رفقة صديقه في الطريقة التجاني بن بابا الشنقيطي<sup>3</sup> اللذان درسا سنة 1259هـ أبناء الزاوية مختصر خليل وبعض شروح الألفية، والشيخ علي السوداني دفين تماسين الذي درّس الفقه والحديث واللغة والكيمياء والفلك وسر الحرف وغيرها من الرياضيات<sup>4</sup>، والشيخ عمر العلاني القيرواني التونسي الزيتوني الذي أجازته علي إجازة

<sup>1</sup> - السعيد عقبة، جوانب من الحياة الفكرية، الملتقى الدولي الثاني للطريقة التجانية حول الخطاب الصوفي التجاني زمن العولمة، زاوية قمار، الوادي، 2008، ص:50.

<sup>2</sup> - السوداني: هو لقب لأسرة بالجنوب التونسي (توزر) عرفت بمكانتها العلمية ومؤازرتها للطريقة التجانية.

<sup>3</sup> - التجاني بن بابا الشنقيطي: أديب ورحالة وفقه وشاعر ولد بشنقيط بموريتانيا وفيها نشأ وتعلم في بيت علم وأدب، قدم إلى المغرب سنة 1257هـ/1841م والتقى بكثير من أصحاب أحمد التجاني منهم الشيخ العربي بن السايح، زار تماسين سنة 1257 هـ /1842م، وتردد على عين ماضي، ورحل إلى المشرق مارا بتونس أين التقى الشيخ إبراهيم الرياحي، توفي بالمدينة المنورة رفقة المختار السوداني سنة 1266هـ/1849، ترك بابا الشنقيطي مؤلفا سماه منية المريد. ينظر: التجاني بن بابا الشنقيطي، منية المريد، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع، تغزوت، الوادي، الجزائر، 2008. ص:13، 14.

<sup>4</sup> - الصادق العروسي، المرجع السابق، ص:69.

مطلقة بعد أن لازمه مدة طويلة ونال منه حظا عظيما من الخصوصية المرموقة<sup>1</sup>، وقد كان العلاني يدرس في كل مرة يقدم فيها لزيارة تماسين.

ومن الأسماء التونسية البارزة في التدريس بزواوية تماسين أثناء خلافة أبناء الحاج علي التماسيني نجد الشيخ النفطي، والشيخ المكي بن عزوز<sup>2</sup> والشيخ المبارك المازقي التغزوتي<sup>3</sup> أصلا الجريدي التوزري منشأ ودارا الذي درّس سنوات عديدة ونبغ على يديه أعلام منهم الخليفة السادس محمد العيد الثاني والشيخ السائح حقي التجاني و الشيخ السوسي التونسي وهؤلاء العلماء وفدوا إلى الزاوية في عهد الشيخ محمد الصغير<sup>4</sup> والشيخ محمد حمة<sup>5</sup>.

وتوالت حركة العلماء التونسيين نحو زوايتي تماسين و قمار، فقد قصدها علماء كبار وجهابذة علم من أمثال حجة الزيتونة العلامة إبراهيم الرياحي<sup>6</sup>، والشيخ عثمان النفطي<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> - الصادق العروسي، المرجع السابق ، ص- ص: 70-72.

<sup>2</sup> - الشيخ المكي بن عزوز: ت1334هـ/1915م: ابن مصطفى بن عزوز تعلم بزواوية نفطة ثم انتقل إلى الزيتونة حيث برع في مختلف العلوم وأصبح من كبار علمائها، تولى القضاء والإفتاء بنفطة، ضابقتها السلطات الاستعمارية فهاجر إلى الأستانة حيث توفي بها، وقد قصد زاوية تماسين للإقامة والتدريس بها سنة 1896م. ينظر: أبو عمران الشيخ، المرجع السابق. ص: 315.

<sup>3</sup> - المبارك المازقي: يعود أصله إلى بلاد سوف (تغزوت)، لكنه ولد ونشأ في بلاد الجريد التونسي (نفطة- توزر)، تعلم بمسقط رأسه، ثم هاجر إلى الأزهر لطلب العلم، وبعد رجوعه مارس مهنة التدريس في توزر، زار تماسين وقمار ومكث بهما للتدريس. له قدرة في نظم المسائل الفقهية وتأليف بعض الكتب منها "شرح على متن الأجرومية في النحو" توفي سنة 1354 هـ/1935م.

<sup>4</sup> - محمد الصغير: (1232-1309 هـ/1817-1892م): نجل الحاج علي تولى شؤون الزاوية بعد وفاة محمد العيد سنة 1875م واصل سياسة أخيه وحقق الاستقرار وكثير من الانجازات داخليا وخارجيا خاصة في المجال العلمي. أكثر تفصيل حول هذه الشخصية ينظر الفصل الرابع.

<sup>5</sup> - محمد حمة: (1260-1331 هـ/1844-1912م): نجل الشيخ محمد العيد، تولى شؤون زاوية تماسين سنة 1893 خلفا لعمه معمر 1893م، تميز بتضلعه في مختلف العلوم وحنكته الدبلوماسية، واهتمامه بالحركة العلمية والفكرية والعمرائية بتماسين وقمار حقق عدة انجازات منها توسيع الطريقة في بسكرة وعين البيضاء. أكثر تفصيل حول هذه الشخصية ينظر الفصل الرابع.

<sup>6</sup> - ينظر تعريفه في الفصل الرابع.

<sup>7</sup> - عثمان نفطي: (ت1350هـ/1932م): عُرف بعلمه الواسع، تولى قضاء توزر، ثم رحل إلى تونس من أجل التدريس بالجامع الأعظم له مؤلفات كثيرة.

والشيخ محمد بن عماره شونان الجريدي التوزري<sup>1</sup>، والشيخ مناشو<sup>2</sup> أحد كبار علماء الزيتونة البارزين، وهذان العالمان الأخيران درّسا بالزاوية في فترة تولي شؤون الزاوية للشيخ البشير الأول<sup>3</sup>، والشيخ العيد الثاني<sup>4</sup>، كما يضاف لهم أيضا الشيخ أبو علاق التوزري والشيخ أبو بكر القادري التوزري، وعلماء من أسر علمية شهيرة بالحاضرة كآل بيرم وآل النيفر وآل جعيط وآل خوجة<sup>5</sup>.

ومن مظاهر التواصل العلمي اهتمام الزاوية بالارتقاء بأبنائها ومريديها في تحصيلهم العلمي و المعرفي عن طريق إرسالهم في بعثات طلابية<sup>6</sup> إلى جامعة الزيتونة بتونس وفروعها بتوزر عاصمة الجريد، لينهلوا من مختلف المعارف العلمية و اللغوية، وعملت الطريقة على توطيد نفوذها بالبلاد التونسية عن طريق بناء زوايا ومساجد تابعة لها بشراء ممتلكات عقارات بمختلف أرجاء الإيالة، وظلت هي القائمة على شؤون هذه المؤسسات الدينية لفترة طويلة من الزمن من خلال تموينها والانفاق عليها وعلى القائمين بها، وتكفلت زاوية تماسين بجميع أشغال التوسعة والبناء لهذه المرافق.

<sup>1</sup> - محمد بن عمارة شونان الجريدي التوزري: ولد بتوزر وتعلم بنفطة دخل الزيتونة وبها نال العلوم، زار غرداية وتصلح في الفقه الإباضي، ودرّس بزاوية تماسين التجانية، وكان عالما بالفقه والحديث ملما بالأدب والتاريخ توفي بالقرارة سنة 1946م

<sup>2</sup> - الشيخ مناشو (1882-1933م): درّس بالزيتونة وتحصل على أعلى الدرجات العلمية به، اشتهر بميله للأدب و الصحافة ، علي غريسي، زاوية طرنجة، المرجع السابق، ص- ص: 35-37.

<sup>3</sup> - البشير الأول (1278/1336 هـ/ 1861-1918م): علي غريسي، أعلام وأختام، ج1، المرجع السابق، ص: 41-44.

<sup>4</sup> - العيد الثاني : (1309 هـ- 1892/346-1927): نفسه، ص-ص: 47-56.

<sup>5</sup> - حقي التماسيني، المرجع السابق، ص: 67.

<sup>6</sup> - أهم البعثات الطلابية للزاوية نحو جامعة الزيتونة كانت في ثلاثينيات القرن العشرين (1931-1932-1933م) وقد شملت من العنصر النسوي الفتاة فريحة بنت العيد بن محمد الكبير التجاني. ينظر: اللولب حبيب حسن، الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، ط1، 2013. ص: 413.



ومن أمثلة العمل الجبار الذي قامت به الزاوية هو تأسيس زاوية الطرنجة بالعاصمة تونس على أنقاض محلات متفرقة تم شراؤها في أوقات متفاوتة، أربعة منها على عهد الحاج علي التماسيني وثلاثة أجزاء اشتراها محمد العيد الأول نجل الحاج علي، وكل الوثائق التي تمت بها عملية البيع والشراء موثقة في عقود رسمية<sup>1</sup>، وقام محمد حمة التجاني بتجديد زاوية توزر (جنوب تونس)، واشترى قطعة وأضافها لزاوية باب منارة بالعاصمة تونس<sup>2</sup> ولم تفك الزاوية ارتباطها بكثير من المؤسسات الدينية في تونس إلا في فترة متأخرة وقد حصلنا على وثيقة تنازل فيها شيخ زاوية تماسين عن تسيير مسجد الفركوس في توزر لصالح الحكومة التونسية<sup>3</sup>.

ومن بين مظاهر العلاقات العلمية في إطار نشاط الطريقة التجانية وزاويتها تماسين داخل التراب التونسي، هي تلك الإجازات الكثيرة التي منحها شيوخ وعلماء الزاوية لصالح أعيان وعلماء الايالة التونسية عبر فترات زمنية مختلفة وفي مناسبات عديدة. مست هذه الاجازات فئة واسعة من أعيان تونس، ممثلة في رجال الدولة على اعلى مستوى ك بعض بايات الأسرة الحسينية، والوزراء والكتاب، كما استفاد منها علماء كبار وبعض مقدمي الطريقة من الفقهاء ورجال العلم<sup>4</sup>.

وكل هذه الجهود والأعمال من زاوية تماسين داخل الأراضي التونسية انعكس إيجابا في تدعيم الحياة العلمية والفكرية بها وساهم في تحقيق التعاون والترابط الثقافي بين البلدين وهو ما جعل صاحب الصروف يدلي بشهادته عن الدور الذي لعبته الطريقة في التواصل العلمي

<sup>1</sup> - علي غريسي، الزاوية التجانية طرنجة، المرجع السابق، ص- ص: 8-11.

<sup>2</sup> - علي غريسي، أعلام وأختام، المرجع السابق، ص: 36.

<sup>3</sup> - وثيقة من أرشيف الزاوية بتماسين ممضاة من طرف الشيخ البشير بن العيد (1978-2000) نائب زاوية تماسين يعطي جامع الفركوس بتوزر لصالح الدولة التونسية. وقد سلمت لنا هذه الوثيقة من طرف علي غريسي.

<sup>4</sup> - سنقدم نماذج عن هذه الإجازات في الفصل الرابع باعتبار أن معظم هذه الإجازات عبارة عن رسائل من الزاوية إلى أعيان تونس.

والتقافي مع الحاضرة التونسية بقوله: "إن رجال الزاوية التجانية المذكورة قاموا بدور عظيم في سبيل حفظ القيم الإسلامية والروح العربية في هذه الربوع، وامتتوا الصلة الثقافية بين علماء تونس، وأهل واحات تقرت"<sup>1</sup>. كانت الصلة بين الزاوية التجانية المذكورة وتونس متمثلة في انتشار المبدأ الصوفي للولي الصالح الشيخ أحمد التجاني بتونس بواسطة الولي الصالح الشيخ الحاج علي التماسيني وخلفه. وفي جامعة الزيتونة التي تعتبر عند أهالي واحات تقرت المثل الأعلى لطلاب الثقافة العربية الإسلامية.

كما نبع كثير من أسرة التجاني في الثقافة الإسلامية و الآداب العربية منهم الشيخ محمد الصغير الذي امتاز بسمة العلماء من تواضع وبساطة ودمائة أخلاق، وكان يدرس الفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف في مكان ضريح الشيخ الحاج علي التماسيني، ومنهم الشيخ محمد السايح<sup>2</sup> الذي عرف بركة شاعريته، فكان شعره على غرار البحثري وابن زيدون. وهو مع ذلك ناثر على غرار الجاحظ وابن قتيبة، ويعتبر هذا الأديب من أكبر أصدقاء الشاعر التونسي الشيخ العربي الكبادي<sup>3</sup>، كما كانت له صلة بكثير من علماء تونس وأدباءها.

<sup>1</sup> - إبراهيم العوامر، المصدر السابق، ص: 33، 34.

<sup>2</sup> - محمد السايح بن محمد العروسي: ولد محمد السايح سنة 1866م بأمية الفرجان وهي منطقة تبعد عن تقرت نحو 40 كلم شرقا، تلقى تعليمه بزاوية قمار عن ثلة من العلماء على رأسهم والده محمد العروسي ابن محمد الصغير التجاني، تولى مشيخة زاوية قمار بعد وفاة والده سنة 1920م واستمر في مهمته إلى تاريخ وفاته سنة 1948م، عُرف بميولاته الأدبية خاصة الشعر منها، وقد ربطته علاقات صداقة مع كثير من أدباء تونس مثل الشعر التونسي العربي الكبادي. عبد الباقي مفتاح، التعريف بالزاوية التجانية بقمار، الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري، قمار 9-11 أكتوبر 2001، ص: 04، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، المرجع السابق، ص- ص: 3-5.

<sup>3</sup> - محمد العربي الكبادي: ولد بتونس سنة 1880م من أسرة وفد أوائلها من المغرب الأقصى، درس بجامع الزيتونة فحاز رتبة التطويح، كما درّس بنفس الجامع منذ 1903م، ودرّس بالمدرسة العليا للغة والآداب العربية من 1925-1950م وتخرّج على يديه نخبة من الأدباء والعلماء. اشتغل بالصحافة حيث تولى رئاسة تحرير جريدة النهضة سنة 1909، وساهم في الحركة الأدبية والعلمية في بلاده من مختلف المنابر، وعرف بأشعاره الكثيرة و لقب بشاعر القصر وشيخ الأدباء، وافته المنية في 7 فيفري 1961م. mawsouaa.26-03-2020 الدخول على الساعة 11:55 صباحا.

## 5- طرق أخرى:

رغم أنّ التواصل العلمي والفكري والروحي بين الجزائر وتونس شمل بدرجة كبيرة الطرق الصوفية السابقة الذكر لاسيما فروعها على الشريط الحدودي مع تونس إلاّ أن هناك طرق أخرى وفروع للطرق سالفة الذكر علاقات وتواصل مع البلاد التونسية، لعل أبرزها الطريقة المدنية، فقد أخذ مقدم هذه الطريقة في الجزائر الشيخ يحيى بن أحمد ( أولاد نائل في الجنوب والوسط) الإجازة عن أحمد بن عبد الله المدني (المداني)، وكان هذا الأخير قد أخذ الطريقة عن والده أحمد بن عبد الله التونسي الصفاقسي الذي أخذها بدوره عن الشيخ محمد ظاهر بن حمزة المدني، وهذا أخذها عن الشيخ محمد العربي الدرقاوي<sup>1</sup>.

وتلقى رائد القادرية ومقدمها بالأغواط خلال القرن 19م "الحاج العربي موتح" إجازة من شيخ الطريقة بتونس<sup>2</sup>، وخلال مرور الشيخ محمد السنوسي بأرض الجريد، أقام بقابس مدة قصيرة بين سنتي 1822/1823م ودرّس بزواوية بولبابية، ثم عاد من جديد إلى هذه المدينة سنة 1841م ومكث بها مدة سنة ومنها غادرها إلى بنغازي، ويبدو أنه أسس لطريقته خلال هذه الفترة وكسب أعدادا من المريدين والأتباع، حيث التحق به من قابس إلى بنغازي مجموعة من التونسيين أبرزهم عبد الله التواتي، و محمد بن الشفيع وأحمد بن فرج الله الدرقاوي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص:125، 126.

<sup>2</sup> - فاطمة دجاج، مجتمع الأغواط خلال القرن 19م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2018، 2019، ص:218.

<sup>3</sup> - محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص - ص:53-67.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من الجزائريين خلال القرن (11هـ/17م) قصدوا الزاوية القشاشية في تونس سواء للتعلم أو طلب البركة والشفاء، وكان الشيخ يستقبلهم ويعاملهم معاملة حسنة ويجيبهم عن كل احتياجاتهم<sup>1</sup>.

ثالثاً: دور شيوخ الزوايا في ربط الصلات العلمية بين الجزائر وتونس.

- الشيخ المختار بن خليفة الحدباوي انموذجاً

1- مولده ونشأته:

ولد المختار بن خليفة بن بلقاسم سنة 1244هـ / 1828م بواد الحكم بضواحي عين بوسيف التابعة آنذاك لقصر البخاري، وتصادف مولده بهذه المنطقة التي تعتبر مصيفاً للعائلة حيث لها بعض الأملاك بعيداً عن موطنها الأصلي بمنطقة بوية الأحداب المحاذية لجبل الخيثر وكان بكر أبيه إذ له من الأخوة أربعة وهم عبد القادر، بلقاسم، محاد الطيب و التونسي وأختين هما مباركة، وحليمة. نشأ المختار في عائلة علم وجاه ونسب فهو ابن خليفة بن بلقاسم بن قويدر بن جلول بن الطاهر بن سيدي عيسى بن عبد الرحمان بن سيدي الناصر مول الحدبة الحدباوي الذي ينتهي نسبهم إلى آل البيت الشريف<sup>2</sup>، وأمه رنجة بنت البشير رعاش من عرش أولاد عبد القادر العريق<sup>3</sup>.

حرص الشيخ خليفة الفقيه، المتصوف الورع على تنشئة ابنه المختار على مبادئ الشريعة الإسلامية، حيث لقنه القرآن الكريم وما تيسر من علوم الفقه و اللغة العربية بزوايته

<sup>1</sup> - المنتصر القفصي، نور الأرماس في مناقب القشاش، دراسة وتحقيق لطفي عيسى، حسين بوجرة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1998، ص:194.

<sup>2</sup> - مقابلة شفوية مع الشيخ خليفة البشير شيخ زاوية عين اقلال يوم، 10، 6، 2020، الساعة الحادية عشر ليلاً.

<sup>3</sup> - عرش أولاد عبد القادر: بن امحمد بن عبد الرحمان بن السالم دفين أولاد الشعير (بلدية محمد بوضياف حالياً بولاية المسيلة) استوطنوا منطقة زاغز بالجلفة وبسطوا نفوذهم بها واعتبروا عرش مخزن في العهد العثماني، وأشهر أغواتهم بلقاسم بن الرعاش الذي قتل بقصر الرياس مقر السلطة المركزية.

الرحمانية بعين اقلال<sup>1</sup>. ونجد إشارة واضحة لذلك في رسالة الشيخ خليفة وهو يخاطب ابنه المختار وهو آنذاك بتونس<sup>2</sup>:

عَلَّمَكَ الْقُرْآنَ مَعَ الرَّسْمِ وَحَطُّهُ يُغْنِيكَ عَنِ الْإِسْمِ  
تمتع الشيخ المختار منذ صغره بأخلاق متميزة غلب عليها التقوى والورع وحب العلم ومجالسة العلماء، والمداومة على حضور الحلقات والمجالس العلمية، وهو ما سهل له حفظ واستيعاب كثير من مبادئ العلم الأولية كالمتون الفقهية وبعض الشروحات والأحاديث النبوية. وأما عن سماته الخلقية فحسب جواز سفره المؤرخ في 4 رجب 1286هـ/1869م و المؤشر من طرف وزارة البحر بالدولة التونسية، فهو أسمر البشرة، ذو شعر كثيف (حالك)، أحول العين، وكوسج اللحية<sup>3</sup>.

## 2- رحلته العلمية:

شاعت عن بعض الزوايا فكرة استقبال التلاميذ من البلدان المجاورة وتوجيه بعض البعثات الطلابية إلى تونس منذ أواخر الثلاثينيات القرن العشرين<sup>4</sup>، لكن يبدو أنّ زاوية عين اقلال الرحمانية الحدباوية سبقت الكثير من هذه الزوايا، حيث أرسلت ابنها المختار بن خليفة مع منتصف أربعينيات القرن 19م / 13هـ للتعلم في تونس ولم يتجاوز عمره آنذاك العشرين

<sup>1</sup> - يقع مقر هذه الزاوية المعروفة بزواوية عين اقلال والمشهورة بزواوية الحاج المختار بتراب بلدية بويرة الأحداب (ولاية الجلفة) من الجهة الجنوبية للبلدية المحاذية لسفح جبل الخيثر، أين يوجد منبع ماء عين اقلال الذي تتسب له تسمية الزاوية، والتي يعود تأسيسها إلى سنة 1225هـ/1811م على يد الشيخ أبو القاسم بن جلول الأحدايي، الذي أخذ الطريقة الرحمانية علن مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري، عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الرحمانية منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل، الجزائر، ط1، 2013، ص:776.

<sup>2</sup> - رسالة الشيخ خليفة لابنه المختار موجودة بأرشيف زاوية عين اقلال وستعرض لها حين الكلام عن رحلته العلمية.

<sup>3</sup> - من جواز سفر الشيخ المختار الذي مر به من الجزائر إلى تونس، وتوجد نسخه منه في خزانة زاوية عين اقلال.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص:198.

سنة<sup>1</sup>، فقد وصل نفطة أين تأسست الزاوية الرحمانية العزوية كأول محطة في رحلته العلمية، ويبدو أنه بقي مدة طويلة بها محصلا لمختلف العلوم في البداية، ثم مدرسا بها فيما بعد (1866-1872م)، وربما اغتتم فرصة تواجده بالأراضي التونسية للدراسة في جامعها الأكبر الزيتونة .

ان انقطاع الشيخ المختار عن أهله وهو بتونس هيج حنين والده فبعث له برسالة منظومة على شكل أرجوزة بث فيها أشواقه وعتابه ومما جاء فيها<sup>2</sup>:

|   |   |
|---|---|
| سَلَامُ اللَّهِ لِلْفَتَى الْأَوَابِ      | مَا حَنَّ مُشْتَاقٌ إِلَى الْأَحْبَابِ    |
| مَنْ فَاءَ بِالْعِلْمِ عَلَى الْأَكَابِرِ | وَأَمْتَنَّا لثَّ لِأَمْرِهِ الْجَبَابِرِ |
| مِنْ أَبِيهِ لِابْنِنَا                   | وَلَدِنَا الْمُخْتَارُ بَنَ خَلِيفَةَ     |
| إِنَّ الْمُسْلِمَ عَلَيْكَ أَبَاكَ        | مَنْ كَانَ فِي صِغْرِكَ رَبَّكَ           |
| عَلَّمَكَ الْقُرْآنَ مَعَ الرَّسْمِ       | وَحَطُّهُ يُغْنِيكَ عَنِ الْإِسْمِ        |
| أَشْفِقُ عَنْكَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي  | فِي حَالَةِ الصِّحَّةِ وَالْأَمْرَاضِ     |

إلى أن يقول:

رُدِّ لِي الْجَوَابَ يَا حَبِيبُ      لِيَطْمَئِنَّ الْقَلْبَ وَيَطْيِبُ

استطاع الشيخ المختار في محطته الأولى من رحلته العلمية أن يمكن نفسه من ولوج فنون العلوم وكسب ثقة الرجال والاحتكاك بالعلماء، فيكفيه في هذه المرحلة، الإجازة العامة التي تلقاها عن شيخ الزاوية محمد المدني بن عزوز<sup>3</sup> وغيره من العلماء، ليصبح بدوره لاحقا أحد أبرز الشخصيات العلمية بزاوية نفطة ليتخرج على يديه أعلام وعلماء كبار من أبرزهم العلامة محمد المكي بن عزوز، وابن عمه أحمد الأمين المدني.

<sup>1</sup> - وحسب الرواية الشفهية لشيخ الزاوية الحالي البشير خليفة يوم: 6، 6، 2020 على الساعة الواحدة زوالا أن المختار كان عمره 16 سنة حين وصل نفطة.

<sup>2</sup> - أرشيف خزانة زاوية عين اقلال.

<sup>3</sup> - عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ج1، ص:551.

وقد كانت علاقة كل من المكي بن عزوز وأحمد الأمين المدني قوية ومميزة بشيخهم المختار، وهذا ما تؤكدته الوثائق التي تحصلنا عليها من أرشيف زاوية عين اقلال. فأما بالنسبة لعلاقة المكي بن عزوز<sup>1</sup> بالشيخ المختار فمن خلال الرسالتين اللتين بعث بهما المعنى إلى الشيخ تظهر لنا العلاقة العلمية المتينة الرابطة بينهما، ومدى إجلال المكي بن عزوز للشيخ الحاج المختار وتقديره له، ففي الرسالة الأولى المؤرخة 1 ذي القعدة 1310هـ الموافق 16 ماي 1893م، يصفه في مقدمتها بأرقى الصفات: " إلى العلامة المتقن العارف بالله شيخنا سيدي المختار ابن خليفة بارك الله في أوقاته الشريفة... " وهي أوصاف لا تليق إلا بشيخ بلغ درجات عليا في العلم و الولاية، وصادرة من تلميذ يحب شيخه ويجله، ويعبر فيها عن اشتياقه له بعد أن طال فراقهما وذلك في قوله: "واني مشتاق إليكم ولم يقدر الله الاجتماع بكم من عام 1289هـ<sup>2</sup>... " ، ويختم رسالته بلفتة في غاية الدقة والأهمية، حين يجعل الشيخ المختار في مكانة والده العلامة الشيخ مصطفى بن عزوز ويصف نفسه بالابن المطيع المقبل ليد والده ليرضى عنه وذلك في قوله: "والسلام من ابنكم مقبل بكم محمد المكي بن عزوز..."<sup>3</sup>، ونعتقد أن هذه الأبوة التي نسبها المكي إلى الشيخ المختار هي أبوة علم .

<sup>1</sup> - المكي بن عزوز: محمد المكي بن عزوز، المحدث، المؤرخ، المقرئ، المجود، الفلكي، الفقيه، الاصولي، الفرضي، الصوفي، الأديب، الناظم، ولد بنفطة التونسية في 15 رمضان 1270هـ/11 جوان 1854م، لوالده العالم الكبير مصطفى بن عزوز الذي هاجر من الجزائر الى الجنوب التونسي هروبا من وحشية الاستعمار، سماه عمه محمد المدني بالمكي وكناه بأبي طالب، قرأ بتونس وولي الإفتاء بنفطة عام 1297هـ، ثم قضاءها، سكن العاصمة تونس ودرّس بجامعة الأكبر، انتقل بعدها إلى الأستانة فبقى بها إلى أن مات سنة 1334هـ/1915م، من مؤلفاته الكثيرة: رفع النزاع في بيان معنى التقليد ومعنى الاتباع ، السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني، المسألة المهمة في سبب اختلاف الأئمة، و المغفرة بين الصيف والشتاء. ينظر: عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص:856، محمد مخلوف، المصدر السابق، ص:423، عمر كحالة، المرجع السابق، ج3، ص:733.

<sup>2</sup> - وهي الموافقة لسنة 1873م.

<sup>3</sup> - أرشيف خزنة زاوية عين اقلال، ينظر نص الرسالة في الملحق رقم 21.

وفي الرسالة الثانية<sup>1</sup> المؤرخة 22 محرم 1315 هـ الموافق لـ 22 جوان 1897 م وهي رد عن رسالة وصلتته من الشيخ المختار، استهل المكي جوابه بالثناء على شيخه ونعته بأرقى الصفات التي لا تليق إلاّ بجهابذة العلماء ولا تصدر إلاّ عن تلميذ يعرف شيخه حق المعرفة و يتودد له علّه يرضى عنه ويشعر منه برد الجميل الذي أسداه له في صغره وذلك في قوله: "... سيدي وشيخي وولي نعمتي العلامة البحر الواسع الشيخ سيدي المختار بن خليفة نجل القطب الكامل سيدي عيسى بن عبد الرحمان رضي الله عنهم وأرضاهم..." وينشرح قلب وفؤاد المكي بعد وصول رسالة الشيخ إليه ويعتبرها بمثابة الدواء الذي أذهب السقم عنه بعد هم وغم أصابه في عارضة قاسية مرت عليه وحزن شديد ألم به، ويؤكد صراحة أنه تلميذ الشيخ المختار منذ صباه وأنه يبقى صغيرا مع هذا الجبل الأشم والقمة العالية في العلم والسر الرباني وهذا من خلال قوله: "... فمكتوبكم هذا نبهني من دوخة الأسف وهب علي به من نسيم الشفا... فأريد من مكارم أخلاقكم ومحاسن نصحكم أن تصبح لي عمّا أشرت إليه في هذا الجواب من أحوال الباقيين بعد الأستاذ<sup>2</sup> نصيحة وجبرا للقلب المنكسر وأنا من زمن الصبا تلميذكم بفضلكم مطوّق له عنقي جازاكم الله عني خير الجزاء وأحیی بكم العباد والبلاد، والسلام من قبل يديكم الكريمتين تلميذكم، محمد المكي ابن مصطفى بن عزوز..."

وهذا يدل صراحة على أن الشيخ المختار درّس المكي بن عزوز وأجازه في مختلف الفنون، رغم أننا لم نتحصل على الإجازة التي منحه إياها.

<sup>1</sup> - أرشيف خزانة زاوية عين اقلال، ينظر نص الرسالة في الملحق رقم 23.  
<sup>2</sup> - يقصد بالأستاذ محمد بن بلقاسم الهاملي الذي توفي في نفس السنة 1897م



أما أحمد الأمين المدني بن عزوز<sup>1</sup> فعلاقته بالشيخ المختار علاقة خاصة تجمع بين الرابطة العلمية كونه تتلمذ على يده والمصاهرة، حيث زوجه الشيخ المختار ابنته الكبرى السيدة حليلة، غير أنها توفيت بعد أشهر قليلة من زواجها بسبب مرض أصابها<sup>2</sup>، ورغم ذلك ظل وفيًا لشيخه ومراسلًا له حتى وفاته ومترددًا على زاويته إلى أواخر حياته مبرًا بأبناء شيخه وأحفاده ناصحًا و موجهًا لهم ومنيبًا عنهم في قضاء حوائج الزاوية من مختلف البقاع التي حل بها، ومن كثرة زيارته للزاوية خصص له بيت فيها أصبح يعرف باسمه ولقد تحصلنا على عدد معتبر من رسائل أحمد الأمين إلى الشيخ المختار وخلفائه، حيث تشعبت مواضيعها وتعددت اهتماماتها، لكننا سنقتصر على رسالتين من المعني إلى شيخه ورسالة في شكل إجازة من الشيخ المختار إلى أحمد الأمين.

أما الرسالة الأولى فهي بدون تاريخ يمدح فيها أحمد الأمين شيخه المختار في قصيدة نظمية طويلة من أهم ما جاء فيها<sup>3</sup>:

|   |   |
|---|---|
| وَبِهَا نَسِيمٌ يُنْعِشُ الْأَرْوَاحَ مَا         | هَبَّتْ صِبَاهًا لِلْعُلَا تَدْعُونِي       |
| كَأَنَّ لَعْمَرَ إِنَّهَا مُحْتَارَةٌ             | وَأَفْتٍ مِنَ الْمُخْتَارِ ذِي التَّمَكِينِ |
| ذِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الزَّكِيِّ الْمُرْتَضَى | الْجَهَبِ ذِي مُطَرَّرِ التَّخْسِينِ        |
| أَكْبَرُ مُنْجِدٍ مَنْ أَتَى مُسْتَنْجِدًا        | الْخَيْرُ الْهَادِي لِكُلِّ فُنُونِ         |
| مَنْ عَلَّمَنِي الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ مَعَ  | عِلْمِ الْحَقِيقَةِ فِيهِ اللَّيْتُ عَرِينِ |
| شَهُمْ تَقِيٍّ مَاجِدٌ أَخْلَافُهُ                | جَلَّتْ عَنِ التَّعْدَادِ وَالنَّبِيِّينِ   |

<sup>1</sup> - أحمد الأمين المدني: هو أحمد الأمين بن المدني بن المبروك بن أحمد بن إبراهيم بن عزوز النفطي التونسي المدني العالم الصالح المسند الجوال سليل المجد، روى عن كثير من الشيوخ المدنيين كالشيخ عبد الجليل برادة والشيخ حسب الله المكي وعن كثير من الشيوخ التونسيين كالشيخ عمر بن الشيخ والشيخ الطيب النيفر، أخذ الكثير عن علماء عصره في تونس وبلاد المشرق، وله مجموعة من الإجازات منها إجازة الشيخ المختار بن خليفة التي أشار إليها عبد الحي الكتاني دون ذكر نصها، عبد الحي الكتاني، المصدر السابق، ج1، ص:126.

<sup>2</sup> - رواية خليفة البشير الشيخ الحالي لزاوية عين اقلال، في مقابلة شفوية يوم: 11-6-2020 على الساعة: 10 صباحا.

<sup>3</sup> - أرشيف خزنة زاوية عين اقلال.

إلى أن يقول:

جُوزَيْتُمْ حَيْرَ الْجَزَاءِ وَحَفَّكُمْ      نُطِفُ وَعَافِيَةٌ دَوَامَ الْحِينِ  
واللهُ أَرْجُو أَنْ يُتِمَّ هَنَاءَكُمْ      بِالْمَدِّ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّعْيِينِ  
وَأَفَاضَ عَنْكُمْ سَابِغَ النِّعْمَاءِ مَا      قَامَتْ لِدُنْيَا سُنَّةِ التَّأْمِينِ

و يقرّ أحمد الأمين في هذه القصيدة بمكانة شيخه في العلم والولاية، حيث جعله من أصحاب التمكين والعلم والعمل وأحد الجهابذة الكبار الذين يحملون فنون العلم معقولها ومنقولها، أي علم الشريعة وعلم الحقيقة (التصوف)، ويوضح أيضا معلومة في غاية الدقة وهو أن الشيخ المختار كان من كبار المدرّسين في زاوية نفطة لمختلف هذه العلوم هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه أستاذ ومعلم أحمد الأمين ومن عاصره من طلبة في هذه الزاوية العامرة من مختلف مناطق البلاد التونسية وكل الوافدين إليها من الجزائر وخارجها.

وأما الرسالة الثانية<sup>1</sup> الموجهة لشيخه و المؤرخة في 29 جمادى الثانية 1314هـ الموافق لـ4 ديسمبر 1896م و المحررة من البقاع المقدسة ، افتتحها بعبارات الثناء عليه بقوله: " أسعد الله حضرة الزكي الأفضل والعمدة الأمثل والعلامة الأشمل والدراكة الأكمل محبنا في الله ولله شيخنا سيدي المختار بن خليفة وأسبغ عليه موايد نعمه المنيعة...".

وبعد أن يعاتب شيخه على الغفلة في رد الأجوبة على رسائله يستدرك ويبرر هذا التقصير بكل أدب وذلك بقوله: "... وفي الحقيقة أني وحق رابطة العلم التي بيننا ما نسب التقصير لكم غير قلبي على سبيل التدلل والاستنجاد وأما قلبي ولساني فهي غاية الثناء عليكم والدعاء لكم..."، وهو ما يعني أن أحمد الأمين ظل مرتبطا بشيخه المختار لقوة الرابطة العلمية بين الرجلين بدرجة أولى رغم كل ما يشوب العلاقات الانسانية من فتور من فيأه إلى أخرى.

<sup>1</sup> - أرشيف خزنة زاوية عين اقلال، ينظر نص الرسالة في الملحق رقم 22.

والرسالة الثالثة هي إجازة المعني من الشيخ المختار بناء على طلب من أحمد الأمين المدني وهي مؤرخة في أواخر شوال 1305 هـ الموافق جويلية 1888م، وهذه الإجازة تبين مكانة الشيخ المختار العلمية باعتباره أحد فحول العلوم والفنون المختلفة وكذا ذيع صيته في البلاد التونسية ناهيك عن الجزائر، وقد استوفت الإجازة كل المعايير العلمية المعترف بها بين العلماء وهي التقديم بالبسملة والدعاء، ثم تبيان سبب كتابتها وهو يعود عادة إلى طلب المعني (أحمد الأمين في هذه الإجازة) ، ثم الثناء على المجاز وقد استطنب الشيخ المختار في الثناء على مجازه ووصفه بكل العبارات الجميلة "حضرة الأجل الأمجد، المثابر في طلب العلوم على ساعد الجد، العالم الجليل، اللوذعي، سيدي أحمد الأمين ولد سيدنا وولي نعمتنا وملاذنا في جميع أمورنا سيدي محمد المدني بن عزوز....".

وبعدها يوضح الشيخ أنه ليس أهلاً أن يجيز، ولكن كمال محبته للأمين توجب الامتثال وبعدها أجازه إجازة تامة في العلوم التي تحصل عليها من العلماء والسادة المشايخ الكبار وفي كل الفنون "...أجزت السيد المذكور بما رويته عن الشيوخ الأساتذة و ما تلقيته من أفواه الأساتذة الجهابذة مما يجوز لي روايته من صحيح البخاري ومسلم وباقي الكتب الستة المشهورة، وموطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب المأثورة.... من المعاجم والعلل والأجزاء والتواريخ والسنن وجميع ما احتوى عليه ثبت شيوخنا من تفاسير وكتب الكلام والمعاني والبيان والأصول وباقي العلوم من معقول ومنقول..."<sup>1</sup> . وفي الأخير يدعو للمجاز (الأمين) ويحدد تاريخ الإجازة واسمه وامضائه.

ومن نفطة توجه الشيخ المختار إلى مصر كمحطة أخرى في رحلته العلمية ليلتحق بجامع الأزهر الشريف أين تتلمذ على أيدي أعلام كبار من المشايخ والعلماء وداوم على

<sup>1</sup> - أرشيف خزينة زاوية عين اقلال، ينظر نص الإجازة في الملحق رقم 20.

حضور الكثير من الحلقات العلمية، فكان من رواد حلقة الشيخ الفقيه عيش<sup>1</sup> مفتي المالكية، حيث واصل الأخذ في علوم الفقه والتوحيد والتفسير وغيرها من العلوم الدينية لينال عنه إجازة في ذلك ، كما منحه خادم العلم ومحدثه بالأزهر الشيخ حسن العدوي<sup>2</sup> إجازة تامه في علم الحديث<sup>3</sup>.

ومن الأزهر انتقل إلى البقاع المقدسة بغية أداء فريضة الحج وبها التقى جهابذة العلم فأخذ عنهم وأجيز منهم ومنهم حسين بن ابراهيم إمام المالكية بمكة المكرمة ومما جاء في إجازته للشيخ: " التمس مني العالم الجليل الألمعي الفطن النبيه الذكي اللوذعي مولانا الشيخ المختار بن خليفة من أبناء سيدي عيسى أن أجيزه بما رويته من المعقول ومارويته من المنقول، فأجيبته لذلك... وأجزته بما رويته عن الشيوخ الأساتذة وما تلقيته من النواة السادة الجهابذة أمرا له بتقوى الله والعمل بها هو أرجح للتقوى وألا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه..."<sup>4</sup>، وأيضا المحدث محمد علي الوتري المدني<sup>5</sup> الذي أجاز الشيخ في 16 ذي القعدة 1289هـ/ 14 جانفي 1873م ومما جاء فيها: "... فلما منّ الله علي بالاجتماع بالعالم الفاضل الأديب الكامل الشريف البركة الصالح سيدي المختار بن سيدي محمد الخليفة من أولاد سيدي عيسى نفعنا الله به عام زيارته في ذي القعدة الحرام سنة 1289هـ بالمدينة المنورة والروضة المطهرة وكان لصدق نيته وحسن طويته أن طلب مني الإجازة فأسعفته في طلبه رجاء النفع العام والدعاء لي ولمشاخي ببلوغ المرام وحسن الختام فأقول معتبرا من

<sup>1</sup> - محمد عيش: محمد بن احمد بن محمد عيش أبو عبد الله المصري، فقيه من أعيان المالكية مغربي الأصل من أهل طرابلس الغرب، ولد بالقاهرة 1217هـ/1802م وتعلم بالأزهر الشريف، ثم تولى مشيخة المالكية فيه، له عدة تصانيف في الفقه، توفي 1289هـ/1882م، خير الدين الزركلي، المصدر السابق ج6، ص:19.

<sup>2</sup> - حسن العدوي (1221هـ/1806م/1303هـ/1886م): حسن العدوي الحمزاوي فقيه مالكي ولد بمصر تعلم وعلم بالأزهر له مؤلفات في مختلف الفنون، نفسه، ج2، ص:199.

<sup>3</sup> - الإجازة مدونة في الجزء الأول من كتاب صحيح البخاري وهي موجودة بخزانة زاوية عين اقلال، نملك نسخة منها.

<sup>4</sup> - أرشيف خزانة زاوية عين اقلال

<sup>5</sup> - محمد علي الوتري الحسني النجفي المدني: (1261-1322هـ/1845-1904م) محدث بالمدينة المنورة، صاحب الفضل في انتعاش فن رواية الحديث في عصره ، ترك مجموعة من المؤلفات، الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص:301.

القوة والحوّل أجزت الشريف المذكور ضاعف الله لي وله الأجر بجميع مروياتي ومسموعاتي ومقروءاتي... محمد علي بن ظاهر الوتري المدني النجفي عامله الله بلطفه الخفي في ليلة الخميس المبارك السادس عشر من ذي القعدة من عام تسعة وثمانين ومائتين وألف<sup>1</sup>.

وأثناء رجوعه من البقاع المقدسة مر بالإسكندرية والتقى بعض علمائها وكان أشهرهم المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الصالح البنا الحنفي الخلوتي فأخذ عنه إجازة في علم الحديث أيضا، ومما جاء فيها:... أما بعد فقد اجتمع بي العالم الفاضل اللوذعي الكامل الشيخ المختار بن خليفة المالكي الجزائري من أولاد سيدي عيسى بن عبد الرحمان وسمع مني وأسمعتني شيئا من الأحاديث النبوية التي اشتمل عليها الجامع الصغير الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي والتمس من أن أجزه بهذا الكتاب وباقي كتب الحديث الشريف ظنا منه أنني أهل لذلك فأجبتة راجيا من الله تعالى أن يحقق ظنه قائلا أجزت المذكور ضاعف الله لي وله الأجر بقراءة هذا الكتاب بشروطه المعروفة عند أهله... يوم الاثنين المبارك ثالث شهر صفر الكبير من سنة 1290 هـ الفقير عبد الله بن محمد بن صالح البنا الحنفي الخلوتي<sup>2</sup>.

عاد الشيخ المختار أدراجه إلى مصر ومنها إلى تونس أين عقد حلقة للعلم بالزيتونة لمدة يسيرة<sup>3</sup>، ثم قفل راجعا إلى بلاده فدخل عن طريق بسكرة أين استقر مدة بزاوية طولقة ثم الزاوية المختارية بأولاد جلال، وفيهما أجاز مجموعة من العلماء و الطلبة من أبرزهم الشيخ محمد الصغير<sup>4</sup> بن الشيخ المختار الجلاي لينتقل بعدها إلى زاوية الهامل وفيها

<sup>1</sup>- أرشيف خزانة زاوية عين اقلال، ينظر نص الإجازة في الملحق رقم 19.

<sup>2</sup>- أرشيف خزانة زاوية عين اقلال.

<sup>3</sup>- مقابلة شفوية مع الشيخ خليفة البشير شيخ زاوية عين اقلال يوم، 10، 6، 2020، الساعة الحادية عشر ليلا.

<sup>4</sup>- محمد الصغير بن الشيخ المختار: نجل العالم الكبير والولي الصالح شيخ زاوية أولاد جلال الرحمانية، تولى محمد الصغير شؤون زاوية والده سنة 1276 هـ وهو الرجل الصالح ذو الفيض الطافح بالعوارف والمعارف، وله مراسلات كثيرة

أجاز الشيخ محمد بن بلقاسم<sup>1</sup> الذي أبهر بغزارة علمه، كما أخذ عنه كل من الشيخ والفقير المالكي ومدرس زاوية الهامل الشيخ عبد الرحمان الديسي<sup>2</sup> والشيخ عاشور الخنقي<sup>3</sup>.

توجه الشيخ المختار إلى المغرب الأقصى باحثا ومستقصيا وطالبا للعلم، رغم ما بلغه من تبحر فيه<sup>4</sup>، ولكننا مع الأسف لم نحصل على أي وثيقة تدل على رحلته إلى المغرب أو حتى على أثر له هناك، وهو ما يقال عن كثير من المحطات في حياة هذا العالم التي مازال فيها الكثير من الثغرات تحتاج إلى عناية الباحثين والدارسين<sup>5</sup>.

### 3- مكانته العلمية والثقافية:

اكتسب الشيخ المختار بن خليفة باعا وتجربة كبيرتين من خلال رحلته العلمية الطويلة التي فانتت العشرون سنة، تنقل خلالها بين حواضر ومراكز العلم في تونس، ومصر وبلاد الحجاز وختمها بالمغرب الأقصى، و مكنته هذه الأسفار من إدراك أهمية وضرورة النهوض

مع الشيخ المختار بن خليفة ومعظمها موجود بخزانة زاوية عين اقلال وله كتاب تعطير الأكوان بنشر شذا أهل العرفان طبع سنة 1916 بالجزائر، ينظر : الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص: 559.

<sup>1</sup> - محمد بن بلقاسم (1239- 1315 هـ / 1823-1898م): الولي الصالح العالم النبيه الفقيه، الورع مؤسس زاوية الهامل وشيخها ، لعب دورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية، حيث استقطبت زاويته الطلبة من كل الأرجاء وقصدها العلماء من كل صوب، الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص- ص: 334-341.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان الديسي: محمد بن عبد الرحمان الديسي (1270-1339هـ/1814-1921م)، عالم وفقير ومدرس، أشهر المدرسين بزواية الهامل، وله تاليف كثيرة.

<sup>3</sup> - عاشور الخنقي: هو عاشور بن محمد بن عبيد ابن محمد المسعود الهاللي ولد بخنقة سيدي ناجي 1264هـ/1848م، نشأ في كنف العلم بالزاوية وعلى يد علمائها كالشيخ الحسن بن الصديق الناجي، رحل إلى نفطة ثم عاد للتدريس بالخنقة ومنها إلى زاوية الهامل، تعرض للتضييق والنفي من قبل السلطات الاستعمارية ما يزيد عن 17 عاما، توفي 1348هـ/ 1929م ، وترك مجموعة من المؤلفات في مختلف الفنون، محمد عبد الحليم بيشي، الشيخ عاشور الخنقي آثاره ومعاركه الفكرية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة ، المجلد 05، العدد1، السنة 2020، ص: 92-102.

<sup>4</sup> - مقابلة شفوية مع الشيخ خليفة البشير شيخ زاوية عين اقلال يوم، 11، 6، 2020، الساعة التاسعة صباحا.

<sup>5</sup> - تجدر الإشارة أن هناك الكثير من الثغرات والفراغات في مسيرة الحاج المختار في انتظار ما قد يظهر من وثائق مختلفة سواء من طرف الورثة أو الزوايا أو المناطق التي مر بها.

بمنطقته وبلاده في ظل الحركة الاستعمارية المناهضة لكل ألوان التطور والثقافة ومحاربة هوية الأمة ومحاولة طمس مكوناتها الأساسية و في مقدمتها الدين الاسلامي واللغة العربية.

ولكل هذه الاعتبارات حرص الشيخ المختار منذ عودته إلى زاوية والده واستقراره بها نهائيا بداية من سبعينيات القرن 19 م / 13هـ، على مواصلة نشاطه العلمي خاصة بعد توليه شؤون الزاوية كخليفة لوالده، وإدراكا منه بأن الحركة التنويرية لا تتأتى إلا من خلال إعادة تأسيس زاوية عين اقلال على أسس متينة تمكنها القيام بدورها الحقيقي في نشر العلم وأداء الوظيفة الاجتماعية على أحسن وجه كبقية الزوايا عبر ربوع الوطن وأول خطوة قام بها الشيخ المختار في سبيل تطوير أداء الزاوية وضمان خدمات نوعية لقاطنيها وطلبتها وزوارها هي إعادة بناء مسجدها ، ثم إعادة ترميمه سنة 1898م بعد أن جلب خبرة فرنسية مكونة من أربعة متخصصين في البناء والهندسة وهم<sup>1</sup>: المقاول غالي شارل (gally charles) ، والبنائون موريس نيكولا morres nikola ، سيرويا الفرد serouia alfred وجيرو لويس (jerou louis) ، ثم توسعة وبناء دور جديدة وهي : دار الضياف، المساكن، المدرسة القرآنية<sup>2</sup>.

ووعيا من الشيخ بأهمية الكتب والمخطوطات في دفع عجلة التعليم والتعلم، فقد جمع عدد هائل منها خلال تنقلاته عبر مختلف الحواضر والمراكز العلمية التي مر بها، أو التي اقتناها عبر وسائل مختلفة من الحجاز ومصر وغيرها، وهو ما حوته بعض المراسلات الواردة إليه من بعض الشخصيات المرموقة، وقد تحصلنا على بعض منها مثل رسالة أحمد

<sup>1</sup> - ذكرت أسماء هؤلاء المختصين في وثيقة رسمية في شكل حكم قضائي صادر من محكمة البلدية بتاريخ 18 / 02 / 1898م لصالح الشيخ المختار بعد النزاع الذي وقع بينهما نتيجة عدم التزامهم بدفتر الشروط، الوثيقة موجودة بخزانة زاوية عين اقلال.

<sup>2</sup> - للتعرف على المكونات الأساسية لهذه الزاوية ينظر: الطيب يوسف، الحضور الاجتماعي و السياسي للطرق الصوفية في الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015، ص: 205.

عبد الرحمان السنوسي البسكري<sup>1</sup> إلى الشيخ المختار المؤرخة في 5 جمادى الآخر 1313هـ الموافق ل26 نوفمبر 1895م و التي يدور موضوعها حول مجموعة من الكتب التي طلبها الشيخ من أحمد الأمين المدني واشتراها كاتب الرسالة من مصر وبعثها له ومما جاء فيها: " إلى الذكي الأمد الشيخ المختار بن خليفة نجل البركة سيدي عيسى بن عبد الرحمان سلام الله عليكم مع الرحمة والبركة من المسلم عليك كاتبه أحمد السنوسي البسكري ويقول لك أن الشيخ سيدي أحمد الأمين... بعث لي جواب وأنا بمصر وأمرني نرسل لك نسخة من خلاصة الوفي وشرح ورد سحر أما شرح الشيخ سيدي مصطفى البكري معدوم.. وأما شرح الشبراوي بها يأتيك مع الخلاصة وبهما رسالة للإمام مالك إلى هارون الرشيد مواعظ رسلتها لك من نفسي... وأن تكتبوا مكتوب إلى الشيخ سيدي أحمد الأمين تخبروه بوصولها لكم ليكون في علمه أننا امتثلنا أمره... والسلام من أحمد بن عبد الرحمان السنوسي البسكري

9 جمادى الآخر 1313هـ<sup>2</sup>.

ورسالة محمد بن عبد الرحمان الديسي إلى الشيخ المختار أيضا وهي في نفس المنحى بتاريخ 10 شعبان 1314هـ الموافق 13 جانفي 1897م يخبره فيها عن وصول الكتب التي أوصاه بشراءها له ومما جاء فيها: "الفاضل الكامل العالم العامل العارف المحقق الشيخ سيدي المختار.. السلام عليكم.. والكتب التي أوصيتنا منذ أيام كثيرة ومجموعتها عشرة أسفار الصبان على الأشموني سفران التصريح سفران خلاصة الأثر أربعة أسفار سلك الدرر سفران... السلام كتب عن اذن الشيخ سيدنا محمد بن عبد الرحمان في 10 شعبان 1314هـ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- أحمد بن عبد الرحمان السنوسي البسكري: لم نعثر له على ترجمة.

<sup>2</sup>- أرشيف خزنة زاوية عين اقلال

<sup>3</sup>- أرشيف خزنة زاوية عين اقلال



ولشغفه الكبير بالكتب استطاع الشيخ خلال فترة وجيزة إنشاء مكتبة عامرة بأنفس المخطوطات والكتب في مختلف فنون العلم وتخصصاته، فقد حوت زاويته أكثر من 150 مخطوطا و1000 مجلد مطبوع<sup>1</sup>، ومن خلال الفهرسة التي أنجزها مدرس الزاوية العالم التونسي ابراهيم صمادح<sup>2</sup> للمكتبة بعد وفاة شيخها أي في عهد ابنه الشيخ محمد بن عزوز<sup>3</sup> بن المختار بن خليفة، في 1 جمادى آخرة 1338هـ الموافق 20 فبراير 1920، يتبين أن الشيخ المختار ترك لخليفته مكتبة ضخمة بها ثلاثة وثلاثون صنفا من العلوم المختلفة، وكل فن به عدد هائل من المخطوطات والكتب القيمة<sup>4</sup>.

وإلى جانب هذا أعطى الشيخ المختار الأولوية للتعليم بالزاوية حيث استقبل الطلبة من مختلف المناطق المجاورة وحتى من مناطق بعيدة، مركزا على التربية الروحية وتلقين القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وبهذا يكون الشيخ قد أحدث ثورة علمية بالزاوية جعلته يصنف بأنه المؤسس الحقيقي للزاوية ولذا أصبحت تسمى باسمه "زاوية الحاج المختار"، توفي الحاج المختار عام 1317هـ / 1900م عن عمر ناهز 72 سنة.

<sup>1</sup> - بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، دار ثالة، الجزائر، ط2، 2007، ص:114.

<sup>2</sup> - ابراهيم صمادح الحفيد: عالم تونسي متبحر في علوم الفقه والتفسير والنحو والمنطق استقدمه أحمد الأمين المدني بن عزوز للتدريس بزاوية عين اقلال (1920-1923م)، وقد أشار سعد الله إلى تواجده بعد هذه الفترة بالزاوية السحنونية الرحمانية بالقرب من اربعاء بني ايراثن بولاية تيزي وزو، وهو والد الشاعر المعروف منور صمادح الشخصية البارزة في تونس. رسالة أحمد الأمين المدني إلى شيخ زاوية عين اقلال بن عزوز بخصوص هذا المدرس و الموجودة بخزانة الزاوية، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص: 198.

<sup>3</sup> - محمد بن عزوز بن المختار بن خليفة: نجل العالم الكبير الشيخ المختار بن خليفة تولى شؤون الزاوية بعد وفاة والده (1900-1923م)، ولم يحدث فيها أي تغيير بل حافظ فقط على ميراث والده.

<sup>4</sup> - تحصلنا على نسخة من هذه الفهرسة الموجودة بخزانة زاوية عين اقلال.

## خاتمة الفصل:

نمت الحركة الصوفية في بلاد المغرب عامة والجزائر وتونس خاصة منذ نهاية العهد الموحدى وزاد تجذرها وتعمقها في العصر الحديث نتيجة جملة عوامل داخلية وخارجية عاشتها البلدان وقد سبق ذكرها عند كلامنا عن تطور هذه الحركة.

ففي الجزائر ازدهرت الحركة الصوفية وتعددت طرقها وانتشرت على نطاق واسع خلال الفترة العثمانية ومن أهم الطرق التي عرفتها البلاد: القادرية، الرحمانية، التجانية، الدقاوية، و الشاذلية... أما في تونس فطغت روح التصوف عليها وسيطرت الطرق الصوفية على كل مناحي الحياة، وانخرط المجتمع والسلطة في هذا النسق، وبذلك غدت الطرق الصوفية المحرك الأساسي للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية فيها، ومن أكثر الطرق صيتا بالبلاد، نجد الطريقة القادرية، الرحمانية، الشاذلية، التجانية وغيرها.

وشكلت الطرق الصوفية جسرا للتواصل العلمي بين الجزائر وتونس بحكم ارتباط معظم هذه الطرق ببعضها البعض نتيجة وحدة أصولها الفكرية والعقدية ومن أهم مظاهر هذا التواصل الذي كرسه الطرق الصوفية:

- نشر الوعي والمعرفة بين السكان خاصة المناطق الخاضعة تحت سلطة هذه الطرق سواء على الحدود الشرقية والجنوبية للجزائر أو غرب ووسط وجنوب تونس، وذلك عن طريق الاهتمام بالتعليم من خلال الزوايا المنتشرة بالقطرين.

- الحفاظ على الموروث الثقافي للبلدين و مرجعيتها القائمة على العلوم التقليدية المتمثلة في الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية.

- توثيق العلاقات بين القبائل نتيجة المد التنويري والتخفيف من حدة الصراع والنزاعات.

- تكوين فئة مثقفة خريجة الزوايا و التي أسهمت في الحياة العلمية والثقافية للبلدين.

- إثراء الثقافة العربية الإسلامية بالبلدين بفضل الانتاج الفكري والعلمي لعلماء وشيوخ الزوايا واعتبار الشيخ المختار بن خليفة الحدباوي أبرز النماذج في التواصل بين القطرين .
- تمتين الروابط العلمية و الثقافية بين البلدين.

الفصل

اللائحة

## الفصل الثالث: رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي دراسة مسحية تحليلية لأهم الرسائل

### مقدمة الفصل

#### أولاً: ضبط المفاهيم المرتبطة بالفصل

- 1- الرسائل: أ - لغة ب- اصطلاحا
- 2- الأئمة: أ - لغة ب- اصطلاحا
- 3- الأعيان: أ - لغة ب- اصطلاحا

#### ثانياً: أبرز أئمة التجانية

##### 1- المؤسسون:

- أ - من الجزائر ب- من تونس ج - من المغرب

##### 2- الخلفاء:

- أ- أبناء الحاج علي التماسيني و أحفاده ب- أبناء الشيخ أحمد التجاني و أحفاده

#### ثالثاً: نماذج عن رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي ودورها في العلاقات العلمية.

- 1- الرسائل في عهد الشيخ أحمد التيجاني
- 2- الرسائل في عهد الحاج علي التماسيني
- 3- الرسائل في عهد خلفاء علي التماسيني
- 4- الرسائل في عهد أبناء أحمد التجاني وأحفاده
- 5- نماذج لرسائل موجهة من أعيان القطر التونسي إلى الجزائر

### خاتمة الفصل

## مقدمة الفصل:

شكل موضوع تبادل الرسائل بين أئمة التجانية وأعيان البلاد التونسية عامة والجنوب خاصة قضية جوهرية في العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس، ولذا سنركز في هذا الفصل على ضبط المفاهيم المرتبطة بدراستنا كالرسائل، الأئمة والأعيان، ثم تقديم لمحة عن أهم أئمة التجانية سواء كانوا من المؤسسين للطريقة أو خلفائهم خاصة في زاوية تماسين و عين ماضي بالجزائر، ثم نقدم نماذج عن هذه الرسائل عبر مختلف المراحل ونعطي أبعادها ومضامينها.

وفي الأخير ارتأينا أن نختار نماذج عن رسائل واردة من القطر التونسي وهي في غالبيتها ردود عن رسائل مرسله من قبل الأئمة في الجزائر.

## أولاً: ضبط المفاهيم المرتبطة بالفصل:

## 1- الرسائل:

هي إحدى الفنون الأدبية التي عرفها العرب في قديم الزمان، وهي عبارة عن تواصل ثقافي وفكري بين مختلف المجتمعات، فيكون التواصل الأدبي والعلمي والروحي بين المرسل والمرسل إليه.

## أ- لغة:

الرسائل مشتقة من المادة اللغوية رسل من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهّل والتوقر والتثبّت، وجمع الرسالة الرسائل. قال ابن جنبة: الترسل في الكلام التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديداً والترسل في الركوب: أي أن يبسط رجله على الدابة حتى يرخي ثيابه على رجله حتى يغشيها، قال: والترسل في القعود أن يتربع ويرخي ثيابه على رجله حوله، والارسال: التوجيه وقد أرسل إليه والاسم الرسالة والرسالة والرسول و الرسيل. وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض والرسول: الرسالة والمرسل<sup>1</sup>.

والرسول معناه في اللغة صاحب الرسالة وهو اسم من أرسلت وكذلك الرسالة، ويقال: جاءت الإبل إرسالاً إذ جاء منها رسلٌ بعد رسل، وأرسلت فلانا في رسالة، فهو مرسل ورسول<sup>2</sup>، والترسل والكتابة لهما دلالة واحدة قال: القلقشندي: "الكتابة في اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كتباً وكتاباً ومكتبة وكتبة فهو كاتب ومعناه الجمع، يقال تكتب لقوم لذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة أو كتبت إذا جمعت بين شفرها بحلقة أو سير

<sup>1</sup> - ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 11، ص: 283، الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص: 1006.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 284.

نحوه، ومن ثم تسمى الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، و من ثم تسمى الخط كتابة<sup>1</sup>.

### ب- اصطلاحا:

الرسالة قطعة نثرية قصيرة أو طويلة، تفي نقل معلومة معينة بأسلوب معين وألفاظ منتقاة، وهي تحاكي أحداث الواقع المعيش، وفي هذا الصدد يقول صاحب صبح الأعشى: "بأنها صناعة روحانية تظهر بألة جثمانية، دالة على المراد يتوسط نظمها... ومعنى الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه، و الجثمانية بالخط الذي يخطه القلم وتقيد به تلك الصورة، وتصير ان كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة"<sup>2</sup>، وقال أيضا: " وهي جمع رسالة، والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب: من حكاية حال من عدو أو صيد أو مدح أو تقرير أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث أنّ الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره، مخبرا فيها بصورة الحال مفتتحا بما تفتتح به المكاتبات<sup>3</sup>.

والرسائل أنواع عديدة، فهي تكتب حسب حاجة الناس إليها منها الرسائل الإخوانية والرسائل الرسمية، فالقسم الأول هي تلك التي تدور بين الإخوان و الأصدقاء و القسم الثاني هو الرسائل الرسمية أو الرسائل الديوانية، وهي التي تصدر عن الحكام والسلاطين، أو عن دواوين إنشائهم، يتناول فيها الكتاب على لسان حكامهم مواضيع مختلفة، فهي تصدر عن ديوان الخليفة يوجهها إلى ولاته وقادة جيشه وأعدائه، وكان لكل خليفة كاتب يتولى الكتابة عنه في شؤون الدولة ومهامه. ثم تطور الأمر إلى كل المؤسسات القائمة حيث اهتمت

<sup>1</sup> - القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، دار الكتب الخديوية، مصر، 1915، ج1، ص:51.

<sup>2</sup> - نفسه، ج1، ص:51.

<sup>3</sup> - نفسه، ج14، ص:138، 139.



بكتابة الرسائل على غرار مؤسسة الزوايا والطرق الصوفية التي تحولت مع مرور الزمن إلى هيئة رسمية لها تقاليد معينة في التواصل مع غيرها سواء مع الحكام أو موظفي الدولة.

واهتمت الطريقة التجانية كغيرها من الطرق الصوفية بكتابة الرسائل عن طريق أئمتها ومن ينوب عنهم إلى الأحباب والإخوان ورجال الدولة في الداخل والخارج، لاسيما مع حكام تونس وأعيانها في مختلف المناطق من الحاضرة ولأهمية هذه الرسائل وتنوع موضوعاتها سنحاول تسليط الضوء على بعضها وخصوصا ما تعلق بالجوانب العلمية والفكرية بين الجزائر وتونس.

## 2- الأئمة:

### أ- لغة:

مفرد إمام وتعني في اللغة المُتَّبَع المُقْتَدَى به، هي مصدر الفعل أمّ، والإمامة والإمام، ما أنتم به من رئيس أو غيره<sup>1</sup>، ولما كان الإمام قدوة للناس يتأمنون به ويقفون بهديه، ارتبط اسمه بالحكام وأصبح مرادفا للخليفة وأمير المؤمنين الذي يرأس الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا<sup>2</sup>، و الإمامة هي نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة والقائم بها خليفة وإماما لكونه يخلف النبي في أمته<sup>3</sup>.

### ب- اصطلاحا:

تعددت مفاهيم الإمامة عند المسلمين بتعدد الآراء الفقهية والفكرية، فعرف بعضهم الإمام على أنه لا يعدو أن يكون رئيسا دينيا، أو سياسيا نيابة عن رسول الله يجمع بين

<sup>1</sup> - الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص: 1077.

<sup>2</sup> - الماوردي أبي الحسن، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن تيمية، الكويت، ط1، 1989، ص: 3.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق. ص: 211.

السلطتين، دينية باعتباره إمام المسلمين يؤمهم للصلاة ويسهر على تطبيق العدالة والإنصاف ويحمي الدين ويذود عنه من خطر الخارجين عليه، ودينية لأنه ينظر في مصالح المسلمين الدنيوية<sup>1</sup>.

ونظرا لأهمية منصب الإمام فقد اجتمعت الآراء على وجوب توفر شروط لشغل هذا المنصب منها العلم، العدالة، الكفاية، سلامة الحواس والأعضاء، واختلف في شرط النسب القرشي<sup>2</sup>، واعتبرت مذاهب غالبية الأمة الإسلامية، أن إقامة الإمامة والخلافة الشرعية الصحيحة هو فرض أساسي من فروض الدين، بل هو الفرض الأعظم الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض وهذا هو مذهب أهل السنة وجمهور المعتزلة والخوارج أيضا، وكذلك الشيعة الذين لهم آراء متشددة في الإمامة، والخلافة نظام مستحدث حتمته الظروف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>3</sup>.

هذا عن الإمامة بشكل عام أما عن الإمام في نظر المتصوفة فإنه لا يخرج عن هذا الإطار، فقد شكل شيخ الطريقة مصدر سلطة واسعة بين الأتباع والمريدين باعتباره يجمع السلطتين الروحية والدنيوية، وظل منصب شيخ الطريقة منحصرًا في العائلة تتوارثه أبا عن جد ماعدا بعض الاستثناءات.

واهتم أئمة التجانية وشيوخها بدءًا بالمؤسس الشيخ أحمد التجاني، وخلفاؤه سواء بعين ماضي أو تماسين أو قمار بمراسلة كثير من الشخصيات التونسية سواء في جنوب الإيالة أو مناطقها الأخرى، في مواضيع تخص الطريقة أو بعض الشؤون العامة.

<sup>1</sup> - صلاح الدين محمد نوار، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، 1996. ص: 12.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 213، الماوردي، المصدر السابق، ص: 5-28.

<sup>3</sup> - صلاح نوار، المرجع السابق، ص: 13، 14.

## 3- الأعيان:

## أ- لغة:

الأعيان مشتقة من المادة اللغوية "عين"، وأعيان مفردها عين، والأعيان: "ولد الرجل من امرأة واحدة، مأخوذ من عين الشيء وهو النفيس منه"<sup>1</sup>، وأعيان البلد: سادتها وأشرافها، ويقال مجلس الأعيان هو الذي يضم مجموعة من الأشخاص يعينهم الحاكم أو ينتخبهم الشعب "كانوا عضوا في مجلس الأعيان"<sup>2</sup>.

وقد ورد مصطلح العين مرادفا للجماعة، وأهل البلد والسيد وشريف القوم، وعضو الإبصار في الانسان والحيوان.. له عينان كعيني الصقر"<sup>3</sup>.

## ب- اصطلاحا:

نعني بالأعيان مجموعة الأفراد المتميزون داخل المجتمع بفضل ما يمتلكونه من مؤهلات وإمكانات علمية وفكرية ومالية وأسرية ونفوذ داخل السلطة الحاكمة.

وبذلك يمكن القول أن الأعيان الذين تواصلت معهم الطريقة التجانية عن طريق الرسائل بتونس هم فئة تضم الفقهاء والعلماء والقضاة كآل النيفر وآل بيرم وغيرهم، ورجال السلطة من بايات ووزراء وكتاب وأتباع الطريقة ومقدميها وأصحاب النفوذ كالتجار والملاك الكبار كأسرة الجلولي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور، المصدر السابق، المجلد 11، ص: 306.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، المجلد 1، 2008. ص: 1575.

<sup>3</sup> - جبران مسعود، الرائد، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992. ص: 570.

<sup>4</sup> - تمثل عائلة آل الجلولي نموذجا لنجاح الأعيان المحليين زمن حمودة باشا الحسيني في صعود السلم الاجتماعي و السياسي بفضل حنكة رئيسها محمود الجلولي وانتقاله إلى العاصمة تونس فقد استطاع نسج علاقات داخلية وخارجية قوية وكانت له صلات وروابط قوية مع شيوخ زاوية تماسين، وهو ما تدل عليه بعض الوثائق التي بحوزتنا في أخذه الإذن في الطريقة. المهدي جراد، عائلة الجلولي من النصف الثاني من ق 18 إلى 1830، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة 9 فبراير ، تونس، 2000-2001، ص: 111.

## ثانيا: أبرز أئمة التجانية:

## 1- المؤسسون:

## أ- الجزائر:

## \* أحمد التجاني:

هو أبو العباس مولانا أحمد بن الولي الكبير العالم الخبير أبي عبد الله محمد فتحا ابن المختار بن احمد بن محمد فتحا ابن سالم الشريف الحسني الكاملي التجاني، يرفع نسبه إلى الإمام محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل<sup>1</sup>.

ولد سنة خمسين ومائة وألف ( 1150هـ / 1737 م ) بقرية عين ماضي ونشأ في عفاف وأمانة وحفظ وصيانة وتقى وديانة، حفظ القرآن في صغره وهو ابن سبعة أعوام على شيخه سيدي عيسى بعكاز المضايي التجاني مؤدب الصبيان، ثم قرأ العلوم الأصولية و الفروعية والأدبية على الشيخ سيدي المبروك ابن بعافية المضايي التجاني، حتى وصل درجة التدريس والفتية ثم مال إلى طريق الصوفية حتى تبحر في فهم علومها والأحوال والمقامات والعلل والوقت والحال<sup>2</sup>.

بعد وفاة والده ارتحل إلى ناحية الغرب لفاس وأحوازا سنة احدى وسبعين ومائة وألف (1171هـ) وبها سمع من الحديث، ولقي الشيخ القطب مولاي الطيب الوزاني بوزان، وتبرك به وأخذ عنه الأوراد وأذن له في التلقين إلا أنه سرعان ما امتنع لاشتغاله بنفسه<sup>3</sup>. ثم قفل راجعا قاصدا بلدة الابيض في ناحية الصحراء التي بها ضريح الولي الكبير القطب الشهير

<sup>1</sup> - أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج 2 ، ص: 40 .

<sup>2</sup> - علي حرازم ، جواهر المعاني وبلوغ الأمانى في فيض سيدي أبو العباس التجاني رضي الله عنه ، المطبعة المحمدية بمصر، ج1 ، 1318 هـ ، ص: 19، 20.

<sup>3</sup> - الحفناوي ، المرجع السابق، ص: 40.

سيدي عبد القادر ابن محمد الملقب بسيدي الشيخ فمكث بها خمس سنوات للعبادة والتدريس والقراءة ، ووصل في هذه المدة الى بلدته عين ماضي ثم ارتحل منها إلى تلمسان التي درّس فيها علم الحديث والتفسير . ومع بداية سنة إحدى وثمانين ومائة الف (1181هـ) لاحت عليه علامات الفتح وأوى إلى الخلوات والعبادات والقربات وظهرت عليه خوارق العادات<sup>1</sup> ، ومال إلى السفر والترحال ، ففي سنة 1186هـ/1773م قصد المدينة المنورة لأداء مناسك الحج وبها التقى العالم الكبير أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم الشهير بالسمان، ثم رجع إلى مصر حيث مكث بالقاهرة واجتمع بعلمائها الذين أفادهم من علومه الغزيرة كما عرض عليه شيخه محمود الكردي المصري العراقي طريقته وأذن له بتلقينها<sup>2</sup> وأجازه<sup>3</sup>.

ثم قفل راجعا مارا بتونس ثم تلمسان قاصدا فاس لزيارة في مولانا إدريس سنة إحدى وتسعين ومائة وألف (1191هـ /1778م)، ومنها قفل راجعا إلى تلمسان التي أقام بها مدة، ثم توجه ناحية الصحراء سنة (1196هـ /1782م) ونزل بقرية بوسمغون، ثم سافر منها إلى توات وجاب بلاد السودان وتونس بقصد الزيارة ولقي الأولياء والأخذ عنهم، ثم رجع إلى بوسمغون وفيها وقع له الفتح وأذن له في تلقين أورد طريقته<sup>4</sup>.

استطاع أحمد التيجاني في فترة ثمانية عشر سنة أي من (1196-1212هـ/1781-1799م) أن يرسى قواعد طريقته ، بفضل تنقلاته فأصبحت في وقت قصير تمثل قوة في المنطقة<sup>5</sup>، هذا ما جعل حكومة الأتراك تخاف منه ومن طريقته وتحسب لها ألف حساب،

<sup>1</sup> علي حرازم ، المصدر السابق ، ص: 24، 25.

<sup>2</sup> نص الإجازة موجود في كتاب جواهر المعاني ، ص:34، 35.

<sup>3</sup> - louis rinn, opcit p :417.

<sup>4</sup> - ibid, p :418-420

<sup>5</sup> - ibid , p:420.

خصوصا بعد تزايد مردييه وأنصاره وهو ما عبر عنه الزهار في مذكراته: "وكان ملوك الترك يخافون منهم أن يثوروا عليهم لكثرة أتباعهم من العرب"<sup>1</sup>.

وأمام التأثير الكبير للشيخ التيجاني وتوسع طريقته، وورود أنباء عن بوادر تمرد سكان الصحراء وعدم خوفهم من سلطة الأتراك وبطشهم<sup>2</sup>، قرر الباي محمد الكبير باي وهران غزو عين ماضي ابتداء من سنة (1196هـ/1782/1783 م) وفرض على سكانها ضريبة سنوية<sup>3</sup> واستقبل منهم الهدايا والعطايا المتمثلة في الخيل والخدم والدرهم.

و في عام 1784م عاد الباي من جديد في حملة أخرى على عين ماضي يقصد منها تشديد الحصار والحد من نشاط التيجاني، وفي العام الموالي جهز صالح باي قسنطينة حملة أخرى على عين ماضي<sup>4</sup>.

وفي عام 1202هـ/1787م قام عثمان باي ابن محمد الكبير بالزحف على الزاوية لإجبارها على دفع الضرائب، وهدد قرية بوسمغون بالزحف على ديارهم، إذا لم يبتعدوا عن التيجاني. وأمام هذه المضايقات التي أرهقت الشيخ، رحل إلى المغرب عبر الصحراء، وطلب من سلطان المغرب مولاي سليمان اللجوء من ظلم الأتراك ( 1213هـ/1798-1799 م) فأكرمه السلطان وأواه<sup>5</sup>، وأهداه قصرا له ولعائلته يدعى حوش المرايات<sup>6</sup>، ومنها بقي هناك إلى أن وافته المنية بفاس في 14 شوال 1230هـ / 19 سبتمبر 1815م وحضر جنازته عدد هائل من علماء فاس وأعيانها وفضلائها وأمرائها وصلى عليه الإمام الفقيه العلامة أبو عبد

<sup>1</sup> - أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص: 196.

<sup>2</sup> - أحمد بن سحنون الراشدي، الشعر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ص: 147.

<sup>3</sup> يقدر رين قيمة هذه الضريبة بـ 181 ريال، ينظر: Louis rinn, op, cit, p:420.

<sup>4</sup> محمد مكحلي، المرجع السابق، ص: 212-213.

<sup>5</sup> عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص: 287.

<sup>6</sup> -Arnaud (L) , op, cit, p :471.

الله سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي وازدحم الناس على حمل نعشه ودفن بزاويته المشهورة من حومة البليدة وضريحه بها مشهور<sup>1</sup>.

### \* علي التماسيني :

هو أبو الحسن سيدنا الحاج بن الحاج عيسى التماسيني نسبة إلى تماسين من أرض الجريد<sup>2</sup> ابن الحاج محمد بن الصغير بن محمد بن موسى بن يحيى بن اسماعيل بن محمد بن احمد بن علي بن حسن بن القاسم المشهور بالزارع بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن مولانا علي كرم الله وجهه زوج مولاتنا فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>3</sup>، وهو بذلك ينتمي إلى أصل شريف حيث ينحدر أجداده من ينبع النخيل من أرض الحجاز<sup>4</sup>، ولذا يطلق عليه الينبوعي وقد قدموا بلاد المغرب وتفرقوا فيه عبر مراحل مختلفة .

ولد الحاج علي سنة 1180هـ بقرية تماسين ونشأ بها في عائلة متدنية، ومال منذ صغره إلى الانزواء والإدمان على القراءة والذكر وملازمة الصالحين والابتعاد عن اللعب واللهو<sup>5</sup> وكان يحب المساكين ويعين المحتاجين، وأمانا للخائفين ويكرم أهل الفضل، ويطعم الجائع ، ويكسو العريان، ولا يحقر فقيرا، ولا يوالي جبارا لجبروته أو غنيا لغناه، محافظا على جواره إذا عنهم بسلاحه و قوته وعتاده ، ولا يتنازل عن حق إذا رآه حقا ، ولا يتساهل في باطل ،

<sup>1</sup> - الحفناوي ، المرجع سابق ، ص: 43- 44 .

<sup>2</sup> - نفسه ، ص: 273 .

<sup>3</sup> - علي بن خليفة ، العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني ، مطبعة دار الجائزة ، القبة ، الجزائر ، ط1 ، 2015 ، ص: 32 .

<sup>4</sup> - محمود بن المظماطية ، غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين ، مخطوط بزاوية تماسين ، ص: 13.

<sup>5</sup> - حقي محمد التجاني التماسيني ، المرجع السابق ، ص: 52 .

لقد منح الله حسن الخلق والتواضع والتؤدة وحسن التبصر في العواقب، قائم على آداب الكتاب والسنة، واقف على أمور دينه كما هو واقف على أمور دنياه<sup>1</sup>.

تعود علاقة الحاج علي بالطريقة التجانية إلى فترة مبكرة حيث حصل بينه وبين الشيخ القطب أحمد التجاني تلاقي الأرواح قبل الأجساد، وهو ما جعل هذا الأخير يكلف محمد بن المشري السايحي سنة 1214هـ<sup>2</sup>، بتسليم أمانة لمن يطلبها أثناء تأديته لمهمة نشر الطريقة عبر الصحراء فكان أبو المواهب يتوسم كل فاضل من أهل الخير من بني عمومته الأشراف، لعل أن تكون لهم هذه المنّة، فما سنحت لأحد منهم، فلما وصل إلى قرية تماسين ولا يعرف بها أحدا، فأول من لاقاه صاحب الترجمة فسلم عليه سلام معرفة وقال له : هل استدعاك أحد للعشاء ، فأجاب لا ، قال : الليلة عندنا والملتقى بالمسجد، فلما جاء الميعاد طلب منه تسليم الأمانة التي بعث بها الشيخ ، فسلمها باعتبار وقال: لا مانع لمن أعطاه الله<sup>3</sup>.

ويعود أول لقاء بين الحاج علي ومولاه القطب أحمد التجاني إلى سنة 1202 هـ ، حين قصده مع وفد واد سوف، أين استقبله مولاه استقبالا خاصا وقدمه للصلاة وأفاض عليه من أسراره وأشرقه بأنواره ليكون خزانة داره، فشد في سبيل الخدمة إزاره ، وعكف على بابيه ليله ونهاره، حتى اكتمل بدره وأشرفت شمس، كان يسافر إليه في كل سنة أوائل الربيع، ويرجع إلى مقره أواخر الخريف، أربعة عشر سنة في أول الأمر كانت أخته حاضنته على بنيه ومتصرفه بعده فيما يليه، ولما كبر ولداه أقاما فيما يصلح من حال بيته<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الصادق بن أحمد العروسي، المرجع السابق ، ص: 13.

<sup>2</sup> ذكر صاحب البراهين أن أول لقاء للحاج علي التماسيني بمولاه الشيخ القطب كان سنة 1204 هـ بعين ماضي ، أي قبل ارتحاله إلى فاس 1213هـ، وتلقيه الأمانة يعود إلى قبل هذا التاريخ أي سنة 1203 / 1204 هـ ، ينظر محمود بن

المطماطية، غرائب البراهين، المصدر السابق، ص: 18.

<sup>3</sup> حقي محمد التماسيني ، المرجع السابق ، ص: 53.

<sup>4</sup> نفسه ، ص: 55.



هذا وقد حظي الحاج علي بمكانة خاصة عند الشيخ أحمد التجاني فهو من خاصة خاصته قدّمه للإمامة في زاويته بفاس على كبار وفطاحلة علمائها<sup>1</sup>، كما شهد له بالفتح وتوققه على كل أصحابه حتى لما سئل عن خلل في صلاته قال : ذلك رجل مفتوح عليه و الصلاة خلف المفتوح عليه مقبولة<sup>2</sup>، ولما احتاج أصحاب القطب إلى رقية إحدى إمامه المريضة قال لهم الشيخ... "ما رأيت من هو أمثل لذلك إلا سيدي الحاج علي التماسيني لو كان حاضرا"<sup>3</sup>.

تولى الحاج علي التماسيني خلافة شيخه في الطريقة بعد وفاته سنة 1230هـ/1815 م بناء على رغبة مولاه تصريحاً وتلميحا في عدة مناسبات في حياته وقبيل مماته ، حيث قام رجل من الأصحاب من بينهم ونادى بأعلى صوته بإذن الشيخ وأمره قدس الله سره قائلاً : إلا أن العصر لله وللرسول ولأحمد التجاني والخلافة لعلي ، فقال الشيخ التماسيني مسرعا : علي حرازم فسكت الشيخ ، ثم أعاد المنادي كلامه فأعاد عليه الشيخ التماسيني كلامه أيضا فالتفت له الشيخ وكان جالسا في ناحية من المجلس بعيدا عنه ورماه وقتئذ بسبخته الشريفة وقال له بقوة الله ورسوله يقولان علي التماسيني وأنت تقول علي حرازم<sup>4</sup>.

حقق علي التماسيني منذ ظهوره على مسرح الأحداث باعتباره الرجل الثاني بعد التجاني لما تمتع به من خصال جمة ، جملة من الانجازات كان أهمها بناء زاوية تماسين تلبية لأمر سيده سنة 1220هـ/1803م، لتكون موردا للظمان وإغاثة للهفان ومدرسة للذكر والقرآن

<sup>1</sup> أحمد سكيرج التيجاني، كشف الحجاب عن من تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب، المطبعة المهدية، المغرب، 1961، ص: 126.

<sup>2</sup> علي بن خليفة ، المرجع السابق ، ص: 77.

<sup>3</sup> الحفناوي ، المصدر السابق ، ص: 274.

<sup>4</sup> محمود بن المظماطية ، المصدر السابق ، ص: 20.

وسفينته للنجاة من بغي الشيطان ومقصدا لطلاب العلم والعلماء من مشارق الأرض ومغاربها، وبعد اتمام البناء انتقل الشيخ سيدي علي الحاج اليها سنة 1220هـ / 1805م<sup>1</sup>.

كما بنى زاوية عين ماضي من أجل أبناء شيخه وقد أتم عملية البناء سنة 1231هـ / 1816 م علما بأن الشيخ أحمد التجاني لم يترك بناءات بعين ماضي سوى منزله الذي كان يقيم فيه<sup>2</sup>، وبقي الحاج علي مدة في عين ماضي أين وضع الأمور في مكانها وبعدما حقق الرخاء المادي للزاوية عاد أدراجه إلى تماسين، ليتفرغ لنشر الطريقة وإرساء دعائمها في الصحراء الشرقية وتونس وصولا إلى أقصى الجنوب، فقد ربط علاقات متينة بإفريقيا الوسطى والطوارق والسودان<sup>3</sup>، وفي هذا الإطار قرر تشييد زاوية بتونس العاصمة بعد أن أخذ عدد المريدين يتزايد بها باستمرار، فكلف أحد وكلائه بتونس فاشترى له مجموعة من محال تجارية بالحي المعروف بترنجة أو السبخة قريب من الباب الخضراء بتونس فتحوّلت تلك المجموعة إلى نواة أو زاوية بالديار التونسية سنة 1837م وكان قد تقدم فيها الحاج عمر بن سليمان الزواوي الجزائري<sup>4</sup>.

وتجدر الإشارة أن خلافة الحاج علي للطريقة دامت ثلاثين سنة انتشرت الطريقة في أيامه انتشارا واسعا وازدهرت وامتدت شرقا وغربا إلى أن عمت المغرب العربي ومصر والسودان حتى صار سنده في الطريق يمثل ثمانين بالمائة من جميع الأسانيد وهو أعلاهم وأشرفهم إذ تلقى السر المصون من شفتي شيخه ومن سويداء قلبه بمشيئة إلهية لا يطلب منه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- حقي محمد التماسيني ، المرجع السابق ، ص : 59 .

<sup>2</sup>- الصادق لعروسي، المرجع السابق ، ص: 43-44.

<sup>3</sup>- louis rinn, op cit, p :423,424.

<sup>4</sup>-علي غريسي ، الزاوية التجانية طرنجة، المرجع السابق، ص :8-18.

<sup>5</sup>- الصادق لعروسي، المرجع السابق ، ص: 106.

يعتبر الحاج علي التماسيني بسيط المعرفة حسب المترجمين له، فلا نعرف له معلما ولا إجازة سوى الإجازة الصوفية التي أخذها عن شيخه أحمد التجاني عندما زاره في المغرب الأقصى، وكان فلاحا معتزا بالفلاحة أكثر منه عالما متعلقا بالعلم والتأليف ولا شك أنه اهتم بتحفيظ القرآن لأبنائه وأبناء البلدة أيضا، ورغم أنه عاش ثمانين سنة ومع ذلك لا نعرف له تأليفا أو وثيقة مكتوبة صادرة عنه تدل على علمه ولم يجلس للدرس في أي فن من الفنون<sup>1</sup>.

انتقل الحاج علي إلى جوار ربه بعد مرض بدأت تظهر عليه أعراضه سنة 1259هـ/ 1843 م يوم الثلاثاء 23 صفر 1260هـ/ 12 مارس 1844م ودفن بزوايته في تملاحت وقام بتغسيله كل من أحمد بن بلقاسم بن تليلي المعروف بميده ، وموسى الوصيف الذي كان محبوبا عند الشيخ<sup>2</sup>.

#### \* محمد بن المشري السايحي :

ينسب محمد بن المشري السايحي إلى قبيلة أولاد السايح بالصحراء الجزائرية وهم أشرف استوطنوا واد ريغ بالقرب من تقرت ومارسوا حياة الترحال بين ريغ و القرارة، و صحراء بريان، ثم أفلو وتيارت وفي الجهة الأخرى يمرون على مسعد وبوسعادة والجلفة والشارف وكانت محطات تنقل وراحة<sup>3</sup>.

ينحدر محمد بن المشري من الجيل الرابع لأحفاد أولاد السايح فهو محمد بن المشري بن التواتي بن أحمد بن محمد بن السايح<sup>4</sup>. وقد أكدت معظم المصادر التي ترجمت له نسبه السايحي أو السايحي على غرار صاحب تعريف الخلف الذي ذكر أنه من عرش أولاد

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص: 225.

<sup>2</sup> - علي بن خليفة ، المرجع السابق ، ص: 57 .

<sup>3</sup> - عبد القادر موهوبي ، وصفات تاريخية واجتماعية في تاريخ وادي ريغ ، دار البصائر، الجزائر ، ط1 ، 2011 ، ص:

119 .

<sup>4</sup> - عبد القادر موهوبي، تحفة الأولاد في سند الأجداد ، مطبعة بن سالم ، الأغواط ، ط1 ، 2009 ، ص: 455.

السايح<sup>1</sup> ، وكذلك أحمد سكيرج في كشف الحجاب "الإمام القدوة المبجل الهمام أبو عبد الله سيدي محمد بن المشري الحسني السايحي التقرتي الدار<sup>2</sup>، وغيرها من المصادر التي تؤكد ارتباط نسب محمد بن المشري بالولي الصالح الشهير بمنطقة واد ريغ سيدي محمد السائح الشريف الحسني .

ولد محمد بن المشري في منتصف القرن الثاني عشر الهجري سنة 1146 هـ<sup>3</sup>، بإحدى قرى وادي ريغ التي تقطنها قبيلة أولاد السايح كعمر، الجالي، العلية، الحجيرة، الطيبات... إلّا أن مكان ولادته غير معروف بالضبط لكون هذه القبيلة مارست حياة الترحال والبدواة فيمكن أن يكون بوادي ريغ أو خارجه، رغم أن البعض رجّح العلية<sup>4</sup> كمسقط لرأسه وهي تابعة لإقليم تقرت، وبهذا فإن محمد بن المشري تقرتي الدار مولدا ونشأة، وأغواطي بحكم استقراره في آخر حياته بعين ماضي وفاسي لأنه لازم شيخه هناك ما يقارب الثلاثين سنة .

يعتبر ابن المشري من الرعيل الأول الذي اعتنق الطريقة التجانية بعد التقائه بالشيخ أحمد التجاني سنة 1188 هـ بتلمسان وبقي ملازما له وفي صحبته إلى أن وافته المنية سنة 1224<sup>5</sup>، اعتمد عليه الشيخ في كتابة رسائله إلى الأحاباب كما انتدبه للصلاة به في زاويته لما يقارب الثلاثين سنة . وكان بن المشري من الحريصين على نشر دعوة شيخه التجاني خاصة بين أبناء عمومته ولذا يعتبر بحق ناشر الطريقة بين أولاد السايح و الصحراء و تماسين والقبائل الأخرى<sup>6</sup> بل حتى إلى الجنوب التونسي و خاصة توزر<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - الحفناوي ، المرجع السابق ، ص : 540 .

<sup>2</sup> - أحمد سكيرج، المرجع السابق ، ص : 151 .

<sup>3</sup> انفرد عبد القادر موهوبي صاحب كتاب تحفة الأولاد في سند الأجداد بذكر سنة ميلاده في الصفحة 223 على خلاف المصادر التي ترجمت له ولم تحدد تاريخ ميلاده .

<sup>4</sup> عبد القادر موهوبي ، المرجع السابق ، ص : 84 - 90 .

<sup>5</sup> أحمد سكيرج ، المرجع السابق ، ص : 150 .

<sup>6</sup> عبد القادر موهوبي ، المرجع السابق ، ص : 457 .

وكل ذلك يعزز المكانة الكبيرة لابن المشري عند شيخه التجاني وفي هرم الطريقة ، فهو من خاصة الخاصة وتعد كتاباته في صدارة ترتيب مصادر التجانية بحكم قربه من الشيخ ومعرفة أسرارهِ وتدوين فتاويه وأراءه منه مباشرة، لذا وصفه سكيرج بخزانة الأسرار العرفانية وترجمان الطريقة التجانية<sup>2</sup>، وعد من مشاهير فقهاء الأغواط وحامل مذهب الإمام مالك وله عدة تأليف أهمها الجامع، مواهب المنان و نصرة الشرفاء<sup>3</sup>.

ب- تونس:

\* إبراهيم الرياحي :

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر بن الفقيه إبراهيم الطرابلسي الذي يرتفع نسبه إلى آل البيت النبوي الشريف ولد عام 1180 هـ بتستور وبها تربى وحفظ القرآن الكريم ثم ارتحل إلى تونس لطلب العلم فلازم كبار علمائها الفحول أمثال حمزة الجباس، وصالح الكواش ومحمد الفاسي وعمر المحجوب وإسماعيل التميمي والظاهر بن مسعود وغيرهم من علماء الحاضرة التونسية<sup>4</sup> فنال المراد وارتقى إلى سلم العلماء الكبار .

وأما معارفه الربانية وطرق وصوله إليها فقد أخذ الطريقة الشاذلية عن أستاذه العارف بالله الشيخ البشير<sup>5</sup>، ثم سرعان ما اختار الطريقة التجانية الأحمديّة سنة 1216 هـ بعدما التقى بالشيخ علي حرازم بتونس والذي لقنه مبادئها الأساسية<sup>6</sup>، وفي سنة 1218 هـ اختاره الباي حمودة باشا في مهمة رسمية دبلوماسية إلى السلطنة المغربية في عهد السلطان مولاي سليمان لغرض جلب الميرة للإيالة بعدما أصابها مسغبة، فتوجه الرياحي إلى فاس

<sup>1</sup> علي غريسي، الطريقة التجانية في الجنوب التونسي، المرجع السابق ، ص: 29-30.

<sup>2</sup> أحمد سكيرج ، المرجع السابق ، ص: 149.

<sup>3</sup> الحفناوي ، المرجع السابق ، ص: 540.

<sup>4</sup> محمد السنوسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص-ص: 252-258.

<sup>5</sup> ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص-ص: 145-147.

<sup>6</sup> عبد الباقي مفتاح ، أضواء علي أحمد التجاني وأتباعه ، المرجع السابق، ص: 187.

وقصد مباشرة شيخه أحمد التجاني الذي اجتمع به ثم ذهب إلى السلطان الذي أعجب بحنكته وقوة شخصيته وجمال شعره بعد أن سمع منه قصيدة يمتدحه فيها مطلعها :

إِنَّ عَزَّ مَنْ خَيْرَ الْأَنْامِ مَزَارٌ      فَلَنَا بِزُورَةِ نَجْلِهِ اسْتَبْشَارٌ  
أَوْ لَيْسَ نُورُ الْمُصْطَفَى بِجَبِينِهِ      كَالشَّمْسِ يُظْهِرُ نُورَهَا الْأَقْمَارِ  
إلى أن يقول :

هَذَا الْخَلِيفَةُ وَإِبْنُ أَكْرَمِ مُرْسَلٍ      وَسَلِيلٍ مَن فَخَرَتْ بِهِ الْأَمْصَارُ<sup>1</sup>

ورجع الشيخ من سفارته قرين العين، مقضي الحاجة مشكور السعي وخلف طيب الثناء أخذا بمجامع قلب السلطان، حظي العلامة الرياحي بمكانة مرموقة بين بايات الإيالة فقد اقترحت عليه خطة الإنشاء سنة 1221هـ / 1806م فامتتع، ثم قدمه الباي حسين سنة 1248هـ لرئاسة أهل الشورى من المفتين، وأنابه الباي مصطفى للحج سنة 1252هـ، وكتب معه مكتوبا للحضرة النبوية وأمره بإلقائه في الروضة العلية<sup>2</sup>.

وفي سنة 1238هـ / 1822م، قرر الشيخ الرياحي مرافقة الطاهر بن عبد الصادق لزيارة صاحب تماسين عسى أن ينال لديه مراده من المقاصد، وانطلق في رحلته مارا بالجريد وسوف وصولا إلى قمار أين أعجب باستقبال أهلها وبها ألقى قصيدة مرتجلة في زاوية قمار في حق ابن الشيخ محمد الكبير حين قابله :

يَهْنِيكَ يَاذَا الطَّرْسِ كَفُّ مَحْمَدُ      وَكَفَّاكَ لَثْمُ الثَّرَابِ مِنْ أَقْدَامِهِ  
فَإِذَا شَمَمْتَ الْمِسْكَ مِنْ إِقْبَالِهِ      وَنَمَا سُرُورَكَ حِينَ كَشَفَ لِثَامِهِ  
فَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْمُصْطَفَى      يَا بِنَ الْخِتَامِ الْعَوْثِ فِي أَيَّامِهِ

<sup>1</sup> - ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص : 76 .

<sup>2</sup> - في هذه السنة أرسل الديوان السلطاني برقية إلى باي تونس بتكليف إبراهيم الرياحي بنقل حصيلة أوقاف الحرمين الشريفين بتونس والمقدرة ب 200000 ريال دريكلي ، ويبدو هذه المهمة جاءت تنفيذا لهذا الأمر ، ينظر :الأرشيف الوطني الجزائري ، دفتر خط همايون، العلية 17 رقم 56906 ، 1252 هـ ، و الملحق رقم 24 .

ذاك المشوق إليك إبراهيم قد  
تعدّ المشيبُ به إلى أسقامه .  
إلى أن يقول :

دامت عُلاك ودَامَ يُسِرَ طَرِيقَنَا  
كَأْسُ الرَّحِيقِ وَأَنْتَ خِتَامُهُ<sup>1</sup> .  
ولما وصل تماسين واجتمع بالغوث الحاج علي التماسيني خاطبه بقصيدة ومن جملة ما  
جاء فيها<sup>2</sup> :

إِذَا مَا وَضَعْتَ الْأَرْضَ فِي فَلَكِ الْعُلَا  
وَنَزَلْتَ سُكَّانَ السَّمَاءِ بِجِبَالِ  
وَسُقَّتْ شِمَالِ الدَّارِ نَحْوَ يَمِينِهَا  
وَأَهْلُ يَمِينٍ فِي مَكَانِ شِمَالِ  
وَطَوَّعْتَ مِنْ أَقْطَارِهَا كُلِّ جَانِبِ  
وَبَيَّيْنْتَ مِنْهَا مَا بَدَى بِجَمَالِ  
فَأَنْتَ حَكِيمُ الْوَقْتِ صَاحِبُ سِرِّهِ  
فَدُونُكَ أَقْفَالُ بُلْغَزِ مَقَالِ

وفي سنة 1254هـ كلف المشير أحمد باي الشيخ الرياحي بالسفر لدار الخلافة العثمانية  
على عهد السلطان محمود خان في طلب إعفاء الإمارة التونسية مما عينه عليها من الخراج  
السنوي الذي أرسل بطلبه، ولما بلغ الشيخ دار الخلافة حصل له الاحتفال، ووقع تلقيه  
بالإجلال وعظم لديه إكرام العلماء الأندلس وسره منظر البلاد، وتلقته الحضرة السلطانية  
بالقبول وأعفت بلاده بترك طلب الخراج<sup>3</sup>، وفي سنة خمس وخمسين ومائتين وألف (1255هـ)  
عينه المشير المذكور إماما أكبر بجامع الزيتونة وبذلك جمع بين الإمامة الكبرى  
بجامع الزيتونة ورئاسة الفتوى<sup>4</sup>.

انتقل الرياحي إلى جوار ربه سنة ست وستين ومائتين وألف ( 1266هـ/1850م) بعدما  
أصابه المرض الوبائي - الكوليرا - وحضر جنازته خلق كثير يتقدمهم الأمير والمأمور<sup>5</sup> و

<sup>1</sup> الصادق العروسي، المرجع السابق، ص-ص: 76-78 .

<sup>2</sup> نفسه، ص: 79.

<sup>3</sup> محمد السنوسي، المصدر السابق، ج 1، ص: 306-315 .

<sup>4</sup> محمد مخلوف، المصدر السابق، ص: 195.

<sup>5</sup> محمد السنوسي، المصدر السابق، ج 1، ص: 340 .

يعد العلامة إبراهيم الرياحي من أفاضل أصحاب التجاني وحامل لواء الطريقة في البلاد التونسية، ونظرا لمكانته الكبيرة في هرم الطريقة الأحمدية فقد خصه الغوث أحمد التجاني بمراسلات عديدة وخاطبه فيها بالفقيه الحبيب الأنبل النبيه الأفضل أبي إسحاق سيدي...<sup>1</sup> ، وكل ذلك يدل على مكانة الرجل الرفيعة في العلم والطريقة، وهو بدوره كاتب التجاني في قضايا كثيرة .

ترك الشيخ الرياحي وراءه موروثة هامة تمثل في حاشية على الفاكي، وحاشية على شرح الخرجية في العروض، وصلوات على النبي (ص)، وديوان خطب وديوان شعر جمعها ابنه الأديب الفقيه أبو الحسن علي، وأجوبة علي مسائل شتى تسع مجلدا كبيرا لو جمعت<sup>2</sup> .

### ج- المغرب

#### \* علي حرازم :

هو العارف بالله الخليفة الشهير سيدي الحاج علي حرازم بن العربي بزادة الفاسي مولدا و منشأ الحجازي وفاة، التقى بالشيخ أحمد التجاني بوجدة سنة واحد وتسعين ومائة و ألف (1191هـ) وتوجه معه إلى الروضة الإدريسية ، ثم لقنه الطريقة الخلوتية وأوصاه بلزوم العهد والمحبة حتى يأتي الفتح إن شاء الله تعالى<sup>3</sup> ، وبعد انتقال الشيخ إلى فاس نهائيا لازمه صاحب الترجمة وخدمه لمدة طويلة تبوأ خلالها مكانة خاصة عند الشيخ وفي الطريقة حيث ائتمنه على سره وكلفه بكتابة رسائله إلى مختلف الجهات والفئات والأحباب حتى وصفه"

1 - أحمد سكيح ، المرجع السابق ، ص: 146.

2 - ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص: 82 .

3 - أحمد سكيح ، المرجع السابق ، ص: 69.



بذي المقام الأسمى الجامع لأشتات المعارف والأسرار... أكبر خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه <sup>1</sup> ، وقد نال الولاية التامة بصحبته للتجاني و خلافته في حياته.

وقد استطاع علي حرازم أن يلعب دور السفير الناجح في تبليغ مبادئ الطريقة التجانية سواء في المغرب أو خارجها ، ومن جملة ذلك إدخالها إلى البلاد التونسية عن طريق إبراهيم الرياحي الذي لقنه وردها وأجازه إجازة تامة، وهذا الأخير أي الرياحي يخص شيخه برادة بقصيدة عصماء طرزها ببعض شمائله مطلعها <sup>2</sup> :

|  |   |
|--|---|
| كَرْمُ الزَّمَانِ وَلَمْ يَكُنْ بِكَرِيمٍ      | وَصَفًا فَكَانَ عَلَى الصَّفَاءِ نَدِيمِي |
| وَأَفَاضَ مِنْ نِعَمٍ عَلَى سَوَابِعِهَا       | لِلَّهِ يَشْكُرُهَا فَمِي وَصَمِيمِي      |
| عَظُمَتْ عَلَى الشَّعْرِ الْبَلِيغِ وَرُبَّمَا | عَجَزَ الثَّنَاءُ عَنِ الْوَقَا بَعْظِيمِ |
| وَأَجْلَهَا نَظْرِي إِلَى ابْنِ حَرَازِمٍ      | وَتَمَنَّعِي مِنْ وَجْهِهِ بِنَعِيمِ      |

ومن تأليف علي حرازم برادة جواهر المعاني في فيض الشيخ أحمد التجاني الذي أمره الشيخ بجمعه، وهو الكتاب الشهير عند كل من ينتمي إلى الطريقة التجانية، وله الرسالة الشافية أو الشامية والكنز المطلسم في حقيقة سر اسمه الأعظم، والإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الاحمدية التجانية، وشرح الهمزية للإمام البصيري الذي أملاه الشيخ عليه<sup>3</sup>، وفي حدود عام 1817/1818م توفي الحاج علي حرازم بالمدينة المنورة<sup>4</sup> ، بعد أن حصل له الفتح الأكبر وأمره شيخه بمغادرة فاس.

<sup>1</sup> - أحمد سكيح ، المرجع السابق ، ص: 68.

<sup>2</sup> عبد العزيز بن عبد الله ، المرجع السابق: 231 ، محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص: 743-745.

<sup>3</sup> نفسه ، ص: 232.

<sup>4</sup> محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، ج7 ، 1996 ، ص: 2475.

## 2- الخلفاء:

ونقصد بهم الشيوخ الذين توارثوا إمامة وتسيير شؤون الطريقة التجانية في زوايا الأم بالجزائر أي بكل من زاويتي تماسين وعين ماضي، نظرا لدورهما الكبير في الحفاظ على المبادئ والمرتكزات الأساسية للطريقة، وكذا مواصلة نشر وتوسيع قاعدتها سواء بالجزائر أو خارجها لاسيما في الإيالة التونسية، وذلك من خلال التواصل مع كل أطراف المجتمع التونسي الرسمية منها والشعبية، وقد برز في ذلك أساسا فرع زاوية تماسين من خلال نشاط شيوخها مع منطقة الجريد وكل البلاد التونسية.

## أ- أبناء الحاج علي التماسيني وأحفاده:

ومن أهم من ساهم في عملية التواصل مع الحاضرة التونسية هم أبناء الشيخ علي التماسيني وأحفاده وسنركز على الذين تشملهم دراستنا هذه:

## \* الشيخ محمد العيد:

ولد عام 1230هـ/1815م بتماسين وهو نجل الحاج علي التماسيني الحسني، حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه بالزاوية على يد نخبة من العلماء والفقهاء منهم علامة سوف أحمد بن عمار التغزوتي، لخضر بن حمانة القماري، الفقيه بن بابا الشنقيطي التجاني، المحدث المختار الشنقيطي وعلي السوداني<sup>1</sup>.

تولى شؤون الزاوية بعد وفاة والده سنة 1260هـ/1844، واستمر في قيادتها إلى تاريخ وفاته عام 1292هـ/1875، ومن أهم انجازاته ترتيب شؤون زاوية عين ماضي بعد وفاة محمد الصغير التجاني و زاوية تماسين من خلال الاهتمام بالجانب العلمي والعمراني بها.

<sup>1</sup>-علي غريسي، أعلام وأختام، المرجع السابق، ج1، ص:13.

ويحسب له تمثين الروابط مع تونس عن طريق الزيارات لها (1856-1866م) وتوسعة زاوية الطرنجة بالعاصمة تونس، وكثرة المراسلات مع مختلف أعيان الايالة<sup>1</sup>.

كان محمد العيد عارفا بأمر الدنيا والتصوف، ذو ورع وفضائل شخصية، لقب "بالولي" و"صديق الجميع"، وصفت زاوية تماسين في عهده على أنها أعظم زوايا الجزائر في هندستها ومعمارها وامكانياتها المادية، وسلطة محمد العيد الروحية كانت قوية في الجنوب، إذ يمتد نفوذه إلى جبال الهقار<sup>2</sup>، سار محمد العيد على نهج الطريقة بالنسبة لتعاملها مع الفرنسيين، وقد أظهر كل التفاهم والإخلاص وكان تأثيره كبيرا في سوف ووداي ريغ، وسهل مهمة الجنرال دوفيرييه في التوغل إلى بلاد الطوارق سنة 1860م حينما منحه سبحته وقدمه على أنه تجاني<sup>3</sup>.

#### \* الشيخ محمد الصغير:

نجل الحاج علي التماسيني ولد عام 1232هـ/1817م بتماسين، حفظ القرآن وتلقى العلم والفقہ عن علماء الزاوية في عصره، أجازه والده في الطريقة وكذا أخيه محمد العيد وكثير من العلماء<sup>4</sup>، تولى شؤون الزاوية سنة 1292هـ/1875م خلفا لأخيه الشيخ محمد العيد وكان أثناءها مقدا بزاوية قمار بوادي سوف وكان رجلا حازما تتوفر فيه شروط القيادة فهو شخصية ناضجة ومتفهمة وحكيمة، تتسم بالهدوء والتسامح، كلف أخاه معمر للقيام بشؤون الزاوية الزمنية وسار على نهج والده وأخيه في مسيرة الزاوية العلمية والاجتماعية والثقافية<sup>5</sup>، منها اهتمامه بالتعليم والإشراف عليه.

<sup>1</sup> - علي غريسي، أعلام وأختام، المرجع السابق، ص: 15 - 19 .

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص -ص: 221 - 224.

<sup>3</sup> - louis rinn, op cit,P:429,434.

<sup>4</sup> - علي غريسي، أعلام وأختام، المرجع السابق، ص: 23.

<sup>5</sup> -louis rinn, op cit,,P437.

وفي هذا الشأن أجاز مجموعة من الأسماء اللامعة كأخوه الشيخ معمر ونجله محمد العروسي والمقدم الحاج عمار بن صالح عيساوي اللموشي ومحمد لخضر دحة ومن القطر التونسي: علي باشا باي صاحب المملكة التونسية، المقدم علي بلقاسم الرزقي، العلامة محمد الشريف الإمام الأعظم بجامع الزيتونة، حسين بن محمد باشا باي، مصطفى بن علي الدولاتلي، محمد بن عمر العلاني القيرواني والعلامة المفتي محمد بن يوسف<sup>1</sup>. كما زار الإيالة ثلاث مرات مرفوقا بوفد كبير من أبناء الزاوية وكبار مقدمي الطريقة ومريديها خلال توجهه الى الحج (1860-1863-1885م)، وانتقل إلى الرفيق الأعلى سنة 1309هـ-1892م<sup>2</sup>.

## \* الشيخ معمر:

نجل علي التماسيني وخليفته الثالث ولد سنة 1241هـ/1826م، حفظ القرآن في سن مبكرة وتلقى العلوم عن علماء الزاوية، وأجيز في الطريقة من قبل أخويه محمد العيد ومحمد الصغير وكذلك من العلامة علي السوداني، وهو بدوره أجاز الكثير منهم علي بن الصديق السائحي، ومن تونس كل من العلامة محمود حسين والعلامة محمد بن صالح النيفر<sup>3</sup>.

تميز الشيخ معمر بحنكته السياسية "فهو رجل ذو قيمة ثقافية مع الجميع محنك وحادق وديبلوماسي ماهر"<sup>4</sup>، وهو ما سمح له بالحفاظ على تألق الزاوية في عهده وتوسعها حيث اشترى زاوية الشط بقسنطينة سنة 1899 في خلافة أخيه محمد الصغير وجلب منبر الزاوية من تونس، كما قصد البقاع المقدسة سنة 1854 ومر بتونس رفقة وفد هام على رأسه أخواه

<sup>1</sup> - علي غريسي، أعلام وأختام ، المرجع السابق، ص: 25.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص: 26.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 27.

<sup>4</sup> Louis rinn, op.cit,p :438.

حميدة ومحمد الأخضر<sup>1</sup>. توفي الشيخ معمر سنة 1310 هـ/1893م ورثته جريدة الزهرة التونسية في 25 جويلية 1893، كما رثاه العلامة محمد الطيب النيفر أحد المدرسين بجامعة الزيتونة بقصيدة نقتطف منها ما نصه<sup>2</sup>:

|   |  |
|---|--|
| حَطْبٌ لَهُ تَقِفُ النُّفُوسُ حَيَارَى        | وَتَصُبُّ أَعْلَافَ الْجُفُونِ غِرَارَا    |
| حَقًّا تَسَلَّمَتِ الْمُنُونُ مَعْمَرَا       | وَأَسْتَعَجَلَتْهُ الْجَنَّةُ إِسْتِنَارَا |
| السَّيِّدُ ابْنُ السَّيِّدِ الْقُطْبُ الَّذِي | قَدْ كَانَ لِلْمُتَصَرِّفِينَ مِدَارَا     |
| اللَّهُ يَا جُرُنَا فَرَزَاكُمُ أَدِي         | عَظْمُ الْخُطُوبِ إِذَا تُقَاسُ صِعَارَا   |
| وَلَتَبْقَ بِالْفِرْدُوسِ جَنَّتُكَ التِّي    | أَسْكَنْتَ جِوَارَ جَدِّكَ دَارَا          |

\* الشيخ محمد حمّة:

نجل الشيخ محمد العيد، ولد عام 1260هـ/1844م حفظ القرآن في صغره وزاول دراسته وتلقى العلوم عن عمه محمد الاخضر وعن المقدم لخضر بن حمّانه القماري<sup>3</sup>.

تولى شؤون الزاوية بعد وفاة عمه الشيخ معمر سنة 1310هـ/1893م وقام بتوسيع الطريقة إلى مناطق كثيرة، منها تأسيسه لزاويتي بسكرة و عن البيضاء، وجدد زاوية توزر بتونس ووضع زاوية باب منارة بالعاصمة تونس ووسع العمران بزاويتي تماسين و قمار، كما استقدم علماء أجلاء إلى زاوية تماسين منهم الشيخ السوسي التونسي والشيخ عبد الرؤوف المهري<sup>4</sup>.

اشتهر الشيخ محمد حمّة ببراعته العلمية وتوفقه في عدّة علوم كالفقه والحديث، وتخرّج على يديه نخبة منهم، نجله الأكبر الشيخ محمد البشير، والعيد نجل محمد الصغير والظاهر

<sup>1</sup> - علي غريسي ، أعلام وأختام، المرجع السابق، ص:28.

<sup>2</sup> - نفسه ، ص:29

<sup>3</sup> - علي غريسي ، أعلام وأختام، المرجع السابق ، ص:33.

<sup>4</sup> - نفسه ، ص:36.

بن سيدي الصغير وعلي بن الصديق السائحي، والحاج العربي من قاره من قسنطينة، وحمودة بن سالم الرايس الجربي، والعلامة محمد الشريف الإمام الأعظم بجامع الزيتونة. توفي الخليفة محمد حمّه سنة 1331 هـ/1912م<sup>1</sup>.

ب- أبناء الشيخ أحمد التجاني وأحفاده:

\* محمد الصغير (الحبيب):

ولد سنة 1216هـ/1802م بالمغرب الأقصى، حفظ القرآن الكريم هناك، وأخذ مجموعة من العلوم والمعارف قبل وفاة والده سنة 1230هـ/1815م، الذي كرس حياته في أواخر أيامه لتربيته مع أخيه "محمد الكبير" المولود سنة 1211هـ/1797م<sup>2</sup>.

عند وفاة والده كان عمره ثلاث عشرة سنة، فعاد به الحاج علي التماسيني رقة أخيه إلى الجزائر، وهياً لهما ظروف الإقامة بعين ماضي وقفل عائداً إلى تماسين، فقام الأخوان بجلب العلماء والفقهاء لإعادة مجد الزاوية، وبعد مقتل محمد الكبير بمعسكر سنة 1826، رجع محمد الصغير إلى عين ماضي من بوسمغون حيث لم يذهب مع أخيه، وأخذ بزمام قيادة الزاوية بفضل سياسته الحكيمة<sup>3</sup>.

استطاع محمد الصغير تجاوز أصعب المراحل التي مرت بها الزاوية بعد صموده في وجه حصار الأمير عبد القادر مدة ثمانية أشهر سنة 1838م، ومدّه لجسور التفاهم والتعاون مع الفرنسيين لتقوية جبهته في حربه مع الأمير، والتزم للجنرال "فالي" بدفع إتاوة سنوية<sup>4</sup>

وفي سنة 1844م توفي الحاج علي التماسيني، فتولى محمد الصغير قيادة الطريقة الى غاية وفاته سنة 1853م، وكان رجلاً مجرباً وداهية أكثر منه عالماً، ولذلك لم تستقطب زاوية

<sup>1</sup> - علي غريسي ، أعلام وأختام، المرجع السابق ، ص: 37، 38.

<sup>2</sup> louis rinn ; op-cit ; p :422

<sup>3</sup> - ibid , , p :423-424.

<sup>4</sup> - ibid ; p :426 .

عين ماضي في عهده لا التلاميذ ولا كبار العلماء وإنما كانت تقرئ القرآن فقط لأبناء البلدة، ثم فقدت الزاوية مكانتها بعد وفاته، إذ تحوّل مركز الثقل إلى زاوية تماسين من جديد، وزاد الطين بلة فراغ زاوية عين ماضي بعده من أي مدرس أو مكتبة أو حتى وريث شرعي حسب بعض الروايات الفرنسية<sup>1</sup>.

**ثالثاً: نماذج عن رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي ودورها في العلاقات العلمية**

إن التواصل بين الجزائر وتونس يعود إلى عهود سابقة بحكم الامتداد الجغرافي والترابط التاريخي والحضاري بين القطرين واتخذت هذه العلاقة عدة أشكال ومظاهر أهمها تبادل الرسائل في العصر الحديث والتي زادت عمقا واتساعا من خلال الطريقة التجانية التي عمد مؤسسوها الأوائل وخلفائها إلى تمتين أسس ومبادئ الطريقة عن طريق هذه الوسيلة .

ولم تقتصر هذه الرسائل عن منطقة دون أخرى من البلاد التونسية وهذا لتجذر الطريقة بها منذ فترة مبكرة، إلا أن الجنوب التونسي أخذ حصة الأسد من حيث المبادلات والمراسلات وهذا يعود إلى جملة من العوامل أهمها :

- اعتبار الجريد التونسي امتداد طبيعي للجنوب الشرقي للجزائر ( واد سوف) حيث اعتبرت كثير من الكتابات والمراسلات أن لا فرق بين الجهتين.

- يعد الجنوب الشرقي النواة الصلبة للطريقة التجانية من خلال مراكزها الحيوية وحواضرها الأساسية في تماسين و تغزوت و قمار .

- استقبال الجريد للدعوة التجانية في فترة مبكرة بفضل جهود الرعيل الأول للطريقة من أمثال محمد بن المشري السائحي الذي وطد علاقاته خلال مرحلة دراسته بالجنوب التونسي واستفاد منها لنشر الطريقة فيما بعد والجهود الكبيرة للشيخ الطاهر بن عبد الصادق القماري.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص: 224.

- ظهور دعاة كبار للطريقة في البلاد التونسية عموما والجريد خصوصا منهم محمود التونسي، إبراهيم الرياحي، الشيخ محمد بن سليمان المناعي، سيدي حامد بن سيدي أحمد بن عثمان وسيدي أحمد بن منصور الهادفي .

- حيوية ونشاط دعاة الطريقة في هذه الجهة باعتبارها النواة الصلبة التي تحوي كبار المقربين الأوائل من الشيخ أحمد التجاني أمثال الحاج علي تماسيني وأحمد بن سليمان التغزوتي و الطاهر بن عبد الصادق القماري وعبد بدّة القماري وعلي بن حنيش القماري و محمد بن المشري ومحمود التونسي وغيرهم .

امتد هذا التواصل بعد وفاة أحمد التجاني سواء في عهد خليفته الحاج علي التماسيني الأول، أو خلفاءه الذين جاءوا من بعده بل ترسخ أكثر وزاد عدد المراسلات وتتنوع مواضيعها ولذا يمكن أن نتناول مواضيع هذه المراسلات على النحو التالي :

- 1- الرسائل في عهد الشيخ أحمد التجاني .
- 2- الرسائل في عهد الحاج علي التماسيني .
- 3- الرسائل في عهد خلفاء علي التماسيني .
- 4- الرسائل في عهد أبناء أحمد التجاني وأحفاده.
- 5- نماذج لرسائل موجهة من أعيان القطر التونسي إلى الجزائر .

### 1- الرسائل في عهد الشيخ أحمد التجاني:

اعتمدت الطريقة التجانية على الرسائل في توطيد نفوذها عبر مختلف الأقطار وهذا منذ عهد المؤسس الغوث أحمد التجاني الذي كتب بنفسه أو عن طريق مقربيه رسائل في شكل أجوبة عن بعض القضايا التي تخص الطريقة خصوصا أو في مختلف القضايا عموما



وسواء وجّهت هذه الرسائل إلى أفراد أو جماعات من مختلف الشرائح في مقدمتهم الأحاب والفقراء والطلبة والتجار والأمراء والفقهاء ومقدمي وشيوخ الزوايا في المغرب والجزائر وتونس وغيرها<sup>1</sup>.

والمنتبع لتاريخ الطريقة وسيرة مؤسسها من خلال مصادرها الأساسية كالكناش أو ما يعرف بجواهر المعاني والجامع وكشف المحجوب وأخرى يجد أنها احتوت على كم هائل من الرسائل التي وجهها الإمام في حياته إلى القطر التونسي بجميع مناطقه سواء هو بنفسه أو عن طريق كتابه وقد تعددت مواضعها وسنقتصر على تقديم نماذج عنها.

#### • الرسالة الأولى :

وخص بها الشيخ أحمد التجاني أعيان الطريقة وأولهم الشيخ المناعي التونسي<sup>2</sup> الذي أخذ الطريقة والإجازة فيها عنه مباشرة ويبدو أنه راسل شيخه من تونس يشكو ضررا أصابه فأجابه الشيخ التجاني برسالة طويلة يعتذر منه على عدم قدرته في إيجاد حل لضره ويذكره بصفى الأولياء أمام قدرة الله عز و جل ويدعو له بالشفاء والصبر على البلاء جاء فيها :

" و بعد نسأل الله عز وجل أن ينزل عليك اللطف والراحة مما تشتكي منه ونسأله سبحانه وتعالى أن ينظر فيك بعين اللطف والرحمة والمعافة من كل بلية وأن يبلغك جميع الآمال وأن يتكفل بقضاء جميع حوائجك في الدنيا الآخرة، ونسال منه سبحانه وتعالى أن

<sup>1</sup> - المنتبع لكتاب جواهر المعاني لعلي حرازم سيجد كم هائل من الرسائل الموجهة إلى كل الفئات الرسمية وغير الرسمية.

<sup>2</sup> - المناعي التونسي: (ت سنة 1247 هـ / 1832م) أصله من أولاد مناع من قبيلة دريد رحل في طلب العلم بتونس فأخذ عن صالح الكواش ، حسن الشريف، اسماعيل التميمي و إبراهيم الرياحي، ثم سافر إلى مدينة فاس للتعقه، فأخذ عن الشيخ التاودي واتصل بالشيخ أحمد التجاني ولازمه ، ثم عاد إلى تونس وتقدم للتدريس بجامع الزيتونة، وكان يرتزق من خطة الإشهار والتوثيق، حضي بمكانة لدى يوسف صاحب الطابع و حسين باي الذي قدمه لخطة الكتابة. من مؤلفاته : تحفة المؤمنين ومرشد الضالين وهي رسالة فقهية تضمنت أحكام الطاعون W.W.W.mawsouaa تاريخ الدخول 02/12/2020 الساعة 18:44 .

يفيض عليك بحور الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة وأن يقيض عليك بحور رضاه وفضله في الدنيا والآخرة أمين" .

وأما ما كتبتّه وأخبرتني به من تصرفات الأولياء السابقين طالبا مني أن أفعل في ضررك مثل ذلك كي تستريح فالجواب : " إن أحوال الأولياء لا تجري على قانون واحد ولا في سبيل واحد ولا حيث كل ما أرادوا، بل الأمر في ذلك موكول إلى الله جار على قانون مشيئته فما قام ولي في أمر اختياره ولا تصرف ولي في شيء بأمره وإرادته بل ذلك كله جار على حكم مشيئة الله تعالى فإنه هو الفاعل لما يريد ، فكم من ولي يجري في إظهار الكرامات على القانون الذي تعلمه العامة حيث شاء وكيف شاء، وكم من ولي عظيم القدر عالي المقام قد أدبر عن الكون بالله بحيث أن لا علم له بكل ما سوى الله فإذا أراد التعرف وإظهار الكرامة على حد ما هو معروف للأولياء منع من ذلك بحكم مشيئة الله لأمر يعلمه الله لا يعلمه غيره .

قال الجنيد رضي الله عنه لقد مشى باليقين رجال على الماء ومات بالعطش رجال أفضل منهم ثم أن الأمر الذي طلبته مني في التصرف في زوال ضررك لم أجد إليه سبيلا ولا حيلة ولا تعويلا وكل بقضاء الله وقدره ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل و الخواص على الجملة والتفصيل لا تدخل تحت القياس والحكم لله بمشيئته في جميع أحوال الناس وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وتسليما"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد سكيرج ، المرجع السابق، ص: 527 ، 582.

## • الرسالة الثانية :

يجيب فيها الشيخ أحمد التجاني عن رسالة محمود التونسي<sup>1</sup> و التي تخص قضايا صوفية وفقهية تدور حول الوظيفة (الورد) والصلاة وكيفية ترقيعها وهنا يؤكد على ضرورة الالتزام بالورد وعدم التقريط فيه وينبه كل مقصر في ذلك بفوات خير لا يعوض مع ضرورة جماعية هذه الوظيفة، أما فيما يخص ترقيع الصلاة المفروضة والشفع والوتر على النائم والمريض إذا حله غيبة، فيكون بتأدية الفجر قبل الزوال واستحالة تأدية الشفع والوتر إلا عن طريق صلاة النافلة بعد صلاة الجمعة، أما المريض الذي فقد عقله بغيبة فلا حرج عليه ومما جاء في هذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما بعد حمد الله جل جلاله وعز كبريائه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى يد حبيبنا وصفينا سيدي محمود التونسي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فاسمع جواب ما سألت عنه من السؤالات، أما الوظيفة<sup>2</sup> فأحذرك تحذيرا شديدا من تركها وتاركها من أصحابنا يفوته خير عظيم لا يجبر له فوات ذلك الخير أصلا إلا انك أن وجدت ذكرها مع الفقراء فهو أفضل وأعلا ، وإن لم تجد الفقراء فأذكرها وحدك ولا تتركها حتى يوما واذكرها مرة في الليل والنهار ، ومن وجد ذكرها مع الفقراء وذكر وحده أخطا الصواب، وأما ما سألت عنه من أمر الشفع والوتر إن لم يفق النائم مثلا حتى طلعت الشمس ترك الشفع والوتر والفجر وصلى الفريضة فقط ثم يصلي صلاة الفجر قبل الزوال ، وأما الشفع والوتر إذا طلعت الشمس فقد فاتا ولم تكن إعادتهما وتداركهما وتدارك الصلاة المعلقة بين السماء والأرض لأجل تركهما .

<sup>1</sup> - محمود التونسي (ت 1230هـ/1815م) : أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد التجاني ولازمه بفاس، وعُرف بإنفاق ماله عن شيخه وإخلاصه له، ولحق به بعد أشهر قليلة من وفاته ودفن بفاس، أحمد سكيح ، المرجع السابق، ص: 155، 156.

<sup>2</sup> - لمزيد من المعلومات حول الوظيفة والأورد التجانية ينظر: علي حرازم، المصدر السابق، ج1، ص: 87، 88، التجاني مولود فال، طوابع السعود في حياة ومناقب غلام التجاني أبي السعود، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ط1، 2008، ص: 34-42.

يكون بصلاة النافلة أربع ركعات يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وهي الركعات المعدة لكل فائت من الفرض والنقل من أول العمر إلى اليوم الذي صلى فيه الركعات الأربع يوم الجمعة فذلك كفارة الجميع والركعات مشهورة فلا تطيل بكتابتها .

وأما المريض إذا حصل له غيبة العقل بغير نوم كإغماء أو غيره فكلما مضى من الصلاة حتى خرج وقتها في حال غيبة العقل بغير نوم فلا قضاء عليه أي المريض بعد الإفاقة لا فرضا ولا نفلا ولا يقضي إلا ما تركه ومعه طرف من عقله فرضا لا نفلا إلا ما أدركه وقته من النافلة بعد غيبة عقله فيصليه والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما"<sup>1</sup>.

#### • الرسالة الثالثة :

كتبها أحمد التجاني إلى محمود التونسي، إبراهيم الرياحي ومحمد بن المشري ينوه فيها الشيخ بكتاب الرياحي<sup>2</sup> في الرد على الذين طعنوا في شخصيته وعقيدته ويدعوهم إلى عدم الاكتراث لهذه المعارك التي لم يسلم منها حتى الأنبياء والرسل والصالحين، وجاء فيها: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإنعامه وأبراره من المسلم عليكم أحمد بن محمد التجاني وبعد نسأل الله تعالى أن يقبل عليكم بفضلته ورضاه، وأن يجعلكم في ديوان الصديقين وأن يحرسكم بعين رعايته، وأن يحفظكم من جميع المخاوف والمكاره، وأن يغمركم في رضاه إلى الاستقرار في عليين أمين .

<sup>1</sup> - أحمد سكيح ، المرجع السابق ، ص، ص: 157، 158.

<sup>2</sup> - يقصد به مؤلف إبراهيم الرياحي ، سيرم الصوارم والأسننة في الرد على من أخرج اعتراض الشيخ أحمد التجاني عن دائرة أهل السنة .

يليه أنّ الكتاب الذي جمعه سيدنا إبراهيم الرياحي في الرد على من طعن فينا ونسبنا إلى الاعتزال<sup>1</sup> والنكير علينا فلا تلتفتوا لكلامه ولا تبالوا به ولا تهتموا من شأنه وإنما هو رجل أعماه الحسد واستولى الران على قلبه ، وليس هو من فرسان هذا الميدان حتى تلتفتوا إليه وإنما هو كما قيل ليس بعشك فادرحي ولنا في الرسل عليهم الصلاة والسلام أسوة ، نسبوا إلى الشعر والجنون والكهانة والى السحر، وما التفتوا إليه وما أهمهم أمر من نسبهم إلى ذلك ... ولكن اعرضوا عن كلام هذا الجاهل ولا تلتفتوا إليه واستأنسوا بقوله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فيفسح الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ) إلى قوله ( وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ) .. ولكن الأمر هين اتركوه في عماء، يقول كيف شاء والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله.<sup>2</sup>

#### • الرسالة الرابعة :

وجهها الشيخ أحمد التجاني إلى إبراهيم الرياحي التونسي وتدخل في جملة الرسائل التي خاطبه بها في عدة مناسبات إجابة منه على بعض رسائله ومن جملتها طلب الرياحي الإذن في الطريقة وهي إجازة للمعني وفي نفس الوقت تعريف بالطريقة وإبراز لمكانتها بين الطرق الأخرى، وما يتوجب على المرید اتجاهها فأجابه : " بعد بالبسملة والحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى حبيبنا الفقيه الأنبل النبيه الأفضل أبي إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي بتونس سلام الله وتحيته ورحمته وبركاته وأبراره ورضوانه وإحسانه وإكرامه وإنعامه وإعظامه، عليك وعلى آلك ومن لاذ بجانبك من الأهل والجيران ما تعاقبت الأعصار والأزمان وإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فقد وصلنا كتابك الكريم وخطابك

<sup>1</sup> - هنا يشير اعتراض الشيخ علي بن محمد الملي المصري على أحمد التجاني في مسألة تتعلق بصفة الكلام القديم وهي من مسائل علم الكلام.

<sup>2</sup> أحمد سكيرج ، المرجع السابق، ص: 135، 136.

السليم ، فقد أجزتك وآذنتك في ذكر الورد الكريم المبارك العظيم فشد حيازمك فيما أنت بصدده ، وأيقظ نفسك من غفلتها ولا تعطها طوعا في بطالتها فان الأمر جد لا هزل، وقف على ساق الجد والكد فإن الفقير الناقص لميثاقه عقوباته شديدة وحسراته عديدة ، وكن على يقين من أمرك ولا تهمل ما كفيت ولا تعاط ما استكفيت ، فان طريقنا هذه المحمدية قد خصت من الله عز وجل بخصوصية على سائر السبل بكل اللسان عن تبيين حقيقتها ، ولا ينتظم فيها ولا يأوي إليها إلا المقبول فضلا من الله عز وجل، ولو كشف الغطاء عنها لصبا إليها أعيان الأقطاب ، كما يصبو رعاة السنين إلى الفحام ، ولولا ما نهيت أصحابي من التصريح لأحد بالأخذ لها لكان الواجب من حق كل من نصح الأمة جبر الناس عليها والإتيان إليها ولكن لا مندوحة عن الوقوف عندما حد ، فتنبه وتبصر ولا تغتر إذا الطريق كلها آخذة بحجزتها، لأنها أصل كلية الطرق، منذ نشأة العالم إلى النفخ في الصور بوعده صادق من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

ثم أذنت لك إذنا كليا كافيا مناديا من الآن إلى الأبد فلا تبديل ولا تحويل بشرط قطع زيارة الصالحين بحذافيرهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم لا غير ... وإياك العجز والكسل والحرص و التواني فيما أمرت به الجلوس في موضع الريب والضلال وأوصيك بتقوى الله في السر والعلانية وإتباع السنة في كل قاصية ودانية وشاذة وفادة في الأقوال والأفعال ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما" <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أحمد سكيرج ، المرجع السابق ، ص - ص : 146 - 148.

## • الرسالة الخامسة :

رسالة وجهها الشيخ أحمد التجاني إلى أحد أصحابه في الجنوب التونسي وهو حامد التوزري<sup>1</sup>، يرد فيها على رسالته في قضية صوفية تتعلق بأخذ الورد من مقدم آخر، حرر هذه الرسالة كاتب سرّ الشيخ أحمد التجاني محمد بن المشري السايحي بطلب من شيخه و الحصول على إذنه يجيب فيها الشيخ سائله أخذ الورد عن كل من قدم في الطريقة ولكن بأخذ شروطه كاملة ولعل من أبرزها ترك جميع أوراد الشيوخ: " الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من سيدنا أبي العباس التجاني سقانا الله والمحيين من فيض بحاره بأوسع الأمانى أمين إلى المحب الأكرم ذي النسب الأفخم والأصول الأماجد محبنا السيد حامد ابن المرحوم بكرم الله سيدي أحمد بن عثمان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وإبراره وإكرامه وإنعامه وإفضاله وإحسانه، وبعد فبلغنا مكتبكم وفهمنا ما انطوى عليه خطابكم فسأل الله أن يكمل مرادكم دنيا وأخرى آمين وأن يكتبكم في ديوان أهل السعادة دنيا وأخرى آمين وأما ما سألت من أخذك للورد من عند فلان فإن من أخذ الورد على من قدمناه كآته أخذه علينا مشابهة له ما لجميع فقرائنا من الخواص إن أخذه بشرطه ... السلام عليكم وعلى جميع الأحباب من أهل توزر<sup>2</sup>، من كاتب الحروف عن إذن سيدنا محمد بن المشري لطف الله به آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حامد التوزري : وهو سيدي حامد بن سيدي أحمد بن عثمان من أفاضل الطريقة بتوزر له علاقات قديمة مع محمد بن المشري السايحي والمقدمين الكبيرين أحمد بن سليمان التغزوتي ومحمود التونسي. علي غريسي، الطريقة التجانية في الجنوب التونسي، المرجع السابق، ص: 30.

<sup>2</sup> توزر : مدينة تقع في منطقة الجريد بالجنوب التونسي وهي من الولايات الكبرى التي أنشئت سنة 1980.

<sup>3</sup> هذه الرسالة موجودة في خزانة زاوية تماسين نقلها الأستاذ علي غريسي في كتابه الطريقة التجانية في الجنوب التونسي أعلامها وزواياها، ص: 30، 31.

## • الرسالة السادسة :

من الشيخ أحمد التجاني إلى محمد بن أحمد بن منصور الهادفي<sup>1</sup> وكتبها عنه و بإذنه محمود التونسي يحدد فيها شروط اخذ الورد في الطريقة وهي عدم زيارة الأولياء وترك جميع أوراد غيره منهم : " الحمد لله جل جلاله، وتعالى مجده وتقدست أسماؤه يصل الكتاب إلى يد محبنا الأحب و الأنجب سيدي محمد بن أحمد بن منصور، سلام عليكم ورحمة الله و أبراره وإنعامه عليك وعلى من هو إليك وعلى من تمسك بسيدنا رضي الله عنه كافة أينما كانوا، أما بعد فقد بلغنا أن ناحيتكم يريدون اخذ ورد سيدنا رضي الله عنه ، فمن أراد ذلك نبلغه منه ، لكن بشرط وهو عدم زيارة الأولياء قطعاً أحياء و أمواتا وترك جميع أوراد غيره وهذا أمره به سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم قال فقراؤك فقرائي وتلامذتك تلامذتي فأمرهم بهذا رضي الله ... وكتبه أسير ذنبه وثقاله عصره محمود التجاني خديماً<sup>2</sup>.

## • الرسالة السابعة :

وهي رسالة أخرى من الشيخ أحمد التجاني إلى محمد بن أحمد بن منصور الهادفي التوزري، وكتب عنه محمد بن المشري وهي تتضمن الإشادة بالتجاني من خلال التنبية إلى ضرورة الرجوع إلى كتاب الجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المکتوم لمؤلفه محرر الرسالة وهي دعوة صريحة إلى ضرورة معرفة مكانة و قدر الشيخ أحمد التجاني أو القطب المکتوم بفضل ما وصل إليه من أسرار العلوم، وكذلك هي تنبيه إلى قيمة هذا المؤلف في تدوين سيرة المؤسس والطريقة ومما جاء فيها :

<sup>1</sup> - هو نجل العلامة سيدي أحمد بن منصور الهادفي المتوفى سنة 1720م وصاحب عدة مؤلفات منها : نزهة النظر على متن المختصر ، شرح مختصر خليل " زاد المسافر في فن الفلك "، ويعنبر محمد بن أحمد بن منصور الهادفي من أوائل المنخرطين في الطريقة التجانية بتوزر وخصه التجاني بعدة مراسلات. أحمد البخترى، الجديد في أدب الجريد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1973، ص:81.

<sup>2</sup> - محمد الحجوجي، أتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، تحقيق سعد الدين كنون، دار الأمان للتوزيع، المغرب، 2011، ص: 339 ، 340 .



"بسم الله الرحمان الرحيم وصلي الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم الأحب الأنجب الأكرم الأطيب أبو عبد الله السيد محمد بن أحمد بن المنصور نصره الله على من عاداه في سائر الدهور آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وإبراره وإكرامه وإنعامه وإحسانه وافضاله من سيدنا قطب الأقطاب مولانا أحمد التجاني سقانا الله وإياكم من فيض بحاره بأعظم الأواني آمين .

وبعد فكيف أحوالكم المرضية لله الحمد وله المنة ولازلنا نسمع منه بعض غرائب العلوم حتى صرح لنا من غير تبليس أنه هو القطب المكتوم كتبنا الله وإياكم في ديوانه وحزبه وحشرنا في زمرة وتحت لوائه آمين . ومن أراد أن يعرف قدر هذا القطب الأكبر والكبريت الأحمر فليطالع تأليفنا المسمى بالجامع لدرر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم ... وإن لم يبلغ إليكم ووصل إلى أحبائنا من أهل سوف فابحثوا عنه و اكتبوه ولا تفرطوا في نسخه فإن من طالعه حصلت له معرفة قدوته ... فهو كما قيل : الجواب ما ترى لا ما تسمع .

ومن عرف قدر سيدنا لا يستغرب هذا فانه بحر زاخر في الباطن والظاهر وإنما هذه بقطيات من فيضه طرقت أسماعنا جمعناها بإذنه لينتفع بها من دخل طريقة أو سمع به وأحبّه أو إخباره في شأنه وحال تابعيه لا يمكن كتبها في الأوراق لما فيه من البعد عن إدراك فهوم الحذاق فإن قدر الله باجتماعنا سمعتها مشافهة إن شاء الله وفيه كفاية والسلام عليكم من محمد بن المشري كاتب الحروف"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> محمد الحجوجي ، المرجع السابق ، ص: 340 ، 341 .

## 2- الرسائل في عهد الحاج علي التماسيني :

## • الرسالة الأولى:

وهي رد من الحاج علي التماسيني على رسالة وصلته من أحباب الطريقة بتونس تدور فحواها حول بعض القضايا التي تخص ورد الطريقة كالسهو أثناء تأدية الورد المفضي إلى النوم وكيفية رد السلام أثناء تأديته وحكم الورد مع إقامة الصلاة ومما جاء فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد بعد حمد الله عز وجل جلاله وعز كبريائه وتقدست أسماؤه وصفاته وتعالى عزه ومجده وكرمه يصل الكتاب إلى أحباب تونس كافة حيث ما كانوا كبيرا وصغيرا سلاما تاما شاملا عليكم ورحمة الله عز وجل وبركاته ، من كاتبه إليكم محبكم ومريد الخير كله إليكم العبد الفقير إلى الله عز وجل علي بن الحاج عيسى وبعد نسأل الله عز وجل سلامتكم وتمامكم أن يكفي عنكم جميع شر خلقه وأن يلبسكم لباس العز .

وبلغنا مكتوبكم وقرآنه وفهمناه جملة وتفصيلا وأما قولكم إذا وقع السهو في الورد وأما إذا نعس وهو يفكر إلى أن طاحت السبحة من يده ولم يفتن عن الفور ، يتوضأ ويعيد الورد وأما إذا رد عليه أحد السلام وهو يذكر في الورد يرد عليه بالإشارة يشير إليه ، وإن كان يعرفه يتغير من ذلك يرد عليه باللسان، وإذا قامت الجماعة لصلاة الفرض وهو يذكر في ورده، يصلي مع الجماعة ويبتدئ الذكر من أوله لأن الصلاة وإن كانت نكرا إلا أنه مخالف للورد والوظيفة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - الصادق بن أحمد العروسي ، المرجع السابق ، ص : 81 .

## • الرسالة الثانية:

من الحاج علي التماسيني إلى مقدم زاوية طرنجة التجانية<sup>1</sup> عمر بن حسن بن سليمان الزواوي<sup>2</sup>، وتسمى هذه الرسالة بالضمانة والتي يقر فيها الحاج علي بأحقية بتونس وسكانها بعد ضمان القطب أحمد التجاني له في ذلك ومما جاء فيها: "بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله بحمد الله جل جلاله يصل الكتاب سيدي الحاج عمر بن سليمان الشريفي الحسني، وأما قولك على تونس فإني قابلته صلى الله عليه وسلم وطلبتة أن يضمنها لي صلى الله عليه وسلم فضمنها لي ضماناً لا تنقطع فهي مسمية علي هي وسكانها لا مدخل إلى أحد فيها بالاستحقاق وعليك بهذا الدعاء المبارك وهو أن تقوم نصف الليل وتتوضأ وضوء جديداً وتصلي ركعتين وتسلم فإذا فرغت فارفع إلى الله بالدعاء وقل: يا عالم الغيوب و السراير يا مطاع يا عزيز إلى قوله وأنت علام الغيوب أسالك أن تصلي علي محمد وعلى آل محمد وتسمي حاجتك وتتم بعد ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - زاوية طرنجة : وهي زاوية تجانية بالعاصمة تونس تأسست على أنقاض محلات متفرقة اشتراها الحاج علي التماسيني على مراحل مختلفة و أسسها خليفته محمد العيد ، ينظر : علي غريسي ، الزاوية التجانية طرنجة تونس، المرجع السابق، ص - ص : 8 - 11 .

<sup>2</sup> - عمر الزواوي : أول مقدم لزاوية طرنجة جزائري الأصل يلقب بالقباش ، زار تماسين وعين ماضي عدة مرات، آخرها في عهد الحاج علي التماسيني (1254هـ-1838م) ويعد من أدياء تونس وله شعر حسن توفي سنة 1271هـ ودفن بداره الملاصقة للزاوية التجانية الكائنة بنهج طرنجة قرب قشلة زاوية، محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص: 832، علي غريسي ، الزاوية التجانية طرنجة تونس ، المرجع السابق ، ص: 19. وتوجد نسخة من الرسالة بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم 8930 وهي بخط المقدم علي شوشان.

<sup>3</sup> - نفسه، ص: 20 .

## • الرسالة الثالثة

وهي رسالة وجهها الحاج علي إلى المقدم عبد الله النفطي (عبد الله بن صالح)<sup>1</sup> وكتبها الشيخ أحمد بن سليمان التغزوتي وختمها الشيخ بخطه والذي كان حينها في واد سوف ويطلب فيها من النفطي توجيه أهل الجريد إلى سوف من أجل استقطاب أكبر عدد منهم إلى الطريقة ونورد أهم ما جاء فيها فيما يلي: "... بعد حمد الله جل جلاله وعز كبريائه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى محبنا وأعز الناس عندنا الشيخ عبد الله السلام عليكم وعلى أولادك وأزواجك وخدامك وعلى جملة من احتوت عليه ديارك من المسلم عليك قطب زمانه وإمام عصره أبو الحسن سيدنا الحاج علي يطلب لك الله والقطب الأعظم وسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن يكفي عنك جميع خلقه وان يفيض عليك بحور عنايته ... استدرارك خير إن شاء الله وأنت أهله نخبرك على حالنا نحمد الله ونشكره وهذه الساعة ران<sup>2</sup> في سوف و دز<sup>3</sup> لنا أهل الجريد ... كاتبه أحمد عن إذن سيدنا الحاج علي والسلام .

بعد حمد الله جل جلاله وعز كبريائه السلام الأمثل الشامل الأكمل المخصوص من ربه عز وجل الشيخ عبد الله بن صالح صلح الله حالك وجميع من دخل في حضرتك السعيدة . من دايرتك ومن أهل وأولاد وخدام وأصدقاء من كاتبه المذكور<sup>4</sup> .

## • الرسالة الرابعة:

وهي رسالة موجهة من الحاج علي التماسيني إلى أحد أعيان الجنوب التونسي وهو الحاج العجمي بن الحاج أبي بكر وهو يومئذ عامل (والي) الوديان في زمنه بناحية توزر،

<sup>1</sup> عبد الله النفطي : وهو من أعيان وشيوخ نفطة واسمه الكامل عبد الله بن صالح من الذين أخذوا الطريقة مبكرا ، كانت له مراسلات مع الخليفة الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني .

<sup>2</sup> - ران : معناها إننا .

<sup>3</sup> - دز : معناه ابعث .

<sup>4</sup> علي غريسي ، الطريقة التيجانية في الجنوب التونسي ، المرجع السابق ، ص: 18، 19 .

وهي تدخل في إطار المراسلات الكثيرة بين الطرفين ونقتطف جزء منها شطره الأعلى بخط محمد العيد و المتبقي بخط الحاج علي نفسه، وهي توضح أهمية الأوراد في قضاء الحاجات الدينية والدينيوية لكل مرید: "... بحمد الله يصل الكتاب إلى محبنا وصديقنا سيدي الحاج العجيمي بن الحاج أبي بكر السلام عليك ورحمة الله وبركاته من محبك ومرید الخير كله إليك سيدنا الحاج علي بن الحاج عيسى وبعد نسأل الله وسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن يبلغ مقصدك ومرادك... وأما هذه الحروف كاتبه اعلي بن الحاج عيسى ... وكمل ما طلبت من الدين والدنيا ... في الأوراد التي آذنتك فيهم وكل ما تحتاج قليلا وإلا كثيرا ظاهرا وإلا باطنا فهم موجودين عندك في الأوراد ألي آذنتك فيهم و الخواص ألي آذنتك فيهم لا تحتاج لشيء إلا الله سبحانه وتعالى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كاتبه اعلي بن الحاج عيسى سنة 1254<sup>1</sup> "2.

### 3- الرسائل في عهد خلفاء علي التماسيني :

#### \* في عهد محمد العيد :

وطد محمد العيد علاقاته بأعيان وكبراء تونس مقتفيا آثار والده الحاج علي، وذلك بمراسلة السلطة المركزية في البلاد ممثلة في البايات أو بعض رجال الطريقة من مختلف الشرائح ويمكن تتبع تقديم نماذج عن أهم رسائله إلى كل من :

#### • الرسالة الأولى:

رسالة موجهة من محمد العيد إلى المقدم الكبير الحاج إبراهيم بن محمد السوداني<sup>3</sup> في

<sup>1</sup> - توافق سنة 1838م.

<sup>2</sup> - علي غريسي، الطريقة التجانية في الجنوب التونسي، المرجع السابق، ص: 96، 97.

<sup>3</sup> - إبراهيم السوداني : يعد الحاج ابراهيم بن محمد السوداني من كبار رجال الطريقة التجانية بتونس ، زار تماسين عدّة مرات، أسس مقرا لاجتماع التجانيين لأداء أورادهم، خلف ولدين هما مصطفى ومحمد الصغير وتوفي سنة 1291هـ/

أمر يخص الطريقة وهو الخلاف الذي نشب بين مقدم زاوية طرنجة عمر بن سليمان الزواوي وبعض المريدين الذين شكوه إلى محمد ابن الشيخ أحمد التجاني بعين ماضي، وهي رسالة تدخل في إطار إصلاح ذات البين بين أحباب زاوية الطرنجة وشيخها عمر الزواوي، ورفع الخلاف في حالة عدم الوصول إلى نتيجة إلى الشيخ إبراهيم الرياحي لعله ينهي هذا السجال بين الإخوة نظرا لمكانته في الطريقة و العلم وجاء في هذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم . الحمد لله جل جلاله وعز كبريائه وتقديس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى محبنا سيدي الحاج إبراهيم السوداني السلام عليك ورحمة الله وبركاته من كاتبه إليك محبك ومريد الخير كله إليك العبد الفقير إلى الله وأحوجه إليه محمد العيد ابن الحاج علي ابن الحاج عيسى أما بعد فاني احمد الله الذي لا اله إلا هو وأسأله من فضله العظيم ونبيه الكريم أن يديم نظره فيك دنيا وأخرى وأن يوفقك لصالح القول والعمل وأن يختم لك بالسعادة وأن يكون معك ظاهرا وباطنا وأن ينظر فيك بعين الرضا والرحمة ومن نظر إليه صرف عنه جميع مكاره الدنيا والآخرة ونسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياك وقفة صافية كاملة وافية تدوم لك بين يدي الله عز وجل إلى أن يتوفاك الله تعالى عليها أمين وبعد أيها المحب الصادق قد سمعنا بعض من الأحباب كتبوا في الحاج عمر بن سليمان في تخريجه من الزاوية إلى سيدنا محمد الحبيب بن قدوتنا سيدنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وامتثل أمرهم فيه ونظره أعلى وحين سمعنا بهذا الأمر خفنا من اختلاف الأحباب ولا بد أنك تكلم الشيخ إبراهيم في هذا الأمر إن وجدتم فيه الصلاح إلى الأحباب اكتبوا إلى سيدنا وتعذوا إليه ونظره أعلى وفيه كفاية والسلام وصلى الله على سيدنا محمد"<sup>1</sup>.

1874م وقُبر بزاوية باب المنارة بتونس العاصمة ، علي غريسي، الطريقة التجانية في الجنوب التونسي، المرجع السابق، ص - ص : 65، 67.

<sup>1</sup> الطاهر علي بن القاسم الرزقي ، زهر الرياض الباسم في مناقب أستاذنا وقدوتنا الشيخ سيدي الحاج علي بن بلقاسم ، مخطوط بزاوية تماسين ، ج 2 ، ص : 247 ، ينظر الملحق رقم 28.

## • الرسالة الثانية:

وهي رسالة أخرى للشيخ محمد العيد الأول وهي موجهة إلى مقدم الطريقة بقفصة محمد بن الحاج عمر السماوي يمنح له من خلالها إجازة في الطريقة التجانية ويوضح له ضرورة الالتزام بالورد المعلوم وملازمة الوظيفة صباح مساء والحفاظ على الهيلة يوم الجمعة بعد صلاة العصر، ومما جاء فيها: "الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد. الحمد لله وبعد، فقد أجزنا محبنا وغاية ودنا سيدي محمد بن الحاج اعمر السماوي في اعطاء أوراد سيدنا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه لكل من طلب منه وهو الورد المعلوم استغفر الله مائة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة ، لا إله إلا الله مائة مرة صباحا ومساءً وعليه بملازمة الوظيفة صباحا ومساءً وهو استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة لا اله الا الله مائة مرة وجوهرة الكمال اثنا عشر مرة صباحا ومساءً، وعليه بملازمة الهيلة يوم الجمعة بعد صلاة العصر يجعل عدد معلوم على نفسه، وآخر العدد اثنا عشر مائة مرة. كاتبه محمد العيد عن إذن سيدنا وسيد الحاج علي عن اذن سيدنا أحمد بن محمد التجاني وسيدنا أحمد التجاني عن سيدنا وسيد كل ما خلق الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

## • الرسالة الثالثة:

من محمد العيد الأول إلى كل من الحاج إبراهيم السوداني والشيخ إبراهيم معلا<sup>2</sup>، وهي بخط أخيه الشيخ معمر، يُذكر فيها الشيخ الأحباب بضرورة الوحدة وترك الشقاق

<sup>1</sup> - أرشيف زاوية تماسين، بدون ترقيم، ينظر الملحق رقم 27.

<sup>2</sup> - إبراهيم معلا: هو أبو اسحاق إبراهيم بن معلا شيخ ريبض باب سوقة أحد مقدمي الطريقة بتونس وكان الشيخ محمد العيد الأول ينوه به في رسائله، له بنت تزوجها على بن صالح النيفر، علي غريسي، الزاوية التجانية طرنجة، المرجع السابق، ص: 110.

والتمسك بالطريقة كضمان للوحدة، وإدراكهم بأن تونس ضمانة للشيخ علي وأحفاده من طرف القطب المكتوم لا سيما في ظل الدولة الحسينية التي انتمى كثير من حكامها إلى الطريقة.

ومما جاء فيها: "الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله، فمن سيدنا الاسنى ونخيرتنا الحسنى، محب الأحباب الحقاني، أبي عبد الله الشيخ سيدنا محمد العيد بن الحاج علي التجاني، الى كافة الأحباب الصادقين، عموما وخصوصا، كل منهم باسمه، وخصوصا الأجل السيد الحاج إبراهيم التجاني نجل السوداني، والفاضل سيدي ابراهيم معلى، أمّنها الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإني أحمد إليكم الله الذي جلت أيديهِ، ولا يفلاح محاربه ومعاديه، نسأله لنا ولكم العافية ودوامها، والنعمة وتامها، بمنه وكرمه، وقد ورد علينا مصدوركم الأعزّ، مبشرا بسلامتكم التي هي عندنا من أقصى المراد، ومنبئاً على ما أنتم عليه من رسوخ القدم في خالص المحبة، وصادق الوداد، فحمدنا الله تعالى لكم على ما أولاكم وخصّكم به من بره وامتنانه، وسألناه لكم المزيد من سوابغ نعمه بمحض فضله وكرمه وإحسانه، الذي من علينا وعليكم بهذه الطريقة الأحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية في هذا الزمان، لما فسد الأوان، ومد الزمان لها يد الحدثان، وكثر الفساد والحرمان، أوصيكم وياي بتقوى الله العظيم، في السر والعلانية، والتمسك بهذه الطريقة المحمدية والتحفّظ عليها، ومن مجالسة المبغضين والمنكرين، السفهاء، لأنه قال الشيخ رضي الله عنه أنه سمّ يسري، يضل صحبه في خسر، حتى قال: لاتصلّ خلف منكر الخ من باب أخرى وكونوا إخوانا، ولا تؤذوا بعضكم بعضا، لأن ذلك من أعظم الكبائر عند أهل هذه الطريقة، لما نهانا عنه سيد البشر، لأنه إذاية له صلى الله عليه وسلم ولشيخنا رضي الله عنه، وأقرءوا على الأحباب هذه الرسالة، ويقف كل أحد منهم عند ما حدّ له، ومن لم يقف عند ما حدّ له، فلا يلوم الا نفسه، وقولوا لمحبتنا سيدي أحمد شوشان يدم على عهده، وصادق حبه، لأنه مقدم من المقدمين، ويحمد الله ويشكره،



ومن لم يشكر الله فقد تعرض لزوال النعمة... فإن مقادير الطريقة التجانية شتى في مشارق الأرض ومغاربها والسودان والشنجيط، إلا أن لكل واحد منه أرض يتصرف فيها، وأما أرض إفريقية حرسها الله بعينه التي لا تنام كان ضمنها والدنا وحسبت عليه ظاهرا وباطنا، ونحن على أثره مقتنين فلا يتصرف فيها غيرنا، لاسيما في هذه الدولة الحسينية، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر... والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم<sup>1</sup>.

#### • الرسالة الرابعة:

وهي من محمد العيد إلى الشيخ علي بن بلقاسم الرزقي<sup>2</sup> وهي بخط أخيه الشيخ محمد الصغير يخبر فيها المعني بوفاة الشيخ محمد الحبيب بن أحمد التجاني أي أنها كتبت سنة 1853م ومما جاء فيها: " الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم. بعد حمد الله جل جلاله وعز كماله وتعالى مجده وكرمه يصل الكتاب إلى الأحب الأكمل الصدوق الأفضل من نرجو له مراتب الكمال ومبلغ الرجال سيدي علي بن بلقاسم الرزقي وكافة من يلوذ به السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد:

فإني أحمد إليكم الذي لا اله الا هو والذي هو ذو بال أن سيدنا أمرني أن أخبركم بأمر بديع قوي شنيع لا يكاد رده ولا يأتي ضده وذلك ثمرة الفؤاد وسدّ عين الرقاد مولانا سيدي محمد الحبيب بن مولانا التجاني انتقل من دار الفناء الى دار البقاء إنا لله وإنا اليه راجعون لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم لقد تقطعت الأكباد مصيبتة ورزيتة وجل عن الصبر فالله يعظم أجرنا وأجركم ويحسن عزاءنا وعزاءكم إلا أننا نسلي النفوس ولأنه لا بد

<sup>1</sup> - الرزقي، المصدر السابق، ج3، ص: 208-209.

<sup>2</sup> - علي بن بلقاسم الرزقي (1229-1318هـ/1814-1900م): من أشهر مقدمي الطريقة التجانية بتونس، أجز عن طريق الطاهر بن عبد الصادق القماري وأبناء الحاج علي التماسيني، ساهم في توسيع الطريقة ببلاده وذلك بتأسيس زوايا لها (باب منارة، الكاف)، وكانت له حضوة كبيرة عند رجال المملكة وخلف آثار قيمة أهمها: "الروض الباسم في مناقب أستاذنا وقدوتنا الشيخ الحاج علي" في أربع مجلدات، علي غريسي، الزاوية التجانية طرنجة، المرجع السابق، ص-ص: 71-75.

من اللحوق وأن محله الذي سار إليه هو المحل الأصلي الذي إليه المرجع كما منه البدء والمنبع أصلح الله لنا ولكم الأحوال ووقاكم جميع الأهوال والامر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله... من مولانا سيدي محمد العيد ابن مولانا سيدي علي رضي الله عنهما وعنا بهما عن إذنه<sup>1</sup>.

### \* في عهد محمد الصغير :

واصل محمد الصغير نهج والده وأخوه محمد العيد في تمتين الروابط مع البلاد التونسية خصوصا مع باياتها، حيث راسل علي باشا باي عدة مرات نقتطف منها رسالة موضوعها إجازة للباي المذكور في الطريقة التجانية بتاريخ الاثنين 24 محرم 1303 هـ/1 نوفمبر 1885 ومن هم ما جاء فيها :

#### • الرسالة الأولى:

الحمد لله الذي جعل الأتباع لمن سلف من صالحي الأمة روح العبادة وبلغ من تمسك به مع حسن نيته أقصى مراده ونظم لئالي الدعوات وجواهر الأذكار في سلك الأسانيد إلى أولي العلم والإرشاد والإفادة ووفق إليها من شاء من عباده ليبلغه بها إن شاء الله أسباب السعادة والصلاة والسلام على المتبوع الأعظم والسند الذي يلجا إليه كل عالم ومتعلم النبي الأواه سيدنا محمد بن عبد الله المحلى بخطاب قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء ومحا الهداية والاهتداء ما سلك مريد سبيل المراد فاتضحت له المحجة بنور التبعية والإسناد وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه القدير الشيخ سيدي محمد الصغير ابن القطب الأعظم الحاج علي التماسيني أني جدت الإذن في ذكر أورد الطريقة التجانية الأحمدية وأجزت في ذلك المولى الجليل المجتهد في مصالح الرعايا بعزم

<sup>1</sup> - الزاوية التجانية تماسين، رسائل الإمام التماسيني وخلفائه في توطيد أواصر الأخوة والمحبة بين الشعبين الشقيقين الجزائري والتونسي، سلسلة رسائل الشيخ الأكبر وخلفائه، العدد 2، أوت 2007، ص: 08.

غير قليل سليل المجد الراسخ البنيان والشرف الثابت الأركان نخبة البيت الحسيني وعين أعيانهم وجامع كلمتهم وواسطة عقد نظامهم العالم الشهير والبدر الأكمل الخير الأمير بن الأمير الرفيع الشأن سيدنا علي باشا باي صاحب المملكة التونسية<sup>1</sup> ... فإننا قدمناه على بركة الله في إعطاء أورد الطريقة المذكورة لكل من طلبها منه من المسلمين ذكورا وإناثا بشروطها المعتبرة في كتب الطريقة المنقولة عن صاحبها القطب المكتوم ... إجازة وتقديم تامين نفعه الله بذلك ونفع به من أخذ عنه ...<sup>2</sup>.

### • الرسالة الثانية:

رسالة من محمد الصغير إلى علي باشا صاحب تونس وهي رد عن رسالة من المعني يجيبه فيها عن قضية علمية صوفية تدور حول أهمية وفضل الياقوتة الفريدة أو ما يعرف بجوهر الكمال<sup>3</sup>، ومما جاء فيها:

"...الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم المقام الذي نجله ونعظمه ونثني عليه بالشكر ما هو أهله ومحلّه مقام الملاذ الأسمى والكهف المنيع الأحمر الخلاصة الأوحد والعمدة الأمجد والفاضل الأسعد أمير الأمراء مولانا المشير علي باشا صاحب المملكة التونسية أدام الله إجلاله وأحرص كماله ، السلام التام والتقبيل بأيديكم الكرام ورحمة الله وبركاته الآف بلا نهاية هذا وإن مدة اجتماعنا بالسيادة في حضرتك السعيدة كان أمر في إذنك المطاع ببعوث إليك التقييد الذي أشار إليه سيدي العربي بن السايح في شرحه (بغية المستفيد على منية المرید ) عند تعرض الناظم لذكر بعض فضل الياقوتة الفريدة ...

<sup>1</sup> - علي باشا باي: تولى شؤون الإيالة التونسية من 1882-1902م.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر الرزقي، المصدر السابق، ج 3، ص : 336، ينظر الملحق رقم 26.

<sup>3</sup> - وهي صيغة للتصليية على رسول الله صلى عليه وسلم مركبة من ضفتين جوهرة وكمال ويقصد بالجوهرة الحقيقية المحمدية المخفية وهي من أسرار الله التي لا ترى بالبصر، والكمال صفة دالة تحيط بالجوهرة صيانة لها ورأفة بعيون الخلق من التلف وعقولهم من الخبل ، ينظر : محمد علي كيوّ ، صفو المقال في شرح جوهرة الكمال ، دار الجائزة ، القبة الجزائر ، 2018 ، ص : 21 .

وأخبر أن ذلك التقيد بزواية عين ماضي أنظر الشرح المذكور في الصفحة التي عددها 222، أعلم رعاك الله أني وجهت إليك صحبة الحامل نبذة من ذلك أملاه الشيخ الأكبر والقطب الأشهر سيدنا أحمد بن محمد التجاني ولعلها عند مطالعتك بها تغنيك عن القيد المذكور ، بل أولى وأحق ، أخذ الله بأيدي الجميع بجاه الحبيب الشفيح صلى الله عليه وسلم ، ودمتم ودامت لك المعالي على مر الأيام والليالي وعليك آلاف آلاف سلام من معظم قدرتك الداعي بخير إليك الشيخ الرباني سيدي محمد الصغير بن الحاج علي في 28 جمادى الأولى 1303 هـ<sup>1</sup>.

#### • الرسالة الثالثة:

وهي أيضا موجهة من محمد الصغير إلى علي باشا باي، يقدم له فيها أسماء المقدمين للطريقة<sup>2</sup> بالإيالة، وحوث 12 اسما وجاء فيها:

" أمير المؤمنين سيدنا علي باشا باي صاحب المملكة التونسية تجديدا للطريقة وتقديمها وتقديم للمرفع شأنه سيدي حسين باي ابن المنعم سيدي محمد باشا باي.

وتقديم للشيخ الوجيه سيدي الملقب الصغير بن الشيخ العارف بالله سيد عمر العلاني القيرواني.

و تقديم للشيخ سيدي محمد بن يوسف الحنفي.

وتقديم إلى السيد فرحات بن محمد مراح به عرف براس الجبل عمل تونس.

وتقديم للشيخ صالح بن محمد الباجي الكامل به شهر.

وتقديم إلى الفقيه الشيخ سيدي حسونة بن القاضي.

<sup>1</sup> الطاهر الزرقي، المصدر سابق، ج 3، ص : 356، ينظر الملحق رقم 21.

<sup>2</sup> - وهي إجازة في الطريقة لبعض الأعيان بالإيالة.

وتقديم إلى سيدي حسن المدلجي.

وتقديم إلى السيد الطيب بن زايد الشريف.

وتقديم للفقير سيدي حسن بن خليل.

وتقديم إلى الشيخ سيدي مصطفى بن علي الدولاتي.

وتقديم إلى الفقير سيدي حميدة بن الشيخ سيدي الطاهر المحرزي أي من أولاد الشيخ سيدي محرز بن خلف.

وتقديم إلى الفقير الشيخ سيدي أحمد بن الشيخ الكاتب الأكتب سيدي حمودة الطرابلسي<sup>1</sup>.

#### • الرسالة الرابعة:

رسالة من محمد الصغير إلى أحد أفراد الأسرة الحاكمة وهو حسين باي ابن محمد الهادي باشا باي وهي عبارة عن إجازة صوفية في الطريقة التجانية يقول فيها "أما بعد فيقول المعتمد على فضل ربّه محمد الصغير ابن القطب الأعظم الشيخ سيدي الحاج علي بن الشيخ الحاج عيسى التماسيني إني قد جددت الإذن في الطريقة وفي التقديم الذي كان صدر منا سابقا للمعظم الأرفع والطود الخلاصة الأيمن سليل الملوك العظام بالإيالة التونسية وواسطة عقد النظام من الذرية الحسينية سيدي حسين باي ابن المنعم المبرور سيدي محمد باشا...<sup>2</sup>" وهي مؤرخة بالسادس عشر رمضان من سنة 1303هـ وهو ما يوافق جوان 1886م.

<sup>1</sup> - الطاهر الرزقي، المصدر السابق، ج3، ص: 344.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 336.

## • الرسالة الخامسة:

رسالة من الشيخ محمد الصغير إلى المقدم علي بن بلقاسم الرزقي بخط المرسل نفسه يوصيه فيها باستقبال وفد الزاوية المتجه إلى الحج تحت قيادة محمد نجل محمد العيد ومما جاء فيها:

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم عرّف الله محبنا ومحبوبنا أسرار يواقيت جواهر الفتوحات وألهمه إدراك علوم جواهر المعاني وما فيه من البركات وحققه بدقائق منية المرید وأحاطه بغوامض حجة الله البالغة بما فيها من القول السديد وأذاقه سر مواقع النجوم ولواقح الأنوار وملكه سوابغ درر العلوم ومالها من التعظيم والاكبار وفتح له من بحور الفاتح لما أغلق ما يستغني به عن سائر الأذكار أعني الجليل الذي لم يشغله عن ذكر الله شاغل المتشبهت بما ينفعه من أعظم الوسائل الهمام النافع الكهف المانع الأمير المشير القائم بأمر الله أبو الحسن سيدنا علي أدام الله سروره ووقايته وحبوره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته أما بعد فإن الذكر سيدي محمد نجل صنونا سيدنا محمد العيد تأهب للحج وصحبته بعض ذرية الشيخ ورام المرور بإيالتكم فوافقنا على حسب العادة وفق الله الجميع ودمتم في أمان وعافية والسلام من الداعي لكم بالخير الشيخ سيدي محمد الصغير ابن أبي الحسن الحسني سيدي الحاج علي التجاني كان الله له في 25 رجب الفرد سنة 1304هـ<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> -الزاوية التجانية، المرجع السابق، ص:9.

\* في عهد محمد الأخضر<sup>1</sup>:

قدم محمد الأخضر نجل علي التماسيني مجموعة من الإجازات سواء لأتباع الطريقة بالجزائر أو خارجها، ومن بين هذه الإجازات ما خص به بعض التوانسة، فقد حوى الروض الباسم عينات منها في شكل رسائل موضوعها إجازة في الطريقة التجانية، ومن أهمها إجازة زوجة المقدم الكبير علي بن بلقاسم الرزقي السيدة مهنية بنت عبد الله في 2 شعبان 1270هـ الموافق 29 أبريل 1854، ومما جاء في هذه الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا وآله أما بعد: فيقول العبد الفقير الى الله تعالى محمد الاخضر بن الحاج علي أصلح الله حاله وسدد بمنه أقواله وأفعاله أني أجزت أمة الله الحرة الجليلة مهنية بنت عبد الله في إعطاء الطريقة التجانية لكل من طلبها بشروطها وأركانها موصيا لها بما أوصيت به من مراقبة الله تعالى ونصح الأحباب نسأل الله تعالى أن ينفعها بها وكل من أخذ عنها فأجزناها إجازة تامة كاملة صحيحة وبالله التوفيق وصلي الله على سيدنا محمد و آله كتب في 2 شعبان 1270هـ"<sup>2</sup>.

وفي رسالة أخرى منح الشيخ محمد الأخضر إجازة لأبي عبد الله محمد بن الحاج أحمد النيفر<sup>3</sup> بتاريخ 1271هـ/1858م وهي إذن في إعطاء الطريقة لكل طالب لها، ومما

<sup>1</sup> - محمد الأخضر: نجل علي التماسيني والأخ الشقيق لمحمد الصغير ولد سنة 1239هـ/1824م، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم بالزاوية، وتولى التدريس بعدها في خلافة أخيه محمد العيد الأول، زار تونس وهو في طريقه للحج وبها أجاز الكثير في الطريقة، توفي في 1292هـ/1875م.

<sup>2</sup> - الطاهر الرزقي، المصدر السابق، ج2، ص:332.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله الحاج أحمد محمد النيفر: ولد سنة 1222هـ/1807م تربي ونشأ بين يدي والده التالي لكتاب الله التاجر الثري أبي العباس أحمد بن قاسم النيفر، حفظ القرآن في سن مبكرة وحفظ عدة متون علي يد مؤدبه محمد القسنطيني، ثم انتقل إلى الجامع الأعظم فبرع فيه وتصدر للإقراء بجامع الزيتونة بإذن شيوخه على حدائه سنة. ولي بعد ذلك التدريس في مساجد تونس العاصمة، ثم قضاء المحلة وباردو وقضاء الجماعة سنة 1263هـ، ثم حج إلى بيت الله الحرام عام 1267هـ فاستقبله علماء مصر وبلجوه ايما تبيجيل، ولما رجع إلى الإيالة انكب على التدريس حتى ذاع صيته مثل جده إبراهيم الرياحي، ولما كان في حجته الثالثة أدركته المنية سنة 1277هـ عن أربع وخمسين سنة ودفن بالبقيع وكان يقول شعرا مليحا نقل منه صاحب الأريب، محمد النيفر، المصدر السابق، ص: 338-342.

جاء فيها: " أما بعد فإن المكرم لأجل الخير الذكي أبا عبد الله محمد بن الحاج أحمد النيفر قد مناه على بركة الله وحسن عونه في طريقة شيخنا وأستاذنا وملاذنا أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه يأذن في الطريقة المذكورة بإعطاء الوردين والوظيفة وذكر حضرة يوم الجمعة المعروف عند أهل الطريقة... من الفقير إلى ربه سيدي محمد الاخضر بن مولانا سيدي الحاج علي رضي الله عنه...<sup>1</sup>.

وفي رسالة الثالثة أجاز المقدم سي ابراهيم بن علي معلاً، ومما جاء فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الحمد الله الذي أهلنا بأقدم سبيل وأنهلنا من حياضها منهلًا سابغا سلسبيل وتفضل علينا بإرسال رسول من خالفه صدعن سواء السبيل صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الهادين إلى أقوم طريق وبأعظم دليل وبعد فإن السيد الأفضل الأكرم الأجل الفقيه النبيه الذاكر العفيف أبا اسحاق إبراهيم معلاً قد قدمناه على بركة الله سبحانه وتعالى وبركة رسول (ص) ثم شخينا القطب المكتوم صاحب الفيوض المحمدية والأنوار الصمدانية يجيزني ورد الشيخ المذكور ووظيفته وطريقته لمن طلبه منه إذنا تاما عاما نفعه الله تعالى بذلك ونفع به أمين كتابه عن سيدنا محمد الاخضر بن مولانا القطب الكامل سيدي الحاج علي عن إذن سيدنا محمد العيد عن إذن سيدنا الحاج علي عن إذن سيدنا القطب المكتوب مولانا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه عن إذن سيدنا و سيد كل ما خلق الله سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بتاريخ رجب الأصب 24 سنة 1270هـ...<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - الطاهر محمد الرزقي، المصدر السابق، ج2، ص: 253.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 332.



\* محمد حمّاه:

يعتبر الشيخ محمد حمّاه<sup>1</sup> نجل محمد العيد الأول من أئمة التجانية الذين تواصلوا مع الإيالة التونسية سواء الرسمية منها أو الشعبية في قضايا تهم الطريقة أو في مجالات مختلفة، وقد حصلنا على رسالة بعث بها إلى وكيله بتوزر السيد عمار بن العصمة القماري يأمره فيها بدفع خمسون ريال للقائمين على مسجد زاوية توزر تشجيعا لهم على قراءة الوظيفة وعمارة بيت الله، على أن يخصص رجلا لتسخين الماء للوضوء، وأن ينظر في إصلاح الزاوية ومسجدها وينفق على ضياف الزاوية وإمامها<sup>2</sup>، وفي رسالة مطولة أجاز الشيخ حمّاه العلامة محمد الشريف نقيب الأشراف سنة 1304 هـ/1886م<sup>3</sup>.

وهناك كم هائل من الرسائل لخلفاء الطريقة وشيوخها ومقدميها من منطقة الجريد ووادي ريغ، و من تماسين وقمار، وقد حصلنا على نماذج منها بالأرشيف التونسي، خاصة مراسلات محمد البشير التجاني (1278-1336هـ/1861-1918م) خليفة محمد حمّاه ونجله<sup>4</sup>، ولا يتسع المجال لعرضها، وهي تخص قضايا اجتماعية وثقافية.

#### (4) الرسائل في عهد أبناء أحمد التجاني وأحفاده:

رغم قلة الرسائل المتبادلة بين أئمة الطريقة التجانية بعين ماضي وأعيان الإيالة التونسية نظرا لمجموعة من العوامل قد يكون أهمها البعد الجغرافي بين الجهتين و هيمنة الزاوية التجانية في تماسين على العلاقات مع تونس بمختلف أطيافها، إلا أننا سنركز على

<sup>1</sup> محمد حمّاه التيجاني 1260 - 1331 هـ / 1844 - 1912 م : نجل محمد العيد وحفيد علي التماسيني تلقى تعليمه في زاوية تماسين على يد مجموعة من العلماء والفقهاء أشهرهم عمه محمد الأخضر والمقدم لخضر بن حمّانة القماري ، تولى خلافة الطريقة بعد وفاة عمه سي معمر سنة 1310هـ / 1893 م ، وواصل جهود سابقه في تقوية الطريقة ونشرها داخلها و خارجيا ، علي غريسي، أعلام وأختام ، المرجع السابق ، ص-ص: 33-38.

<sup>2</sup> وثيقة من أرشيف زاوية توزر سلمت لنا من المقدم علي غريسي، ينظر الملحق رقم:33.

<sup>3</sup> الطاهر محمد الرزقي، المصدر السابق، ج3، ص:351.

<sup>4</sup> علي غريسي، أعلام وأختام ، المرجع السابق، ص-ص:41-44.

بعض النماذج من الرسائل الصادرة عن أئمة الطريقة سواء من تولوا مشيخة الطريقة بالزاوية، أو أئمتها الكبار من خطباء ومفتين وفقهاء، وسنقتصر على أربعة رسائل ثلاثة بعثهم الشيخ البشير بن محمد التجاني<sup>1</sup>، رسالة رابعة بعثها ابن أخيه الشيخ سي علي<sup>2</sup>.

أما عن رسائل البشير التجاني الماضي فأولها رسالة موجهة إلى صاحب المملكة التونسية علي باشا باي بتاريخ 1316هـ/1898م، موضوعها يدور حول طلب الوساطة للشيخ لدى السلطات الفرنسية لتمكينه من السفر الى الدولة التونسية، ومما جاء فيها:

"... إلى سيادة المقام الأفخم والجناب الأعظم من أقامه الله رحمة في البلاد وغيثا نافعا للبلاد سيدنا ومولانا علي باي صاحب السياسة والرياسة العظمى والشرف الأرفع... عليك من عبيق السلام ختامه ومن نسمات الرحمة والرضوان نكاؤه هذا وغاية سؤالنا عنك وعن كافة أحوالك الرفيعة جعلك الله دائما بخير وعافية، أما بعد فقد خطر لنا خاطر وأردنا زيارة دياركم الشريفة ونتشرف بملاقة حضرتكم السنية وطلعتكم البهية وأردنا أن تكون همتمكم هي الوساطة والوسيلة في ذلك ولهذا قدمنا لجنابكم هذا الجواب حتى تكونوا أنتم إعانة لنا في هذا الخاطر ونرجوكم أن تنظروا أرباب الدولة الفرنسية وتذكروا لهم ذلك وتأخذوا لنا الإذن منهم ويكمل اجتماعنا بكم عن قريب وبعد أن تأخذوا الإذن الصحيح من أعيان الدولة تعلمنا حيننا إلى الجزائر بها فنحن مقيمين بها وهذا الذي نرجوه من جنابكم آدام الله لنا وجودك وبقاءكم

<sup>1</sup> - البشير بن محمد التجاني: نجل محمد بن أحمد التجاني، ولد سنة 1265هـ/1849م بعين ماضي، نشأ وترى في زاوية عين ماضي، توفي والده وهو في سن الطفولة (3-4 سنوات) تلقى مبادئ العلوم على يد رجال الطريقة بالزاوية مثل المقدم المشري الريان والمقدم أحمد العبدلاوي والعلامة أحمد بن عاشور السمعوني، تولى شؤون زاوية عين ماضي بعد وفاة أخيه الشيخ أحمد عمار يوم 20 أفريل 1897. زار زاوية تماسين عدة مرات، كما رحل إلى تونس مرتين (1284، 1316هـ / 1867 / 1898)، وحظي بإقامة وتكريم خاص من قبل سلطة الايالة، توفي الشيخ البشير التجاني سنة 1329هـ، 1911م ودفن بعين ماضي بجوار والده محمد التجاني، محمود بن المطاطية القسنطيني، رجاؤنا لا يخيب في مولانا البشير بن مولانا محمد الحبيب، تعليق، علي الغريسي، دار الجائزة، القبة، الجزائر، ط1، 2016. ص: 15-37.

<sup>2</sup> - الشيخ علي (علال): (1284، 1339هـ / 1867 - 1920م) نجل الشيخ أحمد عمار تولى شؤون زاوية عين ماضي بعد وفاة عمه محمد البشير سنة 1911م، الزاوية التجانية تماسين، الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم، مطبعة كوينين، الوادي، الجزائر، ط2، 2008، ص: 06.

وأسبل ستره الجميل على جنابكم في جميع شؤونكم ومشاربكم آمين وعليكم السلام التام اللائق بعالي ذاك المقام وحضرة سيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا مولانا محمد البشير نجل سيدنا ومولانا محمد الحبيب نجل سيدنا ومولانا القطب الرباني والغوث الصمداني مولانا أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا آمين<sup>1</sup>.

والرسالة الثانية وجهها إلى السيد بيشون وزير الدولة الفرنسية ومن خلاله حاكم البلاد الباي محمد الهادي بن علي<sup>2</sup> بتاريخ 1903، ويدور موضوعها حول تسهيل مأمورية مفتي الأغواط أحمد بن الطالب نيابة عنه وذلك من أجل زيارة الزوايا التجانية وتفقد أحوالها وتحصيل الأموال من أجل استغلالها في إصلاح شؤون بقية الزوايا. وطلب تقليد المفتي النيشان التونسي لدفعه خطة الفتوى، كما استوصى خيرا باتباع الطريقة بالإيالة وختمها بالدعاء لصاحب تونس والدولة الفرنسية<sup>3</sup>.

أما الرسالة الثالثة فهي عبارة عن إجازة في الطريقة موجهة إلى محمد العلاني القيرواني بتاريخ 12 ربيع الأول سنة 1328هـ الموافق لسنة 1910م، ومما جاء فيها:

" الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه... يقول الفقير الى فضل ربه تعالى عبده محمد البشير التجاني قد أذنا حامله محبنا العلامة الفقيه سيدي الحاج محمد نجل الولي البركة سيدي عمر العلاني القيرواني في ورد شيخنا القطب المكتوم والبرزخي المختوم سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه وعنا به وكذا في وظيفته المعروفة وذكر الهيلة الشريفة بعد الصلاة عصر يوم الجمعة التابعين للورد الاصيلي المشمولين باللزوم ومعه أدلة في تلقينه لكل من رغب فيه من جميع المسلمين... وكذا أجزته في جميع

<sup>1</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D "العلبة" 178، الملف 3، الوثيقة 12، ينظر الملحق رقم: 29.

<sup>2</sup> - محمد الهادي بن علي: حكم الإيالة بين 1902-1906م، ينظر: حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص: 220.

<sup>3</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، العلبة 178 الملف 3، الوثيقة 3،

ما صح ورده عن شيخنا رضي الله عنه من أذكار الطريقة المتداولة بين أهلها ذكرا وتلقينا لكل من تأهل لذلك...<sup>1</sup>.

هذا عن بعض مراسلات الشيخ محمد البشير التجاني، أما عن خليفته علي بن أحمد عمار التجاني فيبدو أنّ له مراسلات كثيرة مع حكام الإيالة ومن بينها ما حصلنا عنه من الأرشيف التونسي، رسالة مؤرخة في جمادى الثانية 1329هـ<sup>2</sup>، موجهة إلى صاحب المملكة التونسية الناصر باشا باي<sup>3</sup> يعلمه فيها بوفاة عمه البشير وتوليه شؤون الزاوية من بعده، ومما جاء فيها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد، من عبد ربّه الراج من فضل ربّه بلوغ الأمان في الدنيا ودار التهاني سي علي نجل سي أحمد بن محمد أحمد التجاني سقانا الله من فيضه بأوفر الأواني إلى سندا الذي جلت محاسنه أرقى وبفضائله أربت عدد الحصا ومن لازالت أيامه في ارتقاء و صعود وشموس عزة بازغة في ذلك السعود وبل الغيث والشبل ابن الليث سيدنا الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية حرص الله كماله وبلغه في الدارين آماله والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته وبعد فإني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو سائلين لنا ولكم الصحة والعافية هذا والمخبر به جنابكم الرفيع أن عمنا مولانا محمد البشير انتقل الى دار البقاء، عظم الله أجر الجميع فيه 13 من جمادى الثانية سنة 1329هـ واليوم ها نحن اليوم أقمنا مقامه في تصاريف زوايانا بأمر من الدولة ومن أبناء عمنا هذا

<sup>1</sup> - أرشيف زاوية تماسين، سلمت لنا من طرف علي غريسي.

<sup>2</sup> - يوافق هذا التاريخ سنة 1911م.

<sup>3</sup> - محمد الناصر باي (1906-1922م)، حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، المرجع السابق، ص- ص: 220-

ولازال الدعاء لكم.... وأن يفيض عليكم المدد... من فيض جدنا الغوث الأكبر وأن يكسوكم ملابس رضاه حين تلقاه والسلام وختام كتب بعين ماضي كوردان والسلام<sup>1</sup>.

### 5 - نماذج لرسائل موجهة من أعيان القطر التونسي إلى الجزائر:

وصلت إلى الجزائر أعداد معتبرة من الرسائل إلى أئمة وشيوخ الطريقة التجانية خاصة في الجنوب الشرقي من البلاد ( تماسين ، قمار ) لتواجد أكبر مراكز تأثير للطريقة في العالم سواء كان ذلك في حياة المؤسس القطب أحمد التجاني أو خليفته علي التماسيني أو خلفاء هذا الأخير طيلة القرن 19 م، بل امتدت إلى مراسلة بعض مقدمي وعلماء و شيوخ الطريقة في مناطق مختلفة من البلاد، وسنقتصر على تقديم نماذج من هذه المراسلات ونبيّن أبعادها ومضامينها سيما ما تعلق منها بالجانب العلمي ، وقد بيّنا أن الكثير من المراسلات قوبلت برسائل من جهة الجزائر كأجوبة لبعض القضايا التي طغى عليها الطابع الصوفي .

#### • الرسالة الأولى:

من الحاج عمر بن حسن بن سليمان الزواوي أول مقدم لزاوية الطرنجة إلى المقدم الكبير سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سليمان التغزوتي، وتتناول تبادل التحيا والسؤال عن الأحوال والمريدين والأحاب بتغزوت وهذا نصها :

"حفظ الله ذاتكم وطيب الله أوقاتكم وسير الله الخير حيث كان لكم وجعل الجنة مثواكم ومسكنكم أعني بذلك سيدي ومسندي وقرّة عيني وأعز الناس عندنا سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سليمان مقدم الحضرة التجانية، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكيف أنت وكيف إخوانك وأحاببك والمقاديم ومن معكم من الأحاب كافة الله يصلح أحوالنا وأحوالكم ...

<sup>1</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، العبة 178 الملف 3 ، الوثيقة 11.

وبلّغ الله جوابنا إلى أبيك سيدي أحمد بن سليمان وقل له رحمك الله في هاذيك الدار الدائمة والسلام من الحاج عمر بن سليمان مقدم الحضرة التجانية في بلد تونس سنة 1255 هـ<sup>1</sup>.

### • الرسالة الثانية:

موجهة من العالم الكبير شيخ الزيتونة إبراهيم الرياحي إلى محمد المشري ابن الطاهر بن عبد الصمد، وموضوعها يدور حول إجازة المعني في الطريقة بناء على وصية والد محمد المشري إلى المرسل "الرياحي" ومن أهم ما جاء فيها:

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما بحمد الله جل جلاله وعز كبريائه وتعالى مجده يصل الكتاب إلى محبنا وصديقنا الرجل الصالح سيدي محمد المشري ابن السيد الفاضل والعارف الواصل سيدي الطاهر بن عبد الصمد... فها أنا امتثلت أمره وقدمتك في ذلك عن أمر والدكم خصوصا وعن إذن الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني عموما... والسلام من العبد الفقير إبراهيم بن عبد القادر الرياحي...<sup>2</sup>.

### • الرسالة الثالثة:

وهي أيضا رسالة علمية تخص مسألة في الحبس استفتي فيها إبراهيم الرياحي في نزاع حول أرض محبسة بيعت إلى أحد القماريين من طرف تاغزوتي منذ أمد طويل، وكان هناك شرط بين القبيلتين وهو أن الأرض التي يشتريها أهل قبيلة من الأخرى لا ترد ولو كانت محبسة قطعاً للفتن بينهم. إلا أن ابن البائع نبذ ذلك الشرط وطالب القماري برد الأرض له وإبطال البيع فامتتع المشتري أو ورثته فرفع الأمر إلى مفتيين أحدهما من قمار والآخر من تغزوت فافتيا بإمضاء البيع فلم يقتنع قوم القائم وطلبوا توجيه الاستفتاء إلى تونس.

<sup>1</sup> علي غريسي، الزاوية التجانية طرنجة، المرجع السابق، ص: 22.

<sup>2</sup> - أرشيف زاوية تماسين، ينظر الملحق رقم: 31.

وجه التاغزوتي المسألة للشيخ إبراهيم الرياحي سنة 1255هـ/1839م، وبقي ينتظر الجواب سنة كاملة حيث وصله الجواب عام 1256هـ/1840م، وفيه إبطال لما أفتى به المفتيين السابقين وإرجاع الملك إلى صاحبه الأول، فاتخذها التاغزوتي حجة وعزم على إخراج القماري منه ولو قهرا، لكن أهل الخير والصلاح استطاعوا ان يصلحوا بين المتخاصمين بالتراضي.

ورسالة الرياحي في القضية طويلة جدا اعتمد فيها على أدلة دامغة في إبطال البيع وإنصاف ورثة البائع ومما جاء فيها: "سئلت عن مسألة هي أن رجلا اشترى من رجل أرضا مشجرة نخيلا ببلد قمار إحدى قرى سوف والبائع له من بلد تاغزوت إحدى قرى سوف أيضا، والحال أن الأرض المذكورة محبسة على البنين دون البنات، والمحبس عليه هو الذي باعها أي التاغزوتي فابتاعها (اشتراها) منه القماري، وذلك أن القبيلتين المذكورتين بنوا بينهم عرفا إذا ابتاع منهم أحد أرضا من أهل تاغزوت والأرض محبسة فلا يفسح البيع فيها بل يمضي بيعها دفعا للفتن وقطعا للخصومات بينهما، فاشترى الأرض المذكورة السائل المذكور من التاغزوتي منذ سنين عديدة فقام الآن ابن المحبس عليه يريد فسخ البيع الواقع في الأرض المذكورة هل له ذلك أم لا ؟".

فأجبت أن هذا البيع صحيح معمول به شرعا من وجهين الأول لما جعله أهل قمار وأهل تاغزوت من تحليل بيعهم الحبس لبعضهم بعضا وبنوا عرفهم على ذلك خشية الفتن... والحاصل أن بيع الحبس المذكور لا يجوز والمصلحة على مدرك الإمام والتيقن بأنه لا معارض لتلك المصلحة ولا شبهة تمنع من مراعاتها، هذا ما ظهر لمزجي البضاعة إبراهيم بن عبد القادر الرياحي مسلماً عليك وعن سائر الأحباب...<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص: 291-298.

## • الرسالة الرابعة:

من الجنوب التونسي كتبها المقدم عبد الله السوداني التوزري<sup>1</sup> إلى مقدم الطريقة التجانية بقسنطينة محمود بن المظماطية<sup>2</sup> الجد في 26 ذي القعدة 1286هـ / 1871م وتخص قضية علمية حول شرح القصيدة المسماة السيف الحاسم في سلوك الإمام القطب أحمد التجاني و مما جاء فيها :

"... وربنا يشكر صنعكم ويديم رعيكم بما وفيتم به من غرضنا في توجيه الجزء الثاني من شرح القصيدة المسماة ب"السيف الحاسم في سلوك إمامنا وسهمنا أبي العباس سيدي أحمد بن سالم قدس الله نفسه الطاهرة وبوأه من الخلد رياضاً زاهرة... ولقد تشرفنا بمطالعة الشرح المذكور وصرفنا العناية في تبييضه وبعد إتمامه نوجهه لكم بحول الله طبق ما عرفتم ثم نتشوف النفس بعد ذلك إلى توجيهكم لنا الجزء الأول من الشرح المذكور..."<sup>3</sup>.

## • الرسالة الخامسة:

من الشيخ إبراهيم معلا إلى محمود بن المظماطية سنة 1289هـ / 1874م تخص قضية الجزء الثاني من كتاب السيف الحاسم الذي استعاره عبد الله السوداني من ابن المظماطية، وكذا مسألة هبة أو وقف أو ميراث لذرية سي أحمد التجاني.

<sup>1</sup> - عبد الله السوداني التوزري: مساعد مقدم زاوية طرنجة الحاج محمد بن حسين الغربي ، شغل عدة مناصب سامية، قاضي ومفتي في بلدة توزر ثم رقي سنة 1280هـ / 1864م إلى باشا مفتي وقد أجازته الشيخ محمد العيد الأول 1282هـ / 1866م ، علي غريسي ، الزاوية التجانية طرنجة ، المرجع السابق ، ص: 33 .

<sup>2</sup> - محمود بن المظماطية (1298-1371هـ / 1881-1952م) : محمود القسنطيني أصلاً ومنشأً، المالكي مذهباً، التجاني مشرباً، نجل الشيخ بن المظماطية مجدد الزاوية التجانية بقسنطينة ( زاوية بن نعمون)، أخذ محمود عن علماء أجلاء ببلدته حتى وصل رتبة الإمامة بجامعة سيدي عفان بمدينة قسنطينة العتيقة، زار الشيخ زاوية عين ماضي وتماسين (1903-1904)، وترك مؤلفات ضخمة في الطريقة، أهمها: غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين. ينظر: محمود بن المظماطية، رجاؤنا لا يخيب، المصدر السابق، ص: 78-80.

<sup>3</sup> - الرسالة الأصلية موجودة في أرشيف زاوية تماسين ضمن خزانة محمود ابن المظماطية القسنطيني التي وقَّعها على الزاوية سنة 1371هـ / 1954م ، ينظر صورة منها في الملحق رقم 32.



إن هذه الرسالة في جزئها العلمي تبيّن ظاهرة تبادل المصنفات والكتب والمخطوطات بين علماء الجزائر وتونس من خلال الإعارة لمدة معينة، ومما جاء فيها: "... فإنه اتصل بنا كتابكم الشريف خطابكم وما عرفنا فيه في تقان البحث عن الجزء الثاني من كتاب السيف الحاسم الذي استعاره منكم سي عبد الله السوداني (كذا)، فاني بحثت عليه وجدت سي عبد الله المذكور كان دفعه للفاضل (كذا)، الشيخ سي علي بن بلقاسم ليوجهه لكم وأن سي علي بن بلقاسم المذكور توجه لينظر رجلا ثقة يوجهه بعد أن أدركه حصاد النعمة فتوجه لجمعها... وبعد هذا إن شاء الله يأتيكم عن عجل كما فهمنا منه..."<sup>1</sup>.

#### • الرسالة السادسة:

من عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله ابن حسن الهادفي التوزري<sup>2</sup> إلى محمد حمّه ابن محمد العيد الأول سنة 1306هـ/1888م، يعرض عليه فيها بيع حوشه (منزله) بأولاد الهادف بعد أن ظهر له الهجرة والاستيطان ببيت الله الحرام وجاء فيها:

"الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، أدام الله حفظكم جناب الزكي الأمثل الثقة الهمام الأجل سيدي الشيخ محمد بن الأستاذ الأكبر سيدي محمد العيد أدام الله إكرامه وبلغه مرامه آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد... ظهر لي الانتقال إلى المشرق بنية الاستيطان بجوار النبي صلى الله عليه وسلم وأنه غمر لي حوش بأولاد هادف

<sup>1</sup> - أرشيف زاوية تماشين، المكتبة الخاصة ، بدون ترقيم.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الهادفي: مقدم الطريقة التجانية وإمام مسجد سيدي غلاف بتوزر، وهو من تلاميذ المقدم سيدي أحمد بن سالم الهادفي، ويعرف صاحب الترجمة بدحمان الهادفي، وعرف عنه حبه لمشائخ الطريقة بتماسين وحسن استقباله لهم أثناء قدومهم إلى تونس، علي غريسي، الطريقة التجانية في الجنوب التونسي، المرجع السابق، ص: 75، 76.

وهو يشتمل على بئر ماء ينفعكم على الدوام وبه عدة مساكن وبنائوه بالحجر وهو من أحسن بنيان بلادنا وها أنا أعرض على جنابكم المعظم للشراء فإن ظهر لكم ذلك فأخبروني...<sup>1</sup>.

### • الرسالة السابعة:

من المفتي المالكي بحاضرة تونس الشيخ محمد الشريف النجار<sup>2</sup> إلى شيخ الزاوية التجانية بمداوروش بسوق أهراس المقدم الحاج محمد الأخضر بن حمادة في 16 رمضان 1316هـ/1898م.

يدور فحوى هذه الرسالة في الرد على رسالة من المقدم المذكور تتعلق بقضية فلكية وهي تحديد ثبوت كل من شهر شعبان ورمضان لهما من أهمية في حياة الشعبين الدينية ومدى التنسيق لتحديد رؤية هلال رمضان ورغم أن الرسالة وصلت متأخرة إلى الشيخ إلا أنها تبين عمق العلاقات الاجتماعية والدينية بين الشعبين. ومما جاء فيها:

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، حضرة الأود الأحضى الثقة الأكمل الشيخ الحاج محمد الأخضر بن حمادة مقدم الطريقة التجانية السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبعد فقد بلغنا جوابكم المؤرخ في شهر التاريخ وقد تضمن الإعلان ببلوغ كتابنا إليكم والحمد لله كما تضمن السؤال عن اليوم الذي ثبت فيه شعبان المنصرم وعن اليوم الذي ثبت به الجاري رمضان أما شعبان فبالأربعاء وأما رمضان فبالجمعة..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أرشيف زاوية تماسين، المكتبة الخاصة بدون ترقيم.

<sup>2</sup> - محمد النجار الشريف: ولد سنة 1253هـ بتونس وبها نشأ وتعلم إلى أن دخل جامع الزيتونة في طلب العلم سنة 1270هـ، فتلقى العلوم وبرع فيها عن طريق علماء عصره، حتى وصل إلى مهمة التدريس بالجامع الأعظم سنة 1284هـ، ثم الفتيا سنة 1312هـ فصار المفتي المالكي للحاضرة. محمد السنوسي، المصدر السابق، ص - ص: 122-124.

<sup>3</sup> - أرشيف زاوية تماسين، بدون ترقيم، ينظر الملحق رقم 34.

## • الرسالة الثامنة:

حررها احميدة الغربي<sup>1</sup> مقدم زاوية طرنجة إلى شيخ زاوية تماسين محمد حمّ التيجاني يطلب منه إعطاء تقديمه في الطريقة للشيخ حسن بن محمد بن سعيد لأهليته لذلك:

"...ونجل نبينا المختار الخليفة المعظم سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ سيدي محمد بن الخليفة المنعم الشيخ سيدنا محمد العيد بن الغوث سيدنا الحاج علي التماسيني ... يليه نرغب من جانبكم الرفيع... أن تتفضلوا علينا بإرسال تقديم في هذه الطريقة التجانية الأحمدية الإبراهيمية إلى الشيخ حسن بن محمد بن سعيد فإنه أهل ... ويبلغكم أتم السلام من جملة أحباب زاوية طرنجة والسلام<sup>2</sup>."

## • الرسالة التاسعة:

من القاضي والمفتي الحنفي بتونس حسن بن القاضي إلى مجهول لم يذكر اسمه في الرسالة ولا طبيعة وظيفته ومكانته الاجتماعية ولكن يبدو من خلال أسلوبه في طرح القضية الفقهية أنه من أصحاب العلم والجاه في الجزائر، دونت الرسالة في 02 جمادى الأولى 1324هـ/23 جوان 1906م، وأهم ما جاء فيها:

" الحمد لله سادتنا الأئمة الأعلام مشايخ الإسلام وملاذ الخاص والعام متع الله بطول بقائكم الأنام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما قولكم رضي الله عنكم في نازلة صورتها أن رجلا حلف بالطلاق ثلاثا ليخرجن عن بيت أبيه وأراد بذلك القسمة ليخرج عنه فما يلزمه من ذلك إذا لم يخرج فورا جوابكم الشافي ومأجورين والسلام.

<sup>1</sup> - احميدة الغربي: وهو أحمد الغربي المدعو أحميدة نجل محمد بن حسين الغربي، تولى أحميدة شؤون زاوية الطرنجة كمقدم رابع خلفا لوالده، وذلك باقتراح من العلامة محمد الرياحي نجل العلامة الكبير أبراهيم الرياحي، توفي صاحب الترجمة سنة 1334هـ/1915م، علي غريسي ، الزاوية التجانية طرنجة ، المرجع السابق ، ص: 25-27.

<sup>2</sup> - الرسالة المؤرخة في 9 شعبان 1315 هـ الموافق ل 2جانفي 1898م وهي بأرشف زاوية تماسين.

أحمد الله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبدته وآله وصحبه وجنده وبعد فقد تأملت سؤالك أصلح الله حالي وحالك والجواب الهادي وعليه اعتمادي أن الرجل المذكور لا يضره شيء إن لم يخرج فوراً ففي التنوير حلف ليأتينه فلم يأتية حتى مات حنث في آخر حياته قال شارحه وكذا كل يمين مطلقة أما المؤقتة فيعتبر آخر بها فإن مات قبل مضيه فلا حنث قال سيد المحققين المولى ابن عابدين على قوله وكذا كل يمين مطلقة أي لا خصوصية للإثبات بل كل فعل حلف أن يفعله في المستقبل وأطلقه ولم يقيده بوقت لم يحنث حتى يقع الياسر من البر ولما (كذا) بنا أفئتنا به السائل إفتاء تاماً حرره فقير ربه حسن بن القاضي المفتي الحنفي بتونس في 2 جمادى الأولى 1324هـ/23 جوان 1906م...<sup>1</sup>.

#### • الرسالة العاشرة:

من محمد الناصر باشا باي صاحب تونس إلى الشيخ علي ابن الشيخ أحمد بن محمد التجاني تخص تعزية في وفاة عمه البشير التجاني ومباركة توليه شؤون الزاوية بعين ماضي والرسالة مؤرخة في 1329هـ/1911م ، بخط محمد العزيز بوعتور<sup>2</sup> ومما جاء فيها:

" نخبة الأفاضل الأعيان الغنية كمالاته عن البيان القدوة الناسك البركة السالك سيدي علي نجل المنعم الشيخ سيدي أحمد بن محمد التجاني أدام الله تعالى اجلاله ومجده وكماله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فإن مكتوب جنابكم الموجه لحضرة المعظم الأرفع مولانا وسيدنا دام عزه وعلاه في الأعلام بوفاة القدرة الناسك عمكم الشيخ سيدي محمد البشير فرس الله تعالى روحه وأن جنابكم في مقامه في شؤون الزاوية التجانية وقع تبليغه

<sup>1</sup> - أرشيف زاوية تماسين، بدون ترقيم ، ينظر الملحق رقم 30.

<sup>2</sup> محمد العزيز بوعتور: (1232-1325هـ/1825-1907م) ، درس على يد كبار علماء الزيتونة ، تولى شؤون الكتابة في الدولة سنة 1260هـ ، ثم اسندت إليه وزارتي المال و القلم والاستشارة ، وكان أحد أعضاء المجلس الكبير للدولة . محمد النيفر ، المصدر السابق ، ج 2، ص:1007-1019، ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج7، ص:157.

لحضرتة السامية... وكلفني بأن أبلغ ذلك لجنابكم وأسأل الله تعالى أن يرزقكم الصبر الجميل والبركة فيكم والمسؤول من جنادكم الدعاء للحضرة العلية دام عزه وعلاه ثم فما نرجو من الله تعالى قبوله والله (كذا) حفظكم وكمالكم والسلام...<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، العبة 178 الملف 3، الوثيقة 10.

## خاتمة الفصل:

شكلت رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي دعامة هامة في التواصل الجزائري التونسي بمختلف أشكاله، وأدت إلى تمتين روابط و أواصر الأخوة بين الشعبين الشقيقين ومن خلال تتبعنا إلى هذه الرسائل منذ عهد المؤسس الشيخ أحمد التجاني نجد أنها تميزت بجملة من الخصائص أهمها:

- كثرة وغزارة الرسائل المرسلة من قبل الأئمة إلى أعيان القطر التونسي.
- تنوع مواضيعها فقد شملت جوانب ثقافية وعلمية وشؤون اجتماعية وحتى سياسية أحيانا.
- مست أعيان المجتمع التونسي بمختلف أطيافه كرجال السلطة بايات و وزراء وكتّاب و قضاة وفقهاء و تجار كبار وأصحاب نفوذ مالي ومقدمي الطريقة ووكلائها في مناطق متعددة خاصة الجنوب.
- ساهمت في حل كثير من القضايا العالقة الخاصة بالمجتمع التونسي أو الشعبين معا.
- طغى على معظمها الروح الصوفية حيث تبوأَت رسائل الإجازات الصوفية والأوراد والتقديمات الصادرة من مجموع الرسائل المرسلة.
- تطرقت الرسائل إلى قضايا علمية تخص التصوف وبعض القضايا الفقهية وكذا إلى بعض المصنفات والكتب المتبادلة بين الطرفين.
- كرست سلطة الطريقة على البلاد التونسية.
- بيّنت مدى مساهمة الجزائر في الحركة الثقافية والعلمية بالإيالة التونسية من خلال تكفل الطريقة ببعض المراكز العلمية ماديا و معنويا كالمدارس والمساجد والزوايا وغيرها.

الخلافة الثالثة

# الخاتمة

## الخاتمة:

من خلال بحثنا الموسوم بالعلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي أنموذجا، يمكن إجمال النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

\* تجذر العلاقات الجزائرية التونسية في المجال العلمي إذ تعود إلى فترات مبكرة جدا في تاريخ المغرب الإسلامي.

\* تنوع وتعدد الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني في كل نواحي البلاد، رغم تباين مردوديتها وفعاليتها في الإنتاج العلمي والفكري.

\* تنوع الحواضر و المراكز العلمية في تونس وتفوقها على حواضر ومراكز الجزائر لاسيما خلال القرن 12هـ/18م بفضل سياسة حكامها ووجود مؤسسات عريقة كجامع الزيتونة الذي لعب دورا محوريا في الحركة الفكرية والعلمية بين البلدين.

\* تمايز الحالة العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني نتيجة اختلاف الاستراتيجية المتبعة بين سلطة البلدين لاسيما منذ القرن 12هـ/18م.

\* قوة التواصل العلمي و متانته بين القطرين وعدم تأثره بالأوضاع السياسية المضطربة بين الإيالتين في كثير من الأحيان وهذا ما يترجمه:

\* كثرة الرحلات العلمية الجزائرية إلى تونس.

\* الحركة الكثيفة لعلماء الجزائر نحو تونس وهذا نتيجة عوامل مختلفة في مقدمتها عناية حكام الإيالة التونسية بالعلم والعلماء، واحتوائها على حواضر ومراكز عريقة ذات تقاليد راسخة في الشؤون العلمية والفكرية على غرار جامع الزيتونة، إضافة إلى تدهور الأوضاع بالجزائر في كثير من الأحيان وافتقادها إلى مراكز علمية كبيرة.



## الخاتمة

- \* ضالة حركة علماء تونس إلى الجزائر مقارنة بحركة علماء الجزائر إلى الإيالة ولعل ذلك يعود إلى عوامل مختلفة أهمها اكتفاء علماء الإيالة بما لديهم من مراكز إشعاع علمي.
- \* غزارة الإجازات المتبادلة بين علماء الإيالتين.
- \* الإسهام الكبير لعلماء الجزائر في الحياة الثقافية والعلمية بتونس عبر مختلف المراحل سواء أكان في التدريس أم الافتاء أو القضاء وحتى بعض المناصب العليا كديوان خطة الانشاء.
- \* تقدير مكانة علماء الإيالتين لبعضهما البعض من خلال إبداء الرأي في المصنفات العلمية عن طريق التقارير المتبادلة بين الطرفين.
- \* كثافة التبادل العلمي من خلال المراسلات الكثيرة بين علماء الإيالتين والتي عالجت قضايا مختلفة تمس جوانب متعددة في معظمها ذات طابع ثقافي اجتماعي.
- \* التنافس الكبير بين علماء البلدين على تقديم شروحات وتعاليق على بعض المؤلفات المشهورة في مختلف العلوم.
- \* تهافت وشغف علماء تونس بالإنتاج الفكري الجزائري من خلال الشروحات والتعاليق الكثيرة على مصنفات محمد بن يوسف السنوسي والأخضري طيلة العهد العثماني وإدراجها في مقررات المناهج الدراسية بمختلف المراكز.
- \* تعاطي نفس العلوم والمناهج التعليمية القائمة على العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقهاء، وعلوم اللغة، والمنطق.
- \* حيوية ونشاط الحركة العلمية والفكرية بالبلاد التونسية خلال حكم الأسرة الحسينية (12هـ/18م)، أسهم في استقطاب عدد كبير من علماء الجزائر إلى الأراضي التونسية.

\* تفوق علماء الجزائر على نظرائهم علماء تونس في كثير من العلوم وهو ما تبين من خلال رحلات بعض العلماء كأحمد المقرئ وأبو راس الناصري والحسين الورثياني وغيرهم من العلماء وهو ما بيّنته حضوتهم المرموقة عند هؤلاء العلماء وحتى عند الحكام.

وشكلت الطرق الصوفية جسرا للتواصل العلمي بين الجزائر وتونس بحكم ارتباط معظم هذه الطرق ببعضها البعض نتيجة وحدة أصولها الفكرية والعقدية ومن أهم مظاهر هذا التواصل الذي كرسته هذه الطرق هو:

\* نشر الوعي والمعرفة بين السكان خاصة المناطق الخاضعة تحت سلطة هذه الطرق سواء أكان على الحدود الشرقية والجنوبية للجزائر أم غرب ووسط وجنوب تونس، وذلك عن طريق الاهتمام بالتعليم من خلال الزوايا المنتشرة بالقطرين في ظل غياب السلطة في كثير من الأحيان بهذه المناطق.

\* الحفاظ على الموروث الثقافي للبلدين و مرجعيته القائمة على الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية وصيانة القيم الدينية والوطنية سواء في ظل الحكم العثماني أو خلال الحقبة الاستعمارية.

\* توثيق العلاقات بين القبائل نتيجة المد التنويري والتخفيف من حدة الصراع والنزاعات.

\* تكوين فئة مثقفة خريجة الزوايا و التي أسهمت في الحياة العلمية والثقافية بالبلدين.

\* إثراء الثقافة العربية الإسلامية بالبلدين بفضل الإنتاج الفكري والعلمي لعلماء وشيوخ الزوايا.

\* تمتين الروابط العلمية و الثقافية بين البلدين.

## الخاتمة

\* تمكين كثير من الجزائريين مواصلة تعليمهم بفضل زوايا القادرية والرحمانية بتونس في ظل الظروف الصعبة التي عاشها المجتمع الجزائري في ظل الحكم العثماني أو الحقبة الاستعمارية.

\* الإسهام الكبير للطرق الصوفية ورجالها من الجزائر في الحياة الثقافية والاجتماعية بتونس في هذه الفترة ، وهنا يمكن التتويه بدور آل عزوز الرحمانيين وآل الشريف القادريين وآل تماسين التجانيين.

وتعد رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي دعامة هامة في التواصل الجزائري التونسي بمختلف أشكاله، وأدت إلى تمتين روابط و أواصر الأخوة بين الشعبين الشقيقين ومن خلال تتبعنا إلى هذه الرسائل منذ عهد المؤسس الشيخ أحمد التجاني نجد أنها تميزت بجملة من الخصائص أهمها:

\* كثرة وغزارة الرسائل المرسلة من قبل الأئمة إلى أعيان القطر التونسي.

\* تنوع مواضيعها فقد شملت جوانب ثقافية وعلمية وشؤون اجتماعية وحتى سياسية أحيانا.

\* توغل الطريقة التجانية إلى مفاصل المجتمع التونسي بمختلف أطرافه كرجال السلطة "بايات و وزراء وكتّاب" و قضاة وفقهاء وتجار كبار وأصحاب نفوذ مالي ومقدمي الطريقة ووكلائها في مناطق متعددة خاصة الجنوب.

\* إيجاد حلول لبعض القضايا الاجتماعية والعلمية التي تخص المجتمعين، كالإجابة على بعض القضايا الفقهية الشائكة وتبادل المؤلفات وغيرها

\* طغى على معظمها الروح الصوفية حيث تبوّأت رسائل الإجازات الصوفية والأوراد والتقديمات الصادرة من مجموع الرسائل المرسلة.

# الخاتمة

\* تطرقت الرسائل إلى قضايا علمية تخص التصوف وبعض القضايا الفقهية الشائكة و الإجابة عليها وتبادل بعض المصنفات و المؤلفات وغيرها.

\* كرست سلطة الطريقة على البلاد التونسية.

\* إسهام الطريقة التجانية في الحياة الدينية والثقافية بالإيالة التونسية نتيجة تكفل أئمة الطريقة من زاوية تماسين بمختلف المؤسسات الدينية والتعليمية من الناحية المادية والروحية ( الزوايا-المساجد-المدارس).

\* علو مكانة أئمة التجانية عند السلطة الحاكمة بالبلاد التونسية.

العلماء

## قائمة الملاحق

\* الملحق رقم 01: خريطة توزيع الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر منذ القرن 10هـ/16م

\* الملحق رقم 02: الحواضر العلمية في تونس الواردة في بحثنا.

\* الملحق رقم 03: أمرية من الباب العالي إلى حاكم الجزائر تخص تسهيل بناء المساجد.

\* الملحق رقم 04: صور لنماذج عن بعض المساجد في تونس (جامع الزيتونة، جامع الهواة).

\* الملحق رقم 05: الطرق التجارية الرئيسية الرابطة بين الجزائر وتونس و المؤثرة في الحركة العلمية.

\* الملحق رقم 06: تعليمة من الباب العالي إلى حاكم الجزائر بضرورة تخصيص مستحقات مالية إلى أهل العلم والقرآن

\* الملحق رقم 07: رسالة من الباب العالي إلى حاكم الجزائر تتعلق بتخصيص مبلغ مالي لعلماء تونس في الجزائر.

\* الملحق رقم 08: نص إجازة أحمد المقرئ للشيخ تاج العارفين العثماني التونسي .

\* الملحق رقم 09: إجازة ابن العنابي لمحمد بيرم الرابع التونسي.

\* الملحق رقم 10: استجازة مصطفى بيرم لابن العنابي.

\* الملحق رقم 11: تقرير بيرم الرابع لكتاب الدر المختار للعلامة ابن العنابي.

\* الملحق رقم 12: جدول خاص بعلماء الجزائر في تونس.

\* الملحق رقم 13: رسالة الشيخ إبراهيم الغرياني إلى عبد الكريم الفكون.

- \* الملحق رقم 14: رسالة من محمد بيرم الرابع إلى ابن العنابي.
- \* الملحق رقم 15: نص تقرّظ أحمد بن عمار للعالم التونسي حمودة عبد العزيز.
- \* الملحق رقم 16: رسالة أحمد بن عمار إلى الباى علي باشا التونسي.
- \* الملحق رقم 17: مناطق انتشار زوايا الطريقة الرحمانية بالبلاد التونسية.
- \* الملحق رقم 18: الطريقة الشاذلية في الجزائر وتونس.
- \* الملحق رقم 19: إجازة ظاهر الوترى المدني للشيخ المختار بن خليفة
- \* الملحق رقم 20: إجازة الشيخ المختار لأحمد الأمين المدني بن عزوز
- \* الملحق رقم 21: رسالة المكي بن عزوز إلى شيخه المختار بن خليفة
- \* الملحق رقم 22: رسالة أحمد الأمين المدني بن عزوز لشيخه المختار بن خليفة
- \* الملحق رقم 23: رسالة المكي بن عزوز إلى شيخه المختار بن خليفة
- \* الملحق رقم 24: تكليف الشيخ إبراهيم الرياحي بنقل أوقاف الحرمين الشريفين من طرف الباى مصطفى سنة 1252هـ.
- \* الملحق رقم 25: رسالة محمد العيد الأول إلى مقدمي تونس.
- \* الملحق رقم 26: رسالة محمد الصغير التجاني ابن الخليفة الحاج علي يجيز فيها حسين علي باشا باي تونس في الإذن في الطريقة والتقديم.
- \* الملحق رقم 27: رسالة محمد العيد الأول إلى مقدم قفصة محمد بن بلحاج عمر السماوي.

\* الملحق رقم 28: رسالة من الخليفة محمد العيد التماسيني إلى الشيخ إبراهيم السوداني (مقدم توزر).

\* الملحق رقم 29: رسالة من الشيخ محمد البشير نجل محمد الحبيب التجاني إلى علي باي صاحب تونس.

\* الملحق رقم 30: رسالة من مفتي الديار التونسية حسن ابن القاضي إلى مجهول تدور حول نازلة فقهية.

\* الملحق رقم 31: رسالة الشيخ إبراهيم الرياجي إلى محمد بن المشري ابن الطاهر بن عبد الصمد يجيزه في الطريقة بناء على طلب والده.

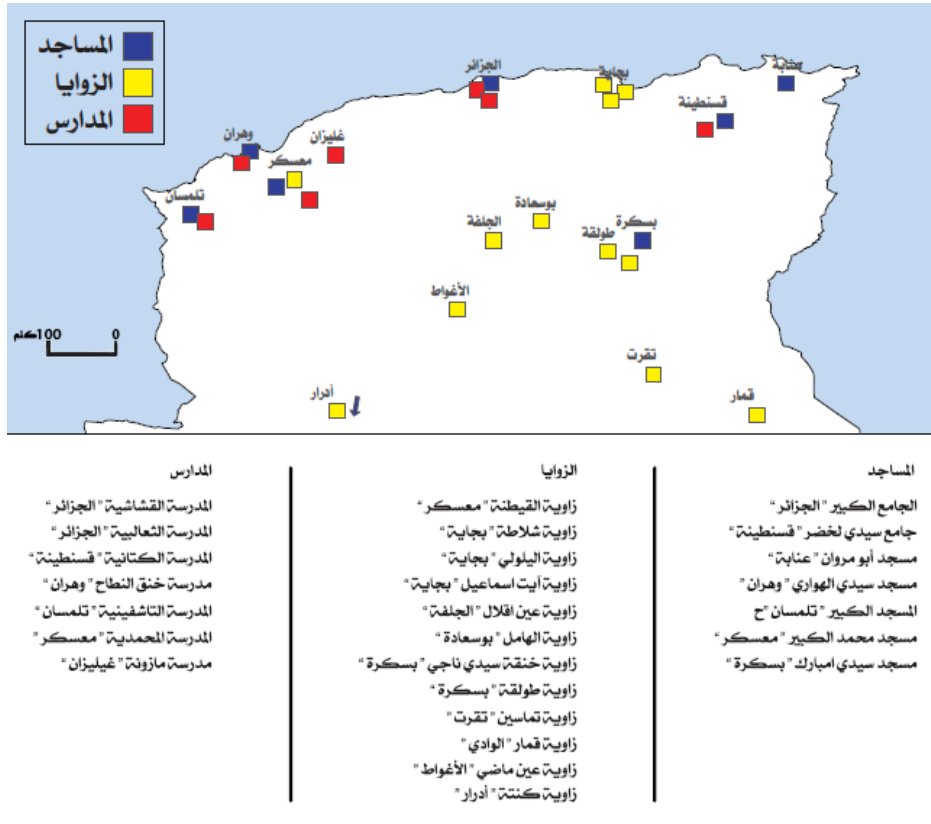
\* الملحق رقم 32: رسالة عبد الله السوداني مفتي توزر إلى محمود بن المطماطية مقدم زاوية قسنطينة التجانية.

\* الملحق رقم 33: رسالة من الشيخ محمد حمه التماسيني إلى وكيله بتوزر السيد عمار بن العصمة القماري.

\* الملحق رقم 34: رسالة من محمد النجار الشريف المفتي المالكي بحاضرة تونس إلى الشيخ الحاج محمد الأخضر بن حمانة مقدم الطريقة التجانية بأمدروش بسوق اهراس.



الملحق رقم 01: خريطة توزيع الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر منذ القرن 10هـ/16م



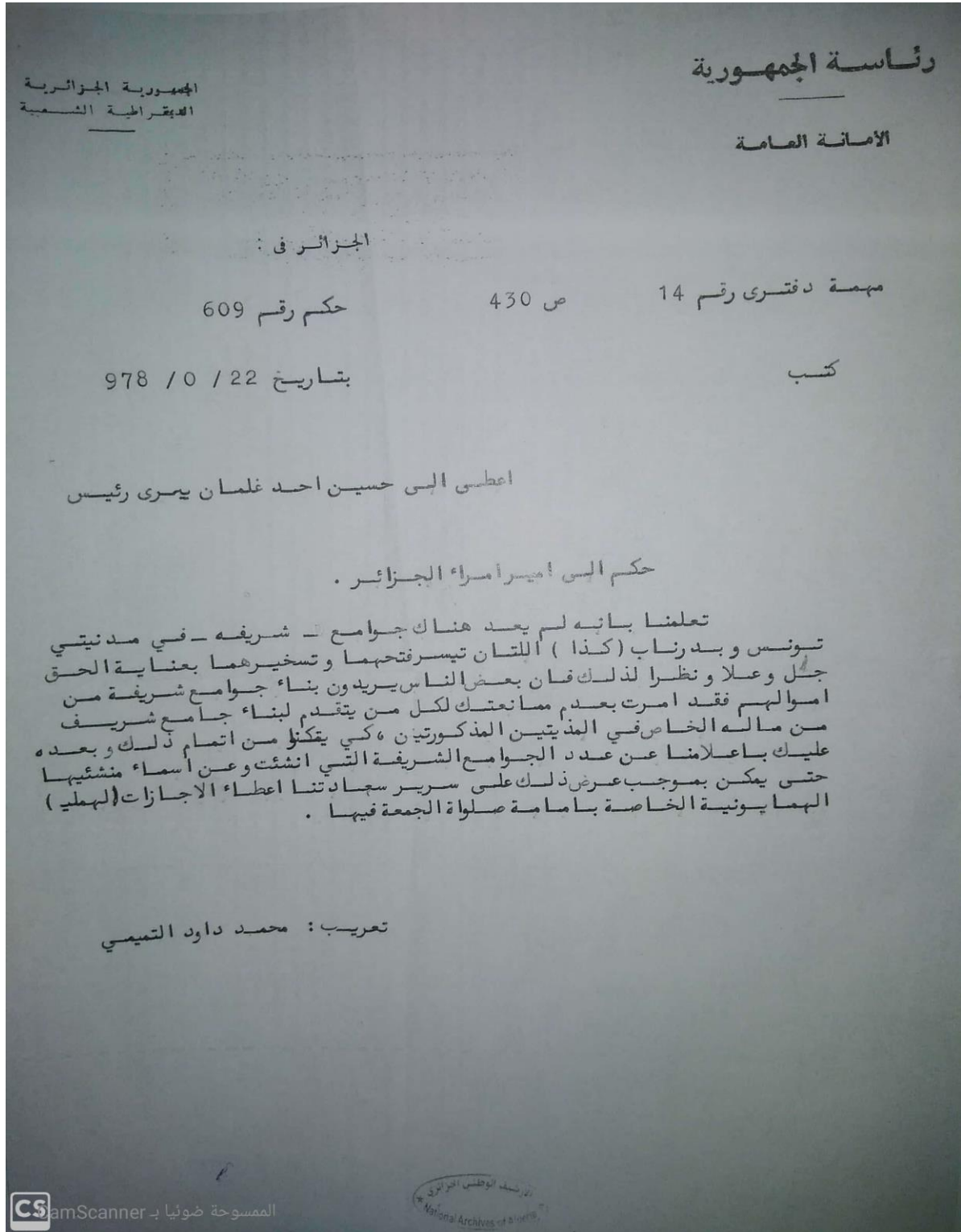
المصدر: من إنجاز الطالب، والمعلومات مستمدة من: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، المجلد 5، ج9، 2005. ص:329.

الملحق رقم 02: الحواضر العلمية في تونس الواردة في بحثنا



المصدر: من إنجاز الطالب

الملحق رقم 03: أمرية من الباب العالي إلى حاكم الجزائر تخص تسهيل بناء المساجد



الملحق رقم 04: صور لنماذج عن بعض المساجد في تونس

جامع الزيتونة



جامع الهواء

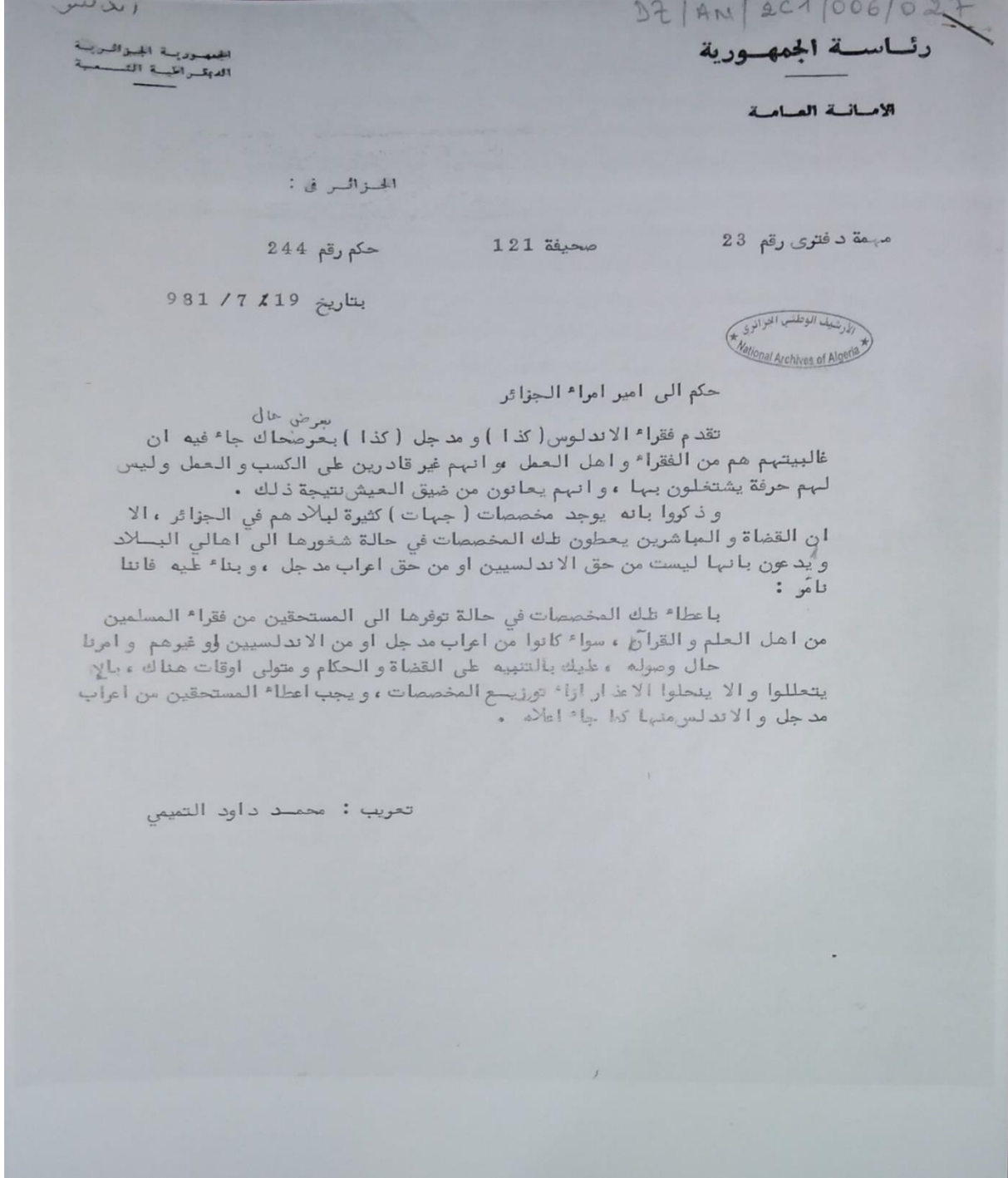
المصدر: بعدستنا

الملحق رقم 05: الطرق التجارية الرئيسية الرابطة بين الجزائر وتونس و المؤثرة في الحركة العلمية



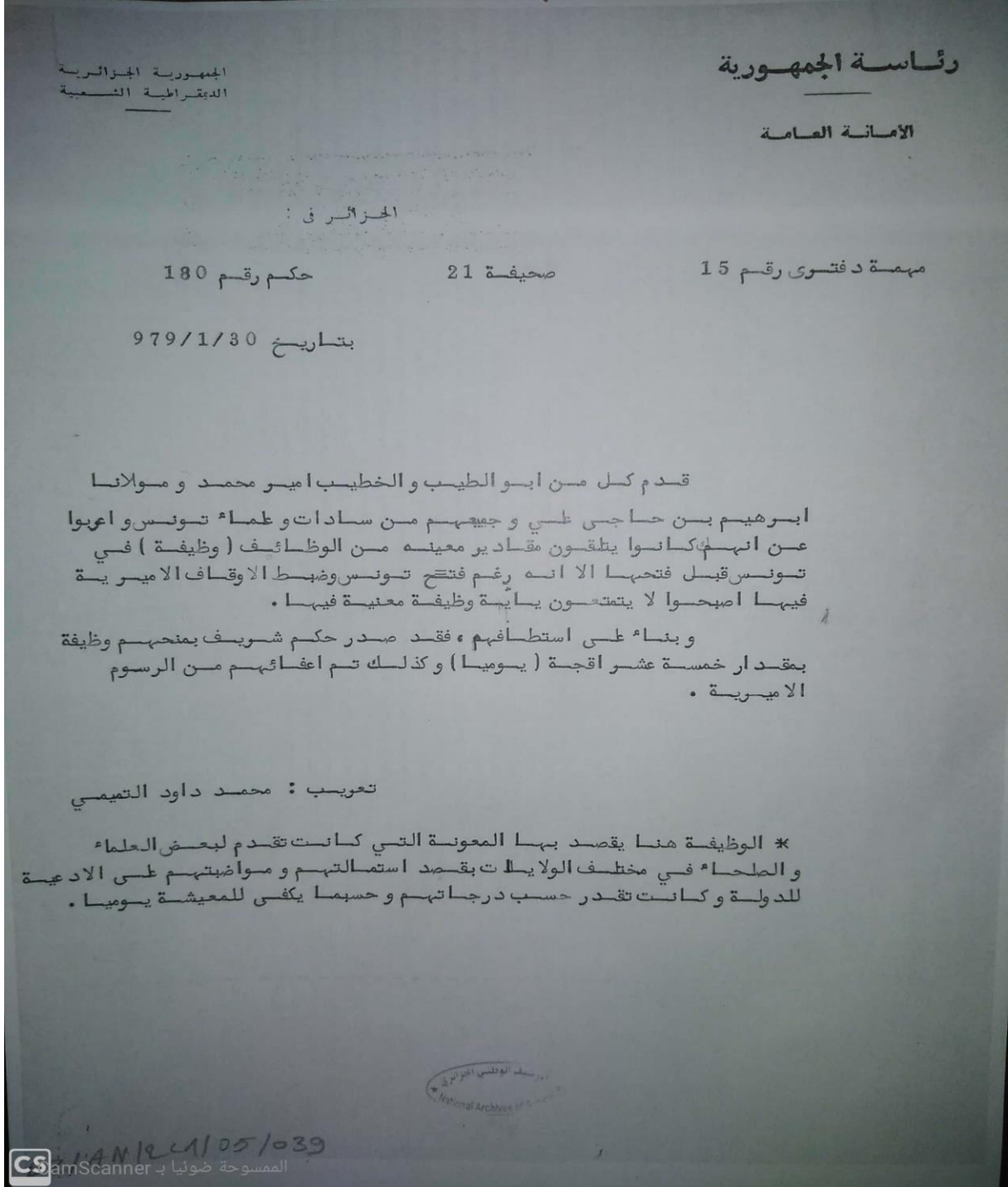
المصدر: من إنجاز الطالب، والمعلومات مستمدة من : محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة الممتدة بين (1792-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص:160.

تعليمية من الباب العالي إلى حاكم الجزائر بضرورة تخصيص مستحقات مالية إلى أهل العلم والقرآن



المصدر: الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم رقم 23، العلبة 06، حكم رقم 244، بتاريخ 19/07/1981هـ، ص:121.

## الملحق رقم 07: رسالة من الباب العالي إلى حاكم الجزائر تتعلق بتخصيص مبلغ مالي لعلماء تونس في الجزائر



المصدر: الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم رقم 15، العلبة 05، رقم 180، بتاريخ

979/1/30هـ، ص: 21

الملحق رقم 08 : نص إجازة أحمد المقري للشيخ تاج العارفين العثماني التونسي

وقلت مجيبا الأخ في الله سلاله الأكاير الشيخ تاج العارفين العثماني التونسي حفظه

الله، وقد سألت مني الإجازة وكتب إلي بذلك، وذلك قبل أن يقدم علينا سوسة المحروسة:

أرقت ليزق شمت من جانب الخضر  
وأذكرني العهد القديم وطالما  
ولم أنس عهد الضاعين وغادروا  
فيا زاجر الأضعان وهي ضوامر  
وحى غريب الحى خير تحية  
ولا تنس سكان العقيق فإنهم من  
فيا باطني حل الغضا منه جيرة وفي  
لك الله من صبب تعبده الهوى  
رعى الله خلان الوداد وجيرة  
فيا لنت شعري والأمانى كثيرة  
هل الزمن الماضي بثونس راجع  
ولم أنس تاج العارفين وليلة  
عميد ذوي العلياء محمّد الرضى  
ومما شاجني والبلابل جمّة خطاب  
فجدد أشواقا وأذكر معهدا وأهدى  
يروم عن العبد الجهول رواية  
ولست بأهل أن أجاز فكيف أن أجز  
ولكن رأيت الأمر ينبعد رده فلم  
ولو رجاى منه نفع دعائه  
فيا واحد حاز المقارخ جملة

أضاء فأذكى الشوق في كيدي حمرا  
تثير جوى المشتاق للمعهد الذكرى  
متيمهم هيمان لم يملك الصبر  
ترقق بها بالله لا تكثّر الرضخرا  
وبلغ سلام الهائم المعرم المعرى  
العين أجرؤه دموعا غدت حمرا  
المحنى من أضلعي جرة أخرى  
وبان من الأحباب قد ألفت الفقرا  
تنادوا فأبدى الوهم شخصهم فكرا  
وللدهر أشجان تعاقبها سرا  
فأقصي من حق الخليل بها ندرا  
بمعناه رافت منظرًا ودكت نسرا  
وحيد أولي التقوى بثونس الخضر  
أتى من عنده قد حوى شعرا  
من السخر الحلال بها درًا  
ويطلب أمرا من إجازته أمرا  
فكان العجز عن ذاك به أجرى  
يك بد من إجابته فسرا  
لما كتبت يمانى في طرسه سطرًا  
حنانك سامح هفتوتى وأقبل العذرا



وَهَا أَنَا ذَا قَدْ قُلْتُ قَوْلَ مُقَصِّرٍ  
 أَجَزْتُكَ تَاجَ الْعَارِفِينَ جَمِيعَ مَا رَوَيْتُ  
 مُجَازًا وَمَقْرُورًا وَإِنَّا بِبَشْرَطِهِ  
 وَفَهْرَسَةِ الشَّيْخِ ابْنِ غَازِي كَفِيلَةٌ  
 وَلِلْعَبْدِ فِيهَا دُمْتُ غَيْرَ رِوَايَةٍ  
 وَأَقْرَضَ بِهَا عَنْ عَمَّنَا الْعَالِمِ الرَّضَى  
 عَنْ أَشْيَاحِهِ مِنْ أَهْلِ فَاسَ جَمَاعَةً  
 وَقَدْ لَازَمَ الْمَذْكُورَ فِي الدَّهْرِ حِفْبَةً دُرٌّ  
 وَأَضْحَى إِمَامًا مُفْرَدًا فِي عُلُومِهِ  
 وَلِلْعَبْدِ مِنْ أَهْلِ الْفَهَارِسِ مُسْنَدٌ  
 وَفِي الْبَعْضِ مَا يُغْنِي وَأَذْكُرُهَا هُنَا  
 فَقَدْ طَبَّقَ الْأَفَاقَ إِسْتِنَادُ عِلْمِهِ  
 وَعَنْهُ رَوَى الْمَوَاقِ وَاحِدٌ عَصْرِهِ  
 حَبَانًا بِهِ الْقَصَارَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ  
 وَهَذَا عَنِ الدَّقُونِ أَسْتَاذِ عَصْرِهِ  
 وَمُرُوى زُرُوقٍ أَخَذْتُ جَمِيعَهُ  
 عَنْ الشَّيْخِ خُرُوفِهِمْ عَنْ إِمَامِهِ  
 وَكَاتَبْتُ هَذَا الْمُقَرِّيَّ مُؤَمَّلًا مِنَ اللَّهِ  
 وَفِي صَفَرٍ مِنْ عَامِ عِشْرِينَ بَعْدَهَا  
 وَفِي سُوسَةَ قَدْ كَانَ رَقْمٌ بُرُودِهَا  
 فَلَا تُغْفَلُونَا مِنْ دُعَائِكُمْ عَسَى نَرَى  
 عَلَيْهِ صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ  
 مَدَى الدَّهْرِ مَاسَارَ الْحَجِيجِ لِمَكَّةَ وَمَا

عَنْ أَمْرِ جَلِيلٍ مَا أَحَطْتُ بِهِ خَبْرًا  
 عَنْ أَعْلَامِ الْهُدَى قَلَا أَوْ كَثْرًا  
 وَكُلُّ الَّذِي لَفَّقْتُهُ نَظْمًا أَوْ نَثْرًا  
 بِأَشْيَاءَ مِنْ مَطْلُوبِكُمْ تُثَلِّجُ الصَّدْرَا  
 أَجَازَكَ إِيَّاهَا وَأَتَّبَعَهَا شُكْرًا  
 سَعِيدُ جَزَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْعِنَا أَجْرًا  
 كَمِثْلِ ابْنِ هَارُونَ إِمَامِهِمُ الْأَدْرَى  
 وَسُ ابْنِ غَازِي الْعَالِمِ الْآيَةَ الْكُبْرَى  
 وَنَالَ بِفَاسَ رُتْبَةً عَظُمَتْ قَدْرًا  
 كَثِيرٌ وَفِي ذَا الْوَقْتِ لَمْ يُطِيقِ الْحَضْرَا  
 خُصُوصًا لِمَنْثُورِهِمْ سَنَدًا يُجْرَى  
 بِفَهْرَسَةِ بَيْنَ الْوَرَى لَمْ تَزَلْ تُقْرَأُ  
 وَعِدَّةُ أَشْيَاحِ صُدُورِ رَكِبُوا بَحْرَا  
 كَمِثْلِ ابْنِ إِبْرَاهِيمِ قَاسِمِ الْأَقْرَى  
 عَنْ الْعَالِمِ الْمَوَاقِ عَنْهُ كَمَا مَرَّ  
 عَنْ التَّاذِلِيِّ ابْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَسْرَى  
 وَحِيدِ الْوَرَى زُرُوقٍ مِنْ رِيحِ التَّجْرَا  
 جُلَّ الْعُيُونِ وَالْفُوزِ وَالْيُسْرَا  
 ثَمَانٌ وَأَلْفٌ مِنْ سِنِي هِجْرَةٍ تَثْرَا  
 وَقَدْ وَقَعَ التَّصْمِيمُ أَنْ أَرْكَبَ الْبَحْرَا  
 عَنْ قَرِيبِ رَوْضَةِ الْمُصْطَفَى الْعَرَا  
 وَالِ وَصَحْبٍ قَدْ غَدَاوا أَنْجُمًا زُهْرَا  
 شِيمَ بَرِّقُ الْأَنْسِ مِنْ جَانِبِ الْخَضْرَا

المصدر: أحمد المقرئ ، الرحلة، المصدر السابق، ص: 153-154.

### الملحق رقم 09: إجازة ابن العنابي لمحمد بيرم الرابع التونسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم.  
الحمد لله ولي النعمة، وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة، وعلى آله  
الكرام وأصحابه الأعلام.

أما بعد، يقول الفقير إلى الله سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن  
حسين الجزائري الحنفي الشهير بابن العنابي، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، إنه  
وقعت لي رواية صحيح البخاري من طرق عديدة لكن طريق سماعي وقراءتي  
إنما هي على والذي المرحوم أبي الثناء محمود بن محمد. وقد توفي رحمه الله  
ببحر سويس (كذا) في رجوعه من الحج وزيارة النبي ﷺ ودفن على ساحله قرب  
بلد القصير سنة 1234. وهو كذلك على أبيه محمد بن حسين قاضي الجزائر  
المتوفى سنة 1203 ثلاث ومائتين. وقد سمعت أنا عليه رحمه الله قطعة من أول  
كتاب فضائل القرآن ووقعت لي منه إجازة تتضمنه. وهو كذلك على عمه ابن أم  
أبيه الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي الحنفي المتوفى سنة 1130، ثلاثين ومائة  
وآلف. وهو كذلك على شيخه أبي عبد الله محمد بن شقرون التلمساني المالكي  
المتوفى بالجزائر سنة 1084 أربع وثمانين وآلف. وهو عن الشيخ أبي الحسن  
علي الأجهوري المالكي، وهو عن الشيخ عمر بن الجاي الحنفي، وهو عن

الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي، وهو على الحافظ أبي الفضل العسقلاني، وهو على إبراهيم التنوخي، وهو على الحافظ أبي العباس الحجار قال أنا أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزبيري قال أنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي أنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مظهر بن صالح الفربري أنا البخاري.

ووقعت لي روايته سماعاً لبعضه وإجازة لباقيه عن شيخي الإمام أبي الحسن علي بن عبد القادر بن الأمين مفتي المالكية بالجزائر المحمية عن شيخه أبي الحسن علي بن محمد العربي السقاط المغربي الفاسي عن شيخه عبد الله ابن سالم البصري عن العلامة إبراهيم بن حسن الكوراني قال أنا به عالياً المعمر عبد الله بن ملا سعد الله اللاهوري عن قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي عن والده أحمد بن محمد النهروالي عن الحافظ أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاووسين عن المعمر بابا يوسف الهروي عن محمد بن شاذبخت الفرغاني عن أبي لقمان يحيى (كذا) بن عمار بن مقل بن شاهان الختلائي عن الفربري.

وأرويه أيضاً عن شيخي ابن الأمين المذكور عن أبي العباس أحمد بن عبد الفتاح الملوي عن إبراهيم الكوراني.

فهذا سند عال بيني وبين البخاري فيه اثني (كذا) عشر رجلاً على الطريق الأولى وأحد عشر على الثانية. ويأسنادي إلى الحافظ العسقلاني أروي بقية الكتب الستة وجميع مروياته التي تضمنها معجمه.

أما سندي في الفقه فإني تلقيته عن والدي وهو عن والده محمد بن حسين وهو عن والده حسين بن محمد وهو عن الشيخ محمد بن المهدي الجزائري عن شيخه شاهين والشيخ عبد الحي الشرنبلالي عن الشيخ حسن الشرنبلالي عن الشيخ أحمد الحموي شارح الكتر عن الشيخ المقدسي عن الشيخ عبد البر بن الشحنة عن الشيخ كمال الدين ابن الهمام بإسناده المقرر في شرحه على الهداية.

وأخذ والدي رحمه الله عن الشيخ علي بن إمام القصبه الجزائري عن الشيخ سليمان المنصوري عن مشائخه الثلاثة شاهين وعبد الحي وعلي العقدي عن الشيخ حسن الشرنبلالي بإسناده المذكور. وأخذ العقدي عن عمر الزهدي صاحب الدرّة المنيفة بإسناده المقرر في شرحها.

وقد أجزت بهذا، وبكل ما أجازني به مشائخي، الشاب الفاضل اللوذعي الكامل أبا عبد الله محمد بن شيخ الإسلام محمد بن شيخ الإسلام محمد الشهير بـيرم، حفظه الله، إجازة عامة بشرطها المعلوم لأهله. وأوصيه وإيائي بتقوى الله العظيم في السر والعلن، والإخلاص فيما ظهر وبطن، وأن يعاملني بصالح دعوته في أوقات مناجاته. ونسأله سبحانه وتعالى أن يختم لنا بخير ويجعل عواقب أمورنا إلى خير إنه بر كريم جواد رحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

كتبه الفقير إلى الله سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الحنفي ابن العنابي غفر الله له ولوالديه أجمعين.

(تتمة) توفي شيخني بن الأمين سنة 1236. وقد أجاز جميع من أدرك حياته. وقد اقتديت أنا به في ذلك فأجزت بكل ما أجازني به مشائخي جميع من أدرك حياتي. ومولدي سنة 1189. والحمد لله وحده لا رب سواه.

نعم أجزت الشاب الأديب الفاضل السيد محمد بن شيخ الإسلام محمد ابن شيخ الإسلام محمد بكل ما تجوز عني روايته. كتبه الفقير محمد بن محمود ابن محمد بن حسين الجزائري ابن العنابي عفى عنهم بمنه.

### الختم

منتظر لطف الودود

عبد محمد بن محمود

سنة 1232 هـ

المصدر: أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الجزائري محمد ابن العنابي، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص: 117-119.

### الملحق رقم 10: استجازة مصطفى بيرم لابن العنابي

عندما حل ابن العنابي بتونس 1244-1245هـ استجازه عدد من العلماء التونسيين

من بينهم الشيخ مصطفى بيرم، فقال يخاطب ابن العنابي:

إِلَيْكَ وَإِلَّا مَا تُسَاقُ الْمَدَائِحُ      وَفِيكَ وَإِلَّا مَا تُجِيدُ الْقَرَائِحُ  
وَفِيكَ وَإِلَّا مَا دَرَى النَّظْمُ مَقُولِي      وَلَكِنَّ لِمَنْ أَهْوَى تَمِيلُ الْجَوَارِحُ  
عَلَوْتُ أَبَا عَبْدِ إِلَهِ مُفَاخِرًا      فَقَدْرُكَ مِنْ فَوْقِ السَّمَائِكِينَ لَائِحُ  
وَفُزْتُ بِعِلْمٍ غَادَرَ الْبَحْرَ جَدُولًا      وَهُدَى بِهِ وَادِي الْجَهَالَةِ نَازِحُ  
وَإِنْ خَاصَّ أَقْوَامٌ بُحُورًا ذَلِيلَةً      فَأَنْتَ بِبَحْرِ الدُّرِّ لِأَشْكَ سَابِحُ  
جَمَعْتَ بِهِ مِنْ كُلِّ مَعْنَى فَرِيدَةً      فَجَاءَ بِبَحْرِ الْعِلْمِ لِأَشْكَ طَافِحُ  
فَلَيْسَ سِوَى التَّقْوِيحِ مَا هُوَ جَامِعُ      وَلَيْسَ سِوَى التَّخْرِيرِ مَا هُوَ شَارِحُ  
فَكَمْ طَابَتْ الْخَضْرَاءُ نَشْرًا وَبَهْجَةً      وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالذِّي فِيهِ رَاشِحُ  
وَبَاتَ بِكُمْ قُطْرُ الْجَزَائِرِ فَاخِرًا      وَهَلْ فِي الذِّي أَبْدَى مِنْ الْفَخْرِ قَادِحُ  
وَأَصْبَحَ فَضْلُ الْعَرَبِ لِلشَّرْقِ غَايِضًا      أَمَا كُلُّ نَجْمٍ لِلْمَعَارِبِ سَائِحُ  
فَدُونَكِهَا عَدْرَاءُ تَطْلُبُ عَفْوَكُمْ      عَسَاكَ عَنِ التَّقْصِيرِ فِيهَا تُسَامِحُ  
وَلَسْتُ الذِّي يُرَادُ بِالْمَدْحِ قَدْرَهُ      فَقَدْرُكَ مَعْلُومٌ وَمَجْدُكَ وَاضِحُ  
وَأَطْلُبُ مِنْ عَلَيَاكَ نَيْلَ إِجَارَةٍ      بِفَضْلِكَ لَا إِنِّي لِذَلِكَ صَالِحُ  
فَلَا زِلْتُ مَأْمُولًا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ      وَرُبُعُكَ مَا هُوَ وَسَعْيُكَ رَابِحُ

المصدر: أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص: 128.

### الملحق رقم 11: تقرّيز بّيرم الرابع لكتاب الدر المختار للعلامة ابن العنابي

ومن شعر صاحب الترجمة ما قرظ به الدر المختار للعلامة العنابي مفتي الجزائر

ونصه نقلا عن ابنه الشيخ الرابع:

أَكْوَكِبُ لَاحٍ أَمْ بَدْرُ التَّمَامِ بَدَا  
يَا مُنْصِيفًا وَمَرَآيَا الْفَضْلِ دَيْدُنُهُ  
تِلْكَ الْبَدَائِعِ آيَاتٍ بِهَا ظَهَرَتْ  
مِنْ أَمِّهَا نَالَ مِنْ تَحْقِيقِهَا أَرَبًا  
قَدْ صَاعَهَا عَلِمَ التَّحْقِيقِ أَوْحَدَهُ  
مُحَمَّدُ الْمُرْتَضَى لَيْثُ الْعَرِينِ وَمَنْ  
يُعْطِيكَ مَا شِئْتَ مِنْ فِقْهِ وَمِنْ سُنَنِ  
لَهُ مَهَابَةِ عِلْمٍ جَلَّ مَنْظَرُهَا  
مِنْ مَعْشَرِ أَوْطَاءِ الْعُلِيَاءِ أَصْغَرَهُمْ  
دَامَتْ مَاثِرُهُمْ مَا قَالَ مُبْصِرُهُمْ  
أَمْ لَامَعَ الْحَقُّ فِي أَفْقِ الْهُدَى صَعَدَا  
طَرُوسَ شَرْحِ غَدَا فِي الْفِقْهِ مُعْتَمَدَا  
وَبَارِقَ الصِّدْقِ فِي أَرْجَائِهَا أَطْرَدَا  
وَمَنْ أَنَاخَ بِمَرْمَاهَا فَقَدْ سَعَدَا  
مَنْ قَدْ غَدَا بِعُلُومِ الدِّينِ مُنْفَرِدَا  
يَهْدِي لِمُسْتَرَشِدٍ مِنْ عِلْمِهِ رَشَدَا  
بِحَيْثُ يُغْنِيكَ عَنْ تَحْرِيرِهَا أَبَدَا  
يَلْقَى بِهِ مَنْ يَرَاهُ الضَّيْعُ الْأَسَدَا  
وَعَمَّ فَضْلُهُمْ أَضْلًا وَمَنْ وَلَدَا  
أَكْوَكِبُ لَاحٍ أَمْ بَدْرُ التَّمَامِ بَدَا

المصدر: محمد النيفر، المصدر السابق، ص، 720.

الملحق رقم 12: جدول خاص بعلماء الجزائر في تونس

القرن 10هـ/16م

| تاريخ الوفاة | تاريخ الميلاد | العلماء                                 |
|--------------|---------------|---|
| 1524/931هـم  | 1491/865هـم   | البجائي منصور                           |
| 1523/930هـم  | /             | منصور أحمد المتناني                     |
| 1511/917هـم  |               | ابن أبي الشريف                          |
| 1495/901هـم  |               | الكفيف التلمساني                        |
| 1574/982هـم  | 1504/910هـم   | عبد الرحمان الأخضرى                     |
| 1514/920هـم  | /             | ابو عبد الله سعد بن محمد العباسي        |
| 1558/965هـم  | /             | قاسم يحيى الفكون                        |
| 1563/970هـم  | /             | محمد بن عبد الله الدرنيدى العبد السلامي |
| 1574/982هـم  | /             | ابو عبد الله محمد الاندلسي              |
| 1534/941هـم  | /             | يحيى الفكون                             |
| 1558/965هـم  | /             | محمد العطار                             |
| 1503/902هـم  |               | حمزة بن محمد المغربي                    |
| 1521/927هـم  | 1437/841هـم   | عمى سعيد الجربي                         |

القرن 11هـ/17م

| تاريخ الوفاة | تاريخ الميلاد | العلماء                    |
|--------------|---------------|----------------------------|
| 1675/1097هـم | /             | يحيى الشاوي                |
| 11هـ         | /             | ابو القاسم محمد بن البجائي |
| 1669/1080هـم | 1611/1020هـم  | الثعالبي عيسى              |
| 1664/1074هـم | 1576/984هـم   | عاشور بن عيسى القسنطيني    |

## الملاحق

|              |              |                           |
|--------------|--------------|---------------------------|
| 1056هـ/1656م |              | قدورة سعيد                |
| 1073هـ/1665م | 908هـ/1580م  | عبد الكريم الفكون         |
|              | له شعر بتونس | القوجيلي                  |
|              | 1065هـ/1665م |                           |
| 1041هـ/1632م | 986هـ/1578م  | احمد المقري               |
| 1023هـ/1614م | /            | عبد الله بن المغوفل       |
| 1093هـ/1673م |              | محمد بن سعيد الهبري       |
| 1031هـ/1621م |              | محمد التواتي              |
| 1093هـ/1673م |              | محمد بن سعيد الهبري       |
| 11هـ         |              | محمد بن باديس             |
| 1015هـ/1606م |              | محمد بن قنفذ              |
| 1020هـ/1611م |              | سليمان القشي النقاوسي     |
| 1045هـ/1634م |              | محمد بن عبد الكريم الفكون |
| 11هـ/17م     |              | عبد العزيز النفاتي        |
| 1094هـ/1674م |              | محمد بن خليفة الجزائري    |
| 1107هـ/1696م |              | ابو عبد الله محمد التواتي |
| 1100/1689م   |              | ساسى المقري               |
| 1095هـ/1682م |              | محمد الشرين الحميني       |
|              | 1097هـ/1684م | محمد العنابي العزيز       |
|              | 1089هـ/1679م | احمد العمري               |
|              |              |                           |

## القرن 12هـ/18م

| تاريخ الوفاة | تاريخ الميلاد             | العلماء                  |
|--------------|---------------------------|--------------------------|
| بعد 1169هـ   |                           | بدر الدين بن محمد الفكون |
| 1194هـ/1780م |                           | عبد القادر الراشدي       |
| /            | قصد تونس سنة 1110هـ/1694م | بركات بن باديس           |



## الملاحق

|   |               |               |
|---|---------------|---------------|
| أحمد التجاني  | 1737/هـ/1150م | 1230/هـ/1815م |
| عزوز بن مصطفى   | 1282/هـ/1182م | 1768/هـ/1865م |
| الأفضلي يحي صالح                                      | 1708/هـ/1120م | 1223/هـ/1808م |
| الحموني محمد صالح                                     | 1739/هـ/1252م | 1242/هـ/1826م |
| محمد بن الشريف الجزائري                               |               | 1738/هـ/1149م |
| أحمد بن عثمان بن محمد ابو<br>العباس التلمساني         |               | 1738/هـ/1149م |
| محمد بن عبد الرحمان التلمساني<br>من كبار فقهاء تلمسان |               | 18م           |
| مصطفى الرمامي   |               | 1724/هـ/1136م |
| احمد البوني   |               | 1726/هـ/1138م |
| عبد العزيز الثميني                                    |               | 1808/هـ/1223م |
| خليفة بن حسن القماري                                  | /             | /             |
| محمد الحفصي القسنطيني                                 |               | 1819/هـ/1226م |
| سيدي ناجي   | /             | /             |
| محمد بن عبد الكريم الجزائري                           |               | 1689/هـ/1102م |
| عمر بن المؤدب   |               | 1805/هـ/1220م |
| الجامعي   | 1751/هـ/1126م |               |
| محمد عزوز   | 1757/هـ/1170م | 1818/هـ/1233م |
| محي الدين بن مصطفى                                    | 1776هـ        | 1823م         |
| عبد الرحمان الازهري                                   | 1711م         | 1794م         |
| أحمد بن عمار  | 1707/م/1119م  | 1797/هـ/1205م |
| الحسين الورثيلاي                                      | 1713/هـ/1123م | 1779/هـ/1193م |
| ابوراس الناصر   | 1737/هـ/1150م | 1823/هـ/1238م |
| ابن حمادوش الجزائري                                   | 1695/هـ/1107م | 1197هـ -      |
|   |               | 1786/هـ/1200م |
| الطاهر بن مسعود                                       | /             | 1818/هـ/1234م |
| اجمد القسنطيني  |               | 1820/هـ/1235م |

## الملاحق

|                  |              |                                    |
|------------------|--------------|------------------------------------|
| 1800م            |              | علي الجزائري "ابو الحسن"           |
| 1703م/1114هـ     |              | محمد الفكون                        |
|                  | 1829م/1245هـ | حمودة القابسي                      |
| 18م/12هـ         |              | الشيخ الكوش التواتي التونسي        |
| 1774م/1188هـ     |              | سيدي احميدة التواتي                |
| بعد 1766م/1180هـ |              | محمد الصغير بن محمد العربي التواتي |
| بعد 1780م/1194هـ |              | سيدي محمد السنوسي التواتي          |
| /                |              | الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم    |
| بعد 1736م/1149هـ |              | محمد العربي بن محمد التواني        |
| 1821م/1214هـ     |              | مصطفى الغمجي                       |
| 1821م/1236هـ     |              | عبد القادر بن مختار الخطابي        |

### القرن 13هـ/19م

| تاريخ الوفاة      | تاريخ الميلاد | العلماء                              |
|-------------------|---------------|--------------------------------------|
| 1835م/1215هـ      |               | احمد العباسي                         |
| 1837-1836م/1252هـ |               | مصطفى ابن الشاوش                     |
| 1890م/1307هـ      | 1836م/1252هـ  | الاغريسي احمد (المجاهد)              |
| 1891م/1309هـ      | 1830م/1246هـ  | عمر الطولقي                          |
| 19م/13هـ          |               | محمد بن مالك الجزائري                |
| 1850م/1267هـ      |               | ابن العنابي                          |
| 1833م/1248هـ      |               | الجمالي                              |
| 1879م/1296هـ      |               | عبد الله بن غانم الدراجي             |
| 1868م/1286هـ      |               | محمد عبد الباقي بن ابي القاسم الديسي |
| 19م/13هـ          |               | محمد السنوسي                         |
| 1892م/1310هـ      | 1828م/1243هـ  | محمد بن عيسى الجزائري                |

## الملاحق

|              |              |  |
|--------------|--------------|--|
| 1890/هـ1308م |              | الخيراني قاسم بن محمد بن<br>علي الجزائري |
| 1910م        | 1845/هـ1262  | صالح بن مهنا                             |
| 1870/هـ1287م |              | احمد بن العطار القسنطيني                 |
| ق 13/هـ19م   |              | الشلبي العربي                            |
| 1893/هـ1311م |              | محمد التواتي                             |
| 1865/هـ1282  |              | مصطفى بن عزوز                            |
| /            | /            | محمد الطاهر بن محمد الشريف<br>الجنادي    |
| 1890/هـ1307م |              | علي الحفاف                               |
| 1897/هـ1315م |              | حسن بوحبال                               |
| 1828/هـ1243م |              | احمد العوادي                             |
| 1827/هـ1242م |              | محمد الباشير                             |
| 1889/هـ1306م |              | محفوظ بن الرزاق الغربي<br>القسنطيني      |
| 1868/هـ1285م |              | الراشدي الحبيب بن محمد                   |
| /            |              | محمد بن عبد الرزاق الغربي<br>القسنطيني   |
| 1822/هـ1238م |              | الطاهر بن الصادق                         |
| 19/هـ13م     |              | الاغريسي محمد عبد القادر                 |
| 1900/هـ1317م | 1828/هـ1244م | خليفة بن المختار                         |
| 1929/هـ1348م | 1848/هـ1264م | عاشور الخنقي                             |

المصدر: من إعداد الطالب

الملحق رقم 13: رسالة الشيخ إبراهيم الغرياني إلى عبد الكريم الفكون

وكتب السيد أبو إسحاق إبراهيم المذكور ما نصه:

«الحمد لله، وصلى الله على أكرم خلق، وعلى آله وصحبه الكرام الأجلّة.

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عبد اللطيف الغرياني، لما دعاني داعي الحب والتودد إلى سيدي عبد الكريم الفكون وطلب الدعاء منه لي ولأولادي، أردت أن أكتب له هذه العجالة، وأسأل المولى أن يجود علينا نواله، وهي هذه كما ترى، وذلك بعد أن ألهمني إلى ذلك الحبيب الصديق سيدي أحمد بن الحاجة، جزاه الله عني خيراً دنيا وأخرى، لأنه محب صديق، وكان لي في غربتي رفيق، وعليّ شفيق.

الحمد لله الذي خلق الأرواح جنوداً مجتدة فما تعارف/ منها إيتلف، وما تناكر منها اختلف، وجعل في الغالب أن الخلف تبع للسلف، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أولي المختلف والمؤتلف، ما نظم ناظم واستنبط وألف، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن سيدي عبد اللطيف الغرياني

القيرواني، خديم الزاوية الشريفة ذات المعاني، المعمورة لبث العلوم والحديث وإقراء كتاب الله والسبع المثاني، إن أحسن الاعتقاد وطلب الوداد أغراني أن أتطفل على ساحة الشيخ الإمام الرباني، سيدي عبد الكريم الفكون الخطيب الحقاني، وأكتب له أبياتاً تكون راسخة للوداد وتبلغني بدعائه غاية المراد، بفضل الملك الجواد، وأسأله أن ينظرها بعين الرضى، وأن يُسدلَ عليها ذيل الاغصاء، لأنني كتبتها وأنا مشوش البال بالسفر، وأنا عند نفسي أقصر وأصغر، وقد قدّمها مقدمة مهملة الحروف، مصلياً ومسلماً على النبي الرؤوف، وعلى آله وأصحابه ذوي الخيرات والمعروف. وكان فيها حال الإقامة بمكان يقال له قصر جابر، حين قدومنا للصلح بين السادة الجيشين الأكابر، صحبة مولانا وسيدنا أبي العز / تاج العارفين، ذي والإحسان والتمكين، في غرة قعدة الحرام، من عام سبعة وثلاثين (وألف) من هجرة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وهذه المقدمة كما ترى: الحمد لله وحده، وصلى الله على مولى اللواء والحلل، دواء أهل الهموم والعلل، موصل أصول أحكام الهدى لأهل الدول والملل، وعلى آله وأهل وده الكرام الكمل، ما هلّ صادع وصدع وهللّ، حمد الله هو أولى ما سطر وصدع المهلل، أول الحكم والمصارع، وأحلى ما مرّ ورد على المسامع، وأسعد ما رضع على أصول العلوم والمطالع، وأود ما حرر واطرد على سمع السامع، وأعلى ما أهداه السعد إلى المساعد والمطاوع، وأكد ما أولاه الصلحاء لكل والع صادع، ومهما كلل حلل الكلام على علا الدرر واللوامع، وهو الموصّل والمُوصِل إلى سمو أعلى المطالع.

أحمده حمد مملوك مادح حامد طامع، وأوحده وهو الواحد الملك المالك كل مصل وراكع، وأدعه ما سطر أهل الأود الهوامع، لا إله إلا هو وحده لا حاكم معه

ولا وال ولا مطالع، مصبل ومسلم على الرسول الطاهر المراد حامل لواء الحمد والمحامد، وأكرم كل مكرم وأحمد كل حامد، وعلى آله وأهل وده السعد الكرماء على المساعد والمساعد/ أهل العطاء والإكرام للمساعد والمساعد والطرء والعدم للمعدوم والمحادد، أرسله لهم لامد إلى أحلا الكؤوس وأوسع الموارد، ما كمل ورد وسعد الصاعد والوارد، وما هل مهل وساح وروي كل طالع وصاعد، الإمام العالم العلم، العدل الصالح المكرم، الأمر الممدوح المسلم، مسيل أهل الحلل والحلا، وكمال أهل الكمال والعلا، مادحكم صار مسامراً للسها، وعلى عهدكم ما كل ولا سها . وحرم الطعام والسها، وما وصل إلى مراد وهام ووصل، وعلى كل مدحكم ما حصل، هل وعسى ولعل، ها هو مساع للطرس والمراد ، مول على دوام مدحكم سائلكم الامداد، والله أسأل الصلاح والسداد، وصلى الله على أكرم مرسل، ما هل هامع الدمع المرسل، وعلى آله أهل الموصول والمسلسل، ما صاح على الدوح حمام سلسل، وحلا كاس غسله المسلسل.

المصدر: عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص: 218-220.

الملحق رقم 14: رسالة من محمد بيرم الرابع إلى ابن العنابي

(بعث الشيخ محمد بيرم الرابع إلى ابن العنابي هذه الرسالة يجدد فيها له المودة ويوصيه خيراً بأحد العلماء المغاربة. والرسالة مكتوبة سنة نيف وستين ومائتين، أي قبل وفاة ابن العنابي بقليل).

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، أعذب من روض المودة قطافه، سلام يحاكي أنفاس النسيم، ويمائل رائق التسنيم، فها نحن نجزي أشرف صنوف ألوانه، إلى حضرة وحيد دهره وزمانه، العالم الكبير، والرئيس التحرير، والمقدم في الفتيا الحنفية بالمشرق بلا نكير، شيخ الإسلام أبي عبد الله سيدي محمد بن محمود العنابي المقيم الآن بثغر الإسكندرية، ما زال محروس الجناب مملو الوطاب.

أما بعد، فقد كتبنا إليكم، كتب الله لكم الشفاء وأدام استقراركم على منصة الإفادة، من خضراء تونس، أحاطها الله تعالى، تجديداً لعهود المودة القديمة، وجرياً على طريقة الجد المستقيمة. فإننا لم نزل بحبلها متمسكين، ويعراها متوثقين، لانبنائها على أساس غير واه، كيف لا وهي خالصة لوجه الله. والمظنون أنها من جهتكم على هذا المنوال، وشاهد ذلك قول من قال:

سلوا عن مودات الرجال قلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا

جعلها الله تعالى ذريعة لما هو الخير كله من الانخراط في سلك السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ولولا أن أشغال الزمان تعوق عن المرغوب، لنفذ إليكم من طرفنا مع كل وارد عليكم مكتوب.

ثم الملتمس من نفيس أنفاسكم الدعاء الذي نرجو قبوله، يبلغ القلب من خير الدارين مأموله. ولكم مثل ذلك علينا، وكفى محرصاً للجميع ما روئتم وروينا.

هذا، وحامله إليكم الخير العفيف أبو عبد الله الحاج محمد بن عبد الله المغربي ممن له إلينا انتساب، وفي مودتنا احتساب، تآقت نفسه إلى معاودة الإمام بالأمكن الشريفة، والمعاهد الشامخة المنيفة، فلا بأس بالتفات همتكم إليه بوصاية به تنفعه، أو مكتوب فيما يكسبه هيئته من تلقائكم يرفعه.

والله سبحانه بصلاح الأحوال الكفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام.

المصدر: أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص: 126، 127.



الملحق رقم 15: نص تقرّيب أحمد بن عمار للعالم التونسي حمودة عبد العزيز على إثر رسالة كتبها هذا الأخير في علم الكلام وكان ذلك سنة 1126هـ/1781م.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

نحمدك اللهم يا واجب الوجود، ولا واجب لذاته إلا أنت، ونشكرك يا خالق العالم بالاختيار ومقتضى الحكمة والرحمة والجلود، إذ كنت في أزلّك ولا عقول ولا نفوس ولا (اصطقصات)، وأنت الآن على ما عليه كنت، ونشهد أن لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك شهادة حق واطأ الجنان في اللسان ما شككت فيها ولا منّت، ونجزم بأنك المنفرد بإيجاد الكائنات بلا إيجاب ولا وجوب ولا واسطة، والمستبد بخلق العباد وأعمالهم المرضية و الساخطة، و بهذا الدين مجانبا للفلاسفة والقدرية الضلال الدناة دنت.

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبدك ورسولك الذي فتّقت رتق الكائنات من نوره، ورتبت ظهورها على ظهوره وأدرت المملكة على قطبه ولها به زنت، اللهم صلي وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، مستجلي شمس المنيرة ومنتجعي سحابه، الذين نزهتهم عن صفة القصور والتقصير في نصرته وصنته، وأنزلت عليه في حقهم فيما رحمة من الله لنت، وارض اللهم يا كريم عن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان. وعن علماء الراسخين الذين شرفتهم بمعرفتك التي كرمت بها نوع الإنسان، وما شوهتهم برذيلة الجهل ولا شنت، واغفر اللهم لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات ما أسروا وما أعلنوا وما أسررت وما أعلنت.

أما بعد، فقد أطلعني الفاضل التحرير صاحب القلم الأعلى والقدر المعلى في التحرير والتحرير زين الوزراء والكتاب، وروض الرائد الأنف ونجعة المنتاب، النبيه النبيل النظار، مرقى أغراض المستفيدين والمسترشدين في العلوم والمعارف ومطمح الأنظار، والشفوف والتبريز، السيد حمودة بن محمد بن عبد العزيز، صانه الله وأبقاه، وإلى أوج المعالي والكمالات رقاءه على الرسالة المحبرة، المنقحة المحررة، التي لهذا التاريخ أملاها، وأولاها من باهر التحقيق و التدقيق ما أولاها وضمنها أجوبة عن أسئلة كلامية وردت - كما ذكر أعزه الله - على الحضرة ذات البهجة والنظرة.

فنظرتها بعين الدقة والإنصاف، مجانبا للتعصب والتعسف شيمة سليمي الصدر كاملي الأوصاف، فرأيتها قد حازت قصب السبق في مضمار الإجابة وميدان الإصابة، وانتظمت هي ومؤلفها مع شيوخ أهل السنة ومؤلفاتهم المحررة في تلك العصابة، وشهدت له - أدامه الله وأدام النفع به- برسوخ القدم في العارف وسعة الاطلاع، وكمال التلمي من العلوم خصوصا الأصليين وما يتعلق بهما وقوة الاضطلاع، فالله جل جلاله يبقيه زينة لهذه الإيالة السعيدة وهذه الدولة تصول به ويصول بها على الدول وكتابها أعظم صولة، فإن مثله - أعزه الله - لخليق ان يباهي به وأين مثله حتى يباهي به ويفتخر، ولعمري لقد خبأه الدهر إلى هذا العصر وادخر، وما احقه يقول أبي العلاء المعري عند من وفقه الله إلى الإنصاف وأرشده وكأنما على لسانه أنشده:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانِهِ      لَأَتِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

وعندما خر طرفي لملاحظتها راکعا، وكرّ من ملاحظتها راجعا، ضربت يدي لمبايعتها بالترئيس في يدها، وصدعت بما يميل عطفها ويطيل من غيدها، ورفعت عقيرتي مقرظا لمحاسنها ومادحا، وعلى أغصان روض أجادتها الغناء ومجادتها الغراء صادحا، بقولي:

|  |  |
|--|--|
| شَمْسٌ تَجَلَّتْ فَمَا أَسْنَى تَجَابِيهَا         | لَا حَتَّ عَلَى غُرَّةِ الدُّنْيَا تُحَالِيهَا   |
| أَبَدَتْ مَطَالِعَهَا أَسْنَى طَوَالِعَهَا         | مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ تُجَلِّي فِي مَجَالِيهَا  |
| قَوَى بِهَا عَضْدَ التَّوْحِيدِ مُنْشِئَهَا        | فَالسَّعْدُ يَكْتُبُهَا وَالْفَخْرُ يُمْلِيهَا   |
| دَلَّتْ مَعَالِمَهَا عَلَى أَبَائِيهَا             | وَمِنْ إِشَارَتِهَا لَاحَتْ مَعَالِيهَا          |
| مَوَاقِفُ يَكْبُرُ النَّظَامَ مَدْخَلَهَا          | وَهِيَ النَّجَاةُ لِمَنْ أَضْحَى يُوَالِيهَا     |
| اللَّهُ أَبْكَارَ أَفْكَارٍ شَغَفَتْ بِهَا         | تُمْلِي عَلَيْنَا فَمَا أَخْلَى أَمَالِيهَا      |
| قُوْتُ القُلُوبِ وَإِحْيَاءُ النُّفُوسِ لِمَنْ     | يَبْغِي مَقَاصِدَهَا وَالْحَقُّ يُعْلِيهَا       |
| صَحَائِفُ نَفْحِ التَّجْرِيدِ حَاصِلَهَا           | يَبْلِي الزَّمَانَ وَلَا يَسْتَطِيعُ يُبَالِيهَا |
| أَسْطَعُ بِيْرُهَانِهَا المَنْحُولَ وَأَسْمُ إِلَى | شَمْسِ المَعَارِفِ فِي أَسْمَى تَجْلِيهَا        |
| فَاللَّهُ يَحْرُسُ مُنْشِيَهَا وَيُسْكِنُهُ        | مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ فِي أَعْلَى أَعَالِيهَا    |
| يَا لَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا مِنْ مَحَاسِنِهِ       | أَتْنِي وَإِنْ عُمِرْتُ أَوْقَاتُ مُمْلِيهَا     |

لَا زَالَ يَنْظُمُ فِي جِيدِ الْإِيَالَةِ مِنْ دُرِّ الْمَحَاسِنِ مَا يَخْكِي لِأَيِّهَا

إيه، أيها الساري ولا رفيق إلا التوفيق، ويا أيها الشاري خذ أحرار النفوس، فكل لذلك الطبع الرقيق هكذا هكذا، في عين الشاني القذا. اطع شمس معارفك عوارفك في أفلاك البراعة والاتقان، وزين سماء رياستك من فضائك وفواضلك بأبهى من النجوم الزاهرة والزيقان، وعش بأنوارها أعين عمش الجهالات والعشي، ووش بأنوائها رياض المحاسن والمحامد أبداع وشي، جادل عن الملة الحنيفية بلسانها، وجالد بسيف السنة ودافع بإحسانها، وخذ من جاني الجهل الصائل بالثأر، واصدع بتحقيقاتك وتدقيقاتك فذلك لك شعار وهذا دثار، وافخر وجر رداء العز والسؤود فأنت زينة المصر بل العصر، واهصر أغصان الرياسة بالدولة الحسينية واجن ثمارها فأنت أهل لذلك الهصر، وشفى الله الملك السعيد وحيأ ابنه الأمير السيد حمودة الحميد فقد رميا منك الكتابة ببديعها، وسقيا روض الوزارة منك بمطر نيسانها وغيث ربيعها، فأخصبت بك مروجها بعد الاجداب وحيئت رسومها الماحلة بغرر تلك الآداب، والله جل جلاله يبقي شمس هذه الدولة المباركة الميمونة معززة ببدرك، ويطلعها منك على تلك المناقب الثواقب حتى تقدرك حق قدرك، ويحفظ كمالك على المستفيدين والمسترشدين حتى تتملى صدورهم وتتشف أسماعهم ببنات فكرك ونفثات صدرك إن شاء الله تعالى.

والسلام على حضرتكم العلية وسيادتكم الباهرة الجليلة، وما انعقد بنت المتناسبين وداد، ونبذوا زخرف الواشين فجرروا على السداد، ورحمة الله وبركاته، ما تعاقبت سكنات الكون وحركاته. وكتب غبار نعال العلماء والأشراف ومثار الإضاعة والإسراف، غريق الأوزار، أقل الخلائق أحمد بن عمار لطف الله به، بتاريخ أواسط صفر الخير من شهور سنة ستة وتسعين ومائة و ألف.

**المصدر:** أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، ج5، 2005، ص: 210-214.

الملحق رقم 16: رسالة أحمد بن عمار إلى البايع علي باشا التونسي

منها للمضورة وربيع الوجه بالعبادية وربيع الخليم مع الصبة **قلبيته**  
يتعلق بفضة فابيل وهابيل وهوان شيخنا العرفه العلة من الرمال  
النظار مؤثراً بالعباس احمد بن عمار الجزيري امي الله عليه سبحانه الرضوان  
واسكنه بقبضه بضيع الجنان **لنا** ارتحل من بلدة، مرساة الجزائر  
الحى

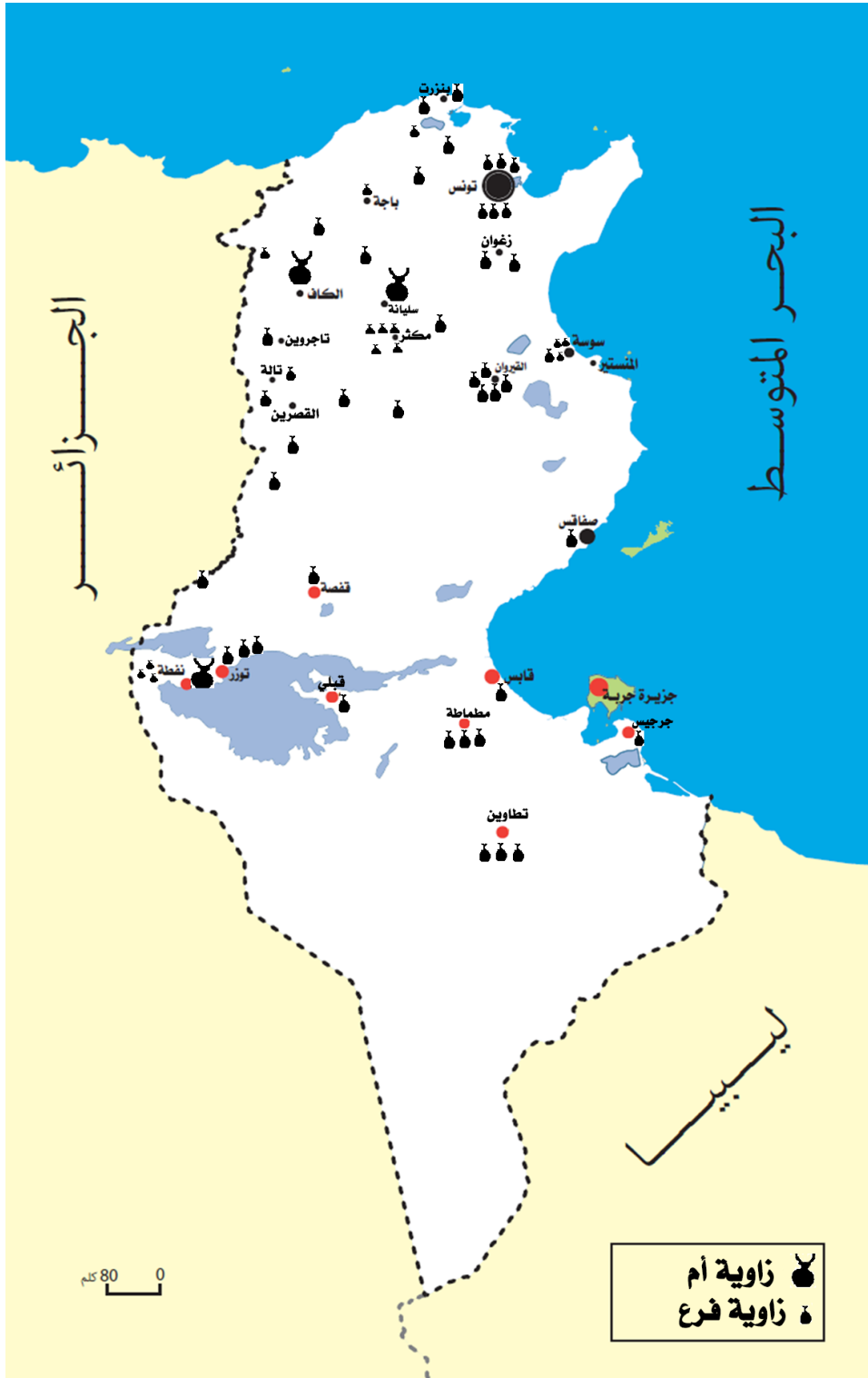
الى الخفية حرسها الله بفصرها مستمدان بها في خلال سنة خمس وتسعين  
 ومائة والباقي كان من اجتماعه من شيوخ الخفية مؤلف العقبه النبويه التوثيق  
 المرسل ابو محمد حسونه بن خليل الحنفي وساله عن مولده جلد في ما اثنى ارييه  
 ان تبوءه يا تميمي واثمد ما المراد بكلامه من جابره بايايه بانه وترد  
 الكلام بينهما الذي ان كان لشخصنا انه كور تحصل ما طعن له وابوا، في  
 رسالة محرره: منقحة محببه: **بكتبا** رسالة اخذت من محور العلم  
 در امكنونا: وطلعت بهاء العصاه كوكبا بالملامة معي ومات: **وقه**  
**كنت** نقلتها من فخره حين ان البعيا: وان الله فان ضل عيني بعضها  
**بثورة** هنا ما البعيتة منها انه ما ضل لم يخل بها ولم يشترها  
**وقرآن** رحمه الله وارضا: ضنها في تاريخ القدر في يوم  
 قبلها السبب الذي فادك اليها واياها مع به: **ففسان**  
**هزل** وقه كنت سمان عن مسألة تتعلق بالتعويض بما ملكت في الرقة  
 وقرب منه ما سمع به البني على يتسور في حينه زامله وفيه مع شيل تشويشا  
 وتبعي يفاعيس: مما لولا ضامة انه (الطبي والتبسي) مما امكن الخطو  
 به وجلا عن المسير: فشاء وذاع بين حقا ان الطلبة: ونودي عليه  
 بالشه: نداءه لعلام بالغلبه: حتى انتهت هي حينه التي هلك  
 الملك السعيد: الى موفى اليه في علوانمة رمق التي ياتي الصعج  
**قلت** يعني به القدس مؤلفا بالحنس في باشا بن مؤلفا الحفر من حنس ياتي  
**يجعل** امه الله معده: وزاد في عمته وعلمه: يبري في المسألة ويعيد:  
 ويرى با عن علونه في كل فضيلة وشاوه البرية: **فتم** امر اعز الله واعز  
 به العلم واطله با حضار التبسي: وقاض في نهاية التي به مع جلسائه  
 وسما: من كتابه وعلمايه وبقهايه وزعمايه نجوم العو وانفارك:  
**فتم** ان جعل المجلس في ما بلغني عن تشويش التي ما اميلنا: واعفنا

BIBLIOTHEQUE PUBLIQUE TUNIS

في المسألة وابدئنا **بجزي** ذلك من همتي : واثار عزمي : بما عكيتا النفي  
 حفة : وانتكيت الى اعراف رفة : ووثقت بعين في لك النجس كما جورة لك  
 المهر في : ونضمت به سلكه : ولت هذا الملك السعوي حرفة الله عفة  
 لبنة وتاج معرق : مما يتبع به العتاج العليم : الذي يحيى العقلام وهي  
 ربيع : من همة اني سالت الغنيمة المعين : الوثيقة المينى : البعينة  
 الميى : الغنيمة الجيني : **قليتسها** المولى عزاء الله وزاد  
 بسطة في العلم والجسم : واثار صيته في الخافين من نور البصير كرمي  
 الفس : بعين الغنوار وانتي : بل كما لي صلى العبي في استنباطها  
 جرم غضا **وليعرضها** مع الخواص من ارباء ذولته الميمون  
 وعلما بها : ومغها بما وزعها : المحققين كما خياره الموفين تبار  
 المحلين بالانصاف : المتجملين بجيلها وصاف : بل منهم لصباة بواظهم  
 : وتنوي بجانهم : فيكون بنور زمانها ونور العلم : وتيسر  
 بانجسهم في سم الله عن حضية ما ينتج الخمسة من غمها الحق وفيه  
 الكلمة : **والله** جل جلاله يري قيني واياهم علما تاجعا : وعلمه رابعا  
 وتفرج ابعاءه واه باع الله ورسوله وعلما : ثم يعتم به تغصم تاجعا  
 عنه دامين **ويحفظ** الحون واياهم كما قال الفاضل  
 • ساكتهم علمي عن ذوي الجمل كما فيتي • ولما انشرا الغر النجيس التي ابرهم •  
 • بل ان يصير المولى الكريم بعقله • واليعة اهدا للعلوم والحكم •  
 • فينت لقت علومه واستتبعه علمهم • واما بمنزور التي ومنكتم •  
**وكما قال طاج**  
 • وانا طاج مع طاج يتفاني • كانا من طاج ابه يستاني •  
**وانا** العوام بكالعوام وليس هم الغصودون • اني سالت بل بين الكتاب  
 كilde : وبالي ودمعة الصنعب وحل كilde : **بان همن الكتاب** كما  
 قال

المصدر: إبراهيم السيلية، مباحج الأزهار ودوحة الأفكار، مخطوط رقم: 260، دار الكتب  
 التونسية، ص: 67 ظهر، 68 وجه وظهر.

الملحق رقم 17: مناطق انتشار زوايا الطريقة الرحمانية بالبلاد التونسية



المصدر: من انجاز الطالب، والمعلومات مستمدة من: التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص: 48.

## الملحق رقم 18 : الطريقة الشابية في الجزائر وتونس

|                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| الجزائر                 | تونس                    |
| القالمة                 | تونس                    |
| عنابة                   | تستور                   |
| قالمة                   | تديرسق                  |
| سوق اهراس               | السرس                   |
| قسنطينة                 | الساقية                 |
| عين البيضاء             | مكثر                    |
| مسكيانة                 | القيروان                |
| تبسة                    | الساحل                  |
| جبل بني صالح قرب تبسة   | بلاد الهمامة            |
| الشريعة                 | تمغزة                   |
| بحيرة مشنتل قرب الشريعة | مجور                    |
| ثليجان                  | فم الخنقة               |
| الميتة                  | عضلة زرايف الواعر/تمغزة |
| باغاي                   | قفصة                    |
| خنشلة                   | توزر                    |
| ششار                    | نفطة                    |
| الزاوية                 | قابس                    |
| الجرف                   | نفزاوة                  |
| تيزقارين                | فريانة                  |
| ارقو                    |                         |
| سيار                    |                         |
| العامرة                 |                         |
| جارش                    |                         |
| باتنة                   |                         |
| بسكرة-الزيبان           |                         |
| واد ريغ                 |                         |

المصدر: علي الشابي، تاريخ الشابية، المرجع السابق، ص: 453.



الملحق رقم 19: إجازة ظاهر الوتري المدني للشيخ المختار بن خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله واغفر من استند الى علي بابيه وواصل من انقطع  
الى عزيز جنابه والصلوة والسلام على من ادرج في خلقه الكريم كل مفروق من الكمال  
ومجموع خبره وسبل ذراه عند الله مرفوع وعمه الواسع والذرية اصيلوا السباكل  
مروى من الفضل وسموع اما بعد فان الاسناد في العلوم من اجل ثابته يعنى  
وانفس ما يدفوق ليعتني بكونه كما قيل من الدين وسنا مؤثر السلف واختلف المهتدين  
وكلهم في خصوص هذه الامنة المحمدية كما خصهم فيه بمراتب الاقربيه فكان كل من سنده  
اقرب ولو برجل واحد اجل ممن فاتته ذلك في المبادئ والمعاصد قال يحيى بن معين  
الاسناد الطال قرية الى الله والى رسوله سيد الانبياء والمرسلين وكان من سلك هذا  
الطريق القديم ونهج منهاج الواضح المستقيم العالم الفاضل واللودعي الكامل  
جناب الشيخ محمد بن عزوز بن المرحوم محبنا العلامة الكامل والعهدة الكاملة السيد  
ابو الشيخ المنذر بن خليفة البحر اثيرى وقد ارسل الفاضل الموصى اليه يطلب الاجازة  
من الفقيه الذي ليس في العير ولا الفغير اقتداء بابيه المرحوم الابير واختيار اللدخول  
في زفرة اهل الحديث والجزر وذلك بواسطة الفاضل الورع ذي الراى الرصين سيد الشيخ  
احمد الامين فاجبته لما طلب رغبته في جريان ماء المحبة بالفرع جوارها باصله  
ورجاء النفع العام من فيض الكرم وفضلها فقول معتبر امى العتوة والحول  
اجزت الفاضل الموصى اليه والكامل احمى بكل خير لديه بجميع ما تجوز لي روايته وتصح  
عنى درايته من منقول ومعقول فروع واصول اجازة تامة مطلقه عامة بشرطها  
المعتبر لدى اهل الحديث والاشتر وجميع ما اجزت به والده المرحوم من الكتب والعلوم  
كما اجازني بذلك المشايخ الاعلام والاساتذة الفخام وساذرهما سند صحيح الامام

شاء متى شاء بشرطه المعبر لدى أهل الحديث والاشتر وهو كمال الضبط والتهوى  
 وان يقول فيما لا يدريه لا ادري موصياي وله بالتقوى فاننا السيب الاقوى  
 وان لا ينسأى من صالح دعواته في خلواته وطلواته نفعه الله بالعلم والعمل  
 ووصل صبيتنا اجمعين بسببه انه علم ذلك قد سربوا بالاجابة جدير وصدى الله على  
 وبنينا ومولانا محمد وعلم جميع اخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل وصية <sup>البالغين</sup>  
 وعلينا معهم برهنة الله <sup>التي</sup> قاله بجمه ورحمة بقلبه العبيد العاجز الحقير محمد على  
 ابن المهوم السيد ظاهر الوزري الحسيني اكنفي المدي خادم العلم واكثرت بالمسجد  
 الشريف النبوي وذلك في اليوم الثامن من شهر شوال من عام ثمانية عشر وثلثمائة  
 والف بالمدنية المنورة علم ساكنها افضل الصلاة وازكى التحية

المصدر: أرشيف خزانة زاوية عين اقلال



الملحق رقم 21: رسالة المكي بن عزوز إلى شيخه المختار بن خليفة

الخليفة وعلية (تم على سيرة المختار  
 إلى الحكمة التفق العرف  
 بلده شيخنا سيدي المختار  
 ابن الخليل بارك الله به  
 أوفاته الشريف المسلم  
 عليكم ورحمة الله وبركاته  
 محمد الله على علميتكم وراية  
 مشتاق اليكم ولم يفيد (تم الاجتماع  
 بكم ما في ٢٨٩م والامور على ما اد الله  
 وانتم سون بل الرعاء وان بيرة خستى الله  
 عنا هذا مستلة الا عظم واصل  
 اها ايننا كلهم بخير الا عننا سيرة اننا  
 واخونا مختار بر عنه وزر حمله الله وعلته  
 بل خلع ذلك واسلم ما انتم مقبل ميركم  
 عمر العلى بر عننا اول فعدوا لله

المصدر: أرشيف خزانة زاوية عين اقلال

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وكل من وفى بالعهود

لا سعة له حفرة الزكي الا فضل والعمدة الا مثل والعلامة الا فضل والبركة  
 الاكثر محبتا لله وله فشيئا سيرا الفتا رابى الخليفه واسبق عليه موافق  
 تعديته المنيع، امين السلاخ والذبح عليكم ورحمة الله وبركاته ويع كل من  
 انتخب اليك فصولا ابتداء التفتة التزييه والتجيب التيسير الكسبي للشيء  
 ارفاني الله على الجميع من اسم ارب، امين وان سالت عن حال هذا العبد  
 الخفيف فهو والمحمد لله على خير وعافية وعمة وسلامة والمرجو من الله  
 انك كذلك مع دوامها للجميع، امين وقد كنتا كتبت لك عدة اجزاء  
 منها ما هو الى **البحر** ومنها ما هو الى **بوسعادة** وانتم على الجواهر  
 التي ارضتكم فيها على الجارية دوريه الى الان لم ياتن منك جواب لكن  
 الحمد لله اذ لعل السانع خير واما المدينة دوريه التي ارسلتوها على  
 يد العلم السهام والتميز بالشيخ سيك فخر بن الحاج محمد ففده وطلت  
 به هذه الابواب وعلى كل حال فاننا مقصون منك منتقرا فضلا وما  
 زلت ولم ازل ان فتنا الله يا عبد الله يسى يد ريسينا ما الله عليه  
**وما حبيبه** ورجال البقيع وسبينا حرة وجم سائر الاماكن والافوات  
 والمواهي المقتونة للاجابه وعلى الله القبول بفضله ولا تقصونا ان  
 كذلك بالدعاء الصالح بتعظيم الاحوال الخبيبه والذنبويه مع  
 الهدية لانظم منذ سنينى في منك شيئا وانتم مل فيك على الفلحة  
 ولكي كل شيى وفده والله وجم الخفيفة ان وجف ران طلة العلم التي بيننا ما  
 نسب التفسير نكم غير قلنا على سبيل التذلل هو الاستنجااد واما فله  
 ولما في في غابية الشناء عليك والحمد لله ورسوخ المودة والمرجو من  
 الله ان يهدى في في العافية والهناء ويخلقنا خلقا كما ان ذلك بفضل الله  
 يكون لو بيننا الحب والامدادات الخسبية من الجميع للجميع، امين  
 والسلاخ من في غير رب المستنير يد من فضله بفضله وفيه رجا  
 الامين بن **المدني** ابن عزوز **المدني** بن **عزوز** امين **بن** **عزوز** **المدني**  
 الثانية سنة ١٢٤٤

المصدر: أرشيف خزانة زاوية عين اقلال

الملحق رقم 23: رسالة المكي بن عزوز إلى شيخه المختار بن خليفة

الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله  
 انالله واناليه راجعوه  
 مسي ونيح ووليتي نعتني (علامة البحر) الواسع  
 (عليه) سيرة المختار بن الخليل بعد نقل الفقه الكامل  
 سيد عيسى بن عبيد الله حتى رضيت له عملك وارضام  
 (السكك) ارتاع على مقامكم الريع وبعرفكم وصلني  
 مكتوبكم الشريف ووجدت منكم الفقه كسبها العار  
 محمورا بكتيبه والكلمة رلوفات سبنا الامتياز  
 املك نفسيه عيني ارفق الربي مظلوما وعليه  
 الخلل اكثر بلان المطر بعفوا اضعاف مصيبة الناف  
 بعيشته فاند الفرب بعفوا الياكس اليتيم كانه رضى الهمة  
 عامل مع افضل ووسع واكرم من عمل والذم مع مع  
 الريف والحنانة والجلج والارواح والمسبقة التي صيرت  
 وقام ملوكه مع نورته به الى الله في معلما  
 فكيف يطيب بعفوا اكل او شرب او نوم او نكاح او راحة  
 واغنى شربا اذ لم يبا عيشه ولام وصله مكتوبكم اليوم  
 انشاء في افسا بقلع بوجودكم وفلت من شنته لانه  
 بكم يفتنا الزكية اذا فيه تغلى ربه ليمتقا  
 من الهواه الى السخيس ينصب لانه له خليفه  
 بيت امجاد انه الشريف وتخلص به ابراهيم  
 لم يرد في ارفيف اللطيف وينير في رصه الولاية  
 ويكفي امثال من ضعفاء التخلبيين فكنونكم هذا نتجه  
 من دوخت الالتهف وهب علي به فسيح الشفا كما جعلت  
 فلان ابيكم الصديق نول تغلى راجع الارسول يوم ادهش الناس  
 انتقال المطيع صل الله عليه وسلم بار من منار اخا فلك  
 وعاد من نصلك ان تبصح في عمتا التمش البية وهذا  
 الجواب من احوال الباقين بعد الامتياز نصيحة وجب  
 للفلب المكسي ولما من زما الصبا ليمزكم وبضلك مطقة  
 به عتف جازكم لانه عن خير او خيرا بكم العباد والبيكان

المصدر: أرشيف خزانة زاوية عين اقلال

## تكليف الشيخ إبراهيم الرياحي بنقل أوقاف الحرمين الشريفين من طرف الباي مصطفى سنة 1252هـ

الجمهورية الجزائرية  
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية  
المركز الوطني للدراسات  
التاريخية

رقم مودت/رج .....م

الجزائر في :

دفتر : خط همايون  
عدد : 56,906,5  
تاريخ : 1252  
المترجم : محمد نجم الدين زين الخابدين .

الموضوع : نقل 200.000 ريال ديريكي من تونس الى الحرمين الشريفين .  
( حميلة اوقاف الحرمين الشريفين في تونس )

عين من تونس فرقطون ( سفينة حربية ذات ثلاث صواري ب 75 مدفعا ) ويرافق  
هذه السفينة مفتي المذهب المالكي المدعو رياحي ومهمة هذه السفينة هي نقل  
حميلة اوقاف الحرمين الشريفين في تونس والتي كانت معطلة من قبل والي تونس  
من مدة من الزمان ، والبالغة 200.000 مئتي الف ريال ديريكي ( ديوكلو )  
( الريال كان على نوعين : (1)

- 1- اسباني ونمساوي ويساوي 25 قرشا عثمانيا .
- 2- ريال صقلي ( ديريكي - وديرك معناها عمود كان على وجه هذه العملة  
عواميد : وتساوي 2 و 5 قرشا عثمانيا وكل 100 قرش كانت تساوي قطعة ذهبية  
عثمانية . )

وقد ارسل المبلغ المذكور يرافقه السيد الموما اليه ( مفتي المذهب المالكي  
المدعو رياحي ) وقد خصص له مبلغ 10.000 عشرة الاف ريال كنفقات سفر وقد توهم  
والي مصر وبعض اصدقائي في تونس أن هذا المبلغ ليس لفقراء الحرمين الشريفين  
مع أن القبودان ( الرئيس ) حسونه مسوره لي يرافق السيد رياحي والمرقوم حسونه

... / ...

الأرشيف الوطني الجزائري  
National Archives of Algeria

CSamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

موره لي لايعين عادة الأرسولا في المهمات ، الهامة وهو مشهود له بذلك، وقد ورد خبر اليوم بأن السفينة المذكورة قد وصلت اليوم الى ميناء الاسكندرية وحسب ظن عمدكم أن هذا الصلح المذكور وهو 200.000 ريال هو حقيقة صدقة للحرمين الشريفين لانه خلال الشهر المتقدم كان قد تقدم فقراء الحرمين الشريفين باستدعاء الى الدولة العلية في معروض وخصوص هذه الصدقة ، والدولة العلية لاتهمل صدقات الحرمين الشريفين وهذا شيء محقق ، ومع هذا فان ارسال الرئيس موره لي حسونة لا يخلوان يكون من باب النفاق والرياء ، ولهذا تجاسوت لكتابة هذا التحريير والافادة .

وفي هذا الخصوص وبعد اذنكم الوزاري ، فان اخي المقيم في مصر يمكنه أن يوافيني بما يحدث هناك ويلخصه لي وبالشفرة طبعا سيدي .



(1) هذه فكرة عن العطة في ذلك الوقت وليست من النص التركي بل لاخذ فكرة مجملة .  
الفرنك الفرنسي يومها كان يساوي 5 و4 قرش عثماني .



الملحق رقم 25: رسالة محمد العيد الأول إلى مقدمي تونس

الظاهر، وبوعنا بغير كل انتباه على ما نيا والآخر، **نقلت هذا لمن له**  
**حق فيها** وأراد المراجع اليه من ادان موكنا الاطاع العلم الامع او اعرف  
التخصيب المحدث المصحب قدوة الصفين فخر العلماء الراغبين مادة تعلق الدين  
مفتين بفرق المسلمين بمره الزمان) لانه الفاعل مفاع الجمع والمستغنى الاوصاف  
الانسان منحه كز من يكون مع لسان المتكلمين حجة الخفاضين المتوكل على فضل  
ربه الكريمة ايبي تيمم (له الشيخ سيدي محمد راسي يفي المبعث الما يري عامه الله  
بالحبه الخبير حسبما يرضع كبقه الباركة اعلاه اداع الله حبه كود الك  
**قصه الحمد لله** صلى الله على سيدنا محمد وآله بنى سيدنا الامين وخيرنا  
الحسنى محبتا) الاحباب الخفاني ايبي عبد الله الشيخ سيدينا محمد العبيد ابن الحاج علي التتاني  
الكرامة) الاحباب الصايفين محوما وخصوصا كل منج باسمه وخصوصا الاجل سيدي الحاج  
ابراهيم التتاني بجل السوء ايها والفاضل سيدي ابي ايبي محلي اعلم الله اسلمه بغير رمة  
المدور كلاته وبعده جاني اعلمه ايبي الله التي جلت ايامه وكايه على حاربه ومعاذ به نفسه  
تفاويع العافية وده واهب وانعمه وقامها منه وكرمه وقد ورد علينا عهده ونسج الامر  
مبشرا ببلاصتق التي بين عندنا من افصا المراد وميتنا على ما اتفق عليه من رعوخ الفتح  
في خالص المحبة وطرد الوعد المحمدنا الله تعالى نكر على ما اذ كانه وحققه به من جرم  
واقنتانه وسالنا له نكر في ريد من سوابغ نعمه بحضه وكرمه واحسانه المنز  
من علينا وعليه بها كذا (الكرامة) الاحمد يتا لابر اسمية الخبيصة التتانية في هذا  
الزمان لتاجسة الاوان وعنه الزمان لها يده الحمد ثاب وكثر العباد والحرمان او صيحه  
وابيل



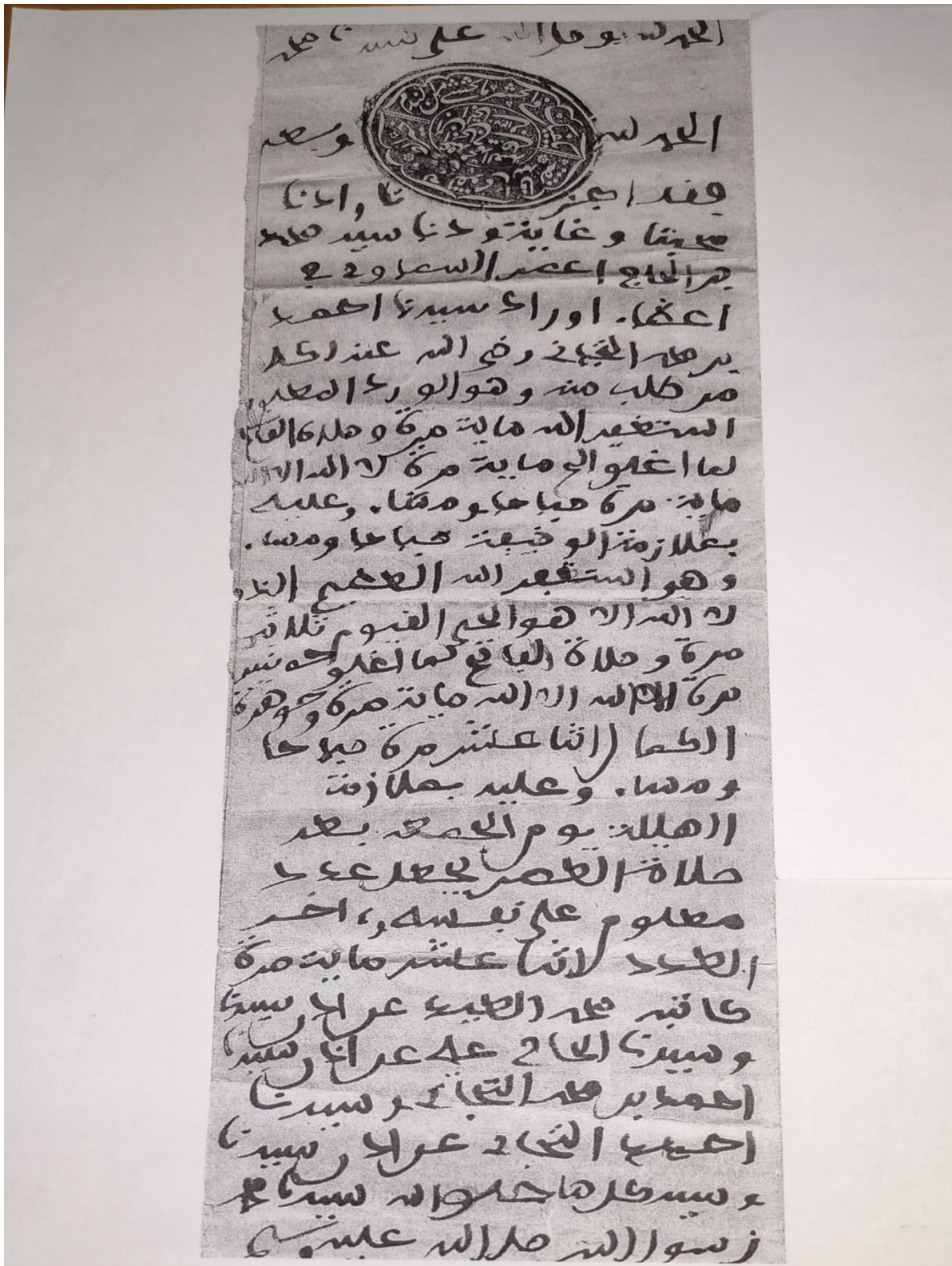
الملحق رقم 26: رسالة محمد الصغير التجاني ابن الخليفة الحاج علي يجيز فيها حسين علي باشا باي تونس في الإذن في الطريقة والتقديم

بسم الله الرحمن الرحيم  
 كعانه  
 عنه كتب كتابا كاستاذنا ايدي الحسن لما له عنده من زيادة الخضوة والاعتناء  
 به حسبا تقيا على نص ذكره، وهذا وان كنا قد ضاقت في، فيما ناسب ذكره هناك وفصحا  
 اعاد ذكره، هذا من انتم وفق تاريخه في رباب الشريعة من الحج **فاما**  
**فنصها** اجازة مولانا الباشا باي، الحمد لله الذي جعل الاتباع من سلجما من  
 من صالحه الافتتاح والعبادة، وبلغ من تمسكه به مع حسن نيته اقصى مراد، ونظم كاليه  
 الدعوات وجواهر الاذكار في سلك الانسانية الاولى العلم والارشاد والاجادة، ووفوا اليها  
 من شاء من عبادة، ليطعمهم بها ان شاء الله اسباب السعادة، والصلاة والسلم على التبعوع  
 الامم والسنن التي يلجأ اليه كل عالم ومتعلم النبي، الاول، سيدنا محمد بن عبد الله  
 المحلى بخصا، فلان كفتح تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وعلى الله وجهه نجوع الافتتاح  
 ومجالس الهداية والاهتداء اما صلح مر يد سبيل الرماح واقتضت له المحجة بنور التبعية  
 والسادس **بعد** فيقول العبد البغيي لرحمة ربه الغدير الشريف سيد محمد الصفي  
 ابن القصب الاكبر الشريف سيد الحاج علي التمايين اني جددت الامان في ذكره ووراد  
 الشريف التجانية الاموية واجرت في ذلك المولى الجليل المجتهد في مصالح الرعايا بعزم  
 غير قليل سليل المجد الراشح البنيان والشرية الثابت الاركان نجمة التيق الحسينين  
 وعين عيانهم وجامع كالتهم وواعصمة عقد نظامهم الفاعل الشهير والبدر الاكمل الشريف  
 الشريف ابن الامير الربيع الشان سيدنا علي باشا باي صاحب المملكة التونسية المحبوكحة  
 بالكونية والعبية والتمال محبته وكبها نيته وسريته وما هو عليه من الاعتقاد النكد  
 من الله ما نفاذنا، على بركة الله في اعطاك ووراد الشريف المذكورة لكل من كملها افنه

من المسلمين ذكورا واناثا بشر وكهبا المعترية بكتبا الكريفة النقلة عن  
 القضاة المكتوب مؤانا وسيدنا الشيخ سيده احمد التجاني رضي الله عنه كما ذكرنا في  
 معلقاته اجازة وتفديلا تامين نفعه الله به انك ونفع به من اخذ عنه وكتبا منه  
 سبحانه وتعالى ان يجعله من العارفين بالمحبوبين وان يصرف عنه بعضه فكلوا  
 الدارين وان يشهد ازره ويجعل ملكه ويريه في نفسه ما يسر به قلبه ويلهمه ما فيه  
 خير الدارين ويجعل كلمته العلي وان يدب عنك ونفاهه، ويقا عجا في درجته  
 المعادة، ارتفاعه بجملة شيخنا سيدنا ومؤانا الشيخ سيده احمد التجاني رضي  
 الله عنه ونسبنا في ذلك عن اخينا الشيخ سيده محمد (عبد ربي) الله عنه  
 وهو عن والدنا الشيخ سيده الحاج علي بن الشيخ سيده الحاج عيسى التلمساني  
 وهو عن سيدنا ومؤانا الشيخ سيده احمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وهو عن  
 سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا محمد علي بن عبد الله بن علي بن ابي طالب  
 والسالغ من المكتوب عن ابيه وهو باقر، وقد اكد بالتلفي من الصفة الخلاصة  
 الجامع للكلمات من غير خصاصة (القدوة) الا في العارفين بالله الشيخ سيده الحاج  
 علي بن بلقاسم (الوزفي) المقدم (الكاتب) في الكريفة التجانية عن الشيخ الخليلي  
 الا عن الشيخ سيده محمد الصغير المذكور ضاعف الله له الاجور حسنا يتقن  
 ما فرغتمه ونصحهم به، الشريعة وكتب بتاثير يوم الاثنين الرابع والعشرين  
 من المحرم سنة ٣٠٣ هـ **وكذا** تفديلا سيده حسين  
 باي ملكه ما به اما بعد فيقول المعتبر على فضل ربه الفديري محمد الصغير ابن  
 (القضاة) الا عن الشيخ سيده الحاج علي بن الشيخ سيده الحاج عيسى التلمساني  
 انه قد حدثت الاذن في الكريفة وفي استفتاءه انه كان صدره ما يفا للمعلم  
 الماروق والكوه الخلاصة الامنع سليل الملوحة العظم بالايالة التونسية  
 وواسكة عنه (النظام) من الخيرية الحسينية سيده حسين بلقي ابن الهادي  
 المبرور سيده محمد باي الخ مورخ بقايع اليوم (السادس عشر من شهر  
 رمضان المعظم من ٣٠٣ هـ) **تلخيص** مكتوب من الخليلي

المصدر: الرزقي، المصدر السابق، ج3، ص: 336.

الملحق رقم 27: رسالة محمد العيد الأول إلى مقدم قفصة محمد بن بلحاج عمر السماوي



المصدر: خزانة زاوية تماسين، المكتبة الخاصة، دون ترقيم.

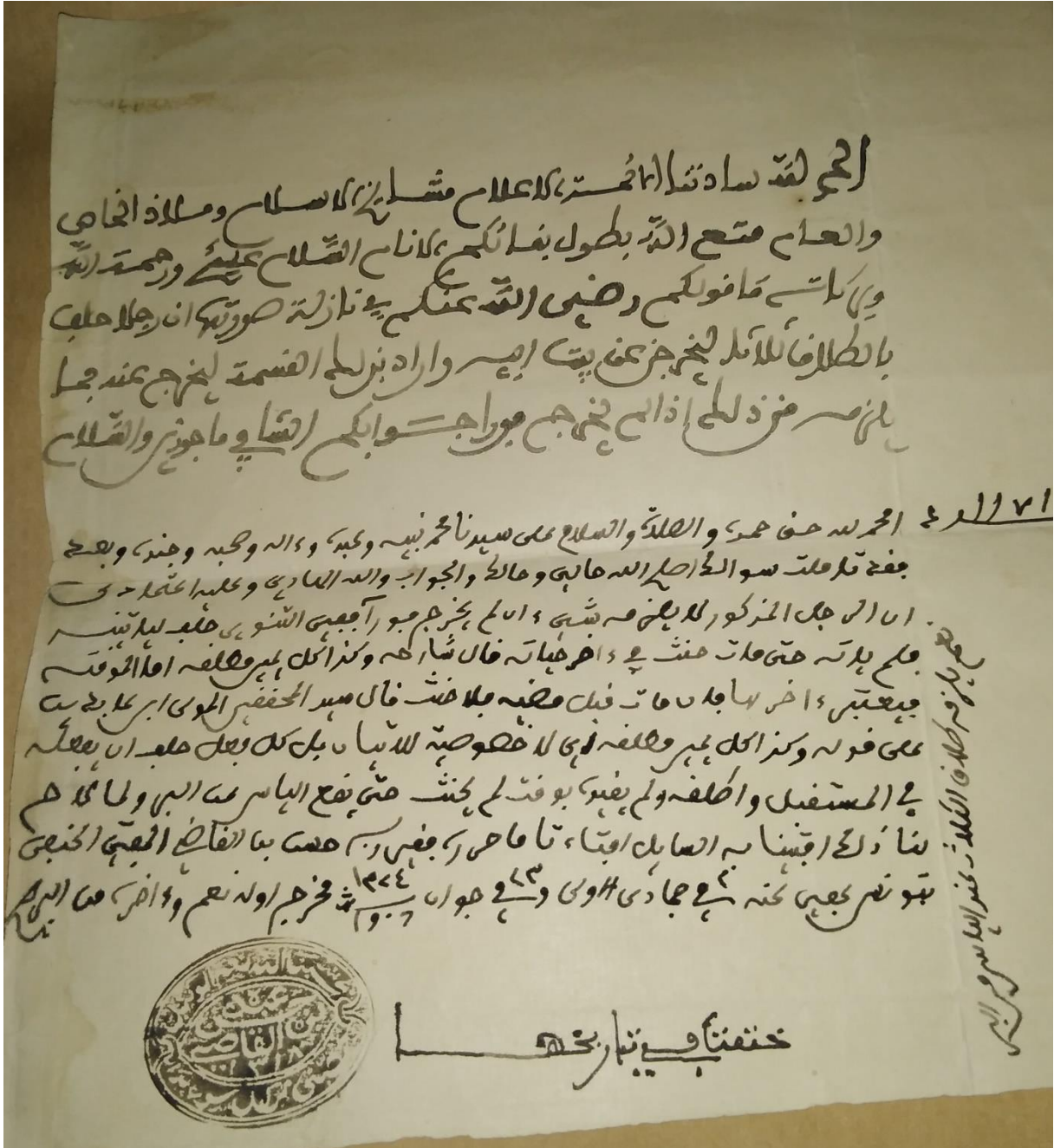
توزر) يطلب منه الاتصال بالفقيه إبراهيم الرياحي للتدخل في إصلاح ذات البين في نزاع نشب بين  
أحباب الطريقة في تونس

تخففه انه بتونس مع الامور التي بعثه كاجلها سيعر الكاهن **نصه**  
 بصر الله الرحمن الرحيم وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
 ابراهيم السويدي، وكرمته الله وكرمه يصل الكتاب الى محظنا سراج الحاج  
 ومريد الخير كله السيد العبد البقير الى الله واحوجه اليه محمد العيداني  
 الحاج علي ابن الحاج عيسى ابا بعد فاني احمد السيد الله التلا لا اله الا  
 هو واساله من فضله العظيم وسيد الكريم ان يديع نكح، فيا خنيا  
 واخرى وان يوفقنا **لصلاح النفوس والعمل** وان يفتح لنا باب السعادة، وان يكون  
 معنا **نظاما او بيا كفا** وان ينظر فينا بعين الرضا والرحمة ومن نكح اية  
 صفة عفة جميع وكارة الدنيا والاخرة ونساله سبحانه وتعالى ان يرزقنا  
 واياك وفيه طابفة كاملة وايقية تدوم ليا بين يدى الله عز وجل  
 الى ان يتوجنا الله تعالى علينا، امين وبعد اية **الحب الصادق** وقع معنا  
 بعثة من الاحباب كتبوا به الحاج عمر بن سليمان في ترجمه من الزاوية الى  
 سيدنا محمد الحبيب بن فتح وتنا الى الله سيدنا احمد بن محمد التيمان رضي  
 الله عنه وامتشل امرهم فيه ونكح ما على وجه سمعنا بياك الامر  
 فبعنا من اختلاف الاحباب **ولا بدنا ان نكلم الشيخ ابراهيم** في هذا الامر وان وجدتم  
 فيه **الصلاح** الى الاحباب التبعوا الى سيدنا وتعدروا اليه كالتحريم، اعلم وبيع  
 كفاية واصلح وصل الله على سيدنا محمد ونه عنوانه بخطه سيعر العبد الصغير  
 الى محظنا وخدمه بواجدهنا سيعر ابراهيم بن محمد الصوخاني توصل اليه ان شاء الله، امين  
 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

المصدر: الرزقي، المصدر السابق، ج2، ص: 247.



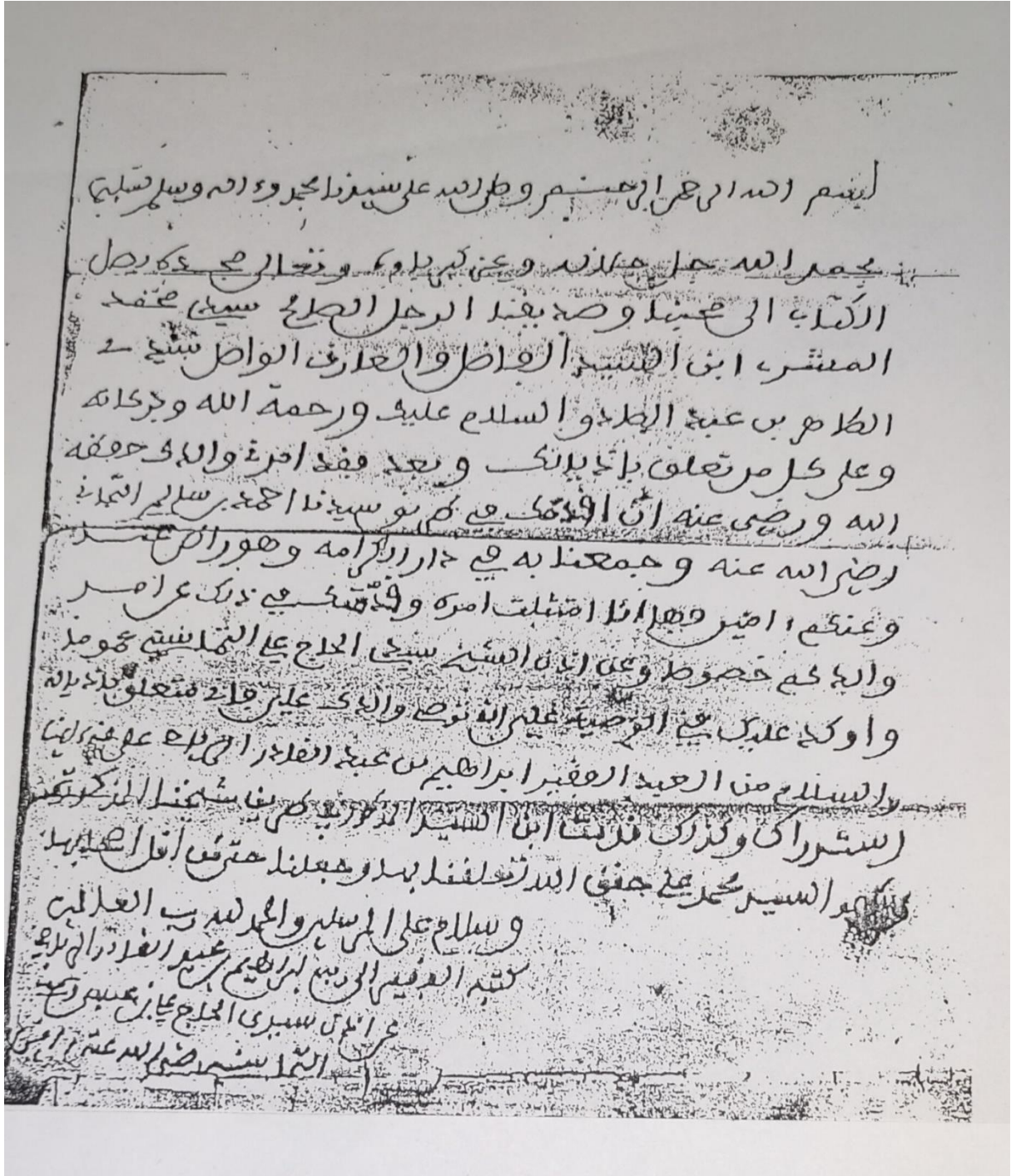
الملحق رقم 30: رسالة من مفتي الديار التونسية حسن ابن القاضي إلى مجهول تدور حول نازلة فقهية



المصدر: خزانة زاوية تماسين المكتبة الخاصة، دون ترقيم.



الملحق رقم 31: رسالة الشيخ إبراهيم الرياجي إلى محمد بن المشري ابن الطاهر بن عبد الصمد يجيزه في الطريقة بناء على طلب والده



المصدر: خزانة زاوية تماسين المكتبة الخاصة، دون ترقيم.

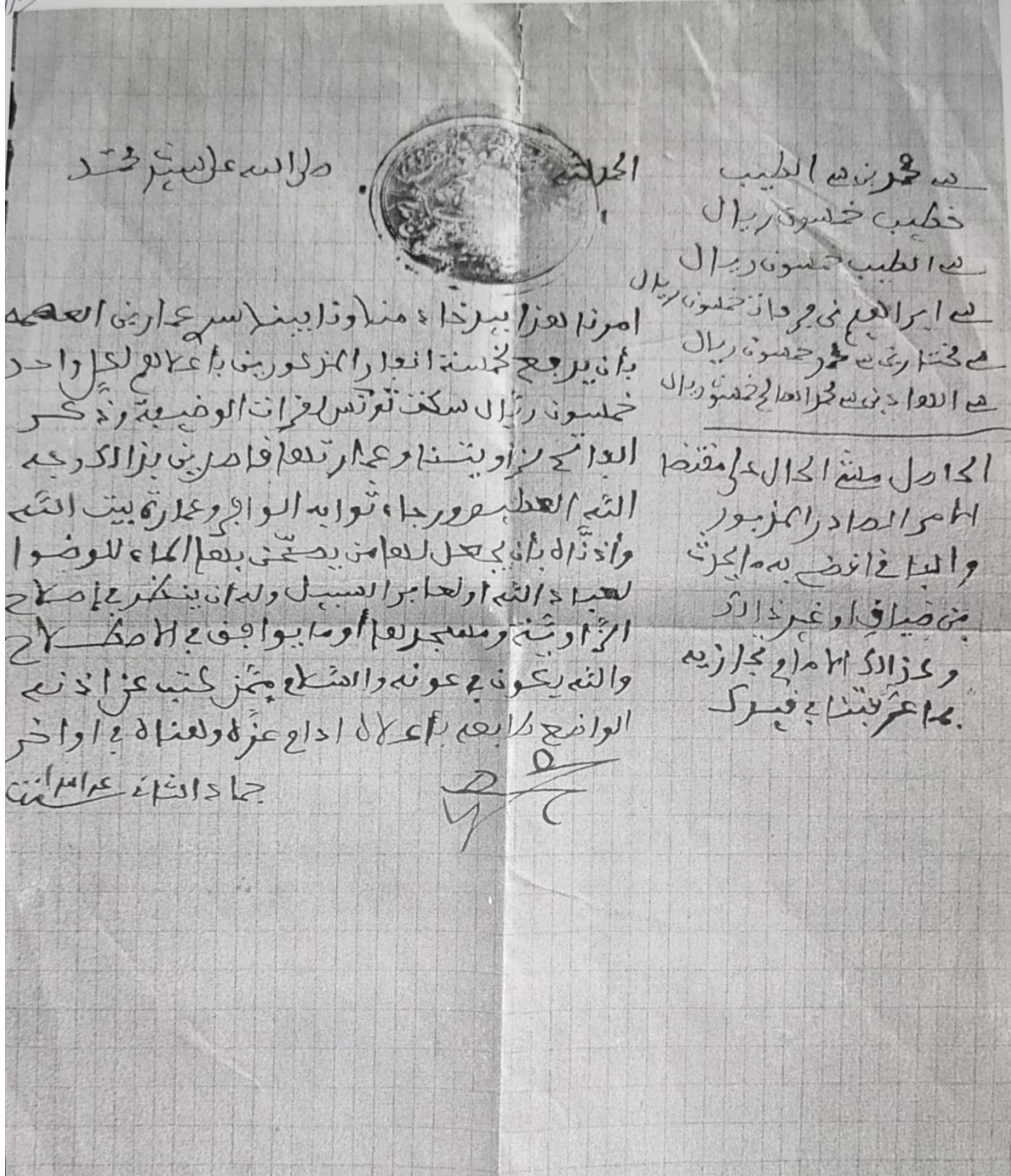
الملحق رقم 32: رسالة عبد الله السوداني مفتي توزير إلى محمود بن المظماطية مقدم زاوية قسنطينة التجانية يشكره فيها على وصول الجزء الثاني لكتاب السيف الحاسم للعلامة عبد القادر المجاوي مؤرخة في 26 ذي القعدة 1286هـ، وهو يتشوق لوصول الجزء الأول إليه.

الحولم اللهم صل على سيدنا محمد البلاء لما اختلفت له المراتح لما سبق فاصحى الحق بانقى  
 وانقادى الى فراجه المتفيم وعلو الله حق فوره ومفادها العليم

استوجب الله سعاده كما تطرق المخطوب مماها ومعناية كما يغيب الله امرها وما  
 سماها بجانب الملامع الباطل الحزوب الكامل محل الضليل والبواضل ضلال اصاب  
 العين وعين الاضداد المشار اليه اذ كل احد الرقعة والاضداد للشيخ صليلي  
 محمود بن المظماطية عامله الله في جميع المراتب بالطايفه الفقيهه . امين على علي  
 مقامه زكي صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم وبعد فبقر وطفا بن جينا بكم كتاب  
 كرسى استبشيتنا يرحوله قبل المطلاع على محموله بل انه لا هو كتابه ثم فقد يد  
 المحبة واملاة حله الوداد يعرب عن اخلاقكم الزكية وقيمه جمع عن مودتكم الخالصة  
 الرضية ويشرح لنا كنه عايتكم الواجبه مجرنا الله على ذالمه وسالفاة التي يد  
 لكم مفاصلها وجميع ما حركه به قلبه وبادركم وطايفه اخا يركم كله فدر قاطنا له  
 واعطنا علما بما تضمنه مجواه وربنا يشكر صنعكم ويديع وعيكم بما وقيمتي  
 به من غير ضلاليه توجه الحزن الثاني من شرح القصيدة التتمت بانصيب  
 المحاسن في سلوة امامنا وسهنا لاجل اعطاسي سيره من صالح فومر الله بفضله  
 الطاهرة وبقوله مع القدر وبها زادني فماذا انما واد اجلكم العليمه  
 ومبلاخرتم التي في سماه الجملة جليته نرجو الله ان يجازيكم بما احسن جزوا  
 ويفهم لكم منى مواجبه با وحي لا جزاء وان يسطب علينا وعليتكم امتدادا فانظبا  
 المكتوم طيبا بخايل الكلوع ونجعلنا وابائكم من حزنه واحبابه ونحوه من اهل بيته  
 ويتوجي الجميع على محبته الخالصة الكاملة . امين ولقد تشرفنا بمطالعة الرضى ح  
 الزكوره من الصايفه في تبويضه وبعد اقامه فوجهه لبح مجول الله طيبى سما  
 عن يمين شيخ قد شوق النعمان بعد ذلك الى توجيهكم لنا الحزن . واول من الرضى ح  
 الزكوره لتحل بزواله الجايد التي سالتم منها كما تشرفنا بطلعة ما يدبيل من الرضى ح  
 الزكوره من الفصايد الواقعة في محلها وقام لها قاطلا ضايفا واعنا لتتم بيها  
 امعانا كما يما بالبيضا كما يفة لمالاتم عليه من الخالصة التي ضيه وراخلاق الرضى ح  
 التي انتم بها هقيق وهي تبسط جوده خليفه نونب الى الله سبحانه ان يوصلكم  
 الى رضائه وان يبعثكم منى وامل اهلنا وحق يمل ضمنا انه لانه جواد في قوابل رضى ح  
 وتبليغنا عن الرضى ح والى واسطة الرضاة ونعمه وجهه المجلد  
 راجد من الرضى ح بجليه الكرمي سيعر صليا فما زال مجموعا بارضا مد جوعا عنه الفضله  
 . امين ثم ما تسوننا من طامح دعواتكم في خواص او فلككم مجر د فضل منكم واحسان  
 ودمتم بجملة الله والصلوات من معطي فورككم وملتزم منكم بمسور ربهم بمسور ربهم  
 كرموه امين التجاني لطف الله به . امين وكتب في 26 ذي القعدة  
 الحرام 1286هـ

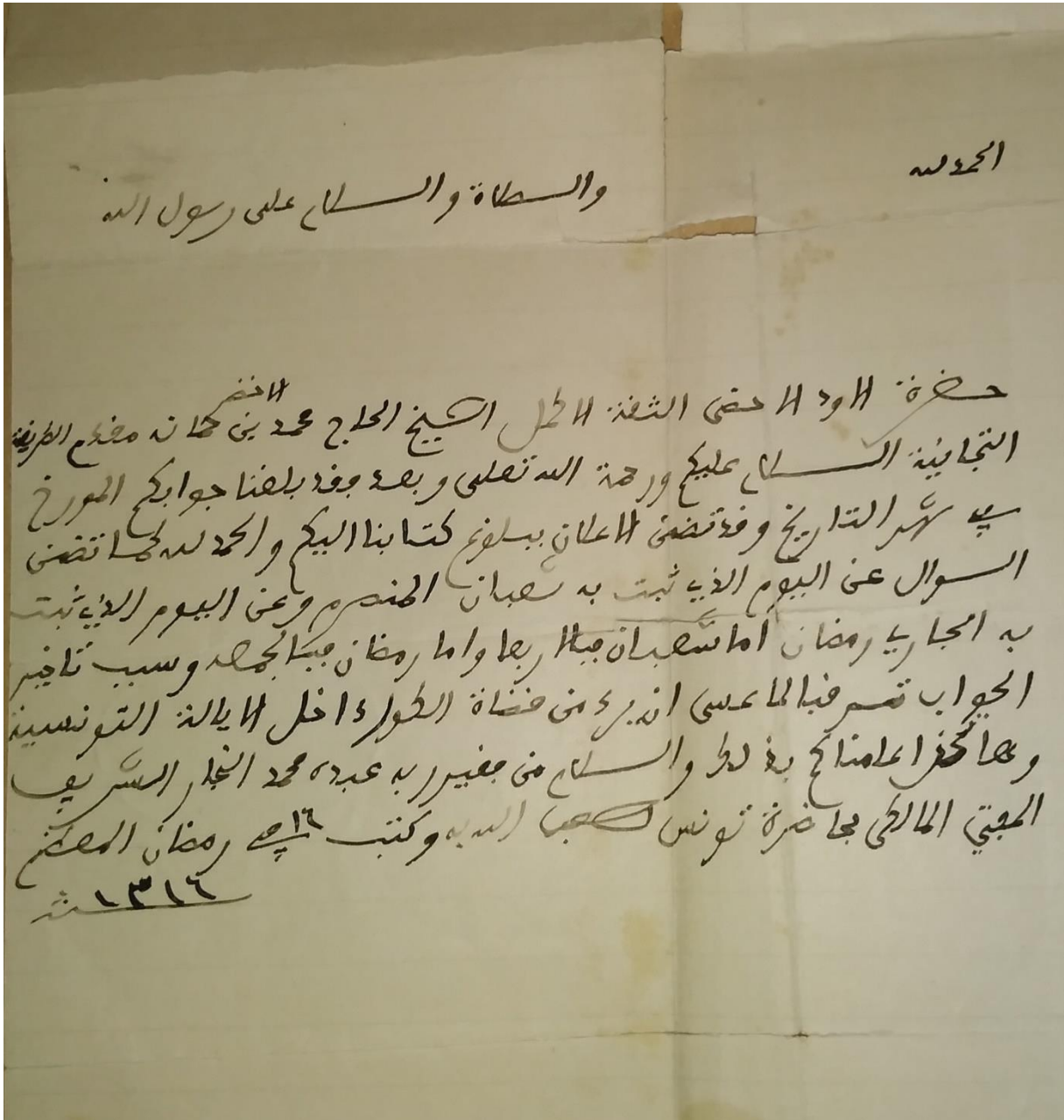
المصدر: غريسي علي: الزاوية التجانية طرنجة، المرجع السابق، ص: 101.

بن العصمة القماري



المصدر: أرشيف الزاوية التجانية بتوزر سلمت لنا من طرف الأستاذ غريسي علي.

الملحق رقم 34: رسالة من محمد النجار الشريف المفتي المالكي بحاضرة تونس إلى الشيخ الحاج محمد الأخضر بن حمادة مقدم الطريقة التجانية بأمدروش بسوق اهراس.



المصدر: خزانة زاوية تماسين، المكتبة الخاصة، دون ترقيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله

ببليوغرافيا عامة

القرآن الكريم:

- سورة الأحقاف، الآية : 30.
- سورة الحج، الآية: 27.
- سورة النساء، الآية: 169.
- سورة النور، الآية: 5.
- سورة طه، الآية: 77 .
- سورة قريش، الآيتين 1، 2.

أولا- الوثائق الأرشيفية:

1- أرشيف خزانة زاوية تماسين التجانية، المكتبة الخاصة:

- رسالة محمد العيد الأول إلى مقدم قفصة محمد بن بلحاج عمر السماوي.
- رسالة من مجهول إلى مفتي الديار التونسية حسن ابن القاضي تدور حول نازلة فقهية.
- رسالة الشيخ إبراهيم الرياجي إلى محمد بن المشري ابن الطاهر بن عبد الصمد يجيزه في الطريقة بناء على طلب والده.
- رسالة عبد الله السوداني مفتي توزر إلى محمود بن المظماطية مقدم زاوية قسنطينة التجانية.
- رسالة من عبد الرحمان الهادفي التوزري إلى الخليفة محمد حمة.
- رسالة من إبراهيم المعلا إلى محمود بن المظماطية.
- رسالة من محمد النجار الشريف المفتي المالكي بحاضرة تونس إلى الشيخ الحاج محمد الأخضر بن حمانة مقدم الطريقة التجانية بأمادروش بسوق اهراس.

2- أرشيف الزاوية التجانية بتوزر

- رسالة من الشيخ محمد حمة التماسيني إلى وكيله بتوزر السيد عمار بن العصمة القماري.

3- أرشيف خزانة زاوية عين اقلال الرحمانية :

- نسخة من جواز سفر الشيخ المختار

- رسالة الشيخ خليفة لابنه المختار وهو في تونس
- إجازة محمد علي الوتري بن ظاهر المدني للشيخ المختار
- إجازة الشيخ عبد الله صالح البنا الحنفي للشيخ المختار
- إجازة محمد عlish للشيخ المختار
- إجازة حسن العدوي للشيخ المختار
- إجازة حسين بن ابراهيم للشيخ المختار
- رسالة المكي بن عزوز إلى شيخه المختار (1-2)
- رسالة أحمد الأمين المدني بن عزوز إلى شيخه المختار (1-2)
- إجازة الشيخ المختار لأحمد الأمين المدني بن عزوز
- رسالة أحمد بن عبد الرحمان السنوسي البسكري إلى الشيخ المختار
- رسالة محمد بن عبد الرحمان الديسي إلى الشيخ المختار
- مخطط إعادة ترميم مسجد زاوية عين اقلال والخبرة الفرنسية المكلفة بذلك

#### 4- الأرشيف الوطني التونسي:

- الأرشيف الوطني التونسي ، السلسلة D "العلبة" 178، الملف 03.
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D ، العلبة 97، الملف 03. الوثيقة: 6.
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D ، العلبة 97، الملف 03، الوثيقة: 5.
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، العلبة 178 الملف 03 الوثيقة 11.
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، العلبة 178 الملف 03 الوثيقة 10.
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، العلبة 178 الملف 03، الوثيقة 3.
- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D: العلبة 97 ، الملف 03، الوثيقة 14.

#### 5- الأرشيف الوطني الجزائري :

- الأرشيف الوطني الجزائري ، دفتر خط همايون، العلبة 17، رقم 56906 ، 1252 هـ.
- الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم رقم 14 ، العلبة 05، حكم رقم 609 بتاريخ 978هـ.
- الأرشيف الوطني الجزائري، دفتر مهم رقم 14، العلبة 05، حكم رقم 39 بتاريخ 979/1/10هـ.
- الأرشيف الوطني، دفتر مهم رقم 15، العلبة 05 ، حكم رقم 180 بتاريخ 979/1/30هـ.

ثانيا -المصادر والمراجع باللغة العربية:

1/ المصادر:

### أ- المصادر المخطوطة:

- 1- التتبعي أحمد ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباح، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر، رقم 1738.
- 2- الرزقي الطاهر علي بن القاسم ، زهر الرياض الباسم في مناقب أستاذنا وقدوتنا الشيخ سيدي الحاج علي بن بلقاسم ، مخطوط بزاوية تماسين .
- 3- السيلة إبراهيم، مباسم أو مباحج الأزهار ودوحة الأفكار ، مخطوط رقم 260، دار الكتب التونسية.
- 4- الطواحني محمد بن خليل ، كناش الطواحني، مخطوط بدار الكتب التونسية، رقم 16647.
- 5- المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية، مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم 1739.
- 6- بن المظماطية محمود ، غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين ، مخطوط بزاوية تماسين.
- 7- مخطوط مجموع به شرح مقصورة بن دريد ومقامات الشيخ حمودة بن عبد العزيز ومقامات الشيخ بوعتور، دار الكتب التونسية، رقم 8635.

### ب- المصادر المطبوعة:

- 8- ابن خلدون عبد الرحمان ، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر دمشق، 1966 .
- 9- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة، تحقيق هيثم جمعة، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 2007.
- 10- ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد 5، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968.



- 11- ابن أبي ضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1989.
- 12- ابن الجوزي عبد الرحمان ، تلبيس إبليس، دار ابن الجوزي، القاهرة ، ط1، 2011.
- 13- ابن الجوزي عبد الرحمان، صفة الصفوة، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، 2009 .
- 14- ابن القاضي أحمد ، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس ، تحقيق محمد بن عزوز، دار بن حزم، بيروت، ط1، 2014.
- 15- ابن القاضي أحمد ، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد أبو النور، دار التراب، القاهرة ، المكتبة العتيقة، تونس، د. ت، ج2.
- 16- ابن حمادوش عبد الرزاق ، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011 .
- 17- ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار الحياة ، بيروت ، لبنان ، د. ت.
- 18- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، د. ت.
- 19- الإدريسي الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ج1، 2002.
- 20- الأصفهاني أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، 1988.
- 21- البكري أبو عبيد الله ، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
- 22- البوني أحمد، الدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تحقيق حفناوي بعلي، دار الكتب للطباعة ونشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 23- التادلي أبو يعقوب (ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة الزجاج الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997.
- 24- التجيني عبد الرحمان ، إيضاح الغميس وأنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس، دراسة وتعليق، العربي بوعمامة و حمدادو بن عمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، ط1، 2013.

- 25- التلمساني بن مصعد ، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مر وتح يحي بوعزيز، منشورات ANEP ط1، 2004.
- 26- التلمساني محمد بن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، منشورات السهل، 2009 .
- 27- التليدي عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان ، الرباط، ط4 ، 2003.
- 28- التمكروتي علي ، النفحة المسكية في السفارة التركية ( 1589 ) ، تحقيق محمد الصالحي ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات ، ط1 ، 2007.
- 29- التتبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات دار الكتاب، طرابلس، ط2، 2000 .
- 30- التونسي محمد ببيرم الخامس ، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، دار صارت، بيروت، ط1، ج1، 1302هـ.
- 31- الجبرتي عبد الرحمان ، عجائب الآثار في تراجم الأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997.
- 32- الجزائري محمد بن عبد القادر ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط2، 1964، ج1.
- 33- الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007.
- 34- الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013.
- 35- الزهار أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، عالم المعرفة ، الجزائر، 2010.
- 36- السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، لبنان ج10، ط1، 1992.
- 37- السنوسي محمد ، مسارات الظريف بحسن التعريف، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994.
- 38- الشعراني عبد الوهاب، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012.

- 39- الشعراني عبد الوهاب ، الطبقات الكبرى، ت ح أسامة عبد العظيم، دار الكتب المصرية، 2013
- 40- الشنقيطي التجاني بن بابا ، منية المريد، دار التجاني للطباعة والنشر والتوزيع، تغزوت، الوادي، الجزائر، 2008.
- 41- الطوسي أبو سراج ، اللمع ، تحقيق وتقديم محمود عبد الحليم وسرور طه عبد الباقي ، دار الكتب الحديثة ، مصر 1960.
- 42- العبدري أبو عبد الله محمد ، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، د.ت.
- 43- العدوان محمد ، تاريخ العدوان، تحقيق أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2005.
- 44- العوامر إبراهيم ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، منشورات ثالثة ، الابيار ، الجزائر، 2007.
- 45- العياشي أبو سالم ، الرحلة العياشية (1660-1663 م)، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، السويدي للنشر، أبو ضبي، الإمارات، ط1، المجلد2، 2006.
- 46- الغبريني أبو العباس أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة التاسعة ببجاية، تحقيق رباح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.
- 47- الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005.
- 48- الفهري أبو حامد محمد العربي بن يوسف ، مرآة المحاسن، دراسة وتحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2008 .
- 49- القشيري ، الرسالة القشيرية ، دار صادر، بيروت، ط3، 2011.
- 50- الققصي المنتصر ، نور الأرماش في مناقب القشاش، دراسة وتحقيق لطفي عيسى، حسين بوجرة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1998.
- 51- القيرواني محمد ، كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، 1986.
- 52- الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات، تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ج1، 1982.

- 53- الكلابادي أبو بكر محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبط و تعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
- 54- الماوردي أبو الحسن، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن تيمية، الكويت، ط1، 1989.
- 55- المقري أحمد، روضة الآس، العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012.
- 56- المقري أحمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن عمر مكتبة الرشاد، الجزائر ، 2004.
- 57- الناصري أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ج1، 2011 .
- 58- الناصري أبو راس ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية العلمية " تحقيق محمد بن عبد الكريم"، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- 59- النيفر محمد، عنوان الأريب، كما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، تحقيق على النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1996.
- 60- الورثياني الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق محمد بن شنب، مطبعة بيار فونتان، الجزائر، 1908.
- 61- الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، ج1 ، 1983.
- 62- الوزير أبو عبد الله ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، المطبعة التونسية، ط1، تونس، 1987.
- 63- إيفالد، رحلة المبشر إيفالد من تونس الى طرابلس في سنة 1835، ترجمة منير الفندري، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991.
- 64- بارت هاينريش ، سبع رسائل مخطوطة لهاينريش بارت عن رحلته إلى تونس 1845-1846، تحقيق منير الفندري، بيت الحكمة، تونس، 1987.
- 65- بن الدين الحاج ، رحلة الأغواطي ، تحقيق وترجمة أبو القاسم سعد الله ، المعرفة الدولية ، الجزائر، 2011 .

- 66- بن المبارك أحمد ، تاريخ قسنطينة ( 1790 - 1870 م )، تحقيق عبد الله حمادي ، نوميديا للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، 2012.
- 67- بن المظماطية محمود ، رجاؤنا لا يخيب في مولانا البشير بن مولانا محمد الحبيب، تعليق علي غريسي، دار الجائزة، القبة، الجزائر، ط1، 2016.
- 68- بن عمار أحمد ، مختارات مجهولة من الشعر العربي، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005.
- 69 - حرازم علي، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبو العباس التيجاني رضي الله عنه ، المطبعة المحمدية بمصر ، ج 1 ، 1318 هـ .
- 70- خوجة حسين ، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق الطاهر العموري، الدار الغربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1975.
- 71- رحلة العالم الألماني أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د. ت.
- 72- زروق أحمد ، قواعد التصوف، ضبط وتعليق محمود بيروتي، دار البيروتي، دمشق ، ط1، 2004.
- 73- ابن تيمية، فقه التصوف، تعليق زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1993.
- 74- طول جان باتيست ، رحلة جديدة إلى أرض المشرق (1731-1732م)، ترجمة عبد الهادي الإدريسي ، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2013.
- 75- كيري ماثيو ، مختصر تاريخ الجزائر، ترجمة علي تابلت، منشورات ثالة، الجزائر، 2013.
- 76- مخلوف محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.
- 77- مرمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، ج 3، 1989.
- 78- مقديشو محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج2، 1988.
- 79- مولود فال التجاني، طوابع السعود في حياة ومناقب غلام التجاني أبي السعود، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ط1، 2008.

### 2/ المراجع العربية والمعربة:

- 80- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق خير الدين شترة، دار كردادة ، بوسعادة، الجزائر ، ط1، 2012، ج1.
- 81- احميدة عميراي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مطبعة البعث ، قسنطينة، د.ت.
- 82- الأخضر لطيفة ، الإسلام الطريقي ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993.
- 83- الإدريسي لحسن السباعي ، حول التصوف و المجتمع، منشورات الإشارة ، دار أبي الرقراق، المغرب ، ط 1، 2007.
- 84- الأرقش دلندة ، بن طاهر جمال ، عبد الحميد الأرقش، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003.
- 85- الإمام رشاد ، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)، السلسلة الرابعة، الجامعة التونسية، تونس، 1980.
- 86- البراجة نصر الله محمد عبد الحميد ، الحركة الصوفية و موقف الإسلام منها، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، د.ت.
- 87- البوعبدلي المهدي ، الحياة الثقافية في الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013.
- 88- البيلي محمد بركات ، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية ، مطبعة جامعة القاهرة، 1993.
- 89- التقتازاني أبو الوفاء الغنيمي ، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط 3، 1979 .
- 90- التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات، منوبة، ط2، 2009.
- 91- التماسيني حقي محمد ، النور والسعادة، تحقيق عبد الغاني مسعودي، دار الجائزة ، القبة، الجزائر، 2018.
- 92- الجابري محمد صالح ، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
- 93- الجبوري نظلة ، فلسفة الوجود في الفكر الفلسفي الإسلامي، وقفات نقدية مقارنة، نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، 2009.

- 94- الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ المدن الثلاث، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007.
- 95- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، ج2، 1995 .
- 96- الحجوجي محمد ، إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، تحقيق سعد الدين كنون، دار الأمان للتوزيع، المغرب، 2011.
- 97- الحسني عبد المنعم، المؤلفات الصوفية في الجزائر، دار الخليل للنشر والتوزيع، ط1، 2005.
- 98- الراشد محمد ، وحدة الوجود من الغزالي إلى ابن عربي، الأوائل، دمشق، 2006.
- 99- الزاوية التجانية تماسين، الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم، مطبعة كوينين، الوادي، الجزائر، ط2، 2008.
- 100- الزبيري محمد العربي، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1975.
- 101- الزمرلي الصادق ، أعلام تونسيون، تعريب وتقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1986.
- 102- السهلي عبد الله بن دجين ، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها و آثارها، دار كنوز اشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط1 ، 2005 .
- 103- الشابي علي، تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2015.
- 104- الشريف محمد الهادي ، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، تعريب محمد الشاوش، محمد عجيبة، دار سراسر، تونس، د. ت .
- 105- الشيخ أبو عمران ، معجم مشاهير المغاربة، مؤسسة صونيام، الجزائر، ط2 ، 2013 .
- 106- الصغير عبد المجيد، تجليات الفكر المغربي دراسة ومراجعات في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 107- الصيد سليمان ، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومه، الجزائر، 1998.
- 108- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2007.

- 109- الطمار محمد ، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 110- الطويلي أحمد ، في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف، سوسة، تونس، د. ت.
- 111- الطويلي أحمد ، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي الجوامع والمدارس و المكتبات، د.ط، تونس، 2000.
- 112- العبدية محمد وطارق عبد الحليم، دراسات في الفرق الصوفية، مكتبة الكوثر، الرياض، د.ت.
- 113- العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 114- العربي اسماعيل ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
- 115- العروسي الصادق بن أحمد ، العرف الرياحيني في ترجمة الحاج علي التماسيني ، مراجعة أحمد العروسي، المطبوعات الجميلة ، الجزائر ، 2015 .
- 116- العقاد صلاح ، المغرب العربي، مكتبة الأنجلو معرية، مصر، ط6، 1993.
- 117- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 118- العموري الطاهر ، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980.
- 119- القادري إبراهيم ، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، ط1، 1995.
- 120- القاسمي الحسني عبد المنعم، المؤلفات الصوفية بالجزائر، دار الخليل، بوسعادة، ط1، 2005.
- 121- القاسمي الحسني عبد المنعم ، الطريقة الرحمانية منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل، الجزائر، ط1، 2013 .
- 122- الكحلوي محمد، الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية الحلاج وابن عربي نموذجاً، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.
- 123- اللولب حبيب حسن، الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، ط1، 2013.
- 124- المباركفوري صفي الدين ، الرحيق المختوم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2007.
- 125- المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر ، عالم المعرفة، الجزائر ، 2010 .
- 126- المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766/1791م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.



- 127- الملحوني عبد الرحمان ، الحكاية الشعبية الصوفية ، شركة بابل للطبع ، الرباط ، ج2 ، 2000.
- 128- المهدي محمد عقيل ، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الحديث، ط2، 1993 .
- 129- الملي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، 1989.
- 130- الناضوري رشيد ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار النهضة العربية، 1969.
- 131- النبال، محمد بهلى، الحقيقة التاريخية للتصوف، دار آفاق للنشر تونس، ط2، 2013.
- 132- أمين أحمد ، فجر الإسلام، دار الكتب العربية، ط2، 2006.
- 133- براهيم محمود، العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري 1788-1859، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- 134- بريح محمد الحافظ وآخرون ، قصر تماسين القديم وأهم معالمه الأثرية ، دراسة تحليلية ومعمارية ، بلدية تماسين، 1995.
- 135- برشفيك روبير، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى القرن15م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط1، 1988.
- 136- بسكر محمد، الإنتاج المعرفي لمدينة القسنطينة، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، المجلد1، 2015.
- 137- بعلي حفاوي ، الرحلات الحجازية المغاربية في البلد الحرام، دار اليازوري العلمية، عنابة، الجزائر، 2018.
- 138- بكر علاء ، مختصر تاريخ التصوف، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2012.
- 139- بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- 140- بلغيث محمد أمين، الشيخ محمد بن عمر العدواني، مؤرخ سوف الطريقة الشاذلية، دار كتاب الغد، جيجل، الجزائر، ط2، 2007 .
- 141- بن خليفة علي ، العرف الشاذلي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني ، مطبعة دار الجائزة ، القبة ، الجزائر ، ط1 ، 2015.
- 142- بن عاشور محمد الطاهر ، أليس الصبح بقريب، المعرف التونسي للطباعة، 1967.

- 143- بنعبد الله عبد العزيز ، معلمة التصوف ، دار المعرفة ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، ج1، 2001 .
- 144- بوزبة محمد، مشاهير التونسيين، دار سراس، تونس، ط2، 1992.
- 145- بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.
- 146- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر، الجزائر، ج2، 2009 .
- 147- بوعزيز يحي ، الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، الحياة الروحية للأمير عبد القادر، موفم للنشر، الجزائر، 2011.
- 148- بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، ج2، 2009.
- 149- بوعزيز يحيى ، مساجد وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985.
- 150- بونشادة عبد اللطيف، سير أعلام قسنطينة، دار الموعظة، قسنطينة، الجزائر، 2016..
- 151- بوعيايد محمود ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 152- تجاني أمينة ، مقارنة سيميائية للثلاثية العرفانية، الدويحة، المسيحة، السبيحة، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2019.
- 153- تركي محمد إبراهيم ، التصوف الإسلامي، أصوله و تطوراته، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط، 2007.
- 154- ثامر الحبيب ، هذه تونس، مطبعة الرسالة، د. ت.
- 155- جاد الله منال عبد المنعم ، التصوف في مصر والمغرب، دار المعارف، الإسكندرية، 1977 .
- 156- جلاب حسن ، بحوث في التصوف المغربي، المطبعة الوطنية، مراكش، ط1، 1995.
- 157- جلال يحي ، تاريخ افريقية الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة ، الإسكندرية ، 1999.
- 158- جوهر حسن محمد ، تونس، دار المعارف، مصر، 1961.
- 159- حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية في المغرب خلال القرنين ونصف قبل الحماية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1994.

- 160- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2011.
- 161- حركات إبراهيم ، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15م، دار الرشاد، دار البيضاء ،ج3، 2000.
- 162- حسني حسن عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، 1983.
- 163- حسني حسن عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، ط1، ج3، 1940 .
- 164- حسين محمد الخضر، تونس وجامع الزيتونة، تحقيق علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، دمشق، سوريا، 1971.
- 165- حوراني ألبرت ، تاريخ الشعوب العربية، تعريب أسمر صقر، دار طلاس، دمشق، ط1، 1997.
- 166- دبوز محمد علي ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، ج1، 1971.
- 167- دحدوح عبد القادر ، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، قسنطينة ، ط 1 ، 2005 .
- 168- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- 169- دوکالي رشيد ، مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، ترجمة لطيفة بوراية و شفيقة عيساني، موفم للنشر، الجزائر، 2013.
- 170- زيبب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، ط1، ج2، 2005 .
- 171- زوزو عبد الحميد ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، موفم للنشر، الجزائر، 2009.
- 172- ساهي أحمد ، أعلام من زاوية ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، ج 1 ، 2013.
- 173- سبينسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.
- 174- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، المجلد2، ج5، 2005.

- 175- سعد الله أبو القاسم ، افكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 176- سعد الله أبو القاسم ، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، حياته وآثاره، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 2005.
- 177- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 2005، ج1، ج2. ج3، ج4، ج9.
- 178- سعد الله أبو القاسم ، رائد التجديد الجزائري محمد ابن العنابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
- 179- سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005.
- 180- سعد الله أبو القاسم ، قضايا شائكة، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1990.
- 181- سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 182- سعيدوني ناصر الدين، الشرق الجزائري بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013.
- 183- سعيدوني ناصر الدين ، بوعبدلي المهدي ، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984.
- 184- سعيدوني ناصر الدين ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1988.
- 185- سعيدوني ناصر الدين ، ولايات الغرب العثمانية، الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، البصائر، الجزائر، 2013.
- 186- سكاتولين جوزيبي وأحمد حسن أنور، التجليات الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008.
- 187- سكيرج أحمد، كشف الحجاب عن من تلاقي مع الشيخ التجاني من الأصحاب، المطبعة المهدية، المغرب د. ط، 1961.
- 188- سلطان عبد المحسن ، التصوف الإسلامي في مراحل تطوره، دار الآفاق العربية، 2003.
- 189- شترة خير الدين ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، (1900-1956م)، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009.

- 190- شرف محمد بن جلال ، دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات و مذاهب ، دار النهضة العربية، 1984.
- 191- شقور عبد السلام، المناظرات و الإنشادات في رحلات المغاربية الحجازية، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ.
- 192- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2009.
- 193- شميل أناماري ،الأبعاد الصوفية في تاريخ الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة إسماعيل السيد و رضا حامد قطب، منشورات الجمل ، بغداد ، ط1، 2006.
- 194- ظهير إحسان الهي ، التصوف المنشأ و المصدر، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986.
- 195- ضيف بشير، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، دار ثالة، الجزائر، ط2، 2007.
- 196- عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المنقذ من الضلال ، دار المعارف ، ط5، 2003.
- 197- عبد السلام أحمد ، المؤرخون التونسيون في القرون 18،17، 19، ترجمة أحمد عبد السلام، عبد الرزاق الحليوي، بيت الحكمة، قرطاج، 1993.
- 198- عبيد بوداود ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م) ، دار الغرب، وهران، 2003.
- 199- عشراطي سليمان ، العالم الاسلامي خلال القرنين 18م،19م، دار الغرب للنشر، الجزائر، 2004.
- 200- غريسي أحمد ، العلامة الشيخ حمدان لونيبي التجاني القسنطيني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2018.
- 201- غريسي علي ، الزاوية التجانية طرنجة تونس، دار الجائزة، القبة ، الجزائر، 2018.
- 202- غريسي علي ، الطريقة التجانية في الجنوب التونسي، أعلامها- زواياها، مطبعة كوينين، الوادي، الجزائر، ط1، 2014.
- 203- غريسي علي ، زاوية باب المنارة من التأسيس إلى التجديد، مطبوعة سلسلة الزوايا الطريقة التجانية، تماسين، العدد3، جويلية، 2010.

- 204- غنابزية علي ، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (19م)، مطبعة الرمال، 2019.
- 205- فايست أوجين، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي(1792-1873)، ترجمة صالح نور، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2010.
- 206- فتحي زغندة ، الطريقة السلامية في تونس أشعارها وألحانها، بيت الحكمة تونس، 1991.
- 207- فهيم حسين محمد ، أدب الرحلة، عالم المعرفة، الكويت، 1989.
- 208- فؤاد عبد الفتاح أحمد ، فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2001.
- 209- قادري عبد الحميد ، التعريف بوادي ريغ، الآمال للطباعة، الوادي، ط1، 1999.
- 210- قنديل فؤاد ، أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب ، القارة، ط 1، 2000.
- 211- كحول عباس، زوايا الزيبان العزوزية، دار علي بن زيد للطباعة، بسكرة، الجزائر، 2013 .
- 212- كيوه محمد علي ، صفو المقال في شرح جوهرة الكمال ، دار الجائزة ، القبة، الجزائر ، 2018 .
- 213- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009 .
- 214- ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط 1، 1984.
- 215- مجموعة من المؤلفين، التصوف السني ببلاد المغرب، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط2، 2013.
- 216- بن بريكة محمد ، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، دار المتون، الجزائر، ط1 ، ج 1، 2006.
- 217- مريوش أحمد وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 218- مغنية محمد جواد ، معالم الفلسفة الإسلامية، نظرات في التصوف والكرامات، مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1982.
- 219- مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مطبعة الوليد، الوادي، الجزائر، د.ت.

- 220- مهيريس مبروك ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- 221- موهوبي عبد القادر ، تحفة الأولاد في سند الأجداد ، مطبعة بن سالم ، الأغواط ، ط1، 2009 .
- 222- موهوبي عبد القادر ، وصفات تاريخية واجتماعية في تاريخ وادي ريغ ، دار البصائر، الجزائر ، ط1 ، 2011.
- 223- مياسي إبراهيم ، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010.
- 224- نايت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، دار الأمة، الجزائر، ج2، 2008 .
- 225- نسيب محمد ، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ت.
- 226- نواب عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1996.
- 227- نوار أحمد ، أعلام وأعمال علماء الرياضيات والفلك بالمغرب العربي من القرن التاسع الى القرن التاسع عشر، قسنطينة، 2002.
- 228- نوار صلاح الدين محمد ، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، 1996.
- 229- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، د.ت.
- 230- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
- 231- هبة الله محمد ، العلاقات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2013.
- 232- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
- 233- هلال عمار، الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، 1982.

234- هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية ط2، 2010.

### 3/ الدوريات:

#### أ- الدولية:

- 235- الإمام رشاد ، سياسة حمودة باشا الحسني في تونس (1782-1814)، المجلة التاريخية المغربية، العهد الحديث والمعاصر ، العدد السادس، تونس، جويلية/ يوليو، 1976.
- 236- التليلي العجيلي، الوضع الطرقي بالجريد في النصف الثاني من القرن 19م، المجلة التاريخية المغربية، العدد 75-76، ماي 1994.
- 237- الشابي علي ، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية، العدد 13، 14، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، فيفري 1979.
- 238- الشبوكي محمد يوسف ، مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، 2002.
- 239- بن محمود محمد المختار ، جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها إنتاجا، المجلة الزيتونية، المجلد2، الجزء3، تونس، 1358 هـ/ 1937 م .
- 240- لغويني أمين ، مفهوم التصوف في علاقته بالتخلق عند الشاطبي و ابن خلدون ، مجلة قوت القلوب المملكة المغربية، ع 1، 2012.
- 241- لنوار مريضة، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، العدد34 ، آب، 2017.

#### ب- الوطنية:

- 242- الأعرج عبد الرحمن، الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، دورية علمية محكمة، العدد 2، جانفي 2015.
- 243- البوعبدلي المهدي ، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الاصاله، العدد 11، نوفمبر/ديسمبر 1972.



- 244- الزاوية التجانية تماسين، رسائل الإمام التماسيني وخلفائه في توطيد أوامر الأخوة والمحبة بين الشعبين الشقيقين الجزائري والتونسي، سلسلة رسائل الشيخ الأكبر وخلفائه، العدد 2، أوت 2007.
- 245- بلبروات بن عتو، الإصلاح الثقافي للباي محمد الكبير بمدينة معسكر، حولية المؤرخ، العدد 413، 2005 .
- 246- بوضرساية بوعزة: المؤرخ التونسي أحمد ابن أبي الضياف وموقفه من الاحتلال الفرنسي للجزائر وانعكاساته على الوضع الداخلي 1830 "مجلة الثقافة، مارس 1995، وزارة الثقافة الجزائر.
- 247- بوعزيز يحيى ، الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية ، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 2، أبريل 1996.
- 248- بيشي محمد عبد الحليم ، الشيخ عاشور الخنقي آثاره ومعاركه الفكرية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 05، العدد 1، السنة 2020،
- 249- سعد الله أبو القاسم ، عنابة في رحلة الأمير الألماني موسكاو، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 39، 1977.
- 250- سعد الله أبو قاسم، بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني (1830-1518)، مجلة البصائر، العدد 81، (28جانفي- 4 فيفري) الجزائر، 2002.
- 251- سعيدوني ناصر الدين ، ورقة ومنطقها في العهد العثماني، مجلة الأصالة ، العدد 41، 1977.
- 252- سعيدوني ناصر الدين ، مذكرة حول إقليم قسنطينة Notice sur la province de constantine ، مجلة الأصالة، العدد 71/70 جوان 1979.
- 253- عزوزي حسن، التأليف في القراءات في المغرب والأندلس، مجلة الحضارة الإسلامية، 1993.
- 254- غلام الله بوعبد الله ، القراء ومدارس الإقراء في الجزائر ، مجلة رسالة المسجد ، العدد 5، السنة 2005.
- 255- مزيان عبد المجيد، المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة التاريخ، العدد 2، الجزائر، 1986.

- 256- مسعود العيد، المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا، ع10، 1988.
- 257- مياسي إبراهيم، الدور التعليمي لزاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف، حولية المؤرخ، العدد1، 2002.
- 258- وزارة الإعلام والثقافة، مجلة الثقافة، العدد 63، الجزائر، 1981.

### 4/ الرسائل والأطروحات:

#### أ- أطروحات الدكتوراه:

- 259- بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19 م) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2007/2008.
- 260- دجاج فاطمة، مجتمع الأغواط خلال القرن 19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2018-2019.
- 261- صحراوي عبد القادر ، التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية مابين القرنين السادس عشر والثامن عشر، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2009.
- 262- مكحلي محمد ، ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827م ، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2003-2004.

#### ب- رسائل الماجستير:

- 263- الجفالي يوسف ، الجالية الجزائرية بجهة الكاف من 1881-1929، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس 1992-1993.
- 264- السمراني صالحة ، الطريقة القادرية في المغرب العربي تونس والجزائر أنموذجا، رسالة ماجستير جامعة الزيتونة، تونس، 2007-2008.
- 265- الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993/1994.

- 266- بن حيدة يوسف ، الطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب ودورها في نشر الوعي والإخاء و التضامن الاجتماعي، رسالة ماجستير، غير مطبوعة، جامعة سيدي بلعباس، 2010-2011.
- 267- تلمساني بن يوسف، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1997-1998 .
- 268- جراد المهدي ، عائلة الجلولي من النصف الثاني من ق 18 إلى 1830، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة 9 فبراير ، تونس، 2000-2001.
- 269- فيلالى السايح، العلاقات السياسية الجزائرية التونسية 1792-1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 1997-1998.
- 270- يوسفى الطيب، الحضور الاجتماعي و السياسي للطرق الصوفية في الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015.

### 5 / أعمال الملتقيات

#### أ- الدولية:

- 271- الأرقش دلندة، "جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية بإيالة تونس"، أعمال المؤتمر العالم الثالث للدراسات العثمانية حول الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، الجزء 1 و2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق و المعلومات ، رغوان، تونس، 1990.
- 272- البوعبدلي المهدي ، الثقافة والتوجيه بالجزائر، أشغال مؤتمر الفكر الإسلامي، الجزائر، 1970.
- 273- بوصفصاف عبد الكريم ، التصوف في الجزائر المدارس و الفروع ، منشورات جامعة أدرار، مطبعة غرداية، ع1، الملتقى الدولي 11 التصوف في الإسلام و التحديات المعاصرة، ج1، 2008/ 2009 .
- 274- عقبة السعيد ، جوانب من الحياة الفكرية، الملتقى الدولي الثاني للطريقة التجانية حول الخطاب الصوفي التجاني زمن العولمة، زاوية قمار، الوادي، 2008.

275- كحول عباس، الجريد التونسي القاعدة الخلفية للزوايا العزوية و المقاومة الوطنية في الجنوب الشرقي الجزائري، الملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، أكتوبر 2014.

### ب/ الوطنية:

- 276- الحاج موسى بشير بن موسى، الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب، الأيام الدراسية العلمية من الشيخ عمي سعيد 927هـ/1521م إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد ت 1425هـ/ 2005م ، مؤسسة الشيخ عمي سعيد.
- 277- الجمعية التاريخية الوفاء الشهيد تقرت، أعمال الملتقى الثالث فترة حكم بني جلاب لمنطقة وادي ريغ ، الآمال للطباعة ،الوادي، ط1 ، 1999.
- 278- طيبي محمد ، التصوف الإسلامي الجزائري، الملتقى الوطني الأول، أمجاد الصوفية، مديرية الثقافة، عين تموشنت، دار الكتاب العربي، ط1، 2010.
- 279- مفتاح عبد الباقي، التعريف بالزاوية التجانية بقمار، الندوة الفكرية الثانية للشيخ عبد القادر الياجوري، قمار 9-11 أكتوبر 2001.

### 6- المعاجم والموسوعات:

- 280- أبادي الفيروز ، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.
- 281- ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ،دت، المجلد1.
- 282- الحموي ياقوت ، معجم البلدان، دار صارت، بيروت، ج5، 1957.
- 283- الحنفي عبد المعنم، الموسوعة الصوفية، دار الرشاد، الاسكندرية، دس، ص: 345 .
- 284- الحنفي عبد المنعم، موسوعة الطرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، ط1، 1993.
- 285- الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، دت، د.ط، ج10.
- 286- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، دار الكتب الخديوية، مصر، 1915، ج1.

- 287- حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، ج4، 1996.
- 288- حربي ممدوح، موسوعة الفرق و المذاهب و الأديان المعاصرة ، ألفا للنشر و التوزيع، مصر، ط 1، 2010.
- 289- حميش عبد الحق، بوكراع محفوظ، موسوعة تراجم علماء الجزائر "علماء تلمسان وتوات"، دار زمورة ، الجزائر، 2011.
- 290- عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، المجلد1، 2008.
- 291- كحالة عمر، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993، ج3.
- 292- مسعود جبران ، الرائد، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992.

### 7/ الشبكة العنكبوتية:

- 293- اليوسف عبد الله أحمد، منهجية الدكتور الفضلي في صناعة التقرير.
- Index.phx,www.arabia.com تاريخ الدخول 2019/11/05 على الساعة 22:35.
- 294- المناعي التونسي: W.W.W.mawsouaa تاريخ الدخول 2020 /02/12 الساعة 18:44
- 295- محمد العربي الكبادي:W.W.W.mawsouaa 26-03-2020 . تاريخ الدخول على الساعة 11:55.

### ثالثا- المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

#### 1/ المصادر:

- 296-André(C.R), confrériés religieuses , musulmanes, editions la maison des livres , alger .
- 297-Danty.(p).description général de l’Afrique. Paris. 1960.
- 298-Dapper (.o). description de l’Afrique . Amsterdam. 1665.
- 299-Laurgier de tassy , Histoire du royaume d’Alger, Amsterdam , paris ,1728
- 300-Louis rinn ,marabouts et khoins, etude sur lislam en Algérie adolphe jourdan,libraire, editeur ,Alger,1884.

301–Octave depont et xavier coppolani ,les confreries religieuses musulmanes, adolphe jourdan imprimeur,libraire,Alger,1897.

302–Poiret ( A.) voyage en Barbarie , paris, 1789 .

/2 المراجع:

303– Ahmed Abdesselam ,les historiens des 17,18 et 19eme siècle ,librairie klincksieek ,printed ,1973 .

304– Ben tounes Cherif khaled, le soufisme cœur de L’Islam , elalamin, setif, 1997 .

305–Kamel filali, l'Algérie mystique des marabouts fondateurs au khwan insurgés 15eme–19 ,editions publisand , paris 2002.

306– Nicolas de micolay. Les quatre premiers livre de navigation orientale , lion ,1968.

307– Raymand . (A) .Grandes ville à L’époque ottomane ,paris , 1985.

308–E. Carette ,origine et migrations des principales tribus de l’Algérie ,imprimerie impériale , paris, mdcccl.

309 –Emerit .(M) .undocement inédit sur Alger au 17 eme siècle .Alger . 1959.

/3 الدوريات:

310– Arnaud( L),histoire de louali sidi Ahmed et–tedjani, R A ,n°5, adolphe jourdan,libraire, editeur ,Alger , 1861.

311–monneran et berbrugger,Topographies et histoire générale d’Alger.. R .A . n°15 adolphe jourdan,libraire, editeur, 1871.

312– Devoux (A), notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d’ Alger, R.A, n° 05 adolphe jourdan,libraire, editeur 1861.

313–Feraud (L) . epoque de l’établissements des turcs à Constantine R.A . adolphe jourdan,libraire, editeur n°10, 1866 .

314–Feraud (L). Tournée dans la province de Constantine . R A, n°12 adolphe jourdan, libraire, editeur, 1868.

315–S, Notes chronologiques pour l’histoire de Constantine, . R A , n° 39, Adolphe Jourdan, libraire, Edition ,Alger, 1895 P : 164–172.

316–Mohamed abd el moula, l’université zaitounienne et la société tunisienne, . thèse de doctorat 3eme cycle en sociologie, Tunis, 1991.

فخرنا

الأعلام



## فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم صمادح: 266  
 إبراهيم معلا: 311، 312، 320، 323  
 ابن أبي الشرف: 141  
 ابن الباجي: 88  
 ابن العنابي: 152، 163، 164، 166،  
 169، 170  
 ابن القيم الجوزية: 187، 197  
 ابن الكماد: 21  
 ابن المفتي: 166  
 ابن تيمية: 19، 187، 193، 197  
 ابن زكور: 59، 104  
 ابن سعيد الباجي: 135  
 ابن سعيد: 48  
 ابن سينا: 196  
 ابن عربي: 196، 198، 200  
 ابن عرفة الفلشاني: 18، 22، 27، 122  
 ابن قنفذ القسنطيني: 21  
 ابن محجوبة: 129  
 ابن مرزوق الحفيد: 22  
 ابن مريم التلمساني: 63  
 أبو إبراهيم أحمد بن محمد: 94  
 أبو الحسن الجزيري: 108

إبراهيم الأخضرى الطولقي: 24، 26  
 إبراهيم التازي: 214  
 إبراهيم الجمني: 49، 127، 158  
 إبراهيم الحسناوي التونسي: 26.  
 إبراهيم الرياحي: 57، 136، 152، 159،  
 227، 248، 285، 286، 287، 288،  
 289، 296، 300، 301، 310، 326،  
 327  
 إبراهيم الزواوي: 24  
 إبراهيم السوداني: 309، 310، 311،  
 312  
 إبراهيم السائلة: 148، 163  
 إبراهيم الشريف: 237  
 إبراهيم الشريف: 36  
 إبراهيم الغرياني: 157، 167، 168  
 إبراهيم الفلاري: 157، 174  
 إبراهيم بن حاجي: 155، 156  
 إبراهيم خوجة: 35

|                                      |                                      |
|--------------------------------------|--------------------------------------|
| أبو زيد القيرواني: 76                | أبو الحسن الشاذلي: 203، 213          |
| أبو سراج الطوسي: 187                 | أبو الريحان البيروني: 187            |
| أبو عبد الرحمان النقاوسي البجائي: 22 | أبو الطيب: 155، 156                  |
| أبو عبد الله الأبي: 18، 24           | أبو العباس التلمساني: 147            |
| أبو عبد الله الحفصي: 27، 28          | أبو العباس السبتى: 202               |
| أبو عمر عثمان: 17، 25.               | أبو الغيث القشاش: 165، 167، 233      |
| أبو مدين شعيب: 26، 50، 73، 75،       | أبو الفضل النحوي: 125                |
| 200، 203، 204، 2015، 244.            | أبو الفضل: النفطي: 92                |
| أبو نصر الطوسي: 213                  | أبو القاسم البرزلي: 18، 22، 23، 129، |
| أبو يحيى زكرياء: 32                  | 136                                  |
| أبو يعقوب الزغبى: 18، 22، 23، 24     | أبو القاسم الرحموني: 240             |
| أحمد الاصرم القيرواني: 159           | أبو القاسم القسنطيني: 23             |
| أحمد الأغريسي: 152                   | أبو القاسم القيرواني: 26             |
| أحمد الأمين بن عزوز: 255، 256،       | أبو القاسم سعد الله: 138             |
| 258، 259، 260، 265                   | أبو القاسم محمد البجائي: 145         |
| أحمد البجائي: 17، 24                 | أبو بكر الشريف: 237، 293             |
| أحمد البوني: 46، 147                 | أبو تاشفين: 28                       |
| أحمد التجاني: 148، 160، 221، 251،    | أبو حمو موسى: 18، 28                 |
| 276، 277، 278، 280، 281، 282،        | أبو راس الجنلي: 88                   |
| 283، 284، 285، 286، 288، 289،        | أبو راس الناصري: 73، 74، 79، 102،    |
| 294، 296، 297، 299، 300، 301،        | 104، 131، 132، 133، 134، 136،        |
| 3030، 304، 305، 307، 310،            | 137، 139، 163، 165، 174              |

|                                       |                                 |
|---------------------------------------|---------------------------------|
| أحمد النيفر : 319، 320                | 311، 313، 316، 320، 321، 323،   |
| أحمد الونشريسي : 17                   | 325، 328                        |
| أحمد برناز : 46، 51، 158              | أحمد الحسن كرزاز : 220          |
| أحمد بن الحسين : 231                  | أحمد الريغي : 88                |
| أحمد بن الشقير : 35                   | أحمد الزروق : 162، 163          |
| أحمد بن المعطار : 152                 | أحمد الزروق : 187               |
| أحمد بن سحنون : 104                   | أحمد الزريبي : 125              |
| أحمد بن عمار التغزوتي : 290، 308      | أحمد الزكيزكي : 55              |
| أحمد بن عمار : 104، 139، 148،         | أحمد الزواوي : 219              |
| 163، 166، 170، 171، 172، 174          | أحمد الشابي : 221، 2333         |
| أحمد بن محمد : 21                     | أحمد الشبلي : 35                |
| أحمد بن مخلوف : 104                   | أحمد العباسي : 151              |
| أحمد بن نفيس : 126                    | أحمد الغبريني : 137             |
| أحمد بن يوسف الملياني : 214، 217،     | أحمد الغربي : 25                |
| 219                                   | أحمد الفاسي : 54                |
| أحمد بوحجر : 226، 241                 | أحمد القسنطيني : 150            |
| أحمد بودكري : 55                      | أحمد القسنطيني : 17             |
| أحمد خوجة : 97                        | أحمد المجذوب : 130              |
| أحمد شوشان : 312                      | أحمد المدني : 252               |
| أحمد عبد الرحمان السنوسي البكري : 265 | أحمد المقرئ : 10، 63، 104، 118، |
| أحميدة الغربي : 331                   | 119، 120، 139، 145، 166،        |
| الإدريسي : 58                         | 298                             |

- أسد بن الفرات: 96
- اسماعيل التميمي: 170، 285
- الإمام المنزلي: 224، 237
- الأمير أحمد باي التونسي: 224، 233
- الأمير عبد القادر: 60، 73، 170، 216، 294
- أمير محمد: 155، 156
- (ب)
- بابا عروج: 30، 31، 32، 214
- الباي حسين التونسي: 80، 286، 292، 317
- الباي محمد الصادق: 229
- الباي مراد التونسي: 36، 98
- الباي مصطفى التونسي: 286
- بربروس: 30
- البشير الأول: 248
- البكري: 47
- بلحسن اليوسفي: 240
- بلكين بن زيري: 65
- بن مصعد التلمساني: 11
- بن يوسف الحنصالي: 219
- بول قافارال: 45
- بيرم الخامس: 153
- (ت)
- التجاني بن بابا الشنقيطي: 247، 290
- التليلي: 75
- التمكروتي: 50، 58، 105
- (ج)
- الجمالي: 151
- الجنيد: 190، 298
- الجزيري التونسي: 164
- (ح)
- الحاج أحمد باي: 211
- الحاج العجيمي: 229، 308، 309
- الحاج علي التماسيني: 55، 57، 69، 160، 222، 227، 228، 246، 246، 247، 248، 250، 251، 279، 280، 281، 282، 283، 287، 290، 291، 292، 294، 296، 306، 307، 308، 309، 310، 312، 314، 316، 318، 319، 320، 325، 326، 331
- الحاج عمر بن سليمان الزواوي الجزائري:
- 228، 282، 307، 310، 325، 326
- حامد التوزري: 303

- الحفناوي: 166
- الحلاج: 196
- حمدان لونيبي: 172، 173
- حمزة المغربي: 141
- حمودة المقايبي: 150
- حمودة باشا: 33، 37، 107، 126،  
137، 139، 223، 224، 285
- حمودة بن عبد العزيز: 108، 130،  
148، 171، 172
- حميدة بن علي التماسيني: 293
- (خ)
- خليفة بن بلقاسم: 253
- خليفة بن حسن القماري: 57، 75، 149
- خليل بن هارون الصنهاجي: 22
- خير الدين: 30، 31، 32، 35
- الخيراني: 153
- (د)
- الداي شعبان: 35، 158
- الداي مصطفى: 36، 102
- درغوث باشا: 32
- (ر)
- رجار: 55
- الحبيب الجنحاني التونسي: 121
- حسن أغا: 52
- الحسن البصري: 187، 193
- حسن الترجماني: 130
- حسن الشريف: 149
- حسن العدوي: 261
- حسن القسنطيني: 21
- حسن الوزان: 58
- حسن الوزان: 62
- حسن بن القاضي: 331، 332
- الحسن بن رشيق: 85
- حسن بوكبال: 154
- حسونة الصباغ: 149
- الحسين الورثيلاني: 122، 123، 124،  
125، 126، 127، 128، 130، 131،  
139، 148، 149، 158، 163، 174
- حسين بن براهيم: 261
- حسين بن علي: 33، 34، 36، 48،  
107، 139، 149، 157، 159
- الحسين بن عمر الطولقي: 153
- حسين خوجة: 145، 147
- حسين داي: 101

- الرصاع: 23، 24، 100
- (ز)
- زكرياء اللحياني: 29
- الزليدي التونسي: 143
- الزياني: 48، 102
- (س)
- سالم الأعرج: 241
- سالم الجبالي اليفريني: 228
- السائح حقي التجاني: 248
- سعدوني الفرجيوي: 219
- سعيد المقرئ: 118
- سعيد قدورة: 157، 158، 166
- سفيان الثوري: 187
- سليم الأول: 31
- سليم الثاني: 35
- سليمان القانوني: 35
- سنان باشا: 33
- سيدي الشيخ: 219، 277
- سيدي سالم: 125
- (ش)
- الشريف النجار: 145
- شعبان الأندلسي: 99
- الشقراطيبي: 93، 126
- الشيبي القيرواني: 22
- الشيخ العواد التونسي: 26
- الشيخ المناعي: 227، 297
- الشيخ النفطى: 248
- الشيخ معمر: 292، 293، 311
- (ص)
- الصادق بلحاج: 241
- صالح الكواش: 130، 136، 149،  
150، 285
- صالح باي: 101، 219، 278
- صالح رايس: 30، 61
- الصفاقسي: 98
- (ط)
- الطاهر بن الصادق: 159، 277، 288،  
286، 295، 296
- الطاهر بن مسعود، 149، 285
- (ع)
- عاشور الخنقي: 263
- عبد الحفيظ الخنقي: 241، 242، 243
- عبد الرحمان ابن الإمام: 18

عبد القادر الجليلي: 69، 197، 215،  
216، 239.  
عبد القادر الراشدي: 104، 148  
عبد القادر الفاسي: 57، 125  
عبد الكريم الفكون: 104، 116، 143،  
146، 157، 166، 167، 168، 174  
عبد الكريم المغيلي: 17  
عبد الله البجيري: 27  
عبد الله التونسي: 26، 27  
عبد الله الجليلي: 49، 64  
عبد الله السمان: 277  
عبد الله السوداني: 328، 329  
عبد الله السوسي: 130، 133، 164  
عبد الله الشريف: 131  
عبد الله المغراوي: 69.  
عبد الله النفطي: 308  
عبد الله بن الحجاب: 93  
عبد الله بن المبارك: 199  
عبد الله بن المغوفل: 144  
عبد الله بن غانم الدراجي: 152  
عبد الله صالح البنا: 262  
عبد المؤمن بن علي: 16، 2001

عبد الرحمان ابن خلدون: 19، 27، 28،  
136، 187، 193  
عبد الرحمان الأخضرى: 49، 103،  
143، 175، 176، 177، 178  
عبد الرحمان الأزهرى: 217، 240، 241  
عبد الرحمان الأنصاري: 95  
عبد الرحمان الباش تارزي: 104  
عبد الرحمان الثعالبي: 22، 23، 24،  
75، 76، 203، 214  
عبد الرحمان الجامعي: 47  
عبد الرحمان الخليفوني: 50، 159  
عبد الرحمان الديسي: 263، 268  
عبد الرحمان اليلولي: 72  
عبد الرحمان بن الدباغ: 90  
عبد الرزاق بن حمادوش: 148، 166،  
175  
عبد السلام التونسي: 26  
عبد السلام بن مشيش: 216  
عبد الصمد الشابي: 231، 234  
عبد العزيز الثميني: 149  
عبد العزيز الفراني: 89

- علي باشا: 32، 34، 95، 107، 128،  
 139، 292، 314، 315، 316، 322  
 علي باي الثاني: 99، 149،  
 علي باي: 33، 35، 48  
 علي بن الحملوي: 244  
 علي بن حسين: 107  
 علي بن زياد: 96  
 علي بن عمار المنزلي: 239  
 علي بن عمر: 241، 242  
 علي بن عيسى المغربي: 218، 240  
 علي بنعثمان: 246  
 علي حرازم: 281، 285، 288، 289  
 علي عزوز: 91  
 عمار بن العصمة القماري: 321  
 عمر السماوي: 311  
 عمر العلاني القيرواني: 247، 248،  
 292، 316، 323  
 عمر المحجوب: 285  
 عمر المسراتي: 22  
 عمر الوزان: 103  
 عمر بن المؤدب: 149  
 عمي سعيد الجربي: 142
- عبد الواحد الرماني: 48  
 عبد الواحد الغرياني: 24  
 العبدري: 87  
 العبدوسي: 23  
 عثمان التوزري: 55  
 عثمان الكعاك: 121  
 عثمان النفطي: 248  
 عثمان باي: 99  
 عثمان داي: 33  
 العربي القيرواني: 55  
 العربي الكبادي: 251  
 العربي بن عطية: 152  
 عرفة الشابي: 221، 231  
 عقبة بن نافع: 93، 96  
 علي أحمد بن صولة: 50، 158  
 علي البسكري: 245  
 علي الجزائري: 149  
 علي الحفاف: 153، 160، 165  
 علي السوداني: 247، 290، 292  
 علي الشابي: 236  
 علي النوري: 89، 162



- العياشي: 48، 52، 54، 57، 69، 104
- عيسى ابن الإمام: 19
- عيسى الثعالبي: 164
- عيسى الثعالبي: 145
- عيسى الغبريني: 18، 21، 22، 23، 27
- (غ)
- الغزالي: 188، 189، 201، 203
- (ف)
- الفكيرين: 145
- (ق)
- قاسم العقباني: 26
- قاسم الفكون: 143
- قاسم القسنطيني: 22، 23
- قاسم بن عيسى بن ناجي: 22، 23، 136
- القلشادي: 27
- القلشاني: 24، 26، 27
- (ك)
- الكافي التونسي: 172، 173
- الكامل بن المكي بن عزوز: 243
- الكفيف التلمساني: 141، 164
- (ل)
- لخضر بن حمانة القماري: 293، 330
- اللخمي: 127
- لعروسي بن عزوز: 244
- اللوزعي المرسي: 148
- لويس ما سينيون: 187
- (م)
- ماثيو كيري: 62
- المازري: 128
- مبارك المازقي التوزري: 55، 248
- مبارك بن خويدم: 241، 243
- محرز بن خلف: 129
- محمد الأخضر: 293، 319، 320
- محمد الإمام التلمساني: 23
- محمد الأندلسي: 143
- محمد الباجي: 175
- محمد البشير الماضوي: 321، 322، 323، 324، 332
- محمد التجاني: 28
- محمد التلمساني: 148
- محمد التلمساني: 63
- محمد التواتي: 5، 54، 144، 214
- محمد الخدامي التونسي: 164
- محمد الخروبي: 156

- محمد العيد الثاني: 248
- محمد الغرياني: 129، 131، 149
- محمد الغماد: 106
- محمد الفاسي: 50، 158، 167، 285
- محمد الفكون: 146
- محمد القسنطيني: 17
- محمد الكبير: 64، 65، 69، 73، 101، 278
- محمد المازوني: 238
- محمد المحجوب: 130
- محمد المشري بن الطاهر بن عبد الصمد: 326
- محمد المشعالي: 17، 25
- محمد المكناسي: 190
- محمد الهادفي: 304، 305
- محمد الهواري: 214
- محمد الورغي: 98
- محمد باي: 126، 139
- محمد باي: 35، 98، 125
- محمد بكداش: 101، 158
- محمد بن ابراهيم الشريف: 238
- محمد بن الشريف الجزائري: 147
- محمد الخضر حسين: 243، 244
- محمد الرشيد: 159
- محمد السايح: 251
- محمد الشافعي الباجي: 159
- محمد الشريف: 294، 321
- محمد الصالح الدحموني: 150
- محمد الصالح العيسوي الزواوي: 165
- محمد الصالح: 48
- محمد الصغير الجلاي: 262
- محمد الصغير (الحبيب): 294، 313، 323
- محمد الصغير: 248، 251، 290، 291، 292، 313، 314، 315، 316، 317، 318
- محمد الظاهر: 153
- محمد العربي الدرقاوي: 252
- محمد العربي المازوني: 20
- محمد العزيز بوعتور: 332
- محمد العطار: 143
- محمد العيد الأول: 228، 250، 290، 291، 292، 293، 309، 311، 312
- 313، 318، 320، 321، 329

- محمد بوزيان: 220
- محمد بوعتور: 162، 163
- محمد بيرم الخامس: 160، 170
- محمد بيرم الرابع: 163، 170
- محمد بيرم: 134
- محمد تاج العارفين: 120، 121، 145،  
157، 1161، 164، 165، 167
- محمد حمة: 248، 293، 250، 294،  
321، 329، 331
- محمد زيتونة: 148
- محمد سالم الحفناوي الخلوتي: 217
- محمد عبد المؤمن: 104
- محمد علي بن ظاهر الوتري: 262
- محمد عليش: 261
- محمد مخلوف: 164
- محمود التونسي: 227، 296، 299،  
300، 304
- محمود الكردي: 277
- محمود بن المظماطية: 328
- محمود قبادو: 227
- المختار بن خليفة الجلاي: 241
- محمد بن العباس شقرون التلمساني: 63
- محمد بن المشري السايحي: 57، 280،  
283، 284، 285، 395، 396، 300،  
303، 304
- محمد بن بلقاسم: 241، 245، 263
- محمد بن جعفر: 50
- محمد بن حواء المستغانمي: 104
- محمد بن خلف المسراتي: 121، 161
- محمد بن عبد الرحمان الباش تازري:  
240، 241
- محمد بن عبد الكريم الجزائري: 165
- محمد بن عزوز: 226، 241
- محمد بن علي السنوسي: 150، 252
- محمد بن عيسى الجزائري: 153، 242
- محمد بن عيسى: 220
- محمد بن مرزوق الجد: 20
- محمد بن مرزوق الخطيب: 26
- محمد بن مسائب: 116
- محمد بن يحي التلمساني: 19
- محمد بن يوسف الباجي: 88
- محمد بن يوسف السنوسي: 76، 162،  
175، 176، 177، 178، 203، 214

- محمد العروسي: 292
- محمد بن صالح النيفر: 292
- محمود حسين: 292
- مناشو: 249
- المنداسي: 63، 116
- منصور المتتاني: 142
- المنقلاتي: 103
- مولاي الطيب الوزاني: 218، 276
- مولاي سليمان: 278، 285
- (ن)
- الناصر الحمادي: 49
- الناصر الدرعي: 57، 75، 221
- ناصر القابسي: 130
- الناصر باشا باي: 324، 332
- (هـ)
- الهادف بن محمد الهادفي: 228
- الهاشمي بن ابراهيم الشريف: 238، 240
- (ي)
- ياقوت الحموي: 47، 65
- يحي الشاوي: 89، 139، 146، 169
- يحي الفكون: 143
- يحي بن أحمد: 252
- المختار بن خليفة: 254، 255، 256،
- 257، 258، 259، 260، 261، 262،
- 263، 264، 265، 266
- المدني التواتي: 243
- المدني بن عزوز: 255
- مراد بوبالة: 36
- مرزوق الكفيف: 27
- المسعود الشابي: 233، 234، 236
- المشرفي عبد القادر: 64، 132، 216
- المشير أحمد باي: 287
- مصطفى الرماصي: 147
- مصطفى بن شاوش: 151
- مصطفى بن عزوز: 152، 226، 241،
- 243، 244، 245، 246
- مصطفى بيرم: 163
- مصطفى لغريسي: 216
- المغوش: 143
- المكي بن عزوز: 165، 243، 244،
- 245، 248، 255، 256، 257
- المليكشي محمد بن عمر البجائي: 18
- بلقاسم الرزقي: 292، 313، 318، 319
- محمد الطيب النيفر: 293

يحي بن خلدون: 28

يحي صالح الأفضلي: 142

يغمراسن: 29

يوسف بن ذنون: 227

يوسف داي: 35، 97، 99

يوسف صاحب الطابع: 108

فخرنا

الأماكن

والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان

|                                   |                                 |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| بجاية: 18، 24، 27، 28، 29، 30،    | (أ)                             |
| 48، 49، 50، 122، 142، 200،        | إسبانيا: 216                    |
| 203، 204، 216، 224                | اسطنبول: 58، 146                |
| البحر الابيض المتوسط: 30          | الإسكندرية: 262                 |
| البرج: 48                         | الأطلس: 43                      |
| البرواقية: 220                    | أغادير: 68                      |
| بريان: 283                        | الأغواط: 42، 61، 221، 238، 243، |
| بسكرة: 25، 42، 47، 52، 69، 93،    | 285، 252                        |
| 103، 153، 226، 241، 243           | افريقيا: 56، 58، 91، 217        |
| بغداد: 70، 215، 239               | إفريقية: 93، 96، 1006، 134، 313 |
| بلاد الشام: 20، 23، 89، 114، 118، | أفلو: 283                       |
| 132، 133                          | الأندلس: 18، 19، 96، 196، 201،  |
| بلاد القبائل: 83، 146، 218، 242   | 202، 205                        |
| بنزرت: 130                        | الأوراس: 49، 159، 221، 231،     |
| بنغازي: 252                       | 233، 241، 242، 244              |
| بني ورتيلان: 84، 122              | أوروبا: 46                      |
| بوسعادة: 241، 283                 | أولاد جلال: 49، 218، 241، 262   |
| بوسمغون: 277، 278، 294            | أوماش: 48                       |
| بوشقرون: 48                       | (ب)                             |
| بونة: 46، 47                      | باجة: 22، 87، 98، 144           |
| بوية الأحداب: 253                 | البثيمة: 56                     |

توات: 61، 81، 220، 222، 237،  
 239، 277  
 توزر: 55، 92، 93، 125، 149،  
 227، 228، 231، 233، 237، 239،  
 240، 243، 249، 250، 284، 293،  
 308، 321  
 تونس: 16، 17، 18، 19، 20، 21،  
 22، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30،  
 31، 32، 33، 34، 35، 36، 41، 42،  
 45، 46، 48، 49، 51، 57، 63،  
 74، 75، 84، 86، 87، 88، 91،  
 92، 93، 94، 95، 96، 98، 100،  
 104، 105، 108، 116، 117، 119،  
 120، 121، 123، 124، 125، 126،  
 128، 130، 131، 133، 134، 135،  
 137، 138، 140، 141، 142، 143،  
 144، 145، 146، 147، 148، 149،  
 150، 151، 152، 153، 154، 155،  
 156، 157، 158، 159، 160، 161،  
 163، 164، 165، 166، 167، 169،  
 170، 171، 174، 175، 176، 178،  
 204، 207، 212، 215، 216، 233،

(ت)

تبسبست: 54  
 تبسة: 221، 233، 238  
 تغزوت: 56، 295، 325، 326  
 تقرت: 53، 54، 55، 56، 57، 69،  
 243، 251، 283، 284  
 تلمسان: 19، 20، 22، 24، 25، 26،  
 28، 29، 30، 31، 42، 50، 60،  
 61، 62، 63، 67، 68، 73، 74،  
 75، 76، 80، 102، 103، 118،  
 147، 148، 203، 214، 277،  
 284  
 تماسن: 54، 55، 57، 69، 159،  
 247، 248، 274، 279، 280،  
 281، 282، 284، 286، 287، 290،  
 291، 293، 294، 295، 321، 325،  
 331  
 تمعزة: 243  
 تمنطيط: 81  
 تميمون: 80  
 تنس: 203



|                                 |                                   |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| ،58 ،59 ،60 ،66 ،67 ،70 ،71 ،   | ،224 ،226 ،227 ،230 ،231 ،234 ،   |
| ،72 ،74 ،75 ،76 ،77 ،78 ،80 ،   | ،235 ،236 ،237 ،238 ،239 ،240 ،   |
| ،82 ،84 ،86 ،91 ،92 ،93 ،95 ،   | ،241 ،242 ،243 ،244 ،245 ،247 ،   |
| ،100 ،101 ،102 ،103 ،108 ،116 ، | ،249 ،250 ،251 ،252 ،253 ،254 ،   |
| ،117 ،119 ،121 ،130 ،132 ،133 ، | ،255 ،262 ،263 ،273 ،275 ،277 ،   |
| ،134 ،137 ،138 ،139 ،140 ،141 ، | ،282 ،285 ،291 ،292 ،293 ،215 ،   |
| ،143 ،144 ،145 ،146 ،149 ،150 ، | ،217 ،301 ،307 ،312 ،316 ،321 ،   |
| ،151 ،153 ،154 ،155 ،156 ،157 ، | 323 ،326 ،329 ،330 ،              |
| ،158 ،159 ،160 ،161 ،164 ،165 ، | تيارت: 238                        |
| ،166 ،170 ،171 ،174 ،175 ،176 ، | (ج)                               |
| ،178 ،204 ،207 ،212 ،214 ،215 ، | جدة: 244                          |
| ،216 ،217 ،218 ،219 ،221 ،222 ، | جربة: 22 ،35 ،91 ،127 ،142 ،      |
| ،226 ،227 ،230 ،231 ،232 ،      | 149                               |
| ،233 ،234 ،236 ،238 ،239 ،240 ، | جرجرة: 165                        |
| ،241 ،242 ،244 ،245 ،247 ،249 ، | جرجيس: 243                        |
| ،252 ،253 ،259 ،260 ،273 ،276 ، | الجريد التونسي: 55 ،92 ،98 ،125 ، |
| ،290 ،291 ،294 ،295 ،296 ،297 ، | ،150 ،231 ،237 ،240 ،244 ،249 ،   |
| 319 ،325 ،329 ،331 ،            | ،252 ،279 ،286 ،290 ،295 ،296 ،   |
| الجلفة: 283                     | 308 ،321 ،                        |
| جندوبة: 243                     | الجزائر: 16 ،17 ،18 ،19 ،27 ،28 ، |
| جيغل: 29 ،30                    | 29 ،30 ،31 ،32 ،33 ،34 ،35 ،36 ،  |
|                                 | ،37 ،41 ،42 ،44 ،45 ،47 ،57 ،     |

سفاقس: 32، 89، 90، 98، 106،  
 108، 127، 128  
 السودان: 17، 57، 59، 75، 92، 96،  
 215، 217، 222، 277، 282، 313  
 سوسة: 32، 88، 89، 100، 120،  
 124، 128  
 سوق اهراس: 221، 233، 330  
 سيرتا: 43  
 سيق: 79  
 (ش)  
 الشارف: 283  
 شتمة: 48  
 شرشال: 29، 203  
 الشلف: 144  
 شنقيط: 75  
 (ص)  
 الصومال: 215  
 (ط)  
 طرابلس: 16، 49، 56، 158، 244  
 الطرنجة: 223، 282، 291  
 طولقة: 25، 48، 153، 218، 237،  
 241، 262

(ح)  
 الحجاز: 18، 20، 24، 115، 119،  
 133، 139، 146، 216، 222، 263،  
 264، 279  
 (خ)  
 خنشلة: 233، 234، 243  
 خنق النطاح: 69  
 خنقة سيدي ناجي: 49، 75، 218،  
 241، 243  
 (د)  
 دمشق: 23، 101  
 (ز)  
 الزاب: 47، 49، 118، 226، 244  
 الزعاطشة: 48  
 الزلاج: 23  
 زواوة: 49، 50، 76، 158، 159،  
 217، 244  
 الزيبان: 57، 102، 241، 244  
 (س)  
 سبتة: 200، 216  
 سطيف: 218

|   |  |
|---|--|
| <p>(ف)</p> <p>فتياش: 48</p> <p>فرفار: 48</p> <p>فرنسا: 241</p> <p>(ق)</p> <p>قابس: 29، 89، 98، 126، 127،</p> <p>180، 238، 252</p> <p>القاللة: 221، 233</p> <p>القاهرة: 22، 23، 28، 31، 74، 146،</p> <p>222، 244، 277</p> <p>قرطاجنة: 46</p> <p>قسنطينة: 21، 23، 25، 26، 27، 32،</p> <p>34، 36، 37، 42، 44، 45، 46،</p> <p>48، 49، 50، 51، 67، 68، 74،</p> <p>75، 80، 103، 149، 151، 152،</p> <p>157، 158، 167، 174، 218، 219،</p> <p>221، 222، 233، 235، 237، 240،</p> <p>244، 275، 292، 294، 328</p> <p>قشتالة: 27</p> <p>القصبة: 27</p> <p>قصر البخاري: 253</p> <p>القصرين: 243</p> | <p>طولقة: 25، 48، 153، 218، 237،</p> <p>241، 262</p> <p>(ع)</p> <p>العباد:، 26، 203</p> <p>العراق: 132</p> <p>عزازقة: 84</p> <p>عناية: 43، 46، 47، 75، 103،</p> <p>147، 158، 233</p> <p>عين بوسيف: 253</p> <p>عين تموشنت: 226، 241</p> <p>عين صالح: 237، 239</p> <p>عين ماضي: 80، 221، 274، 276،</p> <p>277، 278، 282، 290، 294، 295،</p> <p>310، 316، 321، 332</p> <p>(غ)</p> <p>غات: 239</p> <p>غار حراء: 191</p> <p>غدامس: 239، 243</p> <p>غرداية: 238</p> <p>غريس: 64</p> <p>غليزان: 238</p> |
|---|--|

|                                 |                                |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (م)                             | قصة: 98، 125، 126، 231، 235،   |
| مازونة: 20، 31، 42، 68، 72، 74، | 311، 308، 238                  |
| 75، 80، 101، 103، 238           | قلعة بني حماد: 49              |
| المدية: 31                      | قمار: 56، 149، 159، 233، 247،  |
| المدينة المنورة: 277، 289       | 274، 291، 293، 295، 321، 325،  |
| مراكش: 119، 200                 | 327، 326                       |
| المرسى الكبير: 29، 60، 65       | القنادسة: 220                  |
| مستغانم: 29، 60، 74، 150، 203   | القنادسة: 220                  |
| مسعد: 283                       | القنطرة: 44                    |
| مصر: 18، 20، 24، 75، 77، 89،    | قورارة: 80                     |
| 115، 118، 132، 133، 145، 146،   | القيروان: 22، 85، 93، 96، 98،  |
| 147، 170، 194، 217، 244، 260،   | 106، 233، 231، 233، 234، 243   |
| 262، 263، 264، 265، 277، 282    | القيطنة: 73، 75، 216           |
| معسكر: 31، 60، 63، 64، 68، 73،  | (ك)                            |
| 103، 132، 153، 216، 294         | الكاف: 35، 36، 98، 124، 130،   |
| المغرب الاقصى: 30، 42، 57، 62،  | 226، 231، 238، 241، 243        |
| 74، 75، 77، 84، 95، 96، 101،    | كوكو: 50، 159                  |
| 118، 119، 132، 141، 147، 155،   | (ل)                            |
| 156، 158، 216، 219، 222، 263،   | ليبيا: 42، 44، 84، 89، 92، 95، |
| 278، 283، 288، 294، 297         | 105، 237، 244                  |
| المغرب الأوسط: 25، 17، 29، 30،  | ليشانة: 48                     |
| 203                             |                                |

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| وادي سوف: 42، 55، 56، 57، 93،  | المغير: 54                    |
| 149، 159، 221، 227، 231، 233،  | المقارين: 54                  |
| 237، 238، 239، 240، 241، 243،  | مقرة: 188                     |
| 244، 280، 291، 295، 327        | مكة المكرمة: 261              |
| وادي ميزاب: 92، 142            | مليانة: 19، 75                |
| وجدة: 288                      | المنستير: 32، 90              |
| ورقلة: 51، 52، 53، 54          | المنيعة: 219                  |
| ورقلة: 51، 52، 53، 54، 93، 57، | (ن)                           |
| 219، 238                       | ندرومة: 74، 75                |
| وزان: 218، 276                 | النزلة: 45                    |
| وزان: 218                      | نفطة: 55، 92، 98، 149، 152،   |
| وزرة: 220                      | 226، 237، 238، 239، 241، 242، |
| وكرة: 48                       | 243، 244، 253، 259، 260       |
| ولجة: 56                       | النوبة: 243                   |
| الونشريس: 72                   | نوميديا: 44، 46               |
| وهران: 29، 31، 42، 60، 64، 65، | (هـ)                          |
| 67، 69، 73، 74، 80، 101، 220،  | الهند: 215                    |
| 222، 278                       | (و)                           |
| (ي)                            | وادي العثمانية: 244           |
| اليمن: 144، 215                | وادي ريغ: 69، 283، 284، 291،  |
|                                | 212                           |

فهرس الطرق

الصرفية

والزوايا

فهرس الطرق الصوفية

|                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| السنوسية: 180، 215، 232       | ايت اسماعيل: 218               |
| الشاببية: 215، 221، 223، 230، | البسكرية: 217                  |
| 231، 233، 234، 236            | التجانية: 215، 221، 223، 227،  |
| الشاذلية: 214، 215، 216، 217، | 228، 238، 246، 247، 250، 273،  |
| 218، 219، 220، 221، 232، 285  | 275، 280، 284، 285، 289، 290،  |
| الشيخية: 219                  | 295، 296، 311، 312، 313، 314،  |
| الطيببة: 215، 218، 219، 211   | 317، 319، 321، 325، 330، 331   |
| العرودية: 215، 217، 232       | الجازولية: 217، 218            |
| العلوية: 215                  | الحنصالية: 219                 |
| العيساوية: 220، 232           | الخلوتية: 221، 288             |
| القادرية: 214، 216، 221، 223، | الدرقاوية: 215                 |
| 224، 237، 238، 239، 252       | الرحمانية: 215، 217، 218، 221، |
| الكرزاية (الاحمدية): 220      | 226، 240، 241، 243، 244، 245   |
| المدنية: 232، 252             | الرومية: 215                   |
| النابولسية: 215               | الزروقية: 217                  |
| الوافية: 217                  | الزيانية: 220                  |
| اليافعية: 215                 | السلامية: 232                  |

## فهرس الزوايا

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| الشط: 292                      | إبراهيم بن محمد السوداني: 229    |
| صدوق: 218                      | الأزهرى: 80                      |
| الطرنجة: 228، 250، 291، 307،   | ايت اسماعيل: 218                 |
| 331، 325، 310                  | باب المنارة: 228، 250، 293       |
| طولقة: 242، 245، 262           | البرج: 241                       |
| عبد الكريم: 219                | البكرية: 81                      |
| عين اقلال: 254، 256، 264، 266  | بوزلفة: 226                      |
| عين ماضي: 80، 282، 290، 316،   | بولبابة: 252                     |
| 332                            | تقاش: 229                        |
| القشاشة: 253                   | تماسين: 248، 249، 250، 281،      |
| قمار: 247، 286، 291، 293       | 290، 291، 293، 295، 331          |
| القيطنة: 216                   | توزر: 226، 239، 240، 243، 321    |
| الكاف: 226، 238، 241           | تيزي راشد (ابن عراب): 80         |
| كوكو: 51                       | الحاج بوحفص: 219                 |
| محمد التواتي: 80               | خنقة سيدي ناجي: 243، 244         |
| محمد بن عاشور: 81              | الرويسات: 238                    |
| المختارية: 262                 | زتوية العبيدة (زاوية الباي): 229 |
| نفطة: 226، 239، 242، 243، 244، | سيدي الشيخ: 80                   |
| 259                            | سيدي الطاهر بن عبد الصادق: 228   |
| الهامل: 241، 245، 262، 263     | سيدي سالم: 244                   |
|                                | ششار: 234، 235، 243              |



الفهرس

العلم

# الفهرس العام

|      |  |
|------|--|
| أ- ش | مقدمة  |
| 15   | مدخل تاريخي: جذور العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس                       |
| 16   | أولا : العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس قبيل العهد العثماني              |
| 16   | 1/ هجرة علماء الجزائر إلى تونس   |
| 25   | 2 / هجرة علماء تونس إلى الجزائر  |
| 29   | ثانيا: التواجد العثماني في الجزائر وتونس                                   |
| 29   | 1 / في الجزائر   |
| 32   | 2 / في تونس  |
| 34   | 3 / العلاقات السياسية بين الإيالتين.                                       |
| 40   | الباب الأول: طبيعة العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس                      |
| 40   | الفصل الأول: الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني |
| 41   | مقدمة الفصل  |
| 42   | أولا: الحواضر والمراكز العلمية في الجزائر                                  |
| 42   | 1 / الحواضر  |
| 66   | 2 / المراكز  |
| 84   | ثانيا: الحواضر والمراكز العلمية في تونس.                                   |
| 84   | 1 / الحواضر  |
| 93   | 2 / المراكز  |
| 100  | ثالثا: الحالة العلمية في القطرين خلال الفترة العثمانية                     |
| 100  | 1 / في الجزائر   |
| 104  | 2 / في تونس  |
| 109  | خاتمة الفصل  |
| 112  | الفصل الثاني: التواصل العلمي بين الجزائر وتونس ومظاهره                     |
| 113  | مقدمة الفصل  |

|     |  |
|-----|--|
| 114 | أولاً: الرحلة العلمية وأثرها في التواصل العلمي بين الجزائر وتونس                                   |
| 114 | 1 / تعريف الرحلة   |
| 115 | 2 / أنواعها  |
| 117 | 3/ نماذج عن الرحلات العلمية الجزائرية الكبرى إلى إيالة تونس وأثرها في العلاقات العلمية بين البلدين |
| 137 | ثانياً: الزيارات المتبادلة بين علماء الإيالتين   |
| 137 | 1 / العلماء الجزائريون في تونس   |
| 155 | 2 / العلماء التونسيون في الجزائر   |
| 160 | ثالثاً: الإجازات العلمية بين القطرين   |
| 161 | 1 / إجازات علماء الجزائر لعلماء تونس   |
| 164 | 2 / إجازات علماء تونس لعلماء الجزائر   |
| 166 | رابعاً: المراسلات و التقارير   |
| 166 | 1 / المراسلات  |
| 171 | 2 / التقارير   |
| 173 | خامساً: أشكال أخرى للتواصل   |
| 173 | 1 / المناظرات العلمية  |
| 175 | 2 / التنافس على شروحات بعض المؤلفات  |
| 179 | خاتمة الفصل  |
| 184 | الباب الثاني: التواصل الصوفي بين الجزائر وتونس و دور الطرق الصوفية                                 |
| 184 | الفصل الأول: مغرب المتصوفة   |
| 185 | مقدمة الفصل  |
| 186 | أولاً: التصوف في بلاد المغرب   |
| 186 | 1 / مفهوم التصوف   |
| 191 | 2 / نشأة التصوف الإسلامي وتطوره  |
| 197 | 3 / التصوف في بلاد المغرب.   |
| 204 | 4 / عوامل انتشار التصوف في الجزائر وتونس   |
| 208 | خاتمة الفصل  |
| 210 | الفصل الثاني: التواصل الطريقي بين الطرق الصوفية في الجزائر و تونس                                  |

|     |   |
|-----|---|
| 211 | مقدمة الفصل   |
| 212 | أولاً: الطرق الصوفية في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني                                   |
| 212 | 1 / مفهوم الطريقة   |
| 214 | 2 / الطرق الصوفية في الجزائر  |
| 223 | 3 / الطرق الصوفية في تونس   |
| 233 | ثانياً: دور الطرق الصوفية في التواصل العلمي بين القطرين                                     |
| 233 | 1 / الطريقة الشاذلية  |
| 237 | 2 / الطريقة القادرية  |
| 240 | 3 / الطريقة الرحمانية   |
| 246 | 4 / الطريقة التجانية  |
| 252 | 5 / طرق أخرى  |
| 253 | ثالثاً: دور شيوخ الزوايا في ربط الصلات العلمية بين الجزائر وتونس                            |
| 253 | الشيخ المختار بن خليفة الحدباوي انموذجاً  |
| 267 | خاتمة الفصل   |
| 270 | الفصل الرابع: رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي دراسة مسحية تحليلية لأهم الرسائل |
| 271 | مقدمة الفصل   |
| 272 | أولاً: ضبط المفاهيم المرتبطة بالفصل   |
| 272 | 1 / الرسائل   |
| 274 | 2 / الأئمة  |
| 276 | 3 / الأعيان   |
| 277 | ثانياً: أبرز أئمة التجانية  |
| 277 | 1 / المؤسسون  |
| 291 | 2 / الخلفاء   |
| 296 | ثالثاً: نماذج عن رسائل أئمة التجانية إلى أعيان الجنوب التونسي ودورها في العلاقات العلمية    |
| 297 | 1 / الرسائل في عهد الشيخ أحمد التيجاني  |
| 307 | 2 / الرسائل في عهد الحاج علي التماسيني  |

|     |   |
|-----|---|
| 310 | 3 / الرسائل في عهد خلفاء علي التماسيني                    |
| 322 | 4 / الرسائل في عهد أبناء أحمد التجاني وأحفاده             |
| 326 | 5 / نماذج لرسائل موجهة من أعيان القطر التونسي إلى الجزائر |
| 335 | خاتمة الفصل   |
| 337 | الخاتمة   |
| 343 | الملاحق   |
| 399 | بيبلوغرافيا عامة  |
| 426 | فهرس الأعلام  |
| 440 | فهرس الأماكن والبلدان                                     |
| 448 | فهرس الطرق الصوفية والزوايا                               |